PIERRE II

دراسة الكتاب المقدس

www.pierre2.net

PDF version : May 25, 2023

1

المسار الروحي - في البحث عن الحقيقة

1. مقدمة

يهدف هذا "المسار الروحي" إلى مساعدة الذين يرغبون باكتشاف الحقيقة والسعادة والسلام الداخلي، سلام الروح، إلى مساعدتك أنت أيها القارىء إن كنت بالفعل ترغب في معرفة الحقيقة.

ينقسم هذا المسار إلى ثلاثة مراحل. المرحلتان الأولتان (التمهيد وإدراك الذات) هما تحضير للمسار الروحي بحصر المعنى. إنهما ليستا ضروريتين، لكننا ننصح بهما حسب حالة كل شخص.

1. التمهيد هو تحضير نفسي يضعنا على المسار الصحيح نحو الهدف. قبل الانطلاق، عليك أن تعرف بوضوح ماذا تريد بالتحديد، وإن كنت تملك التصميم الكافِ للوصول إلى الحقيقة.
2. إدراك الذات يدعوك ويحضّرك للدخول إلى ذاتك لتكتشف نفسك وتفهم حالتك النفسية.
3. المسار الروحي بحد ذاته يضعك أمام ما هو فوق الطبيعة ويفتح أمامك الطريق لتبلغه بحرية... إن كنت متمسكاً به.

2. المحطة الأولى – التمهيد

إن الحقيقة والسعادة لا تنفصلان: إن كنت في الحقيقة، فلا يمكنك إلا أن تكون سعيداً. إن كنت في قرارة نفسك غير سعيد، فلأنك لا تملك النور الحقيقي الذي يدفىء الروح ويفرحها.

كلما كدّسنا الحقيقة، كلما أصبحنا أكثر سعادة. وحدها معرفة الحقيقة تحرر الإنسان (قراءة يوحنا 8، 32).

قبل أن تلتزم بمسار البحث هذا، تأكد بأنك في حالة نفسية جيدة وبأن وقت الانطلاق قد حان بالنسبة لك. أجب بعناية على هذه الأسئلة الثلاثة:

1. في أية حالة نفسية أنت؟ ولماذا؟ (سعيد أم حزين، بسبب وضعك المالي، مكانتك الاجتماعية، ثقافتك، أفكارك الفلسفية، وضعك العاطفي إلخ...)
2. في أية حالة روحية أنت؟ ولماذا؟ (مؤمن أم غير مؤمن، بسبب أفكار موروثة أو انتماء لجماعة دينية منذ ولادتك، بحكم العادة، خضوعك لعادات وأحكام مسبقة لمجتمعك الخاص إلخ...)
3. هل أنت راضٍ بوضعك أم تريد أن تتطور؟ إن كنت لا تريد أن تسمو بوجودك، فهذا المسار غير موجه لك. لكن إن كنت، بالعكس، عطش لاكتشاف الحقيقة كي تتقدم، فعليك ببذل الجهد في سبيل ذلك. تابع إذاً قراءة هذا المسار.

ملاحظة هامة: إن لم تختار حالتك الروحية شخصياً وبحرية على قاعدة سليمة وموضوعية، وتستخلص أفكارك الخاصة بعناية بعد بحث معمّق ودقيق، ستكون خاضعاً لأحكام دينية مسبقة، عنصرية وغير ذلك، ولن تتمكن من النمو أبداً. سيتقاذفك الجهل وتصبح ضحية سهلة للقلق والاضطراب النفسي، وهما ثمرتان لإراديتان لمعرفة ناقصة وغير أكيدة، أو لجهل تام. هاتان الثمرتان المشؤومتان أثمرتا حروباً دينية متعصبة ودموية، إضافةً إلى طوائف خبيثة غالباً ما يكون مثالها الأعلى الانتحار...

إن بريق المعرفة يحيي النفس البشرية. أمّا ظلمات الجهل، في المقابل، فتقضي على الحياة الداخلية؛ فلا يمكن للنفس سوى أن تكون منزعجة وغير راضية. سيبدو ذلك على المظهر الخارجي من خلال العدوانية والتململ، أو على العكس أيضاً، من خلال حال من الحزن والكآبة.

إن لم تكن على يقين من معتقداتك، سيتآكلك الشك ولن يمكنك بالتالي أن تحافظ على ثقتك بنفسك. ستترقب دائماً شيئاً جديداً يطمئنك، لكنك لن تلقى سوى خيبة الأمل وسينتهي بك الأمر إلى اليأس من عدم الوصول إلى السعادة الحقيقية أو الاكتفاء بحياة رديئة.

انتبه من هذا النوع من الحنين الكئيب الذي يجتاح الروح في بعض الأحيان، فهو يعيش ويغتذي على الجهل. علينا تعريفه بـ "الحنين إلى السعادة"، السعادة المفقودة... إنما القابلة للاسترجاع وفقاً لشروطها. لقد مُنحنا الوقت لاستعادتها بالمعرفة. ومن جدّ وجد.

1.2 التحرر من الحالة

كي تتحرر من تأثير الجهل الضار، عليك أن تبدأ بتحرير نفسك من حالتك، أي التحرر من شخصية فُرضت عليك لاشعورياً من خلال ارتباطاتك العائلية والاجتماعية. إنسى إذاً هويتك العائلية، مركزك الاجتماعي، ألقِ عنك ذكريات (الحلوة والمرة) ماضٍ يؤثّر فيك في أعماق أعماقك، إمحِ الأحكام المسبقة التي تزرع فيك شخصية مزيفة، كي تستعيد ذاتك بنفسك. إبدأ في النهاية بالبحث بعقلانية وبمنطق عن السعادة، ثمرة الحقيقة. أنت قادر على معرفة الحقيقة، على تمييزها، وتحريرها من الكذب.

لديك ذكاء. استعمله.

لديك قلب. أرهف حسّه.

لديك منطق. إستخلص نتائجك الخاصة.

ألهب حماسك باستمرار. زده محبة وفرحاً. لا تسمح للقوى الهدامة أن تشلك بالكسل والخوف من المجهول.

إنهض وقم بخطواتك الأولى في ميدانك الداخلي. إنه ملكك. لا تكن غريباً في داخلك، ولا خائفاً، وإلا سينهب آخرون روحك.

بالإرادة الصلبة والمثابرة، تتوصل إلى قمّة السعادة التي تنتظرك كجائزة كبرى في آخر الدرب، على أعلى قمم جبلك الداخلي.

2.2 الشروط الضرورية للوصول

1. رغبة عميقة بمعرفة الحقيقة: لا يمكن لأحد أن يعطي ماءً لمن لا يكون عطشاً.
2. الصدق: إلتزام كامل وواعٍ من الإرادة والعقل في سبيل اكتشاف الحقيقة والتكيّف معها بلا نفاق ولا قيد أو شرط. أن تكون حسن النية.
3. الشجاعة للتخلّي، ولو تدريجياً، عن عادات قديمة، أفكار، صداقات وعلاقات اجتماعية تعيق التطور الروحي وتمنع تحرر الروح.
4. الانطلاق من مبدأ أن الحقيقة واحدة وموضوعية؛ لا يمكن لمفهوم ونقيضه أن يكونا كلاهما صحيحين. لا يمكن لكل إنسان أن يجعل حقيقته ذاتية: الشمس موجودة أم غير موجودة بالنسبة للجميع. كذلك الله.
5. حرية الاختيار، مع تحمّل مسؤولية الخيار. أن نكون قادرين على تحمل هذه المسؤولية من خلال حجج وبراهين منطقية، أي أن نكون قد بلغنا نضوجاً جديراً بالثقة.

العقبة الرئيسة هي أن نجعل لأنفسنا "حقيقة" ذاتية وهمية تلائمنا، بدلاً من أن نضع أنفسنا موضع تساؤل، وأن نسعى للارتقاء ومعانقة الحقيقة الوحيدة.

3.2 خلاصة

بعد أن فكرت ملياً بهذا التمهيد، هل أنت مستعد للبدء بالبحث منقاداً بهذا الروح، لا بدافع الفضول، بل بتصميم ثابت على التغيير لتصبح ذاتاً أخرى؟ ستخرج مغتنياً وناضجاً لدرجة أنك لن تتعرف على الشخص القديم الذي كنته.

إن قال قلبك "نعم"، فلا تخيب أمله. استجب لندائه. ستكتشف، بالمثابرة، عالم السعادة الذي لم يعد يؤمن به كثير من الناس اليوم، والذي، دون أن يكون من هذا العالم المادي، هو مع ذلك في هذا العالم، كونه موجود فيك. عليك أنت أن تكتشفه. فلا تنشغل بتقلبات الحياة اليومية.

أسطورة هندوسية قديمة تروي ما يلي:

لقد مرّ زمن كان فيه جميع البشر آلهة. لكنهم أساءوا استعمال ألوهيتهم حتى قرر برهما، سيد الآلهة، أن ينزع منهم القدرة الإلهية ويخبئها في مكان حيث يكون من المستحيل عليهم العثور عليها. المعضلة الكبيرة كانت إذاً في إيجاد مخبأ لها.

عندما استدعي الآلهة الصغار إلى مجلس الشورى لحل هذه المسألة، اقترحوا التالي: "لندفن ألوهية الإنسان في الأرض". لكن برهما أجابهم: "لا، لا يكفي، لأن الإنسان سيحفر ويجدها".

عندئذ أجابت الآلهة: "في هذه الحالة، لنلقي الألوهية في أعمق المحيطات". لكن برهما أجاب من جديد: "لا، لأن الإنسان عاجلاً أم آجلاً سيستكشف أعماق جميع المحيطات ومن المؤكد أنه سيجدها في يوم من الأيام ويصعد بها إلى السطح".

حينها استخلص الآلهة الصغار قائلين: "لا نعرف أين سنخبئها إذ أنه كما يبدو لا يوجد أي مكان على الأرض أو في البحر لا يستطيع الإنسان الوصول إليه يوماً ما". فقال برهما: "إليكم ما سنفعله بألوهية الإنسان: سنخبئها في أعماق ذاته، لأنه المكان الوحيد الذي لن يفكر أبداً أن يبحث فيه".

منذ ذلك الوقت، تختم الأسطورة، قام الإنسان بالدوران حول الأرض، استكشف، تسلق، غطس وحفر للبحث عن شيء موجود في داخله.

3. المحطة الثانية - إدراك الذات

"إدراك الذات" هو برنامج عمل نفسي، مجهود تأمل باطني يساعدك على اكتشاف ذاتك كما أنت، على السعي للتطور نحو ما يجب أن تكون. إنه "مسار نفسي" مكمّل للمسار الروحي. إنني أدعوك إلى اللجوء إليه على طول الطريق، إن رأيت ذلك ضرورياً؛ إنه مقياس لحالتك النفسية.

كان سقراط يقول: "أيها الإنسان، إعرف نفسك". إنها دعوة لإدراك الذات. إليك باختصار طريقة لإدراك الذات تساعدك على استكشاف عالمك الداخلي.

يتألف الكائن البشري من ثلاثة مستويات حيوية متكاملة:

1. المستوى الجسدي: المتعلق بالناحية الجسدية، المادية، أي الجسد.
2. المستوى النفسي: المتعلق بالناحية العقلية والعاطفية، أي النفس.
3. المستوى الروحي: المتعلق بما هو فوق الطبيعة، أي الروح.

الناحيتان الأخيرتان لا يمكن إدراكهما مادياً، لكنهما متصلتان اتصالاً وثيقاً بالجسد. على المستويات الثلاث أن تكون متناغمة بشكل تام. أي عدم توازن يسبب اضطراباً في الشخصية البشرية.

التركيز على مستوى معيّن وإهمال المستويات الأخرى يقلق الذات. يجب الأخذ بعين الاعتبار الهرمية الموجودة بين هذه المستويات: المستوى الأهم هو الروحي، يليه النفسي وأخيراً الجسدي. هذا القسم الأخير من ذاتنا، أي الجسد، هو من دون شك مهم. إنه القسم المحسوس من ذاتنا والذي يقدر أن يخفي باقي شخصيتنا. كونه الأكثر قرباً وإدراكاً، يمكن للجسد أن يحجب الباقي كما نلاحظ في أغلب الأحيان. بيد أن على الجسد أن يُستخدم كأداة لاكتشاف المستويين الآخرين الغير مرئيين واللذان يملكان أهمية حيوية أكبر بكثير. لذلك علينا أن نحرص على جعل الجسد أداة اكتشاف من خلال الاعتناء به، تعليمه وتوجيهه بحكمة من الداخل حيث يوجد مقر النفس والروح.

العائق الوحيد بالنسبة للإنسان، عدوه الوحيد: هو نفسه.

إدراك الذات يعني معرفة الذات. لذلك علينا أن نثابر على التأمل الباطني لأعماقنا: أن نكتشف نفسنا وروحنا.

إنه سهل وصعب في نفس الوقت:

- إنه سهل لأنه لا يتطلب وسيلة أخرى سوى ذاتنا، وأدوات أخرى سوى التيقظ وتصميمنا على أن نتغير - مهما كلّف الأمر- لننجح في الوصول إلى الإنسجام الداخلي.
- إنه صعب بسبب بعض العوائق (الإرادية واللاإرادية) مثل الخمول النفسي، الخوف، أو عدم الاستعداد لاكتشاف أنفسنا على حقيقتها، التعلق بالمادية والملذات الدنيوية. يلزمنا الكثير من الشجاعة المعنوية للاعتراف بأخطائنا والسعي إلى التحرر منها.

طريقة جيدة لبلوغ معرفة الذات هي باعتماد النقاط الثلاث التالية:

1. تقييم الشخصية
2. اكتشاف عقدنا النفسية
3. الهدوء

1.3 تقييم الشخصية

إنه تمرين يسمح بتسجيل نقطة انطلاقنا، تقدّمنا أو تراجعنا. يعزز فينا هذا التقييم ديناميكية التطور التي يعتمد عليها تحوّلنا. مفتاح هذا التحوّل هو اكتشاف حالتنا النفسية، حسناتنا وسيئاتنا. إليك بعض الأمثلة على ذلك:

- الحسنات: الشجاعة الأخلاقية، الرغبة في التقدم، الثقة بالنفس، الصبر، الثبات والمثابرة، اللطف، المحبة، محبة الغير، التآلف مع المجتمع، الفرح، التفاؤل إلخ...
- السيئات: اللامبالاة، التكبر، الغرور، الشهوانية، الحساسية، الغيرة والحسد، الأنانية، التزمت، التعصب، البخل، عدم الانفتاح إلخ...

إن اكتشاف حالتنا النفسية هو أمر ضروري؛ إنه الخطوة الأولى نحو التطور. عليه يعتمد العلاج الذي سنطبقه. علينا أن لا نرتعب عندما نكتشف سيئاتنا، بل أن ننظر بهدوء إلى هذه الحالة التي انطلاقاً منها نريد ونستطيع أن نتطور، ذلك إن شعرنا أننا معنيون.

الخطوة التالية هي التموضع بالنسبة للحالة المثالية التي علينا أن نبلغها على صعيد المستويات الحيوية الثلاث للشخصية البشرية، هذا ملخص عنها:

1. المستوى الجسدي يتعلق بالحياة البدنية: الحيوية، الصحة، قوة التحمل، رد فعل جيد إلخ... من الناحية الغذائية، يجب الاعتناء بنوعية وكمية الغذاء لتجنب زيادة الوزن والبدانة اللتان تسببان الأمراض. يجب الاهتمام بالجسد من خلال التمارين الرياضية: العقل السليم في الجسم السليم.
2. المستوى النفسي يتعلق بالحياة الفكرية والعاطفية للنفس: - يحتوي الفكر على مجال الذكاء، قدرة الانتباه والتركيز، الذاكرة، المخيلة إلخ... - الحياة العاطفية تتعلق بالمحبة. على محبة الذات ومحبة الآخرين أن تكونا متوازنتين. مخالطة اجتماعية حذرة وانتقائية - وفقاً لصفات الآخرين الأخلاقية - تدعم تطورنا (قراءة يشوع بن سيراخ 12).
3. المستوى الروحي يتعلق بروحنا ويرتبط بالفوطبيعي. إنه المستوى الذي يتحكّم بكامل شخصيتنا. إن كنا منوّرين بشكل جيد على هذا المستوى، ستفيض السعادة على كامل كياننا. لهذا السبب هذا المستوى هو الأهم على الإطلاق. علينا أن نكتشفه لنعطيه كمال الحقيقة. إنه هدف بحثنا.

بعد أن أدركنا سيئاتنا، علينا أن نطبق على كل واحدة منها الفضيلة النقيضة: على اللامبالاة، الاهتمام والحماس؛ على التكبر، الوداعة والتواضع؛ على الرخاوة، الجهد؛ على الغرور، الزهد ونكران الذات؛ على البخل، الكرم؛ على التعصب، التسامح إلخ... من أجل أن نكون سعداء، علينا أن ندفع الثمن، وكي نشفى علينا أن نتغير. من العبث انتقاد الآخرين، السعي إلى تحسينهم، والرغبة في تغيير العالم دون أن نتطور نحن أنفسنا. الثورات الكبرى تبدأ فينا ومن خلالنا. إذ أنه من خلال تطوير ذاتنا نتمكن من رفع الآخرين.

2.3 اكتشاف عقدنا النفسية

كثير من الناس يستسلمون أثناء مسيرتهم بسبب بعض الاضطرابات الداخلية التي تثبط عزيمتهم، والمشاعر التي تزرع الحيرة في الروح. هذه هي العقد النفسية.

بعض وقائع الحياة توسمنا أحياناً منذ طفولتنا. نتيجة لصدمة عاطفية أو غيره، تبقى آثارها مدفونة في ذاكرتنا مولدة بالتالي مشاعر سلبية قوية (دونية، فوقية، عدوانية، شعور بالذنب إلخ...) توجّه بعض أفعالنا من دون علمنا، كونها تقبع في دائرة اللاوعي في نفسنا.

أن نشعر أننا أقل من غيرنا لا يعني دائماً أن قيمتنا الأخلاقية منقوصة. علينا أن نبحث عن أسباب هذا الشعور: عاهة جسدية، نقص عاطفي، مأساة عائلية، نقص في الثقافة، فقر إلخ... كما أنه بالمقابل يمكننا أن نشعر أننا متفوقون من دون أن نكون كذلك. تسبب هذه العقد اضطراباً على مستوى اللاوعي. عملنا يكمن في اكتشاف هذه العقد والتعرّف عليها بغية الشفاء منها. هذا هو "إدراك الذات". لكن يلزمنا في البدء أن نتحلى بالشجاعة للاعتراف بما نحن عليه! نكون أحياناً بحاجة إلى مساعدة صديقة أو مهنية (عالم نفس إلخ...)، لا نجدها دائماً بسهولة.

علينا أن نتوصل إلى تمييز المصدر الحقيقي للانزعاج الذي يقلقنا: هل يعود ذلك إلى عِقدنا أو إلى معاملة الآخرين السيئة لنا؟ لا يجب التقليل من أهمية تأثير تصرف الآخرين علينا. نظام المجتمعات الحديثة ليس ليناً. لذلك علينا أن نحتمي وأن ندافع عن أنفسنا كي نعيش... أو أحياناً أن نصمد ونتعلم أن نتكيف مع مختلف الأوضاع.

ذلك يستلزم مراقبة موضوعية لتصرفنا نحو الآخرين. نميل، جميعاً، إلى رمي الآخرين بأحاسيس سلبية أو إيجابية موجودة في داخلنا: "نحكم على الآخرين من خلال ذاتنا"، دون أن نتروى ودون أن نتسلح بالتمييز.

مثلاً: الإنسان العدواني يرى الآخرين عدوانيين ويتذمر من ذلك. بالمقابل، الإنسان النزيه يعتقد أن الجميع نزهاء ويتفاجأ عندما يتعرّض للسرقة من قبل إنسان كان يعتبره نزيهاً. ذلك يمكن أن يؤدي إلى خيبات أمل كبيرة، خصوصاً في المجال العاطفي حيث يتعلق الأمر بالقلب.

3.3 الهدوء

علينا أن نعمل على ذاتنا بهدوء وصبر كي نتغلب على سيئاتنا، أن نتقبل أنفسنا كما نحن! إن كنا لا نتوصل إلى تقبل أنفسنا، إلى التصالح مع أنفسنا، فكيف علينا أن ننتظر من الآخرين أن يتقبّلوننا وأن يتحمّلوننا؟

ثقافة الهدوء تحمينا من التعديات الخارجية، فنتقدم بالتالي تدريجياً نحو السيطرة على الذات. من يتمكن من السيطرة على ذاته، يتحكم بالمواقف الأكثر حرجاً، يستطيع تهدئة العنف والتحديات، والقيام بالتحولات الأكثر تناسباً للسلام الداخلي والتآلف الاجتماعي.

الهدوء الداخلي يتعزز باسترخاء الجسد والفكر، بالإضافة إلى التحكم بالتنفس الذي يلقّن في صفوف اليوغا.

منافع الهدوء:

- يسهّل العمل الطبيعي للجهاز العصبي.
- يزيد من مردود المجهود، وفي نفس الوقت يقلل من التعب.
- يسيطر على قلة الصبر والميل إلى الغضب.
- يساعد على التفكير وأخذ أفضل القرارات.
- يعزز رباطة الجأش والثقة بالنفس.
- يجذب ثقة الآخرين.
- إنه سلاح فعال لمواجهة المحن مع حظ أوفر بالانتصار.

4.3 نصائح عملية

هذا التقييم البسيط يمكن أن يكتب على دفتر خاص. تجري مراقبة الذات بموضوعية وصدق، ويستعان إن أمكن بمن هو أكثر خبرة.

المثابرة ستغير حياتنا الخاصة، الداخلية، العائلية، العامة والمهنية بكثير من الفرح والمحبة.

هذا الإجراء يضمن نتائج تدريجية لكنها دائماً ما تكون أكيدة وفعالة. نملك الوقت لذلك. علينا أن نتحلى بالصبر وأن لا نستعجل للوصول إلى نتائج مرضية. فإننا بذلك نخاطر بخسارة كل شيء. على النمو الطبيعي أن يأخذ وقته لبلوغ نضوج سليم. فلا يمكن لإنسان أن يبلغ عمر الأربعين دون أن يمر بالثلاثين.

العناية الإلهية ستساعدنا على قدر إيماننا ومثابرتنا.

الإيمان هو ترياق الخوف.

مع الخوف، ننتظرالأسوء؛ مع الإيمان، نأمل بالأفضل.

علينا أن نثق بأنفسنا وبمساعدة الخالق.

5.3 تأمل

تأمل بعمق بالأفكار التالية:

قال مايستر ايكهارت (دومينيكاني ألماني من القرن الرابع عشر):

"... ليس خارج الذات، بل في الداخل، كل شيء في الداخل..."

قال عالم النفس كارل يونج:

"يجب مراقبة بصبر ما يجري بصمت داخل النفس، لأن لكل إنسان، بطبيعته، داخل نفسه، شيء يمكن أن ينمو".

قال يونج أيضاً:

"النفس تملك طبيعياً وظيفة دينية... الدور الرئيسي لكل تربية للإنسان الراشد يكمن في تمرير النموذج المثالي للصورة الإلهية، أو انبعاثاتها وتأثيراتها، إلى الوعي".

لنتذكر أخيراً قول سقراط: "أيها الإنسان إعرف نفسك". لكن ذلك لا يكفي إذ أنه لا يمكننا أن نعرف أنفسنا إلا نسبة إلى الحقيقة الواحدة والموضوعية. فيجب القول: "أيها الإنسان إعرف الحقيقة وستعرف نفسك". في هذا المعنى قال يسوع: "تعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا 8، 32). لا يمكن للحقيقة أن تحررنا إلا إذا قبلنا بها.

4. المحطة الثالثة - المسار الروحي

يتألف هذا المسار من أربعة مراحل:

1. الله: هل هو موجود؟
2. الديانات: هل جميعها متشابهة؟
3. الخيار: الكشف الإلهي، الكتاب المقدس (دراسة الكتاب المقدس)
4. السعادة: أن نحيا في الحقيقة التي اكتشفناها.

سنتطرق إلى هذه المراحل، الواحدة تلو الأخرى، بطريقة منهجية.

لا يوجد الكثير لنقوله عن مرحلة السعادة: إنها نهاية المسار، الخاتمة السعيدة التي تريد أن تصل إليها. هناك ستجد الراحة بعد العناء وسيمكنك التكلم عنها أفضل مني. لن ندرس إذاً سوى المراحل الثلاثة الأولى.

تسلح بالصبر، جيّش انتباهك وقدرة تركيزك كي يكون حصادك وفيراً.

1.4 المرحلة الأولى - الله

1-1.4 هل الله موجود؟

السؤال الأول الذي تجب الإجابة عنه هو الذي يتعلق بالله: هل هو موجود أم لا؟ من هنا تتفرع الطريق إلى اثنين: طريق المؤمنين وطريق الملحدين. أقترح عليك أن تجيب بذكاء على عشرة أسئلة كي تقوم شخصياً بهذه الاكتشافات.

قبل التفكير في هذه الأسئلة، من المهم جداً أن تتروى كي تتأكد من أن الجواب هو فعلاً جوابك، وأنه نابع بحرية من بحث ومنطق شخصيين، دون أي تأثير خارجي (ديني، عائلي، أحكام مسبقة، مصالح مادية، إلخ...).

لتتوصل إلى ذلك، عليك أن تكون قد قمت بالمجهود اللازم للتحرر من الحالة الذي كلمتك عنها في التمهيد.

إمنح نفسك الوقت الكافِ للتفكير. لا تتذرع أبداً بضيق الوقت؛ نستطيع دائماً إيجاد الوقت والوسيلة للقيام بما نريد. لقد أُعطينا الوقت لنبحث عن الحقيقة. فلا نضيعه في مكان آخر (الإفراط في مشاهدة التلفاز، المباريات الرياضية، لعب الورق، شرب الكحول إلخ...). فلنعطِ النشاطات المهمة المرتبة الأولى.

ضع نفسك في جو مناسب للتفكير. وحدك، في مكان هادىء، من الأفضل أن يكون في الطبيعة، تخيل أنك قد ولدت للتو. لا تملك إذاً لا هوية عائلية، ولا اندماج اجتماعي. إنسى اسمك لتكتشف نفسك. ها أنت في هذا السكون، لوحدك، محاط بالأشجار التي تتمايل مع الريح، تسمع حفيف الأوراق وزقزقة العصافير. أنت لوحدك في العالم. تعي بسلام جسدك ونفسك. أنت كائن بكل بساطة.

أجب على الأسئلة العشر التي سأقترحها عليك لاحقاً. خذ كل الوقت اللازم للإجابة عليها بروية. يمكن أن تكون إجابتك جاهزة أو أن يكون عليك أن تنتظر طويلاً قبل أن تجيب على سؤال وتبدد جميع الشكوك المتعلقة به. ما هم الوقت؛ طالما نحسن الاستفادة منه.

من المهم أن لا تأنب نفسك، أن لا تتراجع بعد أن تكون قد اكتشفت الحقيقة في موضوع معين. لا تتخلى أبداً عن نور أبصرته لأجل منفعة مادية أو تحت ضغط الأحكام المسبقة.

سينتقدك البعض، ويحاولوا أن يوهنوا عزيمتك. أمّا أنت، فقاوم! كن ثابتاً ولا تسمع سوى صوت قلبك وعقلك؛ لا تتخلى عن منطقك الخاص. من المهم أن تشعر أنك على يقين بأنك تجيب بحرية، بأنك تستعمل ذكاءك الخاص لكي تصل إلى استنتاجاتك بعد تفكير ناضج، كما يفعل التحري الذكي أمام حالة معقدة.

الأسئلة هي التالية؛ كلف نفسك عناء الإجابة عليها بصدق حتى لو اعتبرتها ساذجة:

هل تؤمن بوجود الله؟ لماذا؟ هذا هو السؤال الأول الذي يرد إلى الذهن؛ منه تنبع نتائج بحثنا.

إبدأ، إن رأيته مناسباً، حتى بعدم استعمال كلمة "الله" و، بلغتك الخاصة، أعطِ اسماً لهذا "الغموض الفوطبيعي": قوّة، طاقة، كمال، جمال، محبة، حظ، نار، نور...إلخ...

لنحتفظ إذاً، إن شئت، بهذا الاسم لتسهيل الأمور. هل تؤمن بالله؟ نعم أم لا؟ ما هي دوافع إجابتك؟ عليك أن تستخلص بنفسك بذهن استنتاجي وذكي. مثلاً: يدخل شرطي إلى غرفة، ويرى جثة مطروحة على الأرض مضرجة بالدماء والفوضى تعم المكان. ماذا عليه أن يستنتج؟! مثل آخر: تعتقد أنك الوحيد الذي بحوزتك مفتاح غرفتك. تخرج وتقفل الباب بالمفتاح. ثم تعود لتجد ساعة يد موضوعة على طاولتك. ماذا تستنتج؟ هل إنها "صدفة"؟ أم أن أحداً آخر يملك مفتاح غرفتك؟ من المؤكد أن "أحدهم" قد دخل إلى الغرفة. فوحده شرطي غبي لا يرى جريمة قتل في الحالة الأولى ولا يفهم أن "أحداً" آخر يملك مفتاح غرفتك في الحالة الثانية. فبنفس هذا الذكاء الأساسي عليك أن تستنتج بخصوص وجود الله، إنطلاقاً من وجود العالم والكون.

الكون المادي موجود. من أين نشأ؟ يرتكز المؤمنون بأغلبيتهم على الخلق وانسجامه الرائع ليقوموا باستنتاجات توصلهم إلى الخالق. هذا كان على سبيل المثال حال فولتير وأينشتاين عميد العلم الحديث.

قال فولتير:

> "لا يمكنني أن أصدق أن الساعة (الخلق) موجودة من دون الساعاتي (الله)".

ويعبّر أينشتاين قائلاً (مترجم من الإنجليزية):

> "الإنفعال الأجمل والأعمق الذي يمكننا أن نختبره هو الإحساس بالغامض (أي بالروحي الغير محسوس). إنه نواة كل علم حقيقي. إن الذي لم يعرف هذا الانفعال، والذي لم يعد قادراً على أن يستولي عليه الذهول، ليس سوى كائن ميت.

أن نعرف أن الذي، بالنسبة لنا، لا يمكن فهمه، هو موجود حقاً متجلياً بوصفه الحكمة الأسمى والجمال الأبهر اللذان لا يمكن لمؤهلاتنا الضعيفة أن تفهمهما سوى بصورهما الأكثر بدائية. هذه المعرفة، هذا الشعور هو في قلب التدين الحقيقي. إن التجربة الدينية الكونية هي المنشط الأقوى والأنبل للبحث العلمي.

تتكون ديانتي من إعجاب متواضع للروح الأعلى اللامتناهي الذي يتجلى في أدق التفاصيل، المدرك من ذكائنا الهش والضعيف. هذه القناعة العميقة المؤثرة بوجود قدرة فكرية متفوقة تنكشف من خلال الكون المبهم، تشكل تصوري عن الله.("فلسفات حية"، 1931 و "علماء يكلموننا عن الله"، بقلم رينيه كورتوا، دار نشر السيدة، بروكسل).

لقد استشهدت بهذين المثلين – من بين أمثلة كثيرة غيرهما – عن استنتاج علمي ومنطقي كي أساعدك على أن تستنتج بنفسك بذكاء الباعث الحقيقي للكون. تأمل بهما جيداً.

الملحدون، من جهتهم، يرتكزون، من بين جملة أمور، على وجود الشر في العالم لاستنتاج عدم وجود الله. هذه حجة باطلة وغير مقبولة، لأن الشر ليس كياناً بحد ذاته؛ لا يمكن فهمه إلا نسبة إلى الخير: الشر هو خير فاسد، منقوص (جريمة، سرقة، مرض جسدي أو نفسي، إلخ...). كذلك، لا يمكننا أن نميز الكراهية إلاّ لأننا نعرف المحبة، ولا أن نشخّص المرض إلا نسبة للصحة الجيدة. ستكتشف لاحقاً أنه لا يمكن للشر أن ينبع من الله الذي هو الخير المطلق. ستدرك أيضاً أن الشر قد أُدخل إلى العالم بواسطة الإنسان نفسه.

يزعم آخرون أن الفوضى الاجتماعية، الحروب الدينية والنظريات عن التطور هي أيضاً براهين عن عدم وجود الله، والحال هو أن هذه الفوضى وهذه الحروب تعود إلى سوء الإدارة وانعدام الإيمان عند البشر، وليس إلى عدم وجود الله. أما بالنسبة إلى التطور، فإنه لن يكشف تنظيماً معيّناً للخلق فحسب، بل المبرمج لهذا التطور: الله. من جهة أخرى، لا يوجد إثبات منطقي على عدم وجود الله.

سؤال: هل يمكن لساعة، لسيارة، لوجبة طعام، أن تصنعها الصدفة؟ كذلك، هل يمكن لخلق منظّم ودقيق أن يكون نتيجة الصدفة؟ لك أنت أن تجيب على ذلك بذكاء! ماذا يمكن أن تكون إذاً هذه الصدفة؟ من أين تأتي؟ فلنسمي الله إذاً "صدفة"...

إن كنت حتى هذه المرحلة تعتقد بأن الله غير موجود، فلم يعد بإمكاننا إذاً أن نساعدك في بحثك. هنا تفترق طرقنا الروحية، لكن على أخوّتنا الإنسانية أن تستمر لنبني معاً بانسجام مجتمعنا ومدينتنا الأرضية، راضين باختلافنا، لكن متسمين باحترام متبادل كل منا لمعتقدات الآخر الخاصة.

أما إن كنت، على العكس، قد استخلصت أن الله موجود، فسنستطيع مواصلة بحثنا سوياً لنتعرف عليه بشكل أفضل، مقتنعين نحن أيضاً بوجوده. ننتقل إذاً إلى السؤال الثاني.

هل هو شخصي أم غير شخصي؟ يكون شخصياً كل كائن ذكي، واعٍ ومسؤول؛ الإنسان على سبيل المثال. بالمقابل، المادة، الحيوانات، والنباتات ليست شخصية. لدى الحيوانات موهبة الغريزة لكنها لا ترتقي إلى الذكاء. النحل مثلاً، يبني قفيره بشكل سداسي، ليس بسبب ذكائه، بل مدفوعاً بغريزته. إنه، إن جاز التعبير، "مبرمج" ولا يمكنه أن يعمل بشكل مختلف، ولا أن "يتفوق" على نفسه ليقوم بعمل أفضل. هذا ما سيكون عليه الأمر دائماً بالنسبة له. فهو غير قادر على اختراع آلة لجمع رحيق الأزهار في مكانها. من ناحية أخرى، لا نضع كلباً في السجن لأنه عض رجلاً، إذ لا يمكن اعتبار الحيوان مسؤولاً عن تصرفاته لأنه ليس إنساناً. كما أنه من غير الممكن أيضاً لمجموعة من الحمير أن تتنظم في مظاهرة عامة للمطالبة بحقها بتحديد حمولتها القصوى وعدد ساعات العمل! هذا النوع من النشاط هو بديل للذكاء.

الإيمان بإله شخصي يعني الإيمان بأنه الذكاء، المعرفة، المحبة، الوعي والمسؤولية بالمطلق. (مراجعة نص أينشتاين الآنف الذكر).

هل هو حي أم جامد؟ هل تعتقد أن الله حي، ناشط ومنتج، أم أنه جامد ومحدود مثل النوترون والبروتون، دون أي نشاط عقلي وعاطفي.

الكائن الحي هو الكائن الناشط والمنتج. نؤمن بأن لله قوة حياة لامتناهية، معرفة تامة، ذكاء ومحبة كاملين. إنه يعرف ويحب بصورة مطلقة كيانه وخليقته التي خلقها انطلاقاً من محبته المطلقة.

هل هو مادة أم روح؟ المادة هي شيء محسوس. يمكن اكتشافها بآلات دقيقة جداً. في الماضي، عبد البشر الشمس، القمر والأوثان، اعتقاداً منهم أن الله مادة. نؤمن بأن الله هو "الروح الأعلى اللامتناهي" (أينشتاين). هذا الروح لا يمكن إدراكه إلا من خلال روح الإنسان، في خصوصية وعيه المتنور بالعقل وحب الحقيقة.

هل هناك علاقة مباشرة بينه وبيننا؟ نؤمن بأن هذه العلاقة موجودة بين الخالق وخليقته؛ إنها علاقة العلّة (الله) بالمعلول (نحن خليقته).

هل هذه العلاقة ثابتة فيك، أم مقطوعة؟ حدسك سيجيبك.

إن كانت هذه العلاقة مقطوعة، هل تود أن تحييها؟

هل يمكننا أن ندخل في اتصال معه؟ كيف؟ هذا الاتصال ممكن ولا يمكن إلا أن يكون روحياً كونه اتصال بين الأرواح. لقد رأيت في "إدراك الذات" أن الإنسان هو جسد، نفس، وروح.

البعض يدعو هذا الاتصال "صلاة"؛ إنه "حوار" بسيط مع الله. يجب التحرر من الشعائر والمظاهر الخائفة التي فرضها بعض رؤساء الدين. فهذه العبادات مستوحاة من الوثنية. إن الله هو أب حنون يرغب بالتحادث مع أبنائه بلا كلفة، إنما باحترام.

إن لم ترغب بحرارة أن تستعيد الصلة مع الله، فلن يكون لك ذلك.

هل يمكنه مساعدتك في بحثك؟ إن كنت تؤمن أنه حكيم وعلي قدير قادر على كل شيء، ستستنتج أنه قادر، لا بل أنه راغب بمساعدتك بتنويرك، لأنه يحب خليقته: بل إنه يذوب حبّاً بك.

هل أنت مستعد لطلب مساعدته؟ يفضل البعض أن يبحثوا عن الله بمفردهم، دون مساعدة الله.

نحن مقتنعون، فيما يتعلق بنا، أن لا أحد يستطيع اكتشاف وفهم الله من تلقاء نفسه؟ العلم البشري يتخطانا، نلجأ إلى معاهد علمية مختلفة ومعلمين كي نفهم جزءاً ضئيلاً من الخلق؛ فكيف بالأحرى عندما يتعلق الأمر بفهم الخالق. علينا أن نكون متواضعين كي نلجأ إلى الله ونعرفه، إذ أنه هو، وهو وحده، يستطيع أن يظهر نفسه إلى من يحبه. غالباً ما نجد صعوبة في فهم الناس. فإن لم يكشف الله لنا عن ذاته، لن نستطيع لا أن نعرفه ولا أن نفهمه.

اتصل به بقلبك، من كل قلبك، وقل له: "ساعدني، أرجوك، كي أعرفك، كي أحبك". ستكتشف أن الله حساس على المحبة، على الحنان والتواضع، كما هم كثيرون.

هل هو صامت، خفي ولا يمكن إدراكه، أم أنه يكشف عن ذاته؟ لا يعبّر الله عن نفسه فقط في ذاته، بل أيضاً للذين يبحثون عنه. لايمكنه أن يكون غير مبالٍ بالإنسان الذي خلقه. نحن مقتنعون أن الله يتوق إلى الاتصال بالإنسان ويرغب بحرارة أن يستعيد الصلة التي قطعها هذا الأخير على مر التاريخ. كونه إله شخصي، ذكي ومحب إذاً، فإنه يكشف عن ذاته للذين يبحثون عنه بشغف ويرغبون بالاتصال به.

هل كشف الله عن ذاته خلال التاريخ البشري؟ هذا ما يهمنا. نريد أن نعرف إن كشف الله عن نفسه للبشر. من بين المسارات الروحية المتعددة التي تبرز أمامنا، نريد أن ننطلق في مسار الوحي الإلهي، حيث كشف الله نفسه عن ذاته للبشر.

لولا هذا الوحي لما كنا فهمنا شخصية الله الحقيقية، ولا كيف يتصرف مع البشر. إن الأنبياء هم من كشفوا لنا أن الله "طيب ورحوم" ويسكن قلوب المؤمنين، خلافاً لآلهة الميثولوجيات المختلفة، المستبدة، السطحية، البعيدة والغامضة، ذات المتطلبات الغير إنسانية، التي كانت تُقدم إليها ذبائح الحيوانات والبشر والأطفال.

إلى هنا تنتهي المرحلة الأولى من هذا المسار. نخرج منها مؤمنين بإله شخصي كاشف. نجد أنفسنا في هذه المرحلة على مفترق طرق ديانات متعددة تتجلى أمامنا في العالم. أيها نختار؟ علينا في البدء أن نتعرف عليها. لننتقل إذاً إلى المرحلة الثانية: "الديانات".

2.4 المرحلة الثانية - الديانات

بعد أن اجتزنا مرحلة وجود الله، سننتقل إلى مرحلة الديانات.

يوجد في العالم مسارات دينية عديدة. كي نتمكن من اختيار واحدة منها علينا أن نتعرف عليها. إنها تنقسم إلى مجموعتين: الديانات الفلسفية وديانات الوحي.

1-2.4 "الديانات" الفلسفية

في الحقيقة إنها ليست ديانات، بل تلمسات شخصية، أبحاث بشرية سعياً إلى سلام النفس. تعود لمؤسسين ذوي نفوس نبيلة، مثل كريشنا، كونفوشيوس، وبوذا، الذين حرّكتهم رغبة شديدة بتطهير النفس بالتجرد عن المادة. لقد أسسوا علم أخلاق محترم من البشر، ينبذ الفائض المادي. الطقوس التطهيرية (العماد، الوضوء، التبخير، الترتيل، إلخ...) يفترض منها الارتقاء بالنفس إلى مجالات هادئة.

بعض الممارسات تقود إلى التفكير والتأمل. قواعد فيزيائية تضبط اضطراب الجسد، خصوصاً التنفس. هذه الممارسات، الموجودة في اليوغا، ممتازة ويمكن مزاولتها من دون تبنّي معتقداتها مثل التقمص، عبادة بعض الحيوانات التي تُعتبر مقدسة (البقرة البيضاء، القردة إلخ...). هذه التعاليم هي فرضيات بشرية. لا يوجد في هذه التيارات الفلسفية أي وحي أو إرشاد إالهيين، كما أنها لا تأتي حتى على ذكر الله الواحد، ولا صفاته (طيب، رحوم، عادل، إلخ...)، ولا على مخطط إلهي لخلاص الإنسان كما في أديان الوحي. توجد كتابات أدبية وافرة عن هذا الموضوع. أقدم هنا باختصار التيارات الفلسفية الأكثر أهمية.

البوذية أسسها غوتاما في القرن السادس ق.م على سفوح جبال الهيمالايا في الهند. في سن الـ 28، ترك غوتاما زوجته وأولاده بحثاً عن الحقيقة. تردد على العديد من مدارس الحكمة دون أن يتوصل إلى العثور على الحقيقة التي كان يشعر بها في داخله. بعد أن هام على وجهه لسنوات، جلس في يوم من الأيام تحت شجرة تين يتأمل، فشعر بالابتهاج والنشوة وغمرته المعرفة، وعرف ماذا عليه أن يفعل. في ذلك اليوم، غوتاما أصبح "بوذا"، أي "المتنور" أو "الحكيم"، الذي تنبّه. فهم أن عليه أن لا يتعلق بالمادة، ولا بالمتعة الدنيوية. بسرعة البرق، أدرك تفاهة الانشغالات المحض مادية. فأراد أن ينقل هذه "المعرفة"، هذا "النور" ("البوذية") إلى الآخرين.

باختصار، إن عالم الإحاسيس بالنسبة لبوذا هو عالم وهمي. وحدها رغبتنا يمكنها أن تربطنا به... وأن تضيعنا. من هذا التعلق بالعالم الأرضي تنشأ المعاناة. التقمص هو عقاب يهدف إلى تطهيرنا وتعليمنا كيف نتحرر من جاذبية المادة. لكن دائرة التقمص يمكنها أن تتقاطع من خلال التجرد، التخلي عن الرغبة. بتخلينا عن الرغبة، ندرك عندئذ وهم وتفاهة الحسي: فنصبح متنورين. هكذا نستطيع أن نبلغ "النيرفانا"، التي تمثل راحة الضمير المتحرر من قيود المتعة الجسدية.

لم يميز بوذا بين الملذات الجسدية المشروعة والملذات الغير مشروعة الضارة التي، كونها شاذة وغير متوازنة، تعيق حياة النفس وتمنع المباهج الروحية. علاوة على ذلك، لم يكن بوذا يتصور هذه الملذات الروحية التي تتمثل بعظمة فرح اكتشاف الحقيقة وعيشها. تنحصر نيرفانا بوذا بالحصول على نفس غير قلقة، على ضمير مرتاح. بينما لو كان على المرء أن يتخلى عن الرغبة بالتفاهات والأباطيل، فعليه بالمقابل أن يحيي الرغبة بما هو جيد وأن يتوق، بحماس، إلى اكتشاف كل ما يمكنه أن يسمو بالنفس. هذا الشعور، أي الرغبة، هو محرك جبار؛ يشكل جزءاً من الطبيعة البشرية ولا يجب كبته. دون هذه الرغبة المتحمسة لاكتشاف الحياة الحقيقية، لا نستطيع أن ننمو ولا أن نقوم بأي عمل صالح؛ الحياة الأرضية ستكون بل طعم وتصبح هراءً لا يحتمل.

إنها أكثر من فلسفة، البوذية هي نظام أخلاقي، طريقة صحيحة للحياة تشمل ثمانية توجيهات: أفكار مستقيمة، نوايا مستقيمة، كلمة مستقيمة، فعل مستقيم، حياة مستقيمة، مجهود مستقيم، إنتباه مستقيم وتأمل مستقيم. يشكل ذلك بالنسبة للبوذي "الممر النبيل للخلاص". لم يدّعي بوذا يوماً أن تعليمه يأتي من الله.

يعلمنا الوحي الإلهي أنه من خلال المحبة الحقيقية والمطلقة لله وللغير، نصل إلى قمم أعلى من النيرفانا. يمكن لهذه الأخيرة أن ترضي حياة الإنسان النفسية، أي نفسه، لكن الوحي الإلهي يتخطى هذا المستوى ليبلغ الروح. هنا تكمن قوتنا الحيوية، القمة الأعلى والأكثر تأثيراً لكياننا.

الهندوسية سبقت الهندوسية البوذية بقرنين تقريباً. كان بوذا هندوسياً في البدء، لكنه، لعدم اقتناعه بهذا التيار، أخذ يبحث في مكان آخر بعد أن كان قد تردد على مدارس هندوسية عديدة. فقرر، بعد أن "تنوّر"، أن يشق طريقه لوحده في مجال البحث الروحي.

الهندوسية هي نظام عقائدي يصعب تحديده؛ لا يوجد فيه لائحة معتقدات مشتركة لجميع أعضائه، لا نظام فلسفي واحد، لا هرمية، لا نظير للكتب المقدسة (الكتاب المقدس، القرآن)، ولا عبادة موحدة، كونه مقسوم إلى عدة طبقات (شبيهة بالمذاهب المتعددة عند المسيحيين والمسلمين). لكل مجموعة شعائرها، وكل هندوسي يخضع لطقوس مجموعته، تبعاً لقواعد سلوك وعبادة أنشئت خصيصاً له، خصوصاً فيما يتعلق بالطعام (الذي غالباً ما يكون نباتياً)، بالزواج، وبعبادة الآلهة.

تعطي الهندوسية للفرد حرية شبه مطلقة في نطاق البحث والتأمل، لكنها في نفس الوقت تفرض عليه قواعد سلوك صارمة جداً. هكذا، يمكن للمؤمن والكافر، للمتشكك والملحد، أن يكونوا هندوسيين صالحين من اللحظة الأولى التي يعترفون فيها بالنمط الهندوسي للثقافة والوجود. ما يهم ليس الاعتقاد بمذهب، أو الإيمان، إنما السلوك. كان غاندي (الذي كان يؤمن بالله) يقول: "يمكن للإنسان أن لا يؤمن بالله وأن يعتبر نفسه مع ذلك هندوسياً: الهندوسية تقوم على السعي المستمر إلى الحقيقة، والحقيقة (يشدد غاندي) هي الله".

تختلف النظريات على جوهر الألوهية: بعض الهندوسيين يؤمن بعدة آلهة، والبعض الآخر يؤمن بالكون وخالقه. نظرية التقمص تُعلّم بصورة عامة (عودة النفس بعد الموت في النبات، الحيوانات أو في أجساد بشرية، وفقاً لمستوى تطهرها). لم يكن بوذا يعلّم سوى التجسد (العودة في جسد بشري). إنه بالفعل تطور على الهندوسية، لأنه وحده الجسد البشري جدير بالنفس البشرية.

تملك الهندوسية فكرة غامضة عن روح مطلق، عديم الجنس (لا مذكر ولا مؤنث)، أبدي، المسبب الأصلي ومصدر كل ما هو موجود، ونهاية يرجع إليها كل شيء. يتجلى هذا الروح من خلال "ثلاثية" أو ثالوث آلهة، "التريمورتي": براهما (الخالق)، فيشنو (الأمين) وشيفا (المدمر الذي، بتدميره عالماً قديماً، يخلق في نفس الوقت الحياة الجديدة). بالإضافة إلى ذلك، هناك مجموعة آلهة ثانويين، شياطين، أرواح، وأشياء مقدسة يعبدها الهندوس. تعتبر البقرة حيواناً مقدساً. بالإضافة إلى بعض القطعان التي تعطي الحليب والزبدة، يوجد عدد لا بأس به من الحيوانات المعاقة، التي لا يملكها أحد، التائهة في المدن والقرى وتقتات على ما يقدمه لها المؤمنون. يحرّم القانون قتلها، حتى ولو كان ذلك اختصاراً لعذابها. خلال المجاعات، رأينا هندوسيين يحرمون أنفسهم من حصصهم الضئيلة ليقدموها للأبقار. القردة هي أيضاً حيوانات مقدسة، يتحمل الهندوسيون بصبر أعمالها التخريبية.

الكنفوشيوسية وُلد كنفوشيوس في الصين في القرن السادس ق.م. كان سياسياً ولم يكن يدعي أنه إصلاحي ديني، كونه لم يكن في الحقيقة مهتماً بمسائل الحياة الدينية. يشكل تعليمه أخلاقية رفيعة سياسية عسكرية (حسن التصرف مع الأعداء إلخ...) كان يؤمن بالسماء، لكنه كان يرفض إبداء رأيه بالحياة ما بعد الموت: "بما أنه لا يمكنكم فهم الحياة، فكيف يمكنكم فهم الموت؟"، كان يقول. لم يكن يعلم شيئاً عن الأرواح، فكان يقول: "إن كنا لا نستطيع أن نتعامل مع الإنسان، فكيف نستطيع إذاً أن نتعامل مع الأرواح؟". بالمقابل، كان يقدم الأضاحي لأسلافه "كما لو أنهم كانوا موجودين جسدياً".

كان تعليم كنفوشيوس يهدف إلى تكوين "إنسان متفوق"، أناس مثقفين يتبعون "الطريق المعتدل" ويرشدون الآخرين في هذا الطريق، طريق الاعتدال في كل شيء.

عاش كنفوشيوس في بيئة متعددة الآلهة، لكنه علّم بأنه لا يوجد سوى مولى سامي واحد صعب الإدراك، يجعل الناس يشعرون بوجوده ويقرر مصير الذين يستنجدون به، متجاوزين المعتقدات المعترف بها. بالمقابل، يعلّمنا الوحي الإلهي أنه يمكننا بلوغ الله الذي يرغب بأن نتصل به. الاحترام الذي يكنه كنفوشيوس للخالق أوصله إلى روح تسامح مبني على وعي شديد بالتباعد الكبير بين ما يعتقد الإنسان أنه يعرفه عن الله وعن نفسه، وبين ما يجهله عنهما. لم يدعي كنفوشيوس يوماً أن تعاليمه هي بوحي من الله.

في الصين، تصدت الشيوعية للكنفوشيوسية باعتبارها مبالغة الاعتدال والتسامح، وأيضاً بسبب شعائر الأسلاف.

إضافة إلى ذلك، هناك أيضاً عدد لا يحصى من "الديانات" في أفريقيا وأميركا الجنوبية، معتقدات وثنية ومشعوذة. ما أتيت على ذكره كمثل عن التيارات الروحية الكبيرة، يكفي للتمييز بين البحث الإنساني والوحي الإلهي. باختصار، إن جميع هذه العبارات الدينية هي محاولات لفهم الله، صرخة بشرية لاإرادية إنما ملحة موجهة إلى الله: "أين أنت؟ من أنت؟". يجيب الله بالكشف عن ذاته في الكتابات المقدسة: "ها أنذا !".

2-2.4 ديانات الوحي

في ديانات الوحي يجيب الله بنفسه على الذين يبحثون عنه. من خلال هذا الوحي يكشف الله عن ذاته كي يُعرف كما هو. هذه المعرفة للخالق ترفع الإنسان إلى مكانته الخاصة، ثم إلى الله الذي فيه يوجد كمال الحقيقة، السعادة والسلام.

من بين جميع المسارات الروحية التي تُطرح أمامنا، أيها نختار؟ نختار، بالتأكيد، تلك التي يتجلى فيها الله.

تُطرح أمامنا ثلاثة ديانات وحي: اليهودية، المسيحية، والإسلام. هذه الديانات الثلاث ليست في الواقع سوى ديانة واحدة، تكمّل بعضها بشخص المسيح، يسوع، الذي أرسله الله ليوحد البشر الصالحين من جميع الأعراق، الألوان، والأمم. الانقسامات بين المؤمنين تعود إلى التعصب والجهل والمصالح البشرية.

اليهودية منذ 4000 سنة، تدخل الرب مباشرة للمرة الأولى في العالم متجلياً لإبراهيم، السوري. من خلاله، كوّن الله طائفة بشرية ليعرّف عن ذاته ويهيّء لمجيء المسيح، مخلص جميع البشر. أطلقت هذه الطائفة على نفسها إسم "اليهود". ديانتهم هي اليهودية. كتبوا تاريخهم وتعاليمهم في الكتاب المقدس. اليهود المعاصرون لا يزالون ينتظرون هذا المسيح، لاعتقادهم أنه سيجدد عرش داود السياسي ويعيد بناء هيكل سليمان. كونهم لم يفهموا مخطط الله الهادف إلى الخلاص الروحي للبشر، رفضوا مسيحية يسوع العالمية.

المسيحية يؤمن المسيحيون بالتجلي الإلهي لابراهيم. بدأت المسيحية منذ ألفي سنة مع يسوع الناصري، الذي يعترف به المسيحيون كمسيح عالمي. المسيحيون الأولون كانوا من اليهود الذين آمنوا أن يسوع هو المسيح المنتظر، وحملوا هذا التعليم إلى زوايا الأرض الأربعة. من بين سير حياة عديدة ليسوع، تم الإبقاء على أربعة منها واعتبارها وحياً إلهياً: وهي الأناجيل الأربعة. كتب المهتدون الأوائل، رسل يسوع، عدة رسائل احتفظت بها الأجيال اللاحقة بعناية كبيرة. هذه الرسائل، بالإضافة إلى السير الأربعة للمؤسس، تسمى العهد الجديد أو "الإنجيل"؛ تمت إضافتها إلى الكتاب المقدس اليهودي واعتُبرت من قبل المسيحيين كجزء مكمل للكتاب المقدس.

على مر التاريخ، انقسم المسيحيون، تارةً بسبب ظروف بشرية، وطوراً بسبب خلافات على المستوى الروحي. ما أدى إلى ولادة ثلاثة كنائس مسيحية كبيرة: الكنيسة الكاثوليكية، الأرثوذوكسية، والبروتستانتية.

الإسلام في القرن السابع ب.م، ظهر محمد، نبي شبه الجزيرة العربية، وكشف للعرب الوثنيين في المنطقة عن الله الواحد الذي تجلى لابراهيم والذي أرسل المسيح، عيسى (يسوع) بن مريم، وأن يسوع هو حقا المسيح. قال محمد إنه جاء مصدّقاً على وحدة الرسالة الكتابية، وأدان اليهود لرفضهم الإيمان بيسوع. القرآن هو كتاب الإسلام.

هكذا، فإن ديانات الوحي "الثلاث" تتوافق على أن الله قد كشف عن نفسه للبشر من خلال إبراهيم. سندرس إذاً هذا الكشف عن كثب، مبتدئين وفقاً للتسلسل الزمني بالكتاب المقدس. سنعرض كتب العهد القديم، ثم كتب العهد الجديد. في النهاية، سيكون عليك قراءة كتاب "نظرة إيمان بالقرآن الكريم" الذي سيحضّرك لقراءة القرآن.

3-2.4 تأمل

كتب الوحي يُبرز هذا المسار الروحي أسباب إيماننا المبنية على الوحي الإلهي. ننبذ أي شعور طائفي ومتعصب، لأنه يعارض تعاليم هذا الوحي.

أنت الذي تدعي أنك يهودي، مسيحي، مسلم، بوذي أو هندوسي إلخ...، لو لم تكن قد وُلدت على هذا الدرب، أكنت اخترته؟ ولماذا؟ وفقاً لجوابك ستعرف إن كنت قد تمكنت من التحرر من الحالة. هذا التحرر والتخلص من الإرث الإجتماعي هو ضروري قبل الشروع بدراسة كتب الوحي. فالإيمان لا ينتقل بالوراثة، بل بالخيار الشخصي المتنور بالمعرفة. إن كنت تشعر أنك متحرر من كل تعصب، وتعتبر جميع البشر سواسية ومدعوين لاكتشاف الحقيقة، يمكنك المتابعة بروح منفتح على البحث الموضوعي عن الحقيقة. أدعوك إذاً إلى السير قدماً في دراسة تفسير الكتاب المقدس.

الملحدون والإيمان بالله يعتقد بعض "الملحدين" أنهم لا يملكون الإيمان. يعود ذلك إلى تقديم بعض "المؤمنين" صورة مشوهة وخاطئة عن الله. فنرى أن كثيراً من المؤمنين المزعومين، حتى من بين رجال الدين من مختلف الأديان، لا يعكسون الروح الحقيقي لله. نعتقد أن كل إنسان متعطش للحقيقة سينتهي به الأمر إلى اكتشاف الوجه الحقيقي لله، بعد بذل الجهد الضروري للتحرر من الحالة التي كنا قد تكلمنا عنها في المحطة الأولى من هذا "المسار الروحي". لذلك:

إن كنت فعلاًتحب الله، سينتهي بك المطاف حتماً إلى الإيمان به. لكن إن كنت لا تحبه، ستجد ألف عذر وعذر كي ترفضه، مقنّعاً كراهيتك بعدم الإيمان.

في النهاية، كل المسألة هي مسألة محبة:

أن تحب أو لا تحب! هذا هو السؤال الأول...

إن كنت تحب الله، ستجده لا محال!

لأنه عندئذٍ سيأتي هو بنفسه إليك.

ومن يجد الله، يجد السعادة!

لأن فيه يوجد كمال الحقيقة، والراحة والفرح.

مسألة الشر - لماذا الشر موجود في العالم؟ الله الصالح، لماذا "خلق" الشر؟

هذه أسئلة نسمعها غالباً.

للإجابة عنها علينا أن نفكر ملياً وأن نستعين بالمنطق، بدءاً، على سبيل المثال، من الاقتناع بأن الله الصالح لا يمكن أن يكون قد خلق الشر؛ لأن كل شجرة لا يمكنها أن تعطي إلا ثمرها.

من أين يأتي الشر إذاً؟

علينا أن نتأمل جيداً بها الموضوع. إن الشر ليس كياناً بحد ذاته، بل خير مبتور، نقيصة: المرض هو نقص في الصحة، العمى هو فقدان للبصر، السرقة هي نزع الملكية، القتل هو تجريد من الحياة، الكذب هو تشويه للحقيقة، الظلم هو نقصان في العدل، الملذات الجسدية الشاذة هي انحراف للطاقة البشرية. جميع هذه النقائص تمنع الإنسان من التطور روحياً. بتحديدنا الشر بهذه الطريقة، يصبح من الواضح أنه لا يمكن لله أن يسر "بخلقه"، ولا أن يرضى برؤية خلائقه تتعذب. ليس له في هذا أية فائدة. كل إنسان منطقي وغير منحاز لا بد له من أن يلاحظ ذلك.

بالمقابل، لقد أعطى الله معنى للخلق؛ يوجد هناك توجه، مسار يجب اتباعه في الحياة؛ علينا أن لا نسير في الاتجاه المعاكس، أن لا نقود بسرعة وفي حالة سكر إلخ، لئلاً نؤذي أنفسنا والآخرين. غير أن الكثيرين يرفضون الالتزام بالطريق التي رسمها الله آثرين أن يفعلوا مشيئتهم. هنا منبع الشر في العالم. نسير بسرعة 200 كلم في الساعة في حالة سكر، نتسبب بحوادث وقتلى ومن ثمّ... نلقي باللوم على الله!!!

إن الإنسان إذاً هو الذي أقحم فيه مرارة الشر. ولا يكف عن سقي هذه النبتة الشريرة بالأنانية والغرور وحب السلطة والسيطرة. إن شهوات الإنسان هي أصل الحروب والصراع بين الإخوة. الإنسان يقتل أخيه الإنسان كي يسلبه ويخضعه لشروطه. وهذا، خلافاً لوصايا الله الخالق. غلطة من هي إذاً ؟!

إن الكشف الإلهي، من خلال الرواية الرمزية لسقوط آدم وحواء، هو الذي يعلمنا عن مصدر الشر في العالم. لقد اختار الرجل والمرأة أن يصدقا النصائح الشريرة التي أوحى بها الشيطان إليهما بدلاً من الوثوق بالتعليمات الإلهية للوصول إلى كمال الحياة. فأدخلا بذلك التفكير الشيطاني في حدس الإنسان. هذه كانت الخطيئة الأولى، القطيعة بين الله وخليقته. بعد أن دخل عدم التوازن بين الإنسان والله، تابع "قايين" عمل الشر بقتله أخيه "هابيل" وأدخل الشر بين الإنسان وأخيه الإنسان. إن المذنب ليس الله بالتأكيد الذي كان قد نبّه الإنسان.

تتجلى طيبة الله نحو الإنسان الخاطىء من خلال نعمة الغفران. يُرمز إلى هذه النعمة "بالثياب الجلدية" التي أعطاها الله لآدم وحواء ليخبئا عارهما. إن الله في الواقع يمد يده لجميع البشر لينتشلهم من بؤسهم. لكن لا يمكنه أن يرغم يد الإنسان الذي هو حر، ولا أن يجبره على فعل الخير، ولا أن يمنعه بالقوة من ارتكاب الشر. كما أن الله لا يمكنه أيضاً أن يرغم الإنسان على استيعاب النعمة الإلهية، والاستفادة من النجدة الإلهية ليخلص نفسه. الله يمد يده، علينا نحن أن نتمسك بها.

الله يلح في الطلب؛ يعرض نفسه، لكنه لا يفرضها أبداً.

هكذا، لا يمكن للإنسان أن يكون مجبراً لا على فعل الخير، ولا على تجنب ارتكاب الشر. وذلك لسببين:

1. طبيعة الخالق: الله ليس دكتاتوراً. إنه ينصح مخلوقاته، لكنه لا يرغمها على فعل الخير. هو نفسه حر، وقد خلق الأرواح والبشر على صورته: أحرار.

2. الطبيعة البشرية: الإنسان ليس عبداً أو حيواناً ما، كلب نربطه أو نكممه كي لا يعض. إنه حر وجدير بالاحترام، عليه أن يستغل قدراته العاطفية والفكرية لمصلحته الخاصة وللمصلحة العامة. ليرتكب الشر، على الإنسان أن يكون قد فقد قلبه وعقله. وهذه أسوأ العاهات، لأنها مصدر كل الشر. لكان يحق لنا أن نلوم الخالق لو أنه خلق منذ البدء في العاهة والنقص. والحال هو أن الإنسان في البدء، في بعده البشري، كان بدون عيب، إنما قابل للتطور نحو الله. إنه الكبرياء البشري الذي رفض كل إمكانية للتعاون، كل توافق مع خلق الرب. من حيث عدم التوازن ومصدر كل شر على الأرض. الإنسان هو الذي يرتكب بحرية أعمالاً يحذره منها خالقه، الذي بدوره هو أب لا يضمر أي سوء لأبنائه. ما مصلحته في أن يرى خلائقه تتوجع وتحزن؟ لو فكرنا ملياً، لوجدنا أنه لا يملك شيئاً من السادية. بل على العكس، إنه لا يتوقف عن تقديم النصائح الأبوية ليجنبنا الممارسات والمواقف التي تضر بالجسد والنفس (المخدرات، الملذات الوهمية، الظلم، الأنانية، الغرور إلخ).

لماذا خلق الله كل شيء؟

الحياة، الحقيقية، التي كونتها عبقرية الخالق، جميلة. وقد أراد أن نتشاركها معه. إنها إذاً بادرة غيرية وطيبة هي التي شكلت أساس قاعدة الخلق. قليل من الناس يتكبدون عناء البحث في العمق، الاعتراف بهفواتهم التي هي السبب الرئيسي لبؤسهم، وتخطّي آرائهم المسبقة المؤذية. يربحون الكثير، لا بل يربحون كل شيء، بتخطيهم لذاتهم. سيجدون أنفسهم، محررين من المفاهيم الخاطئة ببادرة تواضع وموضوعية. من يبحث بصدق، بموضوعية وتجرد، من دون حدة أو جدال، سيجد لا محال!

لكن لماذا خلق الله كل شيء مع علمه بأن الشيطان والإنسان الساقط لن يتنعما بالحياة؟ لماذا قام الله بالخلق مع علمه بأن الشر سيخرج من هذا الأخير؟

إن الخالق حر إلى أقصى الحدود. بناءً على ذلك قام الله بالخلق، معبراً عن شعور محبة لامتناهية نحو الذين دعاهم إلى الحياة. بينما لو أنه امتنع عن الخلق، عندما رأى مسبقاً أن - من بين الأرواح والبشر- هناك مخلوقات ستصبح شريرة بسبب الحسد أو التحدي، لما كان حراً. لكان تجرد من شخصيته.

لو أن الله قد امتنع بالفعل عن الخلق بسبب مثل هذا التعارض، لكان خضع لأعداء حتى قبل أن يوجدوا. هذا بالطبع غير منطقي، لأن الخالق حر إلى أقصى الحدود. كما أن الإنسان حر في أن يفعل ما يشاء ضمن إطار طبيعته، فكم بالأحرى الله الذي يستطيع أن يفعل ما يشاء بناءً على طبيعته المطلقة الحرية. إن تعارض الطبيعة المخلوقة غير قادر على كبح الإرادة الكلية القدرة لمهندس الخلق الكبير.

الأرواح الملائكية والبشر الذين سقطوا هم أحرار بأن يدمروا أنفسهم تدميراً ذاتياً. لكن ما خلقه الله في البدء، كان كاملاً، كلٌّ بحسب طبيعته الخاصة. هذا هو تعليم الكتب المقدسة.

بيسوع المسيح، يرد الله حياته الأبدية بمحبة عظيمة إلى الذين يشاركون في هذا الافتداء. "ما من حب أعظم من هذا: أن يضحي الإنسان بنفسه في سبيل أحبائه"، قال يسوع (يوحنا 3، 16 / 15، 13 / يوحنا الأولى 4، 9). لذلك يجب أن يكون لدينا ما يكفي من التواضع والامتنان، والقبول بمد اليد للإمساك بالنعمة الممنوحة مجاناً. هناك، للأسف، عدد قليل يريد أن يفهم.

الإنسان النبيه سيعرف كيف يسترجع، بيسوع، ما سلبه منه الشيطان، من خلال آدم.

3.4 المرحلة الثالثة – الخيار: الوحي الإلهي

1-3.4 مقدمة

بما أننا اخترنا الوحي الإلهي، سنعمق معرفتنا بدراسة الكتب التي تتكلم عنه. أقترح عليك إذاً أن تتفحص الكتاب المقدس عبر دراسة "تفسير الكتاب المقدس" والقرآن من خلال نص "نظرة إيمان بالقرآن الكريم".

وحده قلب طاهر سيتمكن من الوصول إلى نهاية البحث. إليك أنت إذاً، أيها "القلب الطاهر"، أتوجه وأوجه هذا التفسير للكتاب المقدس. لقد طهرت قلبك بـ "تحريره من حالته"، تحررت من قيود الأحكام المسبقة ومن الحقد. عطشك لمعرفة الحقيقة المجردة سيقودك إلى الإصغاء إلى لحنها العذب والمحيي.

أيها "القلب الطاهر"، إليك وحدك أتوجه، إليك أنت المستعد للتضحية بكل شيء كي ترتفع. إليك أنت الذي تتألم من الجهل، الذي تريد أن تعرف كي تحب. إليك أنت الذي ترغب بالتغلب على الظلمات لتعانق الشمس. أنت الذي سئمت النوم إلى درجة أنك قررت أن تحطم تابوت محبة العالم، وأن تنقطع عن التافه والسخيف. إليك أنت الذي اكتشفت وهم الغرور، المستعد لأن تدفع الثمن الغالي للحقيقة والسعادة الحقيقية، أنت الذي تملك إرادة المثابرة والتغلب على كل العوائق ومجابهة جميع التحديات للوصول إلى القمة والارتواء من النبع الصافي للحياة الذي لا ينضب. أيها "القلب الطاهر"، إليك أتوجه.

أنقل إليك ثمرة أربعين سنة من الدراسة والبحث والتعب. إنها ثمرة مقطوفة على شجرة الحياة، "ذهب مصفّى بالنار" (رؤيا 3، 18). لقد أعطتني هذه الثمرة السعادة التي بدوري أتمناها لك. إن تمكنت من تذوقها، فاعلم أنك تدين بذلك إلى عائلتي الروحية وخاصة إلى زوجتي ماري جوزيه وإلى أولادي الروحيين بياتريس، فيليب وميراي: أدين لهم بتمكني من تقديم هذه الدراسة لك.

لقد حاولت ربما أن تقرأ الكتاب المقدس، لكن الصعوبات قد حالت دون ذلك. لا توهن عزيمتك، لأنك، كي تفهم الكتاب المقدس وفقاً لروح الله، أنت بحاجة إلى مرشد أمين. ينقل إلينا كتاب أعمال الرسل عن الرسول فيلبس عندما سأل وزير الحبشة الذي كان يقرأ في الكتاب المقدس مقطعاً من النبي إشعيا، قائلاً: "أتفهم ما تقرأ؟" فأجابه: "كيف أفهم ولا أحد يشرح لي؟" فجلس فيلبس إلى جانبه وبدأ من هذا المقطع يبشره بيسوع" (أعمال 8، 30 - 31).

هذا التفسير للكتاب المقدس هو مرشدك الأمين؛ "إجلسه إلى جانبك"، كما جلس فيلبس إلى جانب وزير الحبشة، وتابعه خطوة خطوة، بانتظام، دون توقف، قليلاً كل يوم. في النهاية، ستكون قد امتلكت الحياة من خلال المعرفة.

كان البابا بيوس الثاني عشر يقول:

"إن جهل الكتب المقدسة هو جرح في خاصرة الكنيسة".

كذلك، كلما فهمت نقطة غامضة، كلما التأم هذا الجرح، وستتمدد رئتا نفسك وتتنفس فرح معرفة وفهم الله بشكل أفضل. وستقودك هذه المعرفة إلى المحبة التي بدورها ستدفعك إلى الرغبة في أن تعرف خالقك الرائع أكثر فأكثر. عندئذٍ ستود أن تشبهه، أن تحصل على روحه، على ذهنيته، بدلاً من ذهنيتك الضيقة. هاتان هما "القيامة" و "الولادة الثانية" اللتان يتكلم عنهما يسوع (يوحنا 5، 25 و 3، 5 - 7). حينئذ ستنفتح عيون قلبك وسترى الحياة من منبعها: "هنيئاً لأنقياء القلب لأنهم سيرون الله" (متى 5، 8). رؤية الله: هذه هي السعادة الحقيقية.

بعد دراسة هذا التفسير، مع الوقت والمثابرة على قراءة الكتاب المقدس، لن يبقى خفياً عليك، وسيصبح روحه فيك، ويظهر لك بطريقة مباشرة، من الداخل، نصائح الخالق البديع. لأنه سيعلّمك، وهذا هو هدفه، أن تعيش معه باستمرار وأن تتنعم برفقته الدافئة انطلاقاً من هذه الدنيا.

لأن هدف الكتاب المقدس، في نهاية المطاف، أن ينقل إليك روحاً، روح الله؛ هذ الروح هو الله نفسه فيك. المعرفة الكتابية ليست غاية بحد ذاتها؛ لا تجدي نفعاً إن لم تؤدي إلى اكتساب روح الله وطريقته الخاصة برؤية وابتغاء وحب الحياة، الحياة الحقيقية. المقصود ليس التشبث بالحياة المادية لهذا العالم المادي، بفرحه المخادع والمخيب للآمال دائماً، بل بالحياة الروحية، حياة روحك. إنفتح على العالم الأبدي الذي أنت مدعو لاكتشافه من هذه الدنيا، هذا هو سبب وجودك على الأرض. هذه هي المغامرة الكتابية الكبيرة التي أنت على وشك الإقدام عليها. لتكن هذه المغامرة طموحك الأكبر في هذا العالم الزائل حيث لن يدوم إلى الأبد سوى المكتسب الروحي.

إبدأ بشراء كتاب مقدس جيد. تصفحه. في البداية ستشعر أنك تائه بعض الشيء. هذا طبيعي. لكنك سترى فيما بعد، بعد هذا التفسير، أنك والكتاب المقدس أصبحتما صديقين لا يفترقان مدى الحياة.

نعم، صديقان لا يفترقان مدى الحياة. لا تتصور أنك ستكتشف كل شيء دفعة واحدة، مرة واحدة، من القراءة الأولى، دون أن تعود مجدداً إلى هذا الكتاب المقدس. كلما راجعت كتابك المقدس، كلما انكشف لك؛ روحه سيتكلم معك من الداخل، خاصة إن كنت تقرأه بمحبة وحماس. عليك أن تعتاد طوال حياتك أن تكرس عشرة دقائق على الأقل يومياً لقراءة النصوص الكتابية بصورة منتظمة، حتى بعد انتهائك من هذا الدرس.

لا تكتفِ أبداً بالقول إنك قرأت الكتاب المقدس 2، 3، 5 أو 10 مرات، كما يقول البعض، مدعين أنهم "يعرفونه عن ظهر قلب". هذا الكلام يدل على عدم فهم لروح الكتاب المقدس. في قراءتنا للكتب المقدسة، لا نقوم بعد وإحصاء قراءة، إنما بتردد يومي ومتواصل على قراءة نصوصها. لا تترك أي يوم يمر دون أن تغسل قلبك بقراءة نص، تماماً مثلما تغسل وجهك بالماء كل يوم. حتى هذا اليوم، وبعد 40 سنة من التردد اليومي المتواصل والمثابر، ما زلت اكتشف تفصيلاً جديداً من هنا أو فرقاً من هناك يجعلني أفهم بشكل أفضل مقصود المؤلف الكتابي. فيقرّبني ذلك أكثر فأكثر من الله سبحانه وتعالى.

في ملحق هذا التفسير، ستجد دراسة موجزة للقرآن: "نظرة إيمان بالقرآن الكريم". ستلاحظ بالتالي أن القرآن ليس مختلفاً عن الكتاب المقدس، بما أنه يقدّم نفسه كترجمة للكتاب المقدس "بلسان عربي مبين" موجهة إلى عرب شبه الجزيرة العربية في القرن السابع م. الذين لم يكن باستطاعتهم في ذلك العصر قراءة الكتاب المقدس لأنه لم يكن موجوداً سوى باللغات العبرية، اليونانية واللاتينية، وجميعها لغات يجهلونها.

قراءة القرآن ستحررك من التعصب الطائفي الذي نهلك فيه ويهلك أيضاً كثير من المؤمنين السيئين الذين، بسبب تزمتهم، يكتفون بقراءة واحدة للكتاب المقدس والقرآن. عليك أن تعرف الاثنين معاً، دون أن يغيب عن بالك أن القرآن ينقل الرسالة الكتابية، يصدّق عليها ويقدّم الإنجيل.

إن كنتُ أبدأ بالكتاب المقدس، فلأنه يسبق القرآن زمنياً. سيمنحك الإنجيل روح انفتاح. إن كنت طيعاً له، سيمكنك من قراءة القرآن بموضوعية ومن دون أحكام مسبقة. ستلاحظ أن الذين يطعنون بالكتاب المقدس أو القرآن يظنون أنهما مختلفان أو متناقضان؛ إنهم مخطئون. إمضِ قدماً قائلاً في نفسك أنك ستقرأ كلاً من الكتابين. ستفهم أنهما ينقلان الرسالة نفسها بلغة وأسلوب مختلفين لأنهما يتوجهان إلى مجتمعين مختلفين.

الاجتهاد والمثابرة هما العنصران الأساسيان لنجاحك؛ عليهما يتوقف إعدادك الروحي والنبوي.

لننطلق الآن سوياً في مراعي الكتاب المقدس. تابع بصبر هذا التفسير الكتابي المؤلف من 15 درساً، واعكف على قراءة فصول الكتاب المقدس كلما أحلتك إلى ذلك.

ما هو الكتاب المقدس؟ منذ 4000 سنة، 2000 سنة قبل المسيح، كانت البشرية جمعاء تجهل وجود الله الخالق الوحيد. كان الإنسان وثنياً وكان لكل مجتمع ميثولوجيته المتعددة الآلهة، المختلفة الأسماء، يحكمها إله واحد، سيد أعلى، "بعل" للكنعانيين، "جوبيتر" للرومان، "زوس" لليونانيين، "أهورامزدا" للزردشتيين (إيران الحالية) إلخ...

كان لا بد للخالق الأوحد أن يكشف عن ذاته شخصياً للبشرية كي تعرفه. إبراهيم الآرامي كان البشر الأول الذي كشف له الله عن ذاته شخصياً نحو 2000 سنة ق.م (تكوين 12، 1 - 3).

دون هذا التجلي لكانت الإنسانية بأسرها غارقة في جهل تام لقصة الخلق وهوية خالقه.

هذا الكشف الإلهي لابراهيم شكل بالنسبة له ولمحيطه انقلاباً تاماً كونه حصل في فترة من التاريخ كان فيها الإيمان بإله واحد غير معروف وغير مقبول، حيث كان للوثنية قواعدها الثابتة وعباداتها الصارمة والمربحة. مثل هذا الكشف لم يكن ليناسب الجميع. فرجال الدين الوثنيين كانوا يعيشون من التقدمات إلى الآلهة، وكان صانعو الأصنام يستفيدون كل الاستفادة من تجارة أصنافهم المربحة. اليوم أيضاً، في مجتمع القرن الواحد والعشرين، الكشف عن الله الواحد يزعج من الناس أكثر مما يُفرح.

يروي الكتاب المقدس قصة الحوار الذي أجراه الله مع ابراهيم، العهد المختوم بينهما وأول مجتمع توحيدي نتج عنه. فقد بذل هذا الأخير قصارى جهده ليشرح، وفقاً للحقائق العلمية الغامضة لذلك العصر، كيف أن الله، هو وحده، خلق الكون. كما أراد أيضاً تفسير مصدر الشر وأسباب المآسي البشرية. تمّ حفظ ذلك خطياً في الكتاب المقدس.

المعلومات القليلة التي كانت بحوزة المؤلفين الكتابيين (الكتبة) أجبرتهم على الرجوع إلى روايات الميثولوجيا لكن بتوحيد محتواها. بالتالي، لم تعد "الآلهة" هي التي خلق أحدها السماء، أحد ثانٍ الشمس، وأحد آخر القمر، النجوم، البحر أو الريح إلخ...، بل إنه الله الأوحد الذي تجلى لابراهيم، وهو وحده، بجبروته، الذي خلق كل شيء.

لقد انحرف المجتمع التوحيدي الأول عن الخط الذي رسمه الله (صموئيل الأول 8، 5 - 20 / 11، 14 - 15 / 12، 19). فارسل له الله أنبياؤه ليعيدوه إلى الطريق الإلهي (إرميا 7، 22 / إرميا 8، 8 / عاموس 5، 21 - 27 / ميخا 6، 6 - 8 / هوشع 8، 1 - 4 / هوشع 9، 15). أعلن هؤلاء أن الله سيرسل أعظم الأنبياء، المسيح، لينوّر البشرية جمعاء بمعرفة الله، وليس اليهود وحدهم (إشعيا 42، 1 / رومة 3، 29)، معرفة تمسّك بها المجتمع التوحيدي الأول بعناية قصوى (أعمال 11، 1 - 3).

هذا المسيح هو يسوع الناصري، الذي أتى ليوجه جميع القلوب العطشى للحقيقة نحو كمال النور. تلك هي، باختصار، قصة الكتاب المقدس المتجسدة تماماً بيسوع الذي يقول:

"من يسمع لي ويؤمن بمن أرسلني، فله الحياة الأبدية... لأنه انتقل من الموت إلى الحياة" (يوحنا 5، 24).

"إن عطش أحد، فليجيء إلي ليشرب. ومن آمن بي... تفيض من صدره أنهار ماء حي (يوحنا 7، 37 - 39).

"أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا 14، 6).

"قلت لكم هذا ليدوم فيكم فرحي فيكون فرحكم كاملاً" (يوحنا 15، 11).

"تعالوا إلي يا جميع المتعبين... وأنا أريحكم" (متى 11، 28).

الحقيقة التي نبحث عنها، والسعادة التي نتوق إليها، لا نعثر عليهما لا في شعائر العبادة، لا في العقائد، لا في المجموعات الدينية أو الأبحاث السرية، ولا في دور للعبادة، إنما في لقاء واستقبال الشخص الذي يمتلكهما والذي يوزعهما مجاناً على العطشى: يسوع المسيح (رؤيا 21، 6 / 22، 17). يسوع هو حصيلة الكتاب المقدس بكامله. كل معرفة كتابية تستثنيه هي باطلة لأن:

"الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته". (يوحنا 17، 3)

ما هو القرآن؟ يقدم القرآن نفسه كوحي كتابي [بلسان عربي مبين] (قرآن 26: الشعراء، 192 - 196). يتوجه إلى العالم العربي من خلال النبي محمد. لمزيد من المعلومات راجع نص "نظرة إيمان بالقرآن الكريم"، هذا مقتطف منه:

"إن الفخ الذي وقع فيه كل من المسيحيين والمسلمين، هو اعتبار دين القرآن غير دين الكتاب أو معارضاً له. والقرآن من هذا الإفتراء براء. بالعكس، فالقرآن يقدم نفسه كوحي موجز للوحي الكتابي، أنزله الله على النبي محمد [بلسان عربي مبين] لهداية سكان شبه الجزيرة العربية، إذ لم يكن لديهم من قبل النبي [مُنذِرين] (أنبياء) كما كان لأهل الكتاب، اليهود والمسيحيين. فيقول الله تعالى في القرآن:

[وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين (الروح القدس) على قلبك (يا محمد) لتكون من المُنذِرين بلسان عربي مبين وإنه (القرآن) لفي زُبُر (كتب: التوراة والإنجيل) الأولين (اليهود والمسيحيين)] (قرآن 26: الشعراء 192 - 196).

تجدر الإشارة إلى أن الوحي القرآني موجود [في زُبُر الأولين] (الكتب) الذين سبقوا القرآن. القرآن إذاً لا يختلف عن الكتاب بما أنه ينبثق منه. إنه الوحي الكتابي [بلسان عربي مبين]. هذا يعني أن القرآن لا يختلف عن الكتاب بما أنه من الكتاب، ولا يختلف عنه إلا من حيث اللغة:

[وكذلك أنزلناه حكماً عربياً] (قرآن 13؛ الرعد 37).

[وكذلك أوحينا إليك (يا محمد) قرآناً عربياً لتنذر أم القرى (مكة) ومن حولها] (قرآن 42؛ الشورى 7).

[بل هو (القرآن) الحق من ربك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون] (قرآن 32؛ السجدة 3).

2-3.4 الكتاب المقدس: تفسير الكتاب المقدس

قراءة نص: "تفسير الكتاب المقدس" على موقعنا.

3-3.4 القرآن: نظرة إيمان بالقرآن الكريم

قراءة نص: "نظرة إيمان بالقرآن الكريم" على موقعنا.

4.4 المرحلة الرابعة - السعادة

كل هذا العمل البحثي الذي قمنا به في هذا المسار الروحي يهدف إلى بعث السعادة الداخلية والعميقة، سعادة النفس الواعية على امتلاك كنوز الحياة الأبدية. هذه السعادة هي ثمرة الحياة مع الله، أي ما يدعوه الكتاب المقدس "عمانوئيل" والذي يعني كما رأينا "الله معنا".

هذه المرحلة لا يمكننا أن نشرحها: كي نفهمها، علينا أن نعيشها.

لقد حصلت على نورٍ كافٍ كي تعيش العمانوئيل وتفهم هذه الكلمة الكتابية:

"ذوقوا تروا ما أطيب الرب" (مزمور 33(34)، 8).

تأمل جيداً: متى 1، 23 / يوحنا 14، 21 - 23 وعبرانيين 9، 2 / يوحنا 17، 21 - 24 / رؤيا 21، 1 - 5 / رؤيا 21، 22 - 27.

قراءة نص: "الإصلاح الشامل".

بطرس

1997.06.26

2

دراسة الكتاب المقدس

1. الدرس الأول - أسفار الكتاب المقدس

يتألف الكتاب المقدس من مجموعة كتب من 73 كتاباً؛ إنه إذاً مكتبة صغيرة في كتاب واحد. لهذا السبب ندعوه "الكتاب"، باليونانية "تو بيبليو" التي تعني "الكتاب". هذه الكلمة تأتي من "بيبلوس"، المرفأ اللبناني القديم حيث جُمعت المخطوطات للمرة الأولى في كتب بدلاً من اللفائف. هكذا يُعتبر "الكتاب المقدس" الكتاب بامتياز. اليهود والمسيحيون معروفون في العالم العربي بـ "أهل الكتاب"، أي الذين يتبعون الكتاب.

من بين كتب الكتاب المقدس الـ 73، 46 كتاباً منها تشكل العهد القديم و27 كتاباً العهد الجديد. اليهود لا يعترفون إلا بكتب العهد القديم ويرفضون اعتبارها "قديمة"، اعتقاداً منهم أن عهدهم مع الله ما زال قائماً، بالرغم من خياناتهم العديدة التي أدانها الأنبياء ورفضهم الاعتراف بيسوع المسيح. بالإضافة إلى أن الأنبياء قد أعلنوا فسخ هذا العهد ثمانية قرون قبل مجيء يسوع (إشعيا 24، 5 / إرميا 11، 10 / إرميا 31، 32)، متنبئين أن الله سيقيم "عهداً جديداً" (إرميا 31، 31) كشفت عنه كتب هذا العهد الجديد، أي الأناجيل (مراجعة متى 26، 28 و لوقا 22، 20). المسيحيون يؤمنون بكتب العهد القديم الـ 46 (العهد الذي يعتبرون أنه قد أصبح قديماً) وبكتب العهد الجديد الـ 27 الذي تأسس بشهادة يسوع.

ينقسم الكتاب المقدس إذاً إلى جزئين كبيرين: كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد. من المهم جداً أن نفهم كتب العهد القديم كي ندرك أهمية وضرورة العهد الجديد، الجديد بروحه وبكشفه الوجه الحقيقي لله.

العهد القديم

كتب العهد القديم الـ 46 تتوزع على 3 مجموعات:

1. الكتب التاريخية: تروي هذه الكتب قصة الخلق (كتاب التكوين)، ثم قصة إبراهيم واليهود وصولاً إلى 130 سنة ق.م، أي إلى بداية الامبراطورية الرومانية في الشرق الأوسط، وفي فلسطين خاصة (مراجعة المكابيين الأول 15، 15 - 24). هذه المجموعة تتألف من 21 كتاباً.
2. كتب الحكمة: إنها كتب حكمة وأخلاق عالية. يطغى عليها أسلوب شاعري. تحتوي على إرشادات وصلوات عفوية نابعة من قلب ملهم من الله لتعلّمنا كيفية التوجه إلى الخالق. هذه الكتب عددها 7.
3. الكتب النبوية: كل كتاب من هذه الكتب يتكلم عن النبي الذي يحمل اسمه وينقل إلينا كلامه وشهادته، وعددها 18.

العهد الجديد

كتب العهد الجديد الـ 27 تنقسم إلى 3 مجموعات:

1. الأناجيل الـ 4 وكتاب أعمال الرسل.
2. الرسائل الـ 21 الذي بعثها الرسل للمسيحيين الأوائل.

نموذج من اللفائف

3. كتاب الرؤيا.

كل كتاب من كتب الكتاب المقدس مقسم إلى فصول وكل فصل إلى آيات، هي ذاتها في جميع الكتب المقدسة وجميع الترجمات. ما يسهل المراجعات وتحديد أمكنة النصوص.

مثلاً: التكوين 12، 3 يعني: الفصل 12، الآية 3 من كتاب التكوين.

الكتب الخمس الأولى التاريخية تتمتع بأهمية تاريخية خاصة. وهي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد والتثنية. جدها في الكتاب المقدس. اليهود يسمّونها "التوراة" التي تعني "الشريعة". عندما تتكلم الأناجيل عن الشريعة، فإنها تشير إلى هذه الكتب (يوحنا 1، 45). المسيحيون يسمّونها "Pentateuque" بالفرنسية المشتقة من اليونانية، "penta" تعني خمسة و "tevki" التي تعني "لفائف"، اللفائف الخمسة أو أيضاً أسفار موسى الخمسة، لأن التوراة كانت مكتوبة على لفائف من جلد يفردها القارئ تدريجياً ليقرأها.

اليوم، بفضل الطباعة، نستطيع الحصول على الكتاب المقدس بمجلد واحد يسهل حمله. بينما في الماضي، كانت الكتب تخط يدوياً من قبل كتبة مختصين. بعض كتب الكتاب المقدس، ككتاب التكوين وكتاب إشعيا على سبيل المثال، كان كل واحد منها يشكل عدة لفائف يصعب حملها، ولم يكن بمقدور أحد أن يمتلك جميع الكتب المقدسة. فكانت هذه الأخيرة موضوعة في هيكل أورشليم وبعض المجامع حيث كانت تُدرس، تُقرأ، تُراجع وتُناقش. هناك بعض الكتب الصغيرة التي بالكاد تملأ صفحة واحدة من مجلداتنا العصرية، لكننا اعتدنا على تسميتها بال "كتب" حتى ولو أنها ليست سوى ورقة واحدة (كتاب النبي عوبديا، رسالة يهوذا ورسالتي يوحنا الأخيرتين).

شكّل رسماً بيانياً بأسماء كتب الكتاب المقدس لتصبح عندك تحت ناظرك بنية موجزة عن الكتاب المقدس. سيساعدك ذلك على أن تجد نفسك وأن تميز بين كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد.

1.1 المؤلفون ومدة الكتابة

لقد استغرقت كتابة الكتاب المقدس 1000 سنة، من كتاب التكوين حتى كتاب الرؤيا. بدأت كتابته في حوالي القرن العاشر ق.م وانتهت في حوالي سنة 95 م مع إنجيل ورؤيا يوحنا. القديس يوحنا هو آخر المؤلفين الكتابيين.

الكتاب المقدس هو نتاج ألف سنة من عمل عدة مؤلفين يعرفون بـ "الكتبة المقدسين". يأتي هؤلاء من بيئات اجتماعية مختلفة: كهنة، ملوك، أنبياء، رعيان، رسل المسيح الذين كان اثنان منهم صيادي سمك بسيطين: بطرس، الذي كتب رسالتين، ويوحنا، الذي كتب إنجيله، ثلاثة رسائل، وكتاب الرؤيا، آخر كتب الكتاب المقدس. الإنجيلي لوقا كان طبيباً، رجل مثقف ونبيل. بعض الكتبة المقدسون كانوا وما زالوا مجهولين، ككاتب التكوين، كتبة صموئيل والملوك، إلخ...

قبل اكتشاف الطباعة، كان الكتاب المقدس مخطوطاً، مكتوباً باليد من قبل كتبة مكرسين لهذه الغاية. كانوا علماء ملمين في شؤون النصوص الكتابية والشرائع الدينية. لقد ثار يسوع غاضباً على الكتبة الذين انتقدوه، لأنهم هم الذين كانوا يكتبون الكتاب المقدس، وكانوا يعرفون جيداً النصوص النبوية التي بشّرت بمجيئه؛ فرفضهم لرسالته، التي أعلن عنها الأنبياء، هو إذاً غير مبرر ويدينهم (متى 23).

بالإضافة إلى كتبة الكتاب المقدس العديدين، هناك مؤلف واحد، على مر القرون، قد أوحى وأشرف على العمل الكتابي برمته: الله. إنه الروح الإلهي الذي دفع مجموع الكتبة البشر، على امتداد فترة حوالي ألف سنة، إلى كتابة كل ما كانوا يعرفونه عن الله، ظهوراته، وتجلياته لأناس اختارهم لإتمام مخططه وهو أن يجعل البشر يعرفوه. هؤلاء الكتبة المقدسون كانوا مثقفين مثل الأنبياء إشعيا، إرميا، دانيال والرسل متى، بولس ولوقا، أو رعياناً وصيادي سمك بسطاء مثل النبي عاموس والرسل بطرس ويوحنا. هذا يبرهن أن الله ليس بحاجة للثقافة البشرية ليكشف عن ذاته.

كان يوجد إذاً عدة مؤلفين، لكن المؤلف الرئيسي هو الله. على مر القرون عندما كانت تتم كتابة الكتاب المقدس، كان الله يسهر على إتمام مخططه وتدوينه، ليكشف عن نفسه للبشر في كل الأزمنة اللاحقة، ليكشف عن نفسه لك اليوم، بالإضافة إلى الذين سيأتون من بعدك، وحتى نهاية البشرية على الأرض. كان روح الله بالنسبة للكتبة المقدسين كما عروس الشعر للشعراء، مع مراعاة النِسَب.

يمكننا أن نلاحظ أن كتبة الكتاب المقدس قد عبّروا عن الوحي الإلهي بدقة وأمانة كانتا تتطوران مع الوقت والخبرة. غالباً ما كان يحصل التباس بين وحي الله ورغبة الكاتب الشخصية، بين ما كان الله يريدنا أن نفهم وما قد فُهِم. فلا بد من الدقة العالية والتمييز للتوصل إلى فهم لغة الله. ما يتطلب وقتاً وخبرة وكثيراً من الصلاة. لا بد من تطهير النفس والارتقاء إلى مقصود الله الذي يتخطى نوايانا المادية. فيقول الله في كتاب إشعيا: "لا أفكاري أفكاركم... علت السماوات عن الأرض... وأفكاري علت عن أفكاركم" (إشعيا 55، 8 - 9).

كلما تعوّد الأنبياء على لغة الآب، كلما أدركوا المعنى الحقيقي لكلامه. أراد الله أن يظهر هذا اللافهم لكلامه في النص الكتابي. على ذلك، بعد أن تكلم الله مثلاً عن ختان إبراهيم وموسى، يفسّره فيما بعد على لسان النبي إرميا كضرورة لختان (أي تطهير) القلب، لا القلفة (إرميا 9، 25). وحدها المحبة هي قادرة على تطهير القلب.

والحال هو أن الله تمكّن مع يسوع من التعبير بشكل أفضل: فالمسيح ينقل بدقة كلام ونوايا الله الحقيقيين. لهذا السبب دُعي "كلمة الله" من الإنجيل (يوحنا 1، 1) والقرآن (قرآن 3؛ آل عمران 45 – مراجعة "نظرة إيمان بالقرآن الكريم"). خصوصاً أنه هو الذي شدد على المحبة (متى 19، 19) والمحبة التي تطهّر (لوقا 7، 47).

يسوع، كلمة الله بامتياز، هو حصيلة كل رسالة الكتاب المقدس. إنه الكتاب المقدس الحي الذي يعمل فينا؛ كذلك علينا أن ننجح في إدخال يسوع فينا كي يعمل فينا ومعنا. كي نعرف ونفهم يسوع علينا أن ندرس الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. عندئذٍ سندرك كيفية إدخال روح يسوع، الذي هو روح الله، في حياتنا اليومية.

2.1 التقاليد الشفهية

ظهر إبراهيم 2000 سنة ق.م. بدأ الكتبة بكتابة الكتاب المقدس بعد ذلك بحوالي 1000 سنة. لكن قبل صياغة نصوص الكتاب المقدس، كيف انتقلت قصة إبراهيم إلى الأجيال اللاحقة؟ الجواب: شفهياً. فطائفة المؤمنين الأوائل كانت تتناقل روايات الأسلاف من فم لأذن، ضمن العائلة، كيف تجلى الله لإبراهيم، من ثم لنسله ليبعدهم عن الأوثان. كانت القصص تتناقل على مر قرون من الأب إلى الإبن. بهذه الطريقة، كانت الأحداث تبقى حية في الأذهان.

مع ذلك، مع أن التناقل كان يتم شفهياً من الأب إلى الإبن على مر القرون، إلا أن القصة نفسها كانت تروى بطريقة مختلفة بما يتعلق ببعض التفاصيل الغير مهمة. ما كان الناس ينسبونه، مثلاً، إلى إبراهيم، كان آخرون يقولونه عن ابنه إسحق.

لقد أدى ذلك إلى ولادة عدة "تقاليد شفهية" مختلفة إلى حد ما الواحدة عن الأخرى. لذلك سترى نفس القصة تتكرر مرتين، مرة أولى عن إبراهيم (تكوين 12، 10 - 20) ومرة ثانية عن إسحق (تكوين 26، 1 - 11). كذلك، هناك روايتان عن الخلق في كتاب التكوين: الأولى، من التكوين 1، 1 إلى التكوين 2، 3 والثانية، من التكوين 2، 4 إلى التكوين 2، 25. ستلاحظ أن طريقة الخلق تختلف في الروايتين، الرجل، مثلاً، وفقاً للرواية الأولى، خُلق بعد النبات والحيوانات، لكنه خُلق قبلهم في الرواية الثانية. الفرق بين الروايتين هو في أسلوب الخلق، لكن الله هو دائماً الخالق الوحيد. هذه هي الرسالة المهمة التي يريد أن ينقلها إلينا الكتاب المقدس، رسالة ما زال يناقضها حتى اليوم الملحدون والماديون الذين يرفضون مجمل الوحي الإلهي.

ما هي أسباب هذا الاختلاف في التقاليد الشفهية؟

أهم هذه الأسباب:

- الفترة الزمنية الطويلة (قرون عديدة) بين حصول الحدث والكتابة عنه تجعل المرء ينسى لمن حصل: هل لإبراهيم وزوجته (تكوين 20، 1 - 18) أو إلى إسحق وزوجته (تكوين 26، 1 - 11)؟ بعض التقاليد الشفهية كانت تُنسب إلى ابراهيم، وأخرى إلى إسحق. المؤلفون، فيما بعد، الذين لم يكونوا يريدون إغفال أي شيء، نقلوا الروايتين معاً إرضاءً للجميع وتوحيداً للصفوف. فليس علينا هنا أن نتوقع دقة تاريخية.
- تعدد الرواة
- تطور ذهنية الكتبة والمؤمنين

هكذا، كان هناك العديد من التقاليد الشفهية وأهمها:

- التقليد "الإلوهي" حيث يُدعى الله "إلوهيم"، في النص الأصلي العبري
- التقليد "اليهوي" حيث يُدعى الله "يهوه"

- التقليد "الكهنوتي"، الذي أولجه الكهنة واللاويون حيث نلاحظ صلابة وضيق ذهنيتهم، بالإضافة إلى تعلقهم بالشعائر. كتاب اللاويين هو خير مثل على ذلك.

نتمنى أن لا تشكل هذه التقاليد الشفهية أي إحراج لك؛ يمكنك أن تمر عليها مرور الكرام كي تفهم بشكل أفضل بعض التناقضات عندما تبدأ بقراءة الكتاب المقدس.

هذه التقاليد الشفهية تختلف أيضاً من شمال إلى جنوب فلسطين، فقد تأثر السكان بميثولوجيا البلدان المجاورة. هكذا، كان البعض يعتقد أن الخلق اكتمل في ستة أيام، بينما كان البعض الآخر يفكر بطريقة مختلفة، وفقاً لما كانوا يسمعون من جيرانهم في البلدان المجاورة. لكن اليهود كانوا جميعهم متفقين على أمر أساسي: هو أن إلهاً واحداً قد خلق كل شيء، وأن هذا الإله الواحد هو الذي خاطب إبراهيم. هذا هو الوحي المهم الذي علينا أن نحفظه؛ كيفية الخلق هي أقل من ثانوية.

إن وحي الله الواحد والخالق هو الذي كان يميز اليهود من الشعوب الأخرى التي كانت تحيط بهم والتي كانت جميعها، في ذلك الوقت، وثنية ومتعددة الآلهة.

في القرن العاشر ق.م، عندما قرر رؤساء الدين اليهود أن يكتبوا تاريخهم، ضمّنوه مختلف التقاليد الشفهية كي يحافظوا على وحدة المجتمع اليهودي. إن هذه التقاليد الشفهية المختلفة تساعدنا على فهم الوحي بالروح، وفقاً لمقصود الله، لا بحسب الحرف، بناءً على تفسيرات بشرية وسياسية. ستفهم ذلك بشكل أفضل عندما تدرس كتاب التكوين.

3.1 أصالة النص الكتابي

منذ بضع سنوات، شككت بعض الاكتشافات الأثرية بصحة الوقائع التاريخية للروايات الكتابية. وفقاً للأستاذين الإسرائيليين إسرائيل فنكلشتاين ونيل سيلبرمان، مؤلفا كتاب "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها": "إنها روايات تم نسجها مع بعضها البعض من الذكريات، من بقايا عادات قديمة، ومن خرافات حول ولادة شعوب المنطقة المختلفة".

حتى ولو أن أسماء الشخصيات والأماكن المذكورة ليس لها أي أدلة أثرية، إلا أنه يبقى أن النص الكتابي قد كُتب من قبل رجال ملهمين من الله بهدف رفع معاصريهم روحياً.

يعود إلينا نحن أن نقرأ هذه النصوص بفطنة كي نستخرج منها الذهب. الأنبياء أنفسهم، خصوصاً إرميا، معاصر صياغة الكتاب المقدس، يدين قلم الكتبة الكاذب (إرميا 8، 8)!

كيف نتأكد أن النص الكتابي الموجود بين أيدينا اليوم هو النص الأصلي؟ فالبعض يزعم أن هذا النص قد تم تزويره وأنه، بناءً على ذلك، لم يعد بإمكاننا الاعتماد على الكتاب المقدس.

هناك ثلاثة أنواع من البراهين على أصالة النص الكتابي الحالي، في حين أنه لا يوجد بالمقابل أي برهان على تزويره.

1-3.1 البراهين الأثرية

لقد نبش علم الأثار عدداً لا يحصى من نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. لا يوجد أي عمل أدبي من العصور القديمة، أو حتى من فترة ما بعد الكتاب المقدس، قد تم نقله بأمانة أكثر من الكتاب المقدس، وبدعم من الأدلة الأثرية. لدينا عدد كبير جداً من المخطوطات الكتابية القديمة التي تدحض أي شك حول أصالة النص الكتابي.

بالنسبة للعهد القديم لفائف البحر الميت

إكتشاف علم الآثار الأكثر أهمية هو مخطوطات "قمران" أو "البحر الميت" في فلسطين. هذه المخطوطات هي عبارة عن لفائف جلدية تضم جزءاً كبيراً من العهد القديم، تم اكتشافها بتدبير من العناية الإلهية في كهوف وادي "قمران"، بالقرب من البحر الميت، في سنة 1947، من قبل راعي ماشية فلسطيني كان يبحث عن معزاته الضائعة. فوجدها في أحد الكهوف وهي تضرب الأرض برجلها. فلما اقترب تعثر بغطاء جرة من الفخار كانت تحتوي على لفيفة جلدية مخطوط عليها بالعبرية. كانت هذه بداية لاكتشاف مخطوطات عديدة، مدفونة بنفس الطريقة، لمختلف كتب العهد القديم. كانت هذه المخطوطات مخبأة تحت الأرض من قبل طائفة دينية يهودية تعرف بالطائفة "الأسينية" أو "الأسينيون"، كانوا يعيشون في قمران ومهمتهم الأساسية كانت كتابة النصوص الكتابية والمحافظة عليها. تعود هذه المخطوطات إلى 200 سنة ق.م.

هكذا كانت عادة الاحتفاظ بالملفات عندما كان يراد حمايتها؛ هذه العادة ذكرها النبي إرميا الذي طلب من أمين سره قائلاً: "خذ هذا الصك المختوم في نسختين، مغلقة ومفتوحة، وضعهما في إناء من خزف لتدوما أياماً طويلة" (إرميا 31، 14).

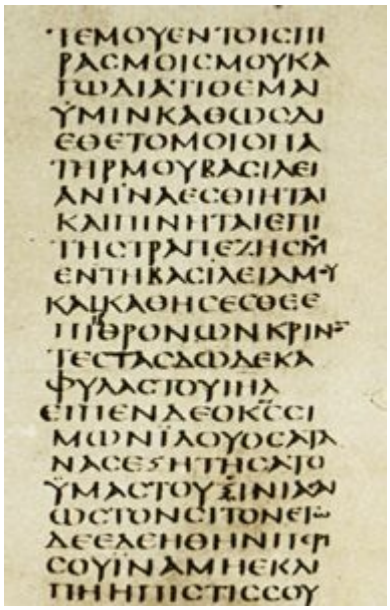

مقتطف من "السينائية"

مخطوطات البحر الميت موجودة حالياً في متحف روكفلر في القدس، كما توجد عنها نسخ ميكروفيلم في جميع المتاحف المهمة حول العالم. إن نص هذه المخطوطات مطابق تماماً للنص الموجود بين أيدينا اليوم في كتبنا المقدسة.

فيما يخص العهد الجديد بردية ريلاندز

المخطوطة الأقدم هي قصاصة صغيرة من ورق البردي تعود إلى سنة 125 م، "بردية ريلاندز"، نسبة إلى اسم عالم الآثار الذي اكتشفها. تحتوي هذه المخطوطة على نص من إنجيل يوحنا 18، 31، ما يطمئننا على أصالة النص، نظراً إلى أن يوحنا قد توفاه الله حوالي سنة 105 م وأن هذه المخطوطة تعود فقط إلى عشرين سنة بعد موته.

تشستر بيتي

اكتشاف أثري آخر، أكثر أهمية من الناحية الكمية، هو برديات "تشستر بيتي" التي تعود إلى القرن الثالث ميلادي. تحتوي على أجزاء كبيرة من العهد الجديد ومحفوظة في جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة الأميركية.

يوجد أيضاً ثلاثة نسخ قديمة جداً من الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد:

- الكتاب المقدس الفاتيكاني مكتوب باللغة اللاتينية، ويعود إلى القرن الرابع ميلادي. وهو موجود في متحف الفاتيكان، من حيث اكتسب اسمه.
- "السينايتيكوس" السينايتيكوس أو "السينائية" هي مخطوطة مكتوبة باللغة اليونانية، تعود أيضاً إلى القرن الرابع ميلادي. تم العثور عليها من قبل أمير روسي في حوالي نهاية القرن التاسع عشر في دير القديسة كاترين للروم الأرثوذوكس في صحراء سيناء، من هنا اكتسبت اسمها. وهي موجودة اليوم في المتحف البريطاني.
- المخطوطة الإسكندرية تعود إلى القرن الخامس وموجودة في المتحف البريطاني.

إن نص هذه الكتب المقدسة القديمة هو نفسه ويتطابق تماماً ونص الكتاب المقدس الذي بين أيدينا اليوم.

2-3.1 البراهين المنطقية

- تعددية المذاهب المسيحية هي ضمانة على أصالة النص الكتابي، كونه نفس النص عند الجميع.
- إن نصوص العهد القديم هي نفسها عند المسيحيين واليهود.
- زعم بعض المسلمين واليهود أن المسيحيين زوّروا الكتاب المقدس، مرتكزين على خدعة "إنجيل برنابا". في حين أنه قد تم إثبات كتابة هذا "الإنجيل" في القرن الرابع عشر على يد يهودي "مرتد" إلى المسيحية، ومن ثم إلى الإسلام. فالمسيح، بحسب هذا "الإنجيل"، ليس يسوع، بل محمد. ما يناقض الكتاب المقدس والقرآن معاً اللذان يعترفان بأن يسوع هو المسيح الحقيقي. بالتالي، فإن أي مسيحي وأي مسلم لا يمكنهما أن يؤمنا بـ "إنجيل برنابا" دون أن ينكرا إيمانهما. من دون أن ننسى، علاوة على ذلك، أن الاكتشافات الآثارية قد أثبتت أصالة النص الكتابي الحالي.
- اعتراف جميع العلماء الكتابيين بإصالة النص الكتابي. عند المسلمين، العالمان الكبيران: الشيخ الأفغاني والشيخ محمد عبدو (مفتي الأزهر الأسبق في مصر) ينكران بشكل قاطع تزوير الكتاب.

3-3.1 برهان إيمان

إن الله، الذي أوحى الرسالة الكتابية، لا يمكن أن يسمح بتزوير محتواها وفقدان النبوءات، خاصة تلك المتعلقة بالمسيح.

4.1 لغات الكتاب المقدس

كُتب الكتاب المقدس في الأصل بلغتين: العبرية للعهد القديم واليونانية للعهد الجديد (ما عدا إنجيل متى الذي كتب بالآرامية، لأنه كان موجهاً لليهود). العهد القديم أيضاً كتب بالآرامية من قبل اليهود المنفيين في بابل (العراق)، في القرن السادس ق.م حيث تعلموا هذه اللغة.

كُتُب العهد الجديد كتبت في الأصل باللغة اليونانية، اللغة العالمية آنذاك (مراجعة أعمال 21، 37)، كما هو حال اللغتين الإنجليزية والفرنسية اليوم.

1-4.1 الكتاب المقدس "العبراني"

نطلق اسم "الكتاب المقدس العبراني" على النص الأصلي للعهد القديم باللغة العبرانية. هذا الكتاب المقدس لا يحتوي إذاً على كتب العهد الجديد لأن اليهود لا يؤمنون به. وهو موجود في هيكل القدس والمعابد على شكل لفائف. يستند إليه المترجمون الكتابيون كقاعدة متينة في ترجماتهم للعهد القديم.

2-4.1 الكتاب المقدس "اليوناني"

في القرن الثالث ق.م، لم يعد يهود الشتات (الذين كانوا يسكنون خارج فلسطين) يتكلمون العبرانية فلم يكن باستطاعتهم قراءة الكتاب المقدس العبراني. فطلب يهود الاسكندرية، في مصر، من يهود فلسطين أن يرسلوا إليهم خبراء كتابيين ليترجموا لهم "التوراة، الكتب (الحكمة) والأنبياء" (هكذا يسمي اليهود الكتاب المقدس) من العبرانية إلى اليونانية. فأرسل لهم هؤلاء 70 عالماً في الكتاب المقدس ترجموا لهم جميع الكتب من العبرانية إلى اليونانية، بالإضافة إلى 5 كتب أخرى كان يقرأها يهود فلسطين في المعابد والمجامع غير أنهم لا يعترفون بها ككتب وحي. هذه الكتب الخمس لا تشكل إذاً جزءاً من الكتب "القانونية"، أي المعترف بها رسمياً ككتب وحي من الله.

وهي:

- للكتب التاريخية: يهوديت وطوبيا؛
- لكتب الحكمة: الحكمة وسيراخ؛
- للكتب النبوية: باروخ؛
- فصلان تمت إضافتهما أيضاً على كتاب دانيال: دانيال 13 و14.

فيما بعد، تمت ترجمت كتابي المكابيين أيضاً إلى اليونانية وإضافتهما إلى الكتب المترجمة السابقة، ما رفع عدد الكتب المترجمة إلى اليونانية إلى 7 أضيفت إلى الكتب الـ 39 من الكتاب المقدس العبراني. هذه المجموعة من الكتب الـ 7 مع الفصلين 13 و14 من دانيال تُعرف بالأسفار القانونية الثانية، التي تعود إلينا حرية الإيمان بها أو لا.

ستجد في كتاب المكابيين الثاني صدى الروابط الوثيقة بين يهود فلسطين وأخوانهم في الدين في مصر، ودعوة هؤلاء الأخيرين للحصول على نصوص الكتاب المقدس: "إلى الأخوة اليهود الذين في مصر. سلام إليكم (شالوم) من الأخوة اليهود الذين في أورشليم... ويفتح (الله) قلوبكم لشريعته (التوراة)..." (المكابيين الثاني 1، 1 - 4). "وقد شُرح ذلك في سجلات وتذاكر نحميا، وكيف أنشأ مكتبة جمع فيها أخبار (الكتابية) الملوك والأنبياء وكتابات داود... وكذلك جمع يهوذا كل ما فقد منا (كتب العهد القديم) في الحرب التي حدثت لنا (السبي إلى بابل) وهو عندنا، فإن كانت لكم حاجة بذلك، فأرسلوا من يأخذه إليكم" (المكابيين الثاني 2، 13 - 15). يعود اهتمام يهود فلسطين بيهود مصر إلى أن هؤلاء الأخيرين كانوا يشكلون الفئة الأغنى والأقوى من يهود الشتات، مثل يهود أمريكا اليوم.

الترجمة اليونانية للكتاب المقدس معروفة تحت اسم "الكتاب المقدس اليوناني" أو "الترجمة السبعينية" نسبة للعلماء اليهود الـ 70 الذين ترجموه إلى اليونانية. وتختلف عن الكتاب المقدس العبراني بالكتب الـ "القانونية الثانية" التي أضيفت إليها. إنه الكتاب المقدس اليوناني الذي كان يهود السبي، الذين كانوا يجهلون العبرانية، يستعينون به في زمن الرسل ليعرفوا صحة أقوال بولس (أعمال 17، 2 / 17، 11).

رفض اليهود إذاً في الماضي ولا زالوا حتى اليوم يرفضون الاعتراف بهذه الكتب القانونية الثانية الـ 7 على أنها بوحي من الله. لهذا السبب ليست موجودة في الكتاب المقدس العبراني. البروتستانت، هم أيضاً، لا يعترفون بهذه الكتب الـ 7 ولا يدرجونها في كتابهم المقدس. لكن بالمقابل، الكتاب المقدس الكاثوليكي والكتاب المقدس الأرثوذوكسي يحتويان على هذه الكتب.

هكذا، وفقاً لعثورك على هذه الكتب الـ 7 أو لا، يمكنك أن تميز الكتاب المقدس الكاثوليكي من البروتستانتي. على الصعيد العقائدي، هذه الكتب لا تختلف بشيء عند مختلف الطوائف. أما بالنسبة إلى كتب العهد الجديد الـ 27، فهي موجودة في جميع الكتب المقدسة المسيحية. فليس إلا حتى القرن السادس عشر، بعد لوثر (مؤسس البروتستانتية)، حتى قام البروتستانت بنزع الكتب القانونية الـ 7 من كتابهم المقدس.

الكتاب المقدس العبراني والكتاب المقدس اليوناني الترجمة السبعينية يشكلان قاعدة لجميع الترجمات الكتابية. عندما تمت كتابة كتب العهد الجديد، قام المسيحيون بإضافتها إلى الترجمة اليونانية للعهد القديم (السبعينية).

3-4.1 الكتاب المقدس "اللاتيني" (أو الفولجاتا)

في القرن الرابع ق.م، ترجم القديس جيروم الكتاب المقدس من العبرانية واليونانية إلى اللاتينية، التي كانت اللغة العالمية في ذلك الوقت، والتي بقيت لفترة طويلة اللغة المستخدمة في العالمين الديني والعلمي (الطب إلخ...). ترجم القديس جيروم الكتاب المقدس إلى لغة شعبية (عامية) كي يقدر أن يفهمه عامة الشعب. لهذا السبب عرف هذا الكتاب تحت اسم "الفولجاتا"، أي "الشعبي"، الذي بمتناول الشعب. استخدمت هذه الترجمة اللاتينية من قبل كثير من الناس ولمدة طويلة في العالم الديني المشرقي، قبل أن تتم ترجمة الكتاب المقدس إلى جميع لغات العالم، وذلك منذ حوالي مئة عام فقط. الكتاب المقدس مترجم اليوم إلى أكثر من 1500 لغة. وبالتالي، فإن بشارة الإنجيل قد انتشرت في العالم أجمع. هذه هي علامة الأزمنة التي تنبأ بها يسوع (متى 24، 14).

عندما يؤتى على ذكر أن الكتاب المقدس هو ترجمة من اللغة الأصلية، فذلك يعني أنه مترجم من اللغتين العبرانية واليونانية، لا من اللاتينية التي هي أصلاً ترجمة من اللغتين الأصليتين العبرانية واليونانية. فقبل شرائك كتاباً مقدساً، إحرص على أنه مترجم من اللغتين الأصليتين.

2. الدرس الثاني – الفصول الـ 11 الأولى من كتاب التكوين

ستبدأ الآن بقراءة أول الكتب التاريخية: كتاب التكوين. إنه أيضاً أول كتاب من الـ "توراة" أو من "أسفار موسى الخمسة". ويتألف من 50 فصلاً، أول 11 منها تخبرنا عن فترة ما قبل التاريخ، عن ما قبل إبراهيم، بدءاً من خلق العالم، خلق آدم وحواء، تمردهما على الله، حتى الطوفان مع نوح. هذه الفصول الـ 11 الأولى تشكل كتلة مميزة عن باقي كتاب التكوين وعن التاريخ الكتابي بشكل عام. سُكب عليها كثير من الحبر وكُرست لها كثير من الأعمال من قبل عدد كبير من المفكرين الدينيين.

في الفصول الإحدى عشر الأولى، حاول الكتبة المقدسون الإجابة على الاسئلة المتعلقة بالفوطبيعية والحياة على الأرض: من أين يأتي الكون؟ لماذا الحياة شاقة على الأرض؟ لماذا الحزن، الألم والموت؟ الجواب: يوجد إله واحد خالق. هو الذي خلق الإنسان سعيداً، لكن هذا الأخير تمرد وابتعد عن خالقه؛ بتصرفه هذا عرف الإنسان البؤس. فأقام الله عندئذٍ مخططاً لإنقاذ الإنسان من جنونه.

بدءاً من الفصل 12، يكلمنا كتاب التكوين عن التاريخ الديني نفسه مع ظهور إبراهيم الذي دعاه الله، أول البشر، ليؤسس معه مخططاً يهدف إلى إنقاذ كل من يؤمن بكلامه من الجهل الروحي.

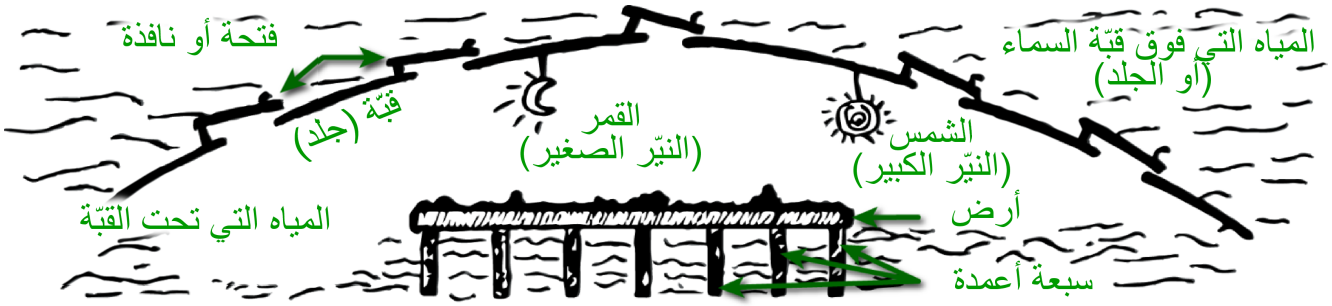

مفهوم الكون

إبدأ بقراءة الفصلين 1 و 2 فقط من كتاب التكوين ثم استأنف قراءة هذا الدرس. لاحظ أن كتاب التكوين ينقل روايتين مختلفتين عن الخلق، يعود ذلك إلى التقاليد الشفهية المختلفة.

1.2 الخلق (تكوين 1، 1 إلى 2، 3)

لقد وجدتَ في هذه الرواية نقاطاً "غير علمية". أنت على حق، لأن الكتاب المقدس ليس إطروحة علمية، بل روحية. ما نطلبه منه هو دقة روحية، فيعطينا إياها قائلاً إن الله هو الخالق الوحيد للكون. أكان الخلق في 6 أيام أو غير ذلك، ليس هذا هو المهم. فمقصود الكتاب المقدس هو كشف وجود الخالق الأوحد.

إن التجرؤ على كشف وجود إله واحد وخالق، 2000 سنة ق.م، في عالم وثني متعدد الآلهة، كان يتطلب شجاعة خارقة. فقد حُكم على سقراط بالموت 1500 سنة بعد هذا الكشف لأنه اعتقد، في اليونان بلد الفلسفة والحضارة في ذلك العصر، بوجود إله واحد (دعاه "المحرك الأول" لأنه يعطي الحركة الحيوية لكل شيء). اليوم أيضاً، توجد مجتمعات ملحدة تحرّم الكلام عن الله في بلدان تتصدر التقدم العلمي. كما لا زال يوجد، في القرن الواحد والعشرين، في أدغال أفريقيا وأمريكا، ملايين الوثنيين المتعددي الآلهة. عندما تفكر بكل ذلك، يمكنك أن تدرك الصعوبات والمخاطر التي تعرض لها أجدادنا بالإيمان الذين بدأوا بكتابة الكتاب المقدس قبل 3000 سنة، ليكشفوا عن وجود الله الواحد.

كي تفهم رواية الخلق الأولى بشكل أفضل، عليك أن تعرف أن الكتبة الذين صاغوها كانت يملكون معرفة بدائية جداً ومفهوم خاطئ عن الكون. لم يكونوا يعرفوا عن الله سوى وجوده وكانوا يجهلون أن الأرض كانت مستديرة وتدور حول الشمس.

كانوا يعتقدون أن الله كان بحاجة للنور كي يرى جيداً قبل أن يخلق. فقد خلق إذاً النور في بداءة الأمر من اليوم الأول و "فصل بين النور والظلام. سمى الله النور نهاراً والظلام ليلاً... يوم أول" (تكوين 1، 4 - 5).

ليس إلا حتى القرن السابع عشر حتى اكتشف "جاليلي" أن الأرض كروية الشكل وأنها تدور حول الشمس. لكن قبل ذلك، كان الناس يعتقدون أنها مسطحة وتطفو على امتدادٍ مائي شاسع، مثبتة على 7 أعمدة مغروزة في هذه المياه (صموئيل الأول 2، 8 / الأمثال 9، 1).

لتفسير الشتاء، كانوا يظنون أن الماء كانت مخزنة عالياً في السماء، فوق الجلد، فلا تسقط على الأرض بسبب الجلد الذي يحملها، والتي كانوا يعتقدون أنها قبة متينة تفصل بين "المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد" (تكوين 1، 7).

هذه القبة كانت تحتوي على نوافذ أو فتحات كان الله يفتحها لإسقاط المطر في وقته. الفرق الوحيد بين ما كان يقوله المؤمنون والوثنيون عن هذا الموضوع هو أن هؤلاء الأخيرين كانوا يعتقدون أن الآلهة التي خلقت الكون كانت تفتح فتحات السماء لإنزال المطر.

كان الناس يؤمنون أيضاً أن الشمس، القمر والنجوم هي آلهة. لقد شرح الوحي الإلهي أن الله هو الذي خلقها. المؤمنون كانوا يظنون أنها كانت معلقة بالقبة لتنير الأرض، تماماً كما نعلّق المصباح بسقف البيت.

ليس علينا أن نطلب من الكتاب المقدس أن يكشف أن الأرض كروية، أنها ليست مسطحة، وأنها هي التي تدور حول الشمس، وليس العكس. للكتاب المقدس هدف محدد: كشف الله للبشر. وهذا ما بذل الكتبة المقدسون جهدهم لفعله انطلاقاً من مفهومهم للكون.

على ذلك، بوسعك الآن أن تفهم بشكل أفضل لماذا التكوين 1، 6 يقول أن الله خلق الجلد "ليفصل المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد". لا يوجد أي شيء "علمي" في ذلك. إن هدف الكاتب هو الكشف عن وجود الله الواحد الذي خلق الكون وأن آلهة الميثولوجيا لم تخلق شيئاً، حتى أنها نفسها كانت غير موجودة. لا يوجد إذاً إله خلق الشمس، آخر البحر، وآخر القمر إلخ... هكذا تكون معرفة الله الواحد الخالق الكون قد جرفت تعدد الآلهة.

بما أن بعض الناس كانوا يعبدون الشمس والقمر، فقد نقل كتبة التكوين خلقهما إلى اليوم الرابع ليحطّوا من قدرهما في عيون عابديهما. فكتاب التثنية يكشف أنه حتى من بين اليهود هناك من يعبد الشمس، القمر والنجوم (التثنية 17، 2 - 3 / الملوك الثاني 23، 5). لاحظ أن اسمي الشمس والقمر ليسا حتى مذكورين، لكنهما بالمقابل لقّبا بـ "النيرين العظيمين"... الكبير للنهار والصغير لليل...". هنا أيضاً، من الخطأ علمياً أن يقال إن الشمس خُلقت

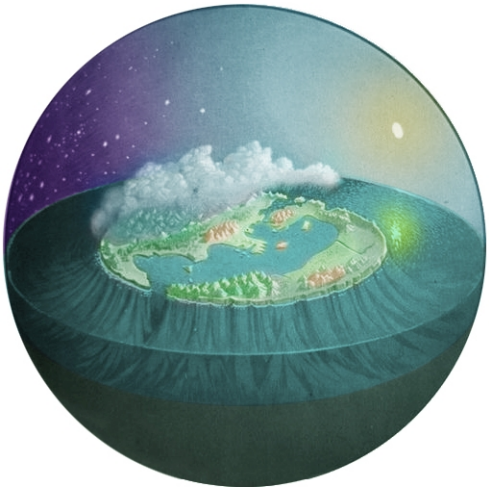

مشهد للعالم في العصور القديمة

في اليوم الرابع، طالما أن العلم قد برهن أن الشمس وُجدت قبل الأرض بملايين السنين. وكيف يمكن للشمس أن تكون قد خُلقت في اليوم الرابع في حين أن كتاب التكوين نفسه يقول أنه قد مر 3 ليال و 3 أصباح؟ أصباح من دون شمس؟ ويضيف كتاب التكوين أن هذين النيرين قد خُلقا "للفصل بين النور والظلام" (تكوين 1، 18). والحال أن الله في اليوم الأول قد "فصل بين النور والظلام" (تكوين 1، 4). علينا إذاً أن نفهم المقصود الروحي للكاتب: الكشف أن الله هو الخالق الوحيد، وإبطال العبادة الوثنية للشمس، والقمر والنجوم.

هكذا نصل إلى النقطة المهمة التالية: هل علينا أن نفهم الكتاب المقدس حرفياً (وفقاً لـ "معنى الحرفي" للنص) أو روحياً (وفقاً لـ "معنى المجازي" أو "الروحي" للنص)؟ هل علينا أن نثبت باعتقادنا أن الله خلق بـ 6 أيام من 24 ساعة، وأن الشمس خُلقت في اليوم الـ 4، لا قبل، ولا بعد، أو أن نأخذ بعين الاعتبار المستوى العلمي لذلك العصر؟ ما يهم بالنسبة لنا، هو المعنى الروحي: أن نكتشف ماذا يريد الله أن يقول لنا من خلال المعرفة الجزئية، الشكل الأدبي وأسلوب الكاتب المقدس في ذلك الوقت.

فلو كان كاتب الكتاب المقدس في عصرنا لكان صاغ روايات التكوين بشكل مختلف، قائلاً على سبيل المثال: "في البدء، خلق الله نيوترونات وبروتونات تطورت على حرارة 100000000 درجة مئوية، من ملايين وملايين السنين. تكثفت هذه الجزيئات وبردت لتشكل "المادة الخام" التي منها صنع الله الكون. فخلق منها أولاً الشمس التي انفصلت عنها قطعة صغيرة لتبرد وتشكل كوكب الأرض إلخ...". هذه الطريقة لتقديم الخلق لا تبدل شيئاً من الجوهر: فالله وحده هو دائماً الذي خلق كل شيء. هذا هو المهم للمعرفة الروحية.

بما أن بعض الناس يعبدون "أفاعي البحر الكبرى" (القروش، الحيتان، التماسيح إلخ...)، خاصة البحارة، يأتي التكوين 1، 21 ليضعهم، هم أيضاً، عن قصد، في خانة الحيوانات التي خلقها الله. اليوم، لو أراد أحد كتبة الكتاب المقدس استهداف بعض الأسيويين الذين يعبدون البقرة البيضاء، لكان أضاف أيضاً أن هذا الحيوان هو مخلوق من الله؛ ولكانوا استخلصوا من تلقاء أنفسهم أنها لا تتمتع بأي شيء من الألوهية وتوقفوا عن عبادتها.

لاحظ أن الإنسان وحده، من بين كل المخلوقات، هو على صورة الله (تكوين 1، 26). هذا "المماثلة" للإنسان مع خالقه ليست جسدية، بل روحية: الإنسان هو أيضاً روح، إنه ليس مخلوقاً فقط من لحم ودم وعظام. فقد أنعم الله على الإنسان بالعقل، عكس الحيوان الذي يعيش فقط على مستوى الغريزة. أن يعيش الإنسان على المستوى الجسدي يعني سقوطه.

برفعه الإنسان إلى المستوى الروحي جعله الله "يتسلط" على كل حيوانات الأرض. كما أن الله عندما انتهى من خلق الإنسان، وعند ذلك فقط، رأى "أن كل ما صنعه حسن جداً"، ليس فقط "حسن" كما لباقي الخلائق. إن الإنسان هو إذاً هدف خلق الكون (تكوين 1، 31).

هل لاحظت أن الإنسان، في الرواية الأولى، خُلق ذكراً وأنثى، الرجل والمرأة خُلقا في نفس الوقت (تكوين 1، 27)؟ بينما في الرواية الثانية، خلق الله المرأة بعد الرجل التي أخذت من ضلعه. هناك فرق آخر بين الروايتين: في الأولى، خلق الإنسان في اليوم السادس، بعد كل الخلائق الأخرى؛ وفي الرواية الثانية، خلق الإنسان أولاً، ومن ثم الحيوانات، وأخيراً، المرأة. هذا أيضاً مثل آخر على تعدد التقاليد الشفهية.

القاسم المشترك بين الروايتين هو مقصود الكاتب:

1. إن الله هو الذي خلق أول زوج بشري. بغض النظر عن طريقة الخلق.

2. على الإنسان أن يحترم المرأة وأن يعاملها بالمثل: - لأنها خلقت في نفس الوقت الذي خلق فيه (وفقاً للرواية الأولى)، أو منه، من ضلعه هو، بالقرب من قلبه (وفقاً للرواية الثانية)؛ - الرجل جُبل من تراب، أما المرأة فمن مادة أكثر تطوراً: من جسد الرجل.

هذان النصان يهدفان إذاً إلى رفع قدر المرأة في أزمنة كانت فيها منتقصة. لا يجب إذاً فهم الخلق البشري حرفياً، نظراً لاختلاف النصين. عليك اكتشاف المغذى الروحي لهاتين الصيغتين: خلق الله الرجل والمرأة متساويين ليحبّا ويحترما بعضهما البعض لأنهما خلقا أحدهما للآخر، الواحد مكمّل للآخر. وخاصة لأنهما خُلقا على صورة الله الذي هو محبة، احترام، وكرامة.

يطلب الله من الزوج البشري الأول أن "ينموا ويكثروا ويملأوا الأرض" (تكوين 1، 28). لذلك، الإنسان الذي يدين بالكثير لأبويه، لا يجب أن يتركهما إلا ليعيش مع امرأته، التي يتحد بها فيصيران "جسداً واحداً" (تكوين 2، 24). إن هذا الجو من المحبة هو الذي عليه أن يملك بين الأزواج الذين يريدون أن يبقوا على صورة الله. إقرأ ما قال يسوع بهذا الخصوص في متى 19، 1 - 12، بالإضافة إلى نصائح بولس إلى المتزوجين في رسالته إلى أهل أفسس (أفسس 5، 21 - 33). سترى فيما بعد أن الزوج البشري الأول سيفقد صورة الله بعصيانه له. جهدنا يرمي إلى استعادة تشابهنا بالآب السماوي. هذا هو هدف الوحي الإلهي.

نقطة أخيرة يجب أخذها بعين الاعتبار في هذه الرواية الأولى، هي "استراحة" الله في اليوم السابع (تكوين 2، 2 - 3). الله لا يرتاح مثل البشر، لأنه لا يتعب مثلهم. إن الإشارة إلى الراحة في اليوم السابع موجهة للبشر، ليرتاحوا يوماً في الأسبوع، بدلاً من قضاء كل وقتهم منشغلين بأمور الحياة الدنيوية وتجميع المال. الله يدعو الإنسان إلى تكريس يوم في الأسبوع للابتعاد وللتفكير بالحياة الروحية (خروج 35، 1 - 3).

هدف هذين النصين الأخيرين من كتابي التكوين والخروج هو إنقاذ الإنسان من المادية، كون أغلبية البشر لا يفكرون سوى بالمال. بعضهم فهمهما حرفياً، فذهب به الأمر إلى الاعتقاد أن الله ارتاح، ولا يزال، كل أيام السبت، وأن على الإنسان أن لا يفعل شيئاً في هذا اليوم. هذا هو حال اليهود الذين يوقفون جميع الأنشطة يوم السبت، حتى المفيدة منها (التربية البدنية إلخ...)، وصولاً إلى شلل شبه تام (منع سير الباصات، منع الطائرات من الإقلاع إلخ...). فقد ثاروا على يسوع لأنه كان يشفي في يوم السبت؛ فأجابهم يسوع أن الله، خلافاً لاعتقادهم، يعمل في كل حين (يوحنا 5، 16 - 18). في إسرائيل، الإسرائيليون المتدينون "يحترمون" السبت إلى درجة عدم المشي لأكثر من كيلومتر واحد، عدم الركوب في سيارة أجرة، أو باص، أو طائرة. توصّل الأصوليون اليهود إلى أن يتم إغلاق المطار في أيام السبت، وكانوا يرجمون الباصات التي كانت تسير في هذا اليوم. لكن عندما كان الأمر يتعلق بأخذ مبادرة الحرب يوم السبت، فلم يكونوا يترددون...! فعندما تنبّأ يسوع بالكوارث التي ستحل على إسرائيل، نصح اليهود متهكماً: "صلّوا لئلا يكون هربكم في السبت..." (متى 24، 20). أي أنه سيكون عليهم الهرب بعيداً، لمسافة لا يرضى بها لأنفسهم الذين يفهمون التوراة بحسب الحرف... هذا هو خطر التفسير الحرفي: "لأن الحرف يميت، والروح يحيي"، كما يقول بولس (كورنثوس الثانية 3، 6).

2.2 الرواية الثانية للخلق (تكوين 2، 4 - 25)

لقد سبق أن أشرت أن المرأة في هذه الرواية خُلقت من ضلع الرجل؛ هناك 3 نقاط أخرى علينا أن نأخذها بعين الاعتبار:

1. شجرة معرفة الخير والشر،
2. الأسماء التي أعطاها الإنسان إلى الحيوانات،
3. حالة الزوج البشري الأول.

1-2.2 "شجرة معرفة الخير والشر" (تكوين 2، 17)

هذه الشجرة كانت في وسط الجنة ولم تكن حقيقة نباتية، بل استعارة، إنه تصرف أو موقف سيء في نظر الله على الإنسان تجنبه تحت طائلة تحمل العواقب. على الإنسان أن يتمتع بسلوك معين تجاه الله: علاقة بنوية ودودة، بسيطة ووثيقة. لاحظ أن الأمر يتعلق بشجرة "المعرفة"، وليس أبداً بتفاحة كما يظن البعض. إنها حقيقة ذات واقع أخلاقي، لا نباتي.

كيف يجب فهم طبيعة "شجرة معرفة الخير والشر" هذه؟ هو أن يقيّم الإنسان بنفسه ما هو خير وما هو شر، دون الرجوع إلى الله. أن يظن نفسه حرّاً باعتبار ما يحذّره منه الله صالحاً. غالباً ما نسمع اليوم بعض الناس يقولون: "لماذا هذا الشيء ممنوع؟" ويذهب بهم الأمر إلى استنتاج شخصي، باسم الحرية، أنه أمر جيد... حتى ولو كان سيئاً في نظر الله (مخدرات، لواط، غلمانية، عنف، دعارة إلخ...).

لذلك قال النبي إشعيا: "ويل للذين يدعون الشر خيراً والخير شراً" (إشعيا 5، 20).

يقع بعض الناس في فخ الرغبة أو الفضول لمعرفة الشر، خوض التجربة. يفيدنا أن نعرف الخير من خلال ممارسته، لكن من المضر دائماً الاستسلام للشر. علينا أن نصلّي كي لا "ندخل في تجربة" الشر الذي يعرف كيف يكون مغرياً باتخاذه صورة الخير (راجع متى 6، 13)؛ "ولا عجب، فالشيطان نفسه يظهر بمظهر ملاك النور"، يقول القديس بولس (كورنثوس الثانية 11، 14).

شجرة معرفة الخير والشر تمثّل إذاً التجربة: رغبة الإنسان في التحرر من الله ليحكم مثله، في أن يكون مساوياً له ولا يدين له بشيء، في أن لا يطلب منه أية نصيحة، أن يقرر بنفسه، "كإنسان راشد"، أن يكون مستقلا عن الله. والحال هو أنه لا يمكننا أن نعيش مع الله في هذا الروح من الصراع، بل بروح تعاون إلهي إنساني، روح تبادل بين أب وابنه. كلنا بحاجة إلى نصيحة من فلان وعلان؛ الإنسان يستشير في عمله من هم أكثر خبرة منه، ولنيل شهادات مهنية، عليه أن يكون متواضعاً ليعبر في بداءة الأمر بالكليات. فلا يمكننا أن نكون أساتذة جيدين من دون أن نكون تلاميذ جيدين. لا يمكننا بلوغ سن النضج دون المرور بسن الطفولة. لماذا إذاً، عندما يتعلق الأمر بالله، سيد الحياة، علينا أن نفكر بـ "الاستقلال" عنه لنحكم على أمور حيوية، غالباً ما تكون معقدة وبالغة الدقة؟ هذا النوع من الاستقلال هو "شجرة معرفة" الشر التي لا نمسها من دون عقاب. يجب التغلب على الرغبة بهذا الاستقلال المزيف، وطرد هذه الأفكار المغرورة، إن أردنا الحياة. لأن التأمل كثيراً بالإغراء، كما فعلت حواء في التكوين 3، 6، يؤدي في النهاية إلى السقوط في الفخ. فلنقبل إذاً على مدرسة الله إن كنا نريد أن نتعلم ما هي الحياة الحقيقية. فلا نكون لا عملاء، ولا ضحايا للشر.

هذا هو تعليم التكوين 2، 17. هدفه هو ترسيخ الإنسان في ذهنية الله التي تهب الحياة، التي تهب الروح القدس.

2-2.2 أسماء الحيوانات أعطاها الإنسان، وليس الله

لاحظ أن الخالق لا يعطي للحيوانات أسماءها: "وجاء بها إلى آدم ليرى ماذا يسميها، فيحمل كل منها الاسم الذي يسميها به" (تكوين 2، 19). إنه أسلوب للتعبير عن حرية الإنسان ونوع من الاستقلالية التي تجعله معاوناً لله، ومتفوقاً على الحيوان. هنا يظهر وجه التعاون بين الله والإنسان في إدارة العالم، إدارة استحسنها الله لتمنح السعادة للبشر لو أنهم احترموها منذ البدء.

إعطاء اسم هو عمل دلالي ومهم تنشأ من خلاله صلة عاطفية وحميمة مع الكائن المسمى، مثل الأسماء التي نعطيها للحيوانات الأليفة التي نحتفظ بها في منازلنا، أو الأهم، الأسماء التي نعطيها لأولادنا. في حالة يوحنا المعمدان ويسوع، لأنهما أرسلا من الله، فإن الله نفسه هو الذي سمّاهما قبل أن يولدا (لوقا 1، 13 / لوقا 1، 31). ويعلن بالتالي أنهما رسولاه. بالنسبة لنا، من المهم أيضاً معرفة اسم الشخص أو حتى اسم الحيوان الأليف. فكل شيء يحمل اسماً، وما لا يحمل اسماً، لا قيمة له. لذلك لم يعطي كتبة التكوين أسماءً للشمس والقمر عندما خلقهما الله (تكوين 1، 14 - 19).

3-2.2 حالة الزوج الأول في الفردوس

المقصود هو حالة النفس، الوضع النفساني والروحي للزوج الأول. وفقاً للرواية الثانية، آدم، دون حواء، كان يشعر أنه وحيد: "قال الرب الإله: لا يحسن أن يكون آدم وحده، فأصنع له مثيلاً يعينه" (تكوين 2، 18). لكن من بين الحيوانات لم يجد آدم من يملأ فراغ قلبه: "لكنه لم يجد بينها مثيلاً له يعينه" (تكوين 2، 21). كان الرجل بحاجة إلى شخص قوي، إلى رفيقة يتحادث معها وتكون مثله، مخلوقة على صورة الله، تتمتع بالذكاء وقادرة أن تحب كي تفهمه. إنها العون الوحيد الذي يكون "مثيلاً" له.

قرر الله إذاً أن الإنسان يجب أن يكون زوجاً بشرياً، واحد مكمل للآخر: ذكر وأنثى. قرار بارع! أجرى الله أول "عملية جراحية" بالتبنيج في التاريخ البشري: "فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق، وفيما هو نائم أخذ إحدى أضلاعه وسد مكانها بلحم. وبنى الرب الإله امرأة من الضلع التي أخذها من آدم، فجاء بها إلى آدم".

هل لاحظت كيف هتف الرجل بحماس وفرح عندما رأى المرأة التي أخذت منه: "هذه الآن (ليس كما في المرات السابقة مع خلق الحيوانات) عظم من عظامي ولحم من لحمي". الرجل مسرور بشكل واضح لرؤية نفسه مع كائن مثله، شخص من جنس آخر منبثق منه.

ردة فعل الرجل الأولى كانت الرغبة بإعطاء اسم لهذه الإنسانة الفاتنة الواقفة أمامه. لا يسألها عن اسمها، لأنه يعلم أنها لا تعرف؛ "هذه تسمى امرأة فهي من امرئ أخذت". إسم الرجل قد أعطي حصراً لشريكته البشرية. إنها، بعكس الحيوانات، الانعكاس الأنثوي لوجهه هو. يعرف نفسه من خلالها. لأنها لحم من لحمه، "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتحد بامراته، فيصيران جسداً واحداً" (تكوين 2، 24 / متى 19، 3 - 6).

بالتالي، باتحاده بامرأته، يجد الرجل نفسه، يكتمل؛ يعيد الضلع الذي اجتث منه إلى مكانه. لذلك يدين الله، في الإنجيل، الذين، في نهاية الأزمنة، ينهون عن الزواج (كما يفعل بعض رجال الدين): "والروح (الله) صريح في قوله إن بعض الناس يرتدون عن الإيمان في الأزمنة الأخيرة، ويتبعون أرواحاً مضللة وتعاليم شيطانية... ينهون عن الزواج" (تيموثاوس الأولى 4، 1 - 3). هذا لا يعني أن على الزواج أن يكون فرضاً معنوياً: بعض الناس يجدون في الله الزوج الذي يتوق إليه قلبهم. هذا الاتحاد الروحي مع الله هو نداء إلهي لجميع البشر؛ إن كان بصورة مباشرة، من خلال عزوبية اختيرت بحرية، أو من خلال الزواج. على أي حال، على الله أن يكون الحب الأول؛ هو الذي يوجه بعدئذٍ إمّا نحو العزوبية وإمّا نحو الاتحاد الزوجي. لا توجد قاعدة مطلقة مع الزواج أو ضده. لكل دعوته، كل الدعوات هي مقدسة بالتساوي بما أنها ممارسة فعلية للمشيئة الإلهية. ليس النعيم سوى ثمرة إتمام هذه المشيئة.

بأية حالة نفسية كان الزوج الأول في الفردوس؟ كان الرجل والمرأة ينعمان بالسعادة لأن الله خلقهما طاهرين، بريئين، دون أية لطخة: كانا مرتاحي الضمير. من أين إذاً جاء الشر؟ فالخالق لم يضع فيهما أية أفكار سيئة. وكيف يمكن لله، وهو الخير المطلق، أن يضع الشر في نفس وتفكير الإنسان الذي خلقه؟ من الخير لا يأتي إلا الخير. لذلك كان آدم وحواء سعيدين، بلا هموم دنيوية ومن دون عقد نفسية تأكلهما. بسلام مع الله ومع بعضهما البعض، "وهما لا يخجلان" (تكوين 2، 25). كانا ينظران لبعضهما البعض وجهاً لوجه دون أن يحمرا خجلاً من فكرة غير لائقة تتعلق بهما، وكان باستطاعتهما أن ينظرا إلى الله وجهاً لوجه.

ليس إلا بعد تمردهما على الله حتى عرف الرجل والمرأة العار. إن هذا الوضع يسود في عالمنا اليوم أيضاً بسبب نوايا البشر السيئة وتصرفاتهم الظالمة على مر القرون. لم يعد الناس حقاً ينظرون لبعضهم البعض وجهاً لوجه وبات ظل الشر يحوم في معظم الضمائر. قليلون هم، على سبيل المثال، الذين ينجحون في مقاومة إغراء المال، المجد، السلطة، أو في رؤية جسد عار دون أن تصبح لديهم رغبات منحرفة، غير متوازنة أو مكبوتة. لكن في البدء لم يكن الأمر على هذا النحو: كان الرجل والمرأة ينظران لبعضهما بحب حقيقي، عميق ونقي. كانا طاهرين، "عريانين" من كل خطيئة ومرتديين ثياب نعمة الله، يعيشان بشكل دائم مع الخالق.

بما أن الله قد خلق الإنسان في البراءة، كيف دخل الشر إلى العالم؟ هذا ما سيكشفه لنا الفصل الثالث من كتاب التكوين. إقرأه قبل متابعة هذا الدرس، لتتمكن بالتالي من فهم التفسير الذي سيتبع. لكن قبل ذلك، عليك أن تدرك الفرح الذي شعرتَ به من خلال فهمك لما تعلّمته. هل شعرت برئتي روحك تتمددان وتتنفسان أكسجين الفرح الروحي باكتشاف الحقيقة حول مسائل كتابية كانت غامضة بالنسبة لك؟

3.2 تمرد الإنسان على الله (تكوين 3)

من خلال هذه القصة الرمزية التي أتيت على قراءتها، يعلمنا كتاب التكوين كيف دخل الشر إلى العالم: لقد اقترف الإنسان غلطة تصديق الشيطان، بدلاً من العمل بنصائح الله. هنا، الحيّة ترمز إلى الشيطان الماكر. الإنسان إذاً هو نفسه من أدخل الشر إلى العالم. وهو في الواقع المسؤول الوحيد. فضّل تصديق الشيطان وتجاهل نصيحة الله النزيهة. بسقوطه في شرك وجهات نظر هذا العدو، أصبح الإنسان عبداً للشيطان. فعجّل بنشر الأفكار الضارة والرغبات الشيطانية في قلوب الأجيال اللاحقة. فحصل الشيطان، من بعد أتباعه، على رعاعٍ على الأرض لإبعاد البشرية عن الله. إن قصة الخلاص بكاملها تشتمل على تطهير الإنسان من خلال إعادة بث أفكار الله فيه، وتحريره بالتالي من التأثير الشيطاني. الإنسان المحرر من الشيطان سيتمكن من أن يطلب بحرارة من الله: "فلتكن مشيئتك..." لا مشيئتي أبداً.

لقد تقرّب الشيطان من المرأة، لا من الرجل، لأن هذا الأخير، الذي كان قد تكلم مع الله، كان من الصعب إغراءه. لاحظ الحيلة التي استعملتها الحية الشيطانية مع المرأة. كي تتأكد من عدم تعرضها للرفض من قبل المرأة، استهلت الحية كلامها بأسلوب ماكر بطرحها سؤالاً بسيطاً، إنما بطريقة محرّفة للنصيحة الإلهية: "أحقاً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟". هذه الطريقة بعرض المشكلة كانت تخفي بذور التمرد على الله. كان إبليس يريد دفع المرأة إلى العصيان بجعلها تعتقد أنه لا يجب عليها أن تأكل من "جميع الشجر". قبل التدخل الشيطاني، كان الزوج البشري راضياً بقدره.

ثم أوضحت المرأة للشيطان: "من ثمر الشجر نأكل، وأمّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا". كان الشيطان يعرف ذلك! لكن الحديث كان قد فُتح، وهذا ما كان يهمّه. كان ذلك أول انتصار شيطاني على البشرية. فأصبح بإمكانه، بعد أن كسب أذن أم البشر، متابعة الحديث الداخلي القديم العهد مع البشرية بأكملها. واصل بجرأة حديثه مع المسكينة الغافلة: "لن تموتا، ولكن الله يعرف أنكما يوم تأكلان من ثمر تلك الشجرة تنفتح أعينكما وتصيران مثل الله تعرفان الخير والشر". أغريت المرأة بفكرة أن تكون مستقلة مثل الله، أن تقرر بنفسها ما هو خير وما هو شر.

الأسوء في كل ذلك هو أن الشيطان أعطى فكرة سيئة عن الله، فكرة أنه طاغية يغار على سلطته، طمّاع ويريد أن يعيق تطور الإنسان بمنعه من التغذي من شجرة المعرفة. بينما العكس هو الصحيح: فقد نصح الله الإنسان أن لا يأكل منها لئلا يموت، بل أن يكون خالداً مثل الله: حياً وسعيداً إلى الأبد. لأن موت الإنسان يعود إلى التمييز الخاطئ بين الخير والشر. كي نصير "مثل الله"، علينا أن نفكر "مثله"، أن نميز مثله. هذا هو الروح القدس الذي قال لنا يسوع أن نطلبه من الله (لوقا 11، 13). هذا الروح يهب الحياة الأبدية و، من خلاله، نصير مثل الله، خالدين.

كيف كان على المراة أن تتصرف أمام مقدّمات الشيطان؟ بلامبالاة! إنها أعظم الاحتقار. كان عليها، على الأقل، أن تكون فطنة وتسأل عن هوية مخاطبها: "من أنت؟". هي التي على صورة الله، كان عليها أن تقارن هذه الصورة بالصورة التي كانت تخاطبها. ذلك كان موقف مريم العذراء، من الناصرة، أمام الملاك جبرائيل: "فاضطربت مريم لكلام الملاك وقالت في نفسها: ما معنى هذه التحية؟" (لوقا 1، 29). لو تساءلت "حواء" عن معنى كلام مخاطبها الخبيث، لكانت أربكت الحية الملعونة. فالشيطان كان يعرف جيداً أن الله لم يحظر على الإنسان الأكل من جميع أشجار الجنة؛ المرأة أيضاً كانت تعرف ذلك؛ وكان عليها التدرع بالحكمة لإرباك الشيطان. لكن التكبر أعماها: أن تصير مثل الله. بأي حال، إن الله نفسه يريد أن يجعلنا "مثله". لا نستطيع أن نصير مثله إلا من خلاله. أراد الإنسان أن يصير مثل الله من دون الله. هنا تكمن غلطة الإنسان.

خضعت المرأة وجرّت زوجها في احتدادها على الله. بعد أن "أكلا" من الثمر المحرم، فُتحت أعينهما، تماماً كما قال الشيطان للمرأة، إنما ليكتشفا سخافة الحالة التي وضعا نفسيهما فيها طوعاً. لقد شعرا بالعار من جراء غلطتهما مدركين أنهما لن يشاهدا الوجه المحيي لله بعد ذلك، بل الوجه البشع لمضللهما الشيطاني. على هذا المشهد المؤسف فُتحت أعينهما مدركين أنهما قد تعرضا للخداع. جاء يسوع ليعيد فتح أعين المؤمنين به على وجه الله المحيي: "هنيئاً لأنقياء القلوب لأنهم يشاهدون الله" (متى 5، 8).

شكلت هذه التجربة صدمة للثنائي البشري الأول. لم يعد أي شيء كما كان، كل شيء تغير بينهما والله من جهة، وبين بعضهما البعض من جهة أخرى. لم يعودا يجرؤان على النظر إليه وجهاً لوجه، ولا حتى على النظر إلى بعضهما البعض. أدركا أن سعادتهما كانت بنعمة إلهية، وأنهما قد خسراها. شعرا عندئذٍ أنهما عريانان، محرومان من نعمة الشعاع الإلهي. أراد الإنسان تجربة الشر، فذاق مرارة الشر. هذا الطعم المر للعدم يعود إلى انشقاق النفس التي تقاوم الله عنه، تاركاً إياها في العزلة، فريسة لليأس. لأن الله يعرض نفسه، لكنه لا يفرضها أبداً.

نجح الشيطان بإبعاد الإنسان عن الله. هكذا، كانت التعاسة، البؤس والعار هي "الثمار" التي قطفها الإنسان من "الشجرة" التي لم يكن عليه أن يأكل منها. هذه المشاعر المحبطة هي مصدر العقد البشرية وكل أنواع اختلال التوازن: الشعور بالذنب، الدونية، التواضع الزائف، إلخ... غالباً ما يحاول الإنسان النهوض، إنما ليقع في الطرف النقيض: الوقاحة، التكبر والغرور، الفجور، إلخ... لا يستطيع الإنسان أن ينهض من دون الله.

يُعرف سقوط الزوج البشري الأول بـ "الخطيئة الأصلية". لم تقتصر تبعاته على آدم وحواء، بل لطّخت نسلهما أيضاً. لقد ورثنا جميعاً وصمة هذه الخطيئة الأصلية، تماماً كما يقاسي الولد تبعات خلل عائلي أو اجتماعي.

العار كان يخنق الرجل والمرأة إلى درجة أنهما لم يقدرا على تحمل عورتهما. أوراق التين إذاً التي صنعا منها مئزراً ليسترا عورتهما هي رمزية: إخفاء الخطيئة التي ارتكبوها روحياً من خلال ستر الجسد. والحال هو أن الغلطة قد حصلت على مستوى النفس. الكتاب المقدس غالباً ما يستعمل عبارة "كشف العورة" لكشف النوايا الحقيقية للنفس، لإدانة الجرائم والأخطاء (مراجعة إرميا 13، 26 / مراثي إرميا / ناحوم 3، 5 / كورنثوس الثانية 5، 1 - 5). الرجل والمرأة لم يريدان أن يراهما الله بحالتهما البائسة، فسترا جسديهما. للمرة الأولى، خافا من مواجهته تعالى. عندما اقترب الله منهما، وضميرهما ملطخ، حوّلا عيون نفسيهما، مثل كل المذنبين عندما يشعرون أنهم انكشفوا. آدم وحواء اختبأا عندما سمعا الله يقترب، بدلاً من أن يهرعا إليه بعفوية. هذا الهرب من وجه الله قد وسم البشرية: الإنسان يخاف الله، يتجنب نظره ويبتعد عنه. هذا هو ميراث الخطيئة الأصلية.

لاحظ أنه لا الرجل ولا المرأة قد طلبا الغفران. الرجل يرمي باللوم على المرأة و، بطريقة غير مباشرة، على الله لأنه أعطاه إياها: "المرأة التي أعطيتني لتكون معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت". وكأنه يلوم الله لأنه أعطاه الرفيقة التي كانت بهجته من قبل. المرأة، بدورها، تضع المسؤولية على الشيطان. كم كان رائعاً لو أن الرجل والمرأة طلبا سوياً الغفران من الذي ما لبثا أن أهاناه: "الاعتراف بالخطأ فضيلة"، كما يقال. لكن الإنسان يفضل، في معظم الأحيان، تبرئة نفسه وإلقاء المسؤولية على الغير.

آدم وحواء... هما نحن أيضاً! كيف يمكن إصلاح الخطأ؟ من يهتم؟ عندما نخطئ، علينا أن نعتذر. كم من الناس يطلبون المغفرة من الله من كل قلبهم، لا من رؤوس شفاههم؟

ماذا كانت بالتحديد طبيعة الخطيئة البشرية الأولى؟ كثير من المعلقين والمفسرين قد حاولوا فهمها. أعتقد، مثل بعض المفسرين، أنها كانت محاولة بشرية لاغتصاب السيادة الإلهية: خلع الله والاستيلاء على عرشه، الاكتفاء الذاتي واتخاذ القرار بأمور الحياة من دون الله، أن يختار الإنسان بنفسه ما هو خير وما هو شر، مقرراً وحده ما يجعله سعيداً أو تعيساً. سقوط الإنسان فتح له عينيه: فأدرك أنه من دون الله لا يمكنه أن يحظى بكمال السعادة. شعر بالعار. يسوع أتى ليعيد لنا الله، ليضعنا من جديد في حضرته المحيية. لهذا السبب دعاه الأنبياء الذين بشروا بمجيئه "عمانوئيل" الذي عني بالعبرية "الله معنا" (أشعيا 7، 14 / متى 1، 22). يسوع يعيد الإنسان إلى الله. ليس هناك من طريق آخر (يوحنا 14، 6)؛ الغفران الإلهي يُكتسب بالإيمان بيسوع (يوحنا الأولى 2، 12 / كولوسي 2، 13).

يظن البعض أن الخطيئة الأصلية كانت ذات طابع جنسي. لا يبدو الأمر كذلك بما أن الله قد طلب من آدم وحواء أن يكثرا ويملأا الأرض (تكوين 1، 28). مع ذلك، لو أن هذه الخطيئة قد أخذت شكل تصرف جنسي، فلأن هذا التصرف قد تم من دون الله أو بروح تحد لله، روح شهوانية صرفة، على مستوى الغريزة واللذة الجسدية فقط (كما يفعل كثيرون في عالم الإباحية)، مع استثناء مشاعر الحب العميق والاتحاد الروحي للزوجان بالله.

كان هذا سيفسر لماذا، بعد الخطيئة، يقول الله للمرأة: "إلى زوجك يكون اشتياقك (رغبة جنسية)..." (تكوين 3، 16). بعد الخطيئة، لن يكون القلب هو الذي سينظم العلاقات بين الرجل والمرأة، بل الرغبة الجنسية: ومنذئذٍ "يسود" الرجل على المرأة، كما نلاحظ في عدة مجتمعات منذ الأزمنة الغابرة. فُقد الانسجام بين الزوجين تاركاً المكان لعدم توازن متزايد يُصعب تذليله. نلاحظ هذا الاختلال الذي يؤدي إلى الطلاق، إلى تعدد الزوجات، إلى الزنى، وإلى حالات تكون مأساوية في أغلب الأحيان في عائلات العالم أجمع. هذه هي ثمرة روح الشيطان الذي أدخله الأنسان في قلب البشرية بالخطيئة الأصلية.

علينا أن لا نظن أن والدينا الأولين هما وحدهما مسؤولان عن هذا الخطأ المأساوي: مليارات البشر بعدهما، حتى يومنا، يستمرون بمفاقمة الوضع، معلنين بذلك تضامنهم مع خطيئة الزوجين الأولين، دون التفكير بأخذ العبرة من الماضي. أيضاً، ملايين البشر يقاومون روح الله مفضلين روحهم أو روح الحية القديمة التي ضللت الإنسان الأول.

الإنسان العصري، المنبهر بالعلم المزيف والمنفوخ بالكبرياء، يصر على الاعتقاد أنه قادر على الاستغناء عن الله؛ يريد أن يحكم وفقاً لرأسه الصغير بما هو خير وبما هو شر له. هكذا وصلت البشرية إلى التلوث المادي والخطر النووي اللذان يشكلان تهديداً حتى على وجود الإنسان. التلوث الروحي هو أيضاً أشد خطراً وينجم عن إهمال الإنسان لإرشادات السماء ولا يصغي سوى إلى إيحاءات الجحيم. وعندما يكون الإنسان بحالة سيئة، بدلاً من أن يعيد النظر في وضعه، يحقد على الله... الذي كان مع ذلك قد طلب منه أن لا يقوم بما يجعله مريضاً وتعيساً. فكّر بالمدنين على المخدرات ومثليي الجنس الذين أعلنوا حنقهم على الله بعدما أصيبوا بمرض "السيدا"... ذلك يشبه المريض الذي يرفض أخذ الدواء الذي وصفه الطبيب؛ فيتفاقم مرضه ويفجّر غضبه في وجه الطبيب... بدلاً من أن يتحمل مسؤولية قراراته ومصائبه.

لاحظ أن الله لا يلعن سوى الشيطان، لأن هذا الأخير كان يعلم جيداً ماذا كان يفعل. لكن الرجل والمرأة لم يكونا مدركين تماماً لخطورة وتبعات عملهما. أيضاً، هل يلمح الله أمل افتداء في المستقبل من خلال إعلانه أن نسل المرأة سيأخذون بالثأر وينتصرون يوماً ما على نسل الشيطان. فقد قال الله للحيّة: "أنت ملعونة من بين جميع البهائم... بينك وبين المرأة أقيم عداوة، وبين نسلك ونسلها. فهو يترقب منك الرأس، وأنت تترقبين منه العقب" (تكوين 3، 15). هذه الآية هي بمثابة إعلان أول عن مجيء نسل بشري، المسيح الذي سيخلّص البشر من السجن النفسي والروحي الذي طرحتهم به الشياطين. المرأة ونسلها اللذان سيسحقان رأس الشيطان هم العذراء مريم وابنها يسوع مع كل خاصته، البشر الصالحين في العالم أجمع.

في رحمته اللامتناهية، يهب الله الإنسان فرصة استعادة نفسه، إصلاح غلطته. يُرمز إلى ذلك بالثياب الجلدية التي ستر بها الله عورة الإنسان. آدم وحواء أرادا ستر عارهما بـ "ورق التين" (تكوين 3، 7). هذه الثياب ليست متينة. أيضاً الله، كأب صالح، صنع الله لهما "ثياباً من جلد وكساهما" ليعبّر عن تعاطفه ويشجع الإنسان على البحث عن طريق للخروج من مأزقه. ذلك يسمح للذين يحبون الله أن يهتدوا إلى طريق العودة إليه، عارفين أنه متفهم، أنه سيساعدهم على التجدد على صورته التي أفسدتها الخطيئة (رومة 5، 12 - 16 / كولوسي 3، 10). لأن لخطيئة تدمّر فينا صورة الله. من خلال الخطيئة شكّل الشيطان البشرية على صورته. فجاء يسوع ليعيد للإنسان صورة الله.

بعد السقوط، "سمّى آدم امرأته حواء لأنها أم كل حي" (تكوين 3، 20). هذا الاسم الجديد حواء يدل على حالة جديدة: لم يعد موقع المرأة نسبة للرجل، بل نسبة لرسالتها الكبيرة: إعطاء الحياة للبشرية. لأن حواء، بالعبرية هي "هافا"، التي تعني "الحياة". لاحظ أن اسم الرجل "آدم" ليس مذكوراً. سمّي آدم فيما بعد نسبة إلى أصله، لأن "آدما" بالعبرية تعني "تراب"، "صلصال" أو " طين" الذي منه خلق الله الإنسان. من حيث اسمه "آدم" الذي يُترجم إذاً "ترابي"، "صلصالي" أو "طيني" نسبة إلى أصله. يُذكر اسم آدم للمرة الأولى في التكوين 4، 25.

بعد السقوط، تغير موقف الله من الإنسان: بلذعة من التهكم، يقول الله عن خليقته: "صار آدم كواحد منا يعرف الخير والشر". استحق الإنسان هذه السخرية. استحق أيضاً أن يستبعد من الجنة قبل أن يقترف حماقة أخرى: "والآن لعله يمد يده إلى شجرة الحياة أيضاً فيأخذ منها ويأكل، فيحيا إلى الأبد..." (تكوين 3، 22). سخرية أخرى مهينة استحقها. لأن الإنسان كان يريد أن يحيا إلى الأبد... مثل الله... دون أن يموت، إنما على الأرض، ودون أن يكون عليه أن يمثل أمام الديان السرمدي. أليست هذه رغبة كثير من الناس الذين يسعون وراء أمصال طول العمر؟ ومن خلال وسائل أكثر سخافة: شركات تحنّط أجساد الزبائن المهتمين وتحفظها في ثلاجات خاصة لقاء أثمان باهظة بانتظار اكتشاف الدواء "العجيب" الذي يعيد إلى الحياة الجسدية، لحقنه في الجثة و "إحياء" الزبون... الذي ستغمره البهجة لاستعادة الحياة في هذه الدنيا... يجب على شركات "الإحياء" هذه أن تكون هي أيضاً ما زالت على قيد الحياة...!

ماذا يعني أن يُطرد الإنسان من الجنة؟ هل أن يُنفى من مكان أرضي؟ لا، ليس هذا هو المقصود: الجنة التي نتكلم عنها هي حالة الروح: النعيم. كان الإنسان في منتهى السعادة قبل أن يقرر تحمل مسؤولية نفسه، قبل أن "يتحرر" من الله. لقد أعطى الخالق كل شيء للإنسان، مجاناً. فهذا الأخير لم يكن يعوزه شيء، لا على الصعيدين الروحي والنفساني كونه كان مغموراً بمحبة خالقه، ولا على الصعيد المادي كونه كان مغموراً بخيرات الأرض. كانت الحياة من دون هموم على جميع الأصعدة. الذي يجعل الحياة صعبة، لا بل مستحيلة في بعض الأحيان، هو الأنظمة الإقتصادية التي أدخلها أناس طمّاعين طامعين بالهيمنة، هو الأنماط الحياتية المؤذية (حياة دنيوية مكلفة، مشروبات كحولية، سيجار، سجائر، ألعاب الميسر، كازينوهات، ثياب من تصميم مشاهير الخياطين إلخ...). غير أن الأرض تنتج بهدوء واستمرار للجميع. المحصول وافر إلى درجة أن بعض البلدان الغنية تملك فائضاً يُتلف للحفاظ على الأسعار مرتفعة، بدلاً من أن يوزع على بلدان العالم الثالث الذي يموت من الجوع. المجموعات الصناعية والشركات الاستهلاكية لم تجعل الإنسان سعيداً: إنها البطالة، التضخم، عدم الرضى في العالم. القسم الكبير من الاقتصاد العالمي مكرس للأسلحة المخصصة للدمار... والأرض التي خلقها الله تستمر بإعطاء الإنسان أفضل ما عندها... والإنسان ينصبّ على جعل الأرض أقل قابلية للسكن وأقل قدرة على إطعامه، بعد أن لوّثها بالنفايات الضارة (كالنووية وغيرها) الذي أشبعها بها.

الإنسان يعاند دائماً على عيش حياتـه كما يريد، من دون الله. والنتيجة؟ الأثرياء عندهم كل ما يمكن للمال أن يشتريه، لكنهم مع ذلك غير راضين: لأن المال لا يمكنه أن يشتري السعادة وراحة الضمير. بالرغم من البحبوحة التي يعيشون بها، كثير من الأغنياء يفضلون الانتحار على الحياة. ذلك لأن حياتهم خالية من الله. "إستقلال" الإنسان جعل حياته قاسية وكريهة. لذلك قال الله للإنسان إن الأرض ستكون ملعونة "بسببك (بسبب غلطتك). بكدّك تأكل طعامك منها طول أيام حياتك. بعرق جبينك تأكل خبزك (بسبب إدارتك السيئة)" (تكوين 3، 17 - 19). الإنسان يميل دائماً إلى عدم الإصغاء إلى نصائح الخالق، مفضلاً أن يكون محاطاً بمرشدين بشريين أقل فعالية. مع أن الله هو هذا "المشير العجيب" الذي يتكلم عنه إشعيا (إشعيا 9، 5).

هكذا، حُرم الإنسان من السعادة برفضه الينبوع من تلقاء نفسه. منذ ذلك الوقت وهو تائه باحثاً عن بديل للسعادة الحقيقية، معتقداً حيناً أنها موجودة في المال، وحيناً آخر في الملذات والمجد الباطل. يقول النص في كتاب التكوين إن "الرب الإله أخرج آدم من جنة عدن ليفلح الأرض" (تكوين 3، 23). إن طرد الله آدم، فلأن هذا الأخير كان مصراً على أن عيش حياته من دون تدخل من الله؛ فليذهب إذاً ويتعب بفلاحة الأرض، هذه الأرض التي كانت مهيأة لأن تعطيه كل شيء من دون تعب (إقرأ متى 6، 24 - 34). لكن الإنسان فضّل الاستسلام لغمر المادة.

السقوط الأصلي كان له تبعتان مؤسفتان على البشرية بأجمعها:

1. الأولى، الأكثر ضرراً، هي ذات طابع نفسي وروحي:

روح الإنسان ونفسه سقطتا في الجسد، وأصبحتا خاضعتين للجسد، فاقدتين للحس، وكأنهما تحت تأثير البنج. الصدمة التي تعرضا لها جعلتهما يفقدان الوعي بكل ما للكلمة من معنى. بالتالي خسر الإنسان قواه الروحية والنفسية، وأصبح هشاً ضعيفاً، غير قادر على التكيف من الداخل. هذا السقوط يؤدي إلى تيهان القلب والفكر، فيستولي القلق على النفس البشرية. شعراء، فلاسفة ومفكرون، على مر العصور، حاولوا عبثاً فهم وتحليل أسباب الخوف البشري. وحده الوحي الإلهي سينيرنا.

عصيان الإنسان أدخل الشيطان في لاوعي البشرية أجمع. حصل الشيطان على حق الإقامة والتدخل بإرادة الإنسان وأصبح يتكلم باسمه. يتنكر، مغتصباً هوية الإنسان. هكذا، عندما نقول "أنا" أو "أنا أريد"، نحن بحاجة لأن نميّز المتكلم. من هو هذا الـ "أنا"، من يتكلم فينا؟ من الذي يرغب؟ الله، الشيطان، أو نحن أنفسنا؟ هنا يكمن أساس التمييز. يأتي المسيح "ليعيد ربطنا" بالله ويحررنا من التشويش الشيطاني. لهذا يقول لأعدائه: "أنتم أولاد

أبيكم إبليس، وتريدون أن تتبعوا رغبات أبيكم" (يوحنا 8، 44). لم يكونوا مدركين لذلك، غير أنهم كانوا موافقين. علينا دائماً أن نتأكد من أن ما نرغبه يتوافق مع مشيئة الله، مع مخططه لتحرير البشرية.

بسقوطه الكلي بالجسد، لم يكن باستطاعة الإنسان اكتشاف حياة النفس إلا انطلاقاً من الأحاسيس الجسدية، بما أن التفكير والأحاسيس كانوا محبوسين في الجسد. منذئذٍ والإنسان يعيش بطريقة مبتذلة، غير قادر على أن يستعيد بنفسه، وفي ذاته، حياة النفس التي لم يعد يذكر منها سوى حنين غامض.

بالرغم من ذلك، يمد الله يده للإنسان من خلال يسوع. من يمسك بهذه اليد الإلهية يرى نفسه ترتفع إلى غايتها الأصلية. هذه العودة للنفس إلى الحياة يدعوها الإنجيل "القيامة الأولى" (رؤيا 20، 5 - 6 / يوحنا 5، 25 - 26).

2. التبعة الثانية هي ذات طابع مادي وزمني:

حياة الإنسان على الأرض أصبحت أصعب بسبب خطيئة الإنسان نفسه.

كل رواية الخلاص البشري تهدف إلى إخراج الإنسان من الورطة التي أغرق نفسه فيها بملء إرادته. كان بحاجة إلى كل محبة وعبقرية الله، خالقه الحنون، لإخراجه من ضلاله من خلال رسوله: يسوع.

العبرة من هذه القصة هي أنه لا يجب التحاور مع الإغراء: لا نتحاور مع الشيطان، كما لا نلعب بالنار. علينا أن لا نفعل كما فعلت حواء التي تأخرت في النظر ملياً بالمحظور، فنعتبره حسن في حين أن الله قال إنه يجلب الموت. علينا أن نصدّق الله، حتى لو "ظهر" الشر بمظهر الخير بنظرنا. فلتعيننا خطيئة حواء على كشف الموت الذي يتجلى لنا بشكل يحاول إغواءنا. لنفعل مثل مريم، هذه الفتاة الشابة ذات القلب الطاهر التي استحقت أن تكون والدة المسيح، مخلص البشر. التي لم تقبل أبداً أن تصغي إلى صوت "الحية" الشيطانية المضلل، بل تجاهلته بكل بساطة، دون أن تكون عيناها وأذناها إلاّ لله تعالى، لتحقيق مشيئته هو. لهذا السبب دُعيت "حواء الجديدة"، أم الأحياء الجديدة، أي أم المؤمنين، هي التي يسحق أولادها رأس الشيطان (تكوين 3، 15).

لقد أسهبت في شرح الفصول الثلاثة الأولى من كتاب التكوين كي أغرس فيك الروح الذي يمكنّك من فهم الكتاب المقدس وفقاً لمقصود الله. حذار من فهم الروايات التي قرأتها عن الخلق والسقوط حرفياً. بل إبحث عن المعنى الروحي العميق من خلال الرموز، دون التقيد بالمعنى الحرفي الذي يغلق أفق البحث والفهم. الكون لم يُخلق في ستة أيام، ولا الشمس في اليوم الرابع؛ الحية لم تظهر عملياً لحواء: هذه الحية ترمز إلى الأفكار التي يوحي بها الشيطان للإنسان بشكل عام وليس بالضرورة للمرأة بشكل خاص، بوسائل خبيثة وملتوية مثل الحية، ليغويه من دون أن يتم كشفه.

من جهة أخرى، يمكننا أن نؤمن بنظرية التطور دون أن نتوقف عن الإيمان بالله. في هذه الحالة، لكان الله خلق بطريقة قابلة للتطور. لا يوجد أي قاعدة علمية تدعم الذين يزعمون أن التطور يدل على عدم وجود الله: إن كان هناك تطوّر، فهناك إذاً "الذي" يطوّر: الله. إنه هو "مبرمج" هذا التطور، كما ينمو (يتطور) الجنين من بذرة بالغة الصغر، ليبلغ نموه البشري الكامل. الذين يؤمنون بالنظرية الثباتية (أي أن الله خلق الإنسان كما هو، دون أن يكون قد تطور من درجة حيوانية أدنى) وأنصار التطور يتفقون بالتالي على نقطة الكتاب المقدس الأساسية: الله هو الخالق الأوحد. يبقى للعلم أن يحدد طريقة الخلق!...

إقرأ الآن الفصل 4 من كتاب التكوين قبل متابعة هذا الدرس.

4.2 قايين وهابيل: الإنسان يقتل أخيه الإنسان (تكوين 4)

لقد انتهيتَ من قرأة قصة رمزية تكشف كيف انتشر الشر في العالم بين الإنسان والإنسان، أخيه، بعد أن اقترفه الإنسان ضد الله، "أبيه".

هذه القصة، كالقصص التي سبقتها، هي قصة رمزية لا يجب أن نفهمها حرفياً، كونها لم تحصل بالفعل. لأنه لم يكن يوجد على الأرض سوى آدم وحواء وولديهما؛ من يكون إذاً هذا الذي كان قايين يخاف من أن يقتله (تكوين 4، 15)؟ المقصود إذاً هي الأجيال واسما قايين وهابيل هما رمزيان،لا يمتان بصلة إلى أي حقيقة تاريخية. ففي كل يوم يقتل قايين أخيه هابيل.

لماذا رفض الله تقدمة قايين ورضي عن تقدمة هابيل؟ هناك تعليم يريد الكتاب المقدس أن ينقله إلينا. كثير من الناس يتوقفون على السياق التاريخي لهذه الرواية، دون أن يحاولوا اكتشاف مغذاها الأخلاقي.

كي نفهم هذا النص، علينا أن نقرأ بين السطور. لاحظ أن قايين قدّم "تقدمة من ثمر الأرض" (...لا يهم أي ثمر... لكنه بالأحرى الثمر الرديء كي يتخلص منه... وليتمم هذا الفرض الثقيل أي أن يقدم شيئاً للرب). بالمقابل، "قدم هابيل من أبكار غنمه (من أفضل ما عنده) ومن سمانها (الدهن الثمين الذي يستعمل للطبخ... لكن بالنسبة لهابيل لا شيء أطيب من أن يقدم لله)". هذا يعني أن قايين قدّم تقدمته مرغماً، بجشع وإكراه، من دون محبة. أمّا هابيل، بالمقابل، فقد قدّم أفضل ما عنده بعفوية ومن كل قلبه. نتيجة لذلك يمكننا أن نفهم موقف الله. نحن نتصرف بنفس الطريقة وغالباً ما نرفض، نحن أيضاً، هدية من أناس سيئي النية.

إنّ رفض هدية من أحد ما، هو بمثابة رفض للشخص الذي يقدمها. يجب أن تكون هناك أسباب وجيهة لمثل هذا التصرف. أمام رفض الله، كان على قايين أن يدرك مدى تقصيره، بإيلاء الاعتبار لكرامة الذي إليه أراد أن يقدم هذه الهدايا المنقوصة. كان عليه أن يستجمع نفسه، أن يعتذر، ثم يستعيد شرفه بتقديم قربان مقبول عن طيب قلب.

يقول الله للكهنة اليهود على لسان النبي ملاخي: "تقولون تعبنا من هذا كله، وتتأففون علي. تجيئون بالمغتصَب والأعرج والسقيم وتقربونه تقدمة لي. أفأرضى بهذا من أيديكم. أنا الرب؟ "(ملاخي 1، 13 - 14).

النبي عاموس يقول أيضاً لليهود من قبل الله: "إذا أصعدتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرضى بها" (عاموس 5، 22)، ثم يضيف أن التقدمة التي يرضى بها الله هي ممارسة العدل والصدق (عاموس 5، 24). لأن هذه القرابين كانت تقدم بروح قايين لذلك رفضها الله.

كل ما يُعطى دون محبة ليس له أي قيمة بالنسبة لله. لقد أثنى يسوع على المرأة الفقيرة التي وضعت درهمين فقط في صندوق الهيكل قائلاً إنها ألقت أكثر مما ألقاه الأغنياء، كونها أعطت من قلبها ومن حاجتها، لا من الفائض عنها (لوقا 21، 1 - 4). بنفس هذا الروح يقول بولس إن المرء لو فرّق جميع أمواله ولا محبة عنده فلا ينفعه شيء (كورنثوس الأولى 13، 3).

بعد أن رأى قايين أنه تعرض للنبذ، هاجم أخيه بدلاً من إبداء ندمه. تفاقمت حاله، وأكلته الغيرة والحسد إلى درجة قتل أخيه الوحيد. وعندما سأله الله عن أخيه، أجابه: "لا أعرف، أحارس أنا لأخي؟" بعيداً عن كونه حارسه، أصبح جلاده! لعن الله قايين أيضاً بسبب جريمته وإصراره على الذنب وتطاوله.

لعنة قايين هي اللعنة الثانية التي يأتي على ذكرها كتاب التكوين. اللعنة الإلهية الأولى وقعت على الشيطان. هكذا يرمز قايين إلى نسل وصورة الشيطان على الأرض. هذا النسل الملعون سيكون أداة إبليس على مر القرون. أولاد المرأة، "حواء الجديدة"، مدعوون من الله لقتال والانتصار على هذا النسل الشيطاني (رؤيا 12، 17).

ماذا تعني العلامة التي وضعها الله على قايين كي لا يقتله أحد؟ إنها علامة رمزية وتمثل العنف الذي دمغ وجه هذا القاتل إلى الأبد. جبينه المقطب، وجهه المتجهم، ونظرته الشريرة، يعكسون الكراهية المتجذرة في نفسه. ليس قايين إذاً هو الذي عليه أن يخاف من أن يقتله أحد، بل على العكس، سيكون على كل إنسان أن يخشى هذا المجرم، أقله من مظهره.

إنهم قايين وأشباهه الذين يخيفون البشر، لأنه إن تعرّض قايين ما للقتل، سيثأر له "7" قايين آخرين. قايين، الذي طرده الله، يتردد في الابتعاد بحجة تعرضه للقتل. كان يرغب بالبقاء قريباً من الله، لا ليتوب ويغير حياته، بل ليكون في مأمن... ويستمر بفعل الشر. فيقول له الله ما معناه: "إذهب، أخرج من هنا: لست أنت، أيها المجرم، من يجب أن يخاف من الآخرين؛ أنت بالأحرى من يزرع الخوف في 7 آخرين"، أي في كثيرين (تكوين 4، 15). الرقم 7 هو رمزي: يشير إلى الكمال؛ قال يسوع لبطرس أن يسامح 77 مرة 7 مرات من يتوب بصدق، أي أن يسامح إلى ما لا نهاية (متى 18، 21).

ينتهي الأمر بقايين بـ "الخروج من أمام الرب والإقامة بأرض نود" (تكوين 4، 16). هذه الأرض هي رمزية: نود تعني "تيهان" بالعبرية وترمز إلى هلاك النفس. ليست إذاً مكاناً جغرافياً، بل حالة نفسية تعيسة، أسوء من الحالة التي نتجت عن الخطيئة الأصلية. لأنه لخطيئة من هذا النوع، والتي استوجبت لعنة الله، لا يوجد أمل لتحرير النفس: إنها الخطيئة ضد روح الله التي من غير الممكن غفرانها، بما أنه لا توجد توبة (لوقا 12، 10 / يوحنا الأولى 5، 16 - 17).

من خلال قايين وأشباهه، انتشر الشر وتفاقم في العالم، كون أبناء قايين قد أصبحوا أيضاً أسوأ من أبيهم الذي قتل أخيه. هذا هو معنى قصة لامِك (تكوين 4، 19 - 24). إقرأها من جديد: لامِك يهدد زوجتيه، عادة و صلة، مبدياً طبعه الشرس والبهيمي: لقد قتل رجلاً رغم أنه ما فعل شيئاً سوى أنه جرحه، وفتىً لأنه ضربه؛ لأن "لقايين يُنتقم سبعة أضعاف وأمّا للامِك فسبعة وسبعين...". بعد قايين، تفاقم العنف، وكان نسله أشد عنفاً من سلفه الذي قتل أخيه. أنت تفهم الآن بصورة أفضل عبارة "يُنتقم سبعة أضعاف"؛ إحفظ أن رمزية الرقم 7 هي الكمال أو الكفاية، كما عندما نقول: "لقد كررت ذلك 100 مرة..."؛ يراد من القول هنا أننا كررنا الموضوع عدداً كافياً من المرات كي يُفهم.

أراد الله أن يعيد الخير على الأرض فيعطي لآدم وحواء ابناً آخر: "وعاش آدم مئة وثلاثين سنة، وولد ولداً على مثاله كصورته" (تكوين 5، 1 - 3). هذا الابن الجديد هو أب البشر الذين سيحاربون الشر الذي نشره قايين ونسله.

لاحظ أن هذا الإبن الجديد، الذي دُعي شيت، هو على صورة آدم، لا على صورة الله، التي تشوهت في آدم بسبب غلطته. إنها صورة مشوهة، إلا أنها لم تُتلف كلياً وبشكل نهائي، كما كان الحال مع قايين ولامك. إن إعادة تجديد الصورة الإلهية ممكنة إذاً في حالة شيت وأمثاله. هذه "الجراحة التجميلية" الروحية تهدف إلى إعادة تشكيل الناحية الأخلاقية للإنسان على صورة الله. المثال على ذلك وجه يسوع المنير الذي بدوره يعطينا النموذج الأصلي للوجه الذي يرضي الله، وجه أمه مريم. أسلمت مريم أمرها للمشيئة الإلهية، وأجابت الملاك جبرائيل الذي بشّرها بولادة يسوع: "أنا خادمة الرب: فليكن لي كما تقول" (لوقا 1، 38). فلتساعدنا مريم على استعادة صورة الله كي نتطور نحو الكمال البشري الذي يتمثل أوجُهُ بمشابهة الله.

كذلك أيضاً، بعد خطيئة آدم، يلد الناس أولادهم على صورتهم، لا على صورة الله التي كانت كاملة بآدم قبل سقوطه. هذا هو الميراث الحزين للخطيئة الأصلية: صورة إلهية ضبابية، كأنها ضائعة المعالم وفقاً للحالة، لكن يمكن استعادتها بشروط محددة. هنا تكمن مسؤولية الأهل. أي صورة عن الله يعطيها الأهل لأولادهم؟ أي فكرة يكونون هم أنفسهم عن الله؟ هل هم مهتمون على الأقل بمعرفة الله، باكتشاف "اسمه" الحقيقي، ما هو حقاً، كي يكشفوه لنسلهم؟ هل يريدون أن يكونوا أهلاً صالحين بمساعدة أولادهم على التطور أو إمّا بجعلهم يتوقفون على صورتهم هم المشوهة؟ كثير من الأسئلة يدعونا هذا النص إلى طرحها على أنفسنا في برنامج التحرر من الحالة وإدراك الذات الذي باشرنا به في بداية هذا المسار الروحي. الصلاة التي علّمها يسوع: "أبانا ليتقدس اسمك"، تأخذ كل أهميتها وتعني: "أبانا لنعرفن وجهك الحقيقي كي نعكسه".

سمّت حواء ابنها الجديد شيت (بالعبرية "شاة" يعني "عوض"). سمّته كذلك لأن الله "عوضها نسلاً آخر عوضاً عن هابيل". شيت هو على صورة آدم، لا على صورة الله. إحفظ جيداً اسمه لأن كتبة الكتاب المقدس جعلوا منه خلفاً لآدم وسلف "أبناء الله" على الأرض، نسل "المرأة" التي ستسحق رأس الحية الشيطانية (تكوين 3، 15).

إقرأ الفصل 5 من كتاب التكوين وانتبه للجمل التي تتكرر إيقاعياً وعن تعمّد: "فلان (مذكور اسمه) أنجب فلاناً (يُذكر اسمه) وأبناء وبنات (آخرين غير مذكورة أسماؤهم)". هناك غاية من وراء ذلك: إن الذين مذكورة أسماؤهم يعتبرون أسلاف اليهود. الذين لم تُذكر أسماؤهم هم أسلاف الشعوب الأخرى.

تذكّر أن إعطاء إسم هو بمثابة إعطاء قيمة، والامتناع عن التسمية يعني الاحتقار. هذه السلالة الوهمية تهدف إلى فرز البشر إلى فئتين: المختارون الذين أعطوا أسماء والساقطون الذين لا يملكون أسماء.

كان كتبة كتاب التكوين (الكتبة والكهنة اليهود) يظنون أن اليهود وحدهم كانوا على "صورة الله". اختلقوا هذه الشجرة النَسَبية ليرفعوا من عزة نفس اليهود على حساب الوثنيين (الغوييم) في ذلك الوقت. إنها إذاً لا تمت بأي صلة لأي حقيقة تاريخية.

يعتبر اليهود أنفسهم "أبناء الله" الوحيدين على الأرض، متحدرين من شيت وسلالته التي تحمل اسماً. يقدمون أنفسهم على أنهم "الشعب المختار". وفقاً لهم، "الأبناء والبنات الآخرون" من سلالة شيت، الذين لا يحملون أسماء، لا يحملون صورة الله، كونهم ليسوا على صورة شيت ونسله الذين يحملون أسماء. لهذا السبب لا يعتبرهم اليهود بشراً، بل "homoïdes"، أدنى درجة من البشر (اليهود)، وأعلى بدرجة من الحيوانات، في مكان ما بين اليهودي (الذي هو بشر) والقرد.

التفسير الروحي لسلسلة النسب هذه هو التالي: إن نسل شيت وسلالتهم "الذين يحملون اسماً" يمثلون جميع البشر العادلين والصالحين من كل الأعراق والشعوب؛ "الأبناء والبنات" الآخرون الذين لا يحملون أسماء يمثلون النسل الشرير والمجرم.

من هذه السلالة المختلقة علينا أن نحفظ اسمين رمزيين: أخنوخ وابنه متوشالح. أخنوخ لأنه لم يمت أبداً، بل "توارى، لأن الله أخذه إليه" دون أن يجعله يعبر بالموت الجسدي بسبب استقامته: فقد "سلك أخنوخ مع الله" كما يقول كتاب التكوين (تكوين 5، 21 - 24). لاحظ عمر أخنوخ: 365 سنة، عدد أيام السنة الشمسية. رجل صالح آخر شارك أخنوخ نفس المصير ولم يعرف الموت: النبي إيليا، الذي رُفع حيّاً إلى السماء. ستقرأ قصته فيما بعد (الملوك الثاني 2، 11 - 13). أخنوخ وإيليا هما وجهان عظيمان تجب معرفتهما: أصبحا رمزين لإيمان حار وشجاع. إن اختطافهما يمكن أن يفهم كحدث رمزي أو واقعي، لكن يجب فوق كل شيء فهم المغذى: المؤمنون الصادقون لا يموتون، كما قال يسوع (يوحنا 8، 51). أما بالنسبة لمتوشالح، فهو الذي، وفقاً لكتاب التكوين، كان الأطول عمراً على الأرض: 969 سنة.

يقودنا ذلك إلى التكلم عن مدة حياة هؤلاء الناس. أهي واقعية أم رمزية؟ قليل من الإثنين في الوقت نفسه. إنها واقعية حتى ولو كان مبالغ فيها لأن الشر والمادية قد تفاقما في العالم، وبات الإنسان أكثر عرضة لأمراض مختلفة وللموت في عز الشباب. من الشائع مثلاً في أيامنا، حيث تفرض الحياة اليومية على البعض عملاً مرهقاً، أن نرى شباباً في مقتبل العمر يصعقون بنوبة قلبية. التدخين والحياة المفرطة النشاط تقصّر العمر. إن إيقاع الحياة العصرية الصاخب مناقض للطبيعة البشرية. كان أجدادنا يعيشون نمطاً من الحياة أكثر هدوءاً. بل أكثر من ذلك، "كانوا يسلكون مع الله". التعليم الذي علينا أن نستشفه من طول عمر الأجداد الذين كانوا يحملون صورة الله، هو التالي: يجب أن نسلك مع الله لو ابتغينا طول العمر. لذلك ينقل إلينا كتبة الكتاب المقدس أن الله، بعد تكاثر الشر، قرر "أن يقصّر عمر الإنسان على الأرض "فتكون أيامه 120 سنة" (تكوين 6، 3).

إقرأ الآن الفصل 6 من كتاب التكوين، ثم تابع قراءة الدرس.

5.2 تكاثر الشر والعقاب بالطوفان (تكوين 6)

وفقاً لتكوين 6، 2 ازداد الشر على الأرض لأن "أبناء اللهرأوا أن بنات الناس حسان، فتزوجوا منهن كل من اختاروا". من هم "أبناء الله" و "بنات الناس"؟ بالنسبة للكتبة والكهنة اليهود الذين كتبوا هذا النص، اليهود هم وحدهم "أبناء الله" (بالعبرية "بني إلوهيم")، من نسل إلهي. لقد تم اكتساب هذه الذهنية مع الوقت؛ يعود ذلك إلى أن اليهود، منذ 4000 سنة، كانوا الوحيدين الذين آمنوا بالله الواحد في حين أن باقي البشر كانوا وثنيين، متعددي الآلهة وعبدة أصنام. كان اليهود يعتقدون أنهم سيبقون إلى الأبد "أبناء الله" الوحيدين، مثلما كان الكنعانيون "أبناء بعل"، واليونان "أبناء زوس" والمصريون "أبناء رع". أربك يسوع اليهود عندما أعلن أن كل الذين سيؤمنون به، من كل عرق وأمّة ولسان، سيصبحون أبناء الله (يوحنا 1، 12).

غلطة اليهود هي أنهم آمنوا بأنهم الوحيدون الجديرون بالله. أرادوا احتكاره، امتلاكه. كأن الله إلههم هم فقط ولم يكن عليه أن يكون لأي شعب آخر. كذلك، عندما أراد رسل يسوع أن يعلّموا الوثنيين، منعهم اليهود من ذلك (تسالونيكي الأولى 2، 16). فثار بولس عليهم قائلاً: "أفيكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إلى سائر الأمم أيضاً؟ بلى، هو إله سائر الأمم"! (رومة 3، 29).

بحسب الكتبة والكهنة اليهود، فإن اليهود، كونهم أبناء الله ومن سلالة إلهية، لا يجب عليهم الزواج من غير يهودية؛ سينخفضون بزواجهم من "بنات الناس". إن الأولاد الذين يأتون من مثل هذا الزواج لا يعتبرون يهوداً، يعتبرون يهوداً فقط الذين يولدون من أم يهودية. لا يجب على "أبناء الله" أن يتزوجوا سوى من "بنات الله". حتى أنه لا يجب عليهم أيضاً مخالطة غير اليهود خشية من أن يجرّوهم إلى عبادة الأصنام (العدد 25، 1 - 2).

الزواج المختلط كان مداناً بشدة (التثنية 7، 3 - 4 / الملوك الأول 11، 1 - 2 / عزرا 10، 44 / نحميا 10، 31)، غير أن الأمثلة التي يذكرها الكتاب المقدس عنه كثيرة حتى بين الملوك (الملك سليمان (الملوك الأول 11، 1 - 2 / الملك أخاب (الملوك الأول 16، 31). كتاب راعوث يروي قصة راعوث، وهي موآبية غير يهودية تزوجت من يهودي. بعد موته، تزوجت يهودياً آخر "بوعز"، وورد اسمها مع اسم هذا الأخير في سلالة المسيح (متى 1، 5). لقد أربك ذلك العقلية الضيقة والمتعصبة للكتبة الذين اختلقوا قصصاً مصطنعة لتبرير عنصريتهم باسم الله.

لا يجب فهم التكوين 6، 2 حرفياً، بل البحث عن معناه الروحي، وهو أن "أبناء الله" هم الذين يبحثون عن الله، إنهم المؤمنون والبشر الصادقون من العالم أجمع. قال لنا يسوع: "هنيئاً لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون" (متى 5، 9). ذلك يشمل جميع البشر، وليس اليهود وحدهم. لا يجب على "أبناء الله" (رجالاً ونساء) أن ينجذبوا إلى الجسد والجمال الخارجي، بل إلى روح الشخص الذي سيتزوجونه. عليهم أن يتأكدوا أن الشريك أو الشريكة هو اختيار إلهي وأنه سيكون عوناً للارتقاء نحو الله، لا عائقاً أمام ارتفاع النفس. يجب أن يكون هدف الزواج التقرب من الله، لا المصلحة المادية.

إن عبارة "ابن الإنسان" أو "بنو الإنسان" قد فُهمت على نحو محقر ونُسبت إلى غير اليهود. لمقاومة هذا التطرف الوطني، أعطى يسوع لنفسه هذا اللقب (يوحنا 3، 14) مع لقب "ابن الله الأوحد" (يوحنا 3، 18). إنه "ابن الإنسان" الذي أعلن عنه الأنبياء (دنيال 7، 13)، رأس النسل البشري للمرأة التي ستسحق رأس الحية الجهنمية، لكنه أيضاً ابن الله الأوحد والذي "أعطى الذين قبلوه، المؤمنون باسمه، سلطاناً أن يصيروا أبناء الله" (يوحنا 1، 12). بهذه الآية، ينورنا الإنجيل على المعنىالروحي لتكوين 6، 2 باعتبار جميع تلاميذ يسوع هم "أبناء الله". بهذا المعنى يقول بولس: "فإذا كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم..." (غلاطية 3، 29). السلالة البشرية هي من دون قيمة بالنسبة لله.

عندما رأى الله أن الإنسان يرغب في أن يكون جسدياً أكثر منه روحياً، انتزع الله من هذا المخلوق الطائش روحه المهان. نتيجة لذلك، قصّرت الحياة البشرية إلى 120 سنة. هذا يعني أنه لا يمكننا أن نعيش طويلاً من دون الله. لا يجب فهم هذه الـ 120 سنة عددياً، بما أنه يوجد أناس قديسون لا يعيشون كثيراً، وآخرون يعيشون أكثر، دون أن يهتموا بالله... هؤلاء الأخيرون لن يذوقوا فرح الحياة الأبدية. هذا هو تعليم التكوين 6، 3: العيش حياة طويلة يعني المشاركة بالحياة الأبدية.

أما بالنسبة إلى الـ "جبابرة" الذين يتكلم عنهم التكوين 6، 4، "رجال تلك الأيام الأشداء"، فهم يمثلون الإنسان قبل انتشار الشر على الأرض: إنها كرامته التي كانت كبيرة. البشر الذين جاءوا بعد أن انتزع الله روحه من البشرية، هم أقزام مقارنة مع أسلافهم.

عظمة هؤلاء الأسلاف "الجبابرة" تعود إلى روح الله الذي كان يلهمهم، واهباً إياهمسمو النفس. إنه روح الله فيهم الذي صنع منهم "الجبابرة الذين ذاع اسمهم من قديم الزمان"، كشيت، أنوش، أخنوخ ومتوشالح، إلخ...

إذاً هذا النص من كتاب التكوين، ككثير من النصوص الأخرى، لا يجب أن يُفهم حرفياً، والاعتقاد بقدرة هؤلاء الجبابرة الجسدية. كما لا يجب مقارنتهم بالأقزام (بالجسد) ولا بعرق الأقزام الذين باستطاعتهم، هم أيضاً، أن يصبحوا أبناء الله وجبابرة روحيين. فقد جاء يسوع ليعيد لتلاميذه من جميع الأعراق روح الله الذي هجر بشرية غير جديرة (تكوين 6، 3). إقرأ يوحنا 14، 16 - 17. نعمة الروح الإلهي هذه مُنحت للمؤمنين الحقيقيين بصرف النظر عن قامتهم الجسدية.

6.2 الطوفان (من تكوين 6، 5 إلى تكوين 7، 24)

لقد اكتشف علم الآثار قارة مدفونة تحت المحيط الأطلسي دُعيت "أتلانتيس". هناك قارة أخرى مدفونة تحت مياه المحيط الهادئ تدعى "مو". هاتي القارتين انهارتا في هذين المحيطين إثر كارثة أرضية شاملة منذ 25000 سنة. كما تم اكتشاف أثار لحضارة متطورة جداً في كلتا القارتين. هذه الحضارة تعرضت للانقراض. نقل الناجون الخبر إلى الأجيال اللاحقة ما سمح للبشرية بالتالي بالاحتفاظ بذكرها.

من ناحية أخرى، يفيدنا علم الآثار أيضاً عن هذه الكارثة الأرضية، أنه في بعض الروايات البابلية السابقة للكتاب المقدس، يحكى عن طوفان قد دمر البشرية. كُتبت هذه الروايات 2000 سنة ق.م، إذاً 1000 سنة قبل كتابة كتاب التكوين. عندما كتب كتبة الكتاب المقدس قصة الطوفان، لم يفعلوا سوى أنهم نقلوا قصة معروفة منذ قرون تمّت كتابتها من قبل شعوب أخرى.

البابليون كتبوها بالأحرف المسمارية، أي على شكل مسامير. الأبجدية البابلية مكونة من سيقان صغيرة على شكل مسامير موضوعة مع بعضها البعض بطريقة مختلفة لكل حرف من الأبجدية.

يوجد فرق أساسي بين الرواية البابلية والكتابية: الرواية البابلية تقول أن "الآلهة تقرر القضاء على البشرية بسبب زلاتها. إيا (أو "إنكي"، أحد الآلهة البابليين) يحذّر أوتو نبشتم ويصنع له مركباً إلخ...". قام المؤلفون الكتابيون الرواية بتوحيدها فقالوا: "قرر الرب أن يمحو الإنسان الذي خلقه عن وجه الأرض لأن مساوئ الناس كثرت". تمّ تغير اسم أوتو نبشتم إلى "نوح" لإعطائه تناغماً عبرانياً.

إليك هذا النص المترجم من الفرنسية كما ورد في كتاب "الطوفان وفلك نوح" للكاتب أندريه بارو (طبعة: "كتب علم الآثار التوراتي"؛ 15 شباط 1955، ص 32) يفسّر فيه كيف يستوحي كتبة سفر التكوين التوراتيون روايات موجودة في مكان آخر، ثم يقومون بنسبها لله بتنقيتها بالتالي من محتواها الميثولوجي والمتعدد الآلهة، وإعطاء أسماء عبرانية لأبطال الرواية:

الطوفان وفلك نوح

هكذا إذاً، ترك الطوفان في التاريخ أثراً بالغاً، بدون منازع. بقيت ذكراه حية في بلاد الرافدين كما في فلسطين، حيث أشار إليها يسوع في تعليمه عن آخر الأيام (متى 24، 37 - 39 / لوقا 17، 26 - 27).

باختصار، يوجد في حوزتنا في الأدب التوراتي والبابلي مجموعة نصوص متعلقة بالكارثة الأرضية المدمرة التي تنجح عائلة بالهرب منها بواسطة "فلك": عائلة نوح في الكتاب المقدس، عائلة أوتو نبشتم، أتراخسيس، زيو سودرا، عند البابليين. علاقة القربى بين كل هذه الروايات لا تقبل الجدل، إنها تلفت انتباه أقل الناس تنبهاً. يمكننا أن نكتب ملخصاً عنه، مع إضافة بعض الروايات بدون أي شك، لكن أيضاً بتوافق مدهش فيما يخص الجوهر. نشير إلى بعض المقارنات المؤثرة:

<table cellpadding="4" cellspacing="0" class="tableau" border="1">

<tbody>

<tr align="center" valign="middle">

<th>التكوين</th>

<th>المسماري</th>

</tr><tr valign="middle">

<td>الرب يقرر أن يهلك البشرية بسبب شر الإنسان.</td>

<td>الآلهة تقرر أن تهلك البشرية بسبب أخطائها.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>الرب يحذّر نوح ويجعله يبني سفينة.</td>

<td>إيا (إنكي) يحذّر يوتا نبشتم (زيوسودرا) ويجعله يبني سفينة.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>ستمتلئ هذه السفينة بالحيوانات لتبقى سلالاتها على كامل الأرض.</td>

<td>ستمتلئ هذه السفينة بالحيوانات وببذرة من كل حياة.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>يحدث الطوفان. يمحو الرب كل كائن حي من على وجه الأرض.</td>

<td>يحدث الطوفان. كل البشرية تعود إلى طين.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>علم نوح أن المياه قد انخفضت بإطلاقه طيرين (غراب، حمامة).</td>

<td>علم أوتو نبشتم أن المياه قد انخفضت بإطلاقه طيوراً (حمامة، سنونو، غراب).</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>بنى نوح مذبحاً وقدّم الأضاحي للرب.</td>

<td>أوتو نبشتم يقدم الأضاحي للآلهة.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>تنسّم الرب رائحة الرضى.</td>

<td>الآلهة تتنسّم الرائحة الطيبة.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>يتوقف الرب عن لعن البشر.</td>

<td>إنليل يتصالح مع أوتو نبشتم.</td>

</tr><tr valign="middle">

<td>الرب يبارك نوح وأبناءه.</td>

<td>إنليل يبارك أوتو نبشتم وامرأته.</td>

</tr>

</tbody>

</table>

قطعة من لوح من ملحمة جلجامش

إن نص التقليد المسماري (البابلي) مقتطف من ملحمة "جلجامش" الشهيرة، الملك الأسطوري الذي أعطى اسمه للرواية التي انتشرت في الشرق الأوسط منذ القرن السابع والعشرين ق.م. الموضوع العام للرواية هو البحث عن الخلود الذي يكمن سره في الحصول على نبتة تعيد الشباب وتنمو في المياه العميقة (تذكر شجرة الحياة في كتاب التكوين). كثير من البلدان تترجم هذه الرواية إلى لغتها، نجد منها نسخة سومرية ونسختان أحدث، أشورية وبابلية. النسخة الأشورية هي الأكثر اكتمالاً وتتألف من 326 سطراً، 200 منها مخصصة للطوفان.

بعد أن عرضنا موازاة مقتضبة بين رواية كتاب التكوين والنسخة البابلية، يختم أندريه بارو قائلاً:

"ما هي الرواية التي هي أساس كل الروايات الأخرى؟ سيكون علينا أن نجيب: الرواية الأقدم، والرواية الأقدم هي بكل وضوح الرواية البابلية (لا رواية التكوين). ذلك يرعب بعض المفسرين الذي يقترحون حلاً وسطاً يمكن بحسب رأيهم أن يحفظ عقيدة الوحي بصورة أفضل: كان يجب أن يكون هناك تقليد بدائي (لم يُعثر عليه) كنّا سنمتلك منه نسختان، السامرية البابلية من جهة، والإسرائيلية من جهة أخرى. نعترف بكل صراحة أن هذه النظرية قلما ترضينا ونفضل اعتبار أنه في الرواية ومع الرواية الكتابية للطوفان، نملك النسخة الإسرائيلية لتقليد بلاد ما بين النهرين التي نسخها الأصلية على ألواح الخزف موجودة بين أيدينا وأن المؤلفين الكتابيين أعادوا النظر فيها على ضوء الوحدانية (الإيمان بالله الواحد). لقد تم نقل هذا التقليد (الشفهي) للطوفان، مع تقاليد كثيرة أخرى، إلى جانب معظم تقاليد الفصول الإحدى عشر الأولى من كتاب التكوين، من قِبل الآباء (إبراهيم، إسحق ويعقوب) الذين هاجروا من بلاد النهرين (دجلة والفرات حيث نُسخ الطوفان الأشورية والبابلية كانت جد معروفة) واستقروا في أرض كنعان. الإسرائيليون لم يكشفوا أبداً أن أسلافهم قد عبدوا "آلهة أخرى" في تلك الحقبة (يشوع 24، 2)، أي أنهم شاركوا معتقدات بعيدة جداً عن الإيمان الرباني. لهذا السبب لدينا، في الفصول 6 إلى 8 من كتاب التكوين، رواية الطوفان التي نسخها سكان بلاد النهرين بالكتابة المسمارية، قبل أن يخطر ببال الكتبة الربانيين (اليهود) أن ينظّموه كتابةً. أمانة مدهشة للتقليد الشفهي أمّنت، في إسرائيل، وعلى فترة ألف سنة، حفظ هذا التقليد المؤثر".

خلاصات أندري بارو لا تضر بـ "عقيدة الوحي" كما يخشى المتعلقون بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس. نية كتبة التوراة كانت نشر التوحيد من خلال القصص المشركة (المتعددة الآلهة) في تلك الحقبة في الشرق الأوسط. كانت غايتهم تقديس التاريخ البشري بتجريده من كل إشارة لآلهة الميثولوجيا، كي لا يتم الكشف سوى عن الله الواحد: إله إبراهيم.

لقد شرحت مطولاً هذه الفصول الأولى من كتاب التكوين لأمنحك الروح الذي يمكّنك من فهمها. انطلاقاً من هنا، سأشير فقط إلى النقاط الأكثر أهمية:

تكوين 9، 12 - 17: يتكلم عن قوس قزح كعلامة عهد أبدي بين الله والبشر. إحفظ جيداً هذه الرمزية لقوس قزح لأنك ستراها ثانية في كتاب الرؤيا (10، 1) حول رأس رسول المسيح في الأزمنة الرؤيوية؛ لأنه هو الذي سيجدد العهد الحقيقي الأبدي بين الله والبشر. هذا العهد الذي أقامه يسوع، وخانه المسيحيون فيما بعد. مهمّة رسول الرؤيا هي تجديد هذا العهد.

التكوين 9 إلى 10: هذه الفصول تقدم أبناء نوح الثلاثة الرمزيين: سام، حام ويافث. هذه السلالة لا تستند على أي أساس تاريخي؛ اختلقها الكتبة بهدف عنصري يناسب اليهود، مثل سلالة شيت في التكوين 5. هكذا:

- كنعان، أب العرب، لُعن وصُنّف في مقام "آخر العبيد"، أي عبد سام (أب اليهود) ويافث (أب الغربيين). لاحظ أن الكتبة يسارعون إلى لعن كنعان، وليس حام سلفه المذنب؛ السلالة هنا هي المستهدفة بصورة رئيسية: الفلسطينيون والعرب بشكل عام (تكوين 10، 14). هذه اللعنة، بحسب الكتبة والحاخامات، هي أبدية: لا أي فلسطيني، ولا أي عربي هو بمنأى منها، إلى الأبد. عليهم أن يكونوا "عبيد العبيد" إلى الأبد، منذورون لخدمة سام ونسله، بالأضافة إلى يافث ونسله، كون هؤلاء الأخيرون هم فقط "عبيد" في خدمة نسل شام. لكن كنعان هو "عبد العبيد".

- لا حاجة على الإطلاق لأن نذكر أن سام قد نال البركة! هذا أمر مسلم به، أليس هو أب العبرانيين؟... إنه "إله سام" الذي باركه نوح. ليس لا إله يافث، ولا بالأحرى إله شام. سام هو "أبو جميع بني عابر" (تكوين 10، 21). يجب فهم هذه الآية بناءً على الصبغة العبرانية (التي نجدها في الكتاب المقدس العبري المترجم إلى الفرنسية من قبل حاخامية فرنسا): "سام، أبو كل عرق بني عابر (العبرانيون)". يخطئ الإسرائيليون باعتبار أنفسهم عرقاً. فهم يعتقدون أن مباركة أبيهم سام ستنتقل حصراً إلى كل فرد من "عرقهم"، جاعلة منهم وحدهم، "أبناء الله"، الذي هو فقط إله سام ونسله: "الشعب المختار". كان الكتبة يظنون أن الشعوب الأخرى ليس بامكانها أبداً التقرب من الله. إنه حصراً إله سام، إله اليهود... نلفت النظر إلى ملاحظة بولس: "أفيكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إله سائر الأمم أيضاً؟ بلى، هو إله سائر الأمم أيضاً (رومة 3، 29). هنا يظهر بوضوح البعد العالمي لتعاليم يسوع والعهد الجديد.

- وُضع يافث في وضع مريح، "يسكن في خيام سام ويكون كنعان عبداً له" (تكوين 9، 27)، الكتاب المقدس للحاخامية الفرنسية يقول: "ويكون كنعان عبداً لهما".

هذا يعني أن:

- اليهود (نسل سام) هم الأسياد المطلقون على العالم والبشر.

- الهنود الأوروبيون-الأميريكيون (نسل يافث) هم "عبيدهم"؛ يستطيعون أن "يسكنوا في خيام سام"، أن يتعايشوا إذاً مع اليهود، لكن دون أن يحق لهم بممتلكات خاصة: لا يعيشون في خيامهم الخاصة، بل "في خيام سام" (فارق دقيق لا يجب التقليل من أهميته!...). هذا يجعل اليهود يملكون على كل ثروات الأرض بدون منازع.

- الكنعانيون (العرب) هم بلا قيد أو شرط في خدمة الفئتين أو السلالتين السابقتين. لهذا السبب هم "آخر العبيد"، بما أنهم عبيد "أول" العبيد، نسل يافث، الذي هم بدورهم عبيد "الساميين".

إن مخترعي هذه الخرافة السلالية لم يتوانوا عن جعل نوح، الرجل الصالح الوحيد في ذلك الوقت، الذي استحق النجاة من الطوفان، سكيراً فاقداً الرشد إلى درجة التعري بشكل معيب: "شرب نوح من الخمر، فسكر وتعرّى في خيمته..." (تكوين 9، 21).

قَسَم هذا الهذيان البشرية إلى تراتبية من ثلاثة أعراق لصالح "العرق" العبراني. لهذا يطلب منا بولس أن نحذر من "الخرافات اليهودية" (تيطس 1، 14) وأن نتجنب "المجادلة السخيفة وذكر الأنساب" (تيطس 3، 9) التي يرغب بهما البعض. أدان النبي إرميا "قلم الكتبة الكاذب" لأنه أدخل إلى الكتاب المقدس، باسم الله، كلاماً غريباً عن الله (إرميا 8، 8)، ثار يسوع على "الكتبة والفريسيين المرائين" لأنهم غيّروا معنى الوحي الإلهي بما يتناسب ومصالحهم الدنيوية (متى 23 و15، 6 - 7).

نحن مدعوون اليوم إلى تطهير العهد القديم من الكتاب المقدس بتفريغه من محتواه العنصري الذي دسّه "قلم الكتبة الكاذب". بالمقابل، لا شيء بحاجة إلى تطهير في العهد الجديد الذي هو تطهيربحد ذاته. مطلوب منا أن نكون خبراء بالكلمة الإلهية، أن نكون مؤمنين قادرين على التمييز، في الكتاب المقدس، ما هو من الله، وما هو من البشر. كي لا نضل، علينا أن نكون مثل الخبراء الماليين الذي يعرفون العملة الحقيقية من المزيفة. ذلك ليس صعباً عندما يقودنا روح الله. من يعرف الله يعرف كيف يفكّر (الله)، ماذا قال في الكتاب المقدس... وما لم يقله أبداً.

تطهير الكتاب المقدس هو واجب مقدس!

التكوين 11: يرمز "برج بابل" إلى غرور الإنسان الذي يريد دائماً أن يبني عالياً بهدف التأثير والسيطرة. "برج إيفل"، "ناطحات السحاب" أو "الأهرامات" هم نسخات عصرية عن الأبراج العالية، "الزقورة"، التي كانت تبنى قديماً في بابل، لكن بروح مختلف.

بلبل الله غرور البشر بالبشر. هم الذين لم يكونوا يتكلمون سوى لغة واحدة، أي الذين كانوا متفاهمين فيما بينهم، ها هم لم يعودوا يتفاهمون، أصبح كل واحد يتكلم لغته الخاصة، ولا يرى سوى مصلحته الشخصية. الأنانية والكبرياء فرّقا بني البشر، فأصبح كل واحد يريد أن يمتلك كل شيء وأن يكون أعلى مرتبة من الآخر؛ هذا هو مصدر الصراعات. هكذا يجب أن تُفهم قصة برج بابل. إنها ليست مسألة تشييد أبنية عالية، بل روح الغرور الذي من خلاله يتم ذلك هو ما يجعل العمل سيئاً. اليوم، حتى الذين يتكلمون نفس اللغة يوشكون على عدم التفاهم عندما يريد أحدهم أن يهيمن على الآخر.

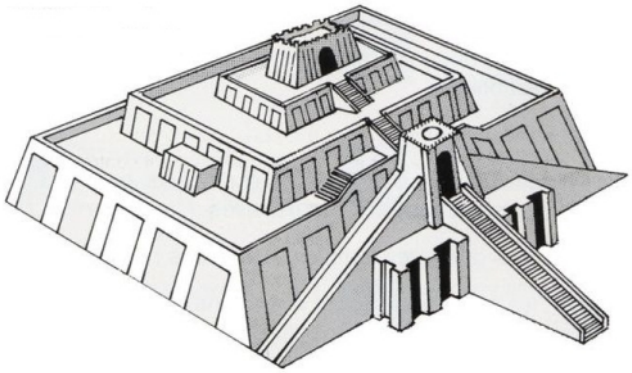

الزقورة في بلاد ما بين النهرين

تلاميذ المسيح الحقيقيون عندهم روح الله الذي يوحّد أبناء الله. هؤلاء يتفاهمون فيما بينهم، حتى لو تكلّم كل واحد بلغة مختلفة. لأنها واحدة هي لغة المحبة التي تُفهم بنظرة، بإشارة أو ابتسامة. في العنصرة، عندما نزل الروح القدس على الرسل، أدهش هؤلاء الغرباء الذين كانوا يفهمونهم كل واحد بحسب لغته: "أما هؤلاء (الرسل) المتكلمون كلهم من الجليل؟ فكيف يسمعهم كل واحد منا بلغة بلده؟" (أعمال 2، 7). ذلك لأن روح يسوع كان موجوداً ليصلح ما دمّره غرور البشر. العنصرة تشفي من جرح برج بابل.

تكوين 11 يختم بسلالة تهدف إلى ربط إبراهيم بسام مهما كلف الأمر. هدف هذه "السلالة" هو: تقديم العبرانيين على أنهم كانوا موجودين على الأرض حتى قبل إبراهيم لينشروا الاعتقاد بأن الله، باختياره إبراهيم، قد اختار عرقاً، عرق "سام"، أبو بني "عابر"، الشخصية الخيالية، المفترض أن يكون أبو العبرانيين، "بنو عابر" (تكوين 10، 21 وتكوين 11، 10 - 26). هذا يجعل من العبرانيين "الشعب المختار". أشرح في بداية الدرس الثالث لماذا من الخطأ الاعتقاد أن إبراهيم هو من سلالة "عبرانية".

تكوين 11، 27 - 32 يقدم عائلة إبراهيم: تارح، أبوه، وشقيقاه: ناحور وهاران (الذي مات تاركاً ابنه لوط لإبراهيم)، وساراي، زوجته التي كانت أيضاً أخته غير الشقيقة. كانوا يسكنون في "أور"، وهي مدينة كبيرة في ذلك الوقت (في جنوب العراق)، ثم هاجروا إلى حاران، في شمال سورية، حيث ظهر الله لإبراهيم.

هنا تنتهي دراسة الفصول الـ 11 الأولى من كتاب التكوين.

3. الدرس 3 – من إبراهيم إلى إسحق (تكوين 12 إلى 24)

1.3 إبراهيم

ظهر إبراهيم على الأرض عشرون قرناً ق.م، منذ حوالي 4000 سنة. في ذلك الوقت، لم يكن الله معروفاً. كان لكل بلد آلهته. كان تعدد الآلهة والميثولوجيا منتشرين في كل مكان مع آلهة تتغير أسماؤها ومرتباتها من بلد إلى آخر. كانت عبادة الأوثان سائدة على شكل تماثيل من خشب أو من حجر للآلهة الأشورية، البابلية، الكنعانية إلخ... ظلت أصنام الميثولوجيا اليونانية في انتشار مستمر أيضاً 1500 سنة بعد إبراهيم. الامبراطوريات الوثنية (الأشورية، البابلية، اليونانية والرومانية) عارضت التوحيد الناشئ معارضة مطلقة. حاربته بضراوة واضطهدت المؤمنين الأولين. نجد صدى لمقاومة التوحيد في الأنظمة الملحدة العصرية.

في زمن إبراهيم، لم يكن هناك لا يهود ولا عبرانيين. عكس ما يعتقد البعض، إبراهيم هو سوري من حاران، وليس عبرانياً. بذل الكتبة كل جهدهم، لأهداف عنصرية، لإقناع أخوتهم في الدين بوجود خطأ تاريخي بزعمهم أن اليهود كانوا موجودين قبل إبراهيم كشعب عبراني. كان هذا الأخير يتحدر من أحد أبناء سام، عابر، من حيث يأتي الإسم عبراني. البعض يقدم هذا الشعب كـ"عرق" عابر.

أبناء سام، وفقاً لكتبة التكوين، هم: عيلام، أشور، أرفكشاد، لود وأرام. تجدر الملاحظة أن أبناء سام هم أسماء بلدان: عيلام كانت في جنوب إيران وعاصمتها سوسه، أشور هي العراق حالياً، لود هي على الأرجح فلسطين (مطار لود في إسرائيل) وأرام هي سوريا. هذا يعني أن كل هذه المناطق، التي تعود لأبناء سام، هي ملك العبرانيين بالميراث وتشكل "اسرائيل الكبرى"، الامبراطورية التي يطمح إليها الإسرائيليون اليوم. حدودها تظهر على العملة الإسرائيلية الحالية.

كتبة التوراة، محاولين تبرير نزعتهم بأن يكونوا "الشعب المختار"، يقدمون إبراهيم على أنه عبراني منذ دعوته، كونه من "بني عابر" من سلالة أرفكشاد (تكوين 11، 10 - 26)، من بني سام. وقد أعطى "عابر" هذا اسمه للعبرانيين (تكوين 11، 14). كل هذا الإخراج النسبي يهدف إلى إظهار العبرانيين كمختارين

من الله، كلهم، بشخص إبراهيم. هكذا إذاً، كان على العالم أجمع أن يفهم أن كل اليهود، من كل زمان ومكان يشكلون "الشعب المختار الوحيد، العرق الوحيد الذي اختاره الله وأقامه فوق كل الأعراق الأخرى.

لهذا السبب أقحم الكتبة ببراعة في التكوين 14، 13: "أبرام العبراني". هذا الوصف قد تسلل خلسة من "قلم الكتبة الكاذب" (إرميا 8، 8) للحصول على امتيازات عرقية واجتماعية سياسية. لمحاربة هذه النزعة العنصرية، يذكّر موسى اليهود أن أبيهم إبراهيم "كان أرامياً (سورياً) تائهاً..." (التثنية 26، 5)، وليس عبرانياً. يكفي قراءة التكوين للاقتناع بأن كل عائلة إبراهيم، أبناؤه بالإضافة إلى زوجاتهم هم سوريون. فالكتاب المقدس لا يتكلم في أي مكان عن شعب عبراني كان موجوداً قبل إبراهيم... ولا التاريخ أيضاً!

اختار الله إذاً إنساناً لا شعباً، سورياً (أرامياً) وليس عبرانياً. فالعبرانيون لم يكونوا قد وجدوا بعد في ذلك الوقت.

بارك الله إبراهيم ثم قال له: "يتبارك بك جميع عشائر الأرض" (تكوين 12، 3). الحاخامات يفسرون هذه الآية كالتالي: "يتبارك بك جميع يهود عشائر الأرض". هذا التفسير التقييدي ليس مقصود الله.

دعوة الله لأبرام (إبراهيم) حصلت عندما كان يبلغ 75 سنة من العمر وزوجته ساراي 65 سنة. كان يعيش إذاً في حاران، في شمال سوريا. قال له الله: "إرحل من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعل منك شعباً عظيماً..." (تكوين 12، 1 - 2). الحاخامات يترجمونها "أمّة عظيمة" ليضفوا على الخيار الإلهي صبغة سياسية، إسرائيلية.

فيما بعد، غير الله اسم أبرام إلى إبراهيم (أب)، "لأني جعلتك أباً لشعوب كثيرة" (تكوين 17، 5). هنا يظهر مخطط الله الشامل: فهو يشمل جميع البشر وليس ذات منفعة حصرية لمجموعة معينة من البشر. اليهود العنصريون لا يرون في هذه الآية سوى اليهود المشتتين بين الأمم ليحكموا العالم. هذه الأمم هي سلالة يافث، الغير يهود، "فمن هؤلاء تفرقت أمم البحر ببلدانهم وعشائرهم، كل جماعة حسب لغتها" (تكوين 10، 1 - 5). "أمم البحر" تمثل أمم وبلدان البحر المتوسط إضافة إلى العالم الغير يهودي.

حصلت دعوة إبراهيم 2000 سنة ق.م؛ هكذا يكون المسيح تماماً في المنتصف بينه وبيننا، نحن بشر القرن الواحد والعشرين. يتساءل البعض لماذا انتظر الله طويلاً كي يتجلى للإنسان. فقد مرت آلاف القرون قبل إبراهيم! الجواب هو التالي: الخطيئة الأصلية جعلت الإنسان يفقد قدراته الروحية والنفسية. كان يجب انتظار كل هذا الوقت، قروناً طويلة، كي يستعيد الإنسان حدّاً أدنى من القدرات التي تؤهله للتفكير. استطاع عندئذٍ بلوغ درجة معينة من النضج الفكري ليفهم أن الله هو روح، أنه واحد، ولا يجب البحث عنه في الأشياء المادية (الشمس، إلخ...) ولا في الأصنام. اليوم أيضاً، كثير من الناس هم غير قادرون على استيعاب الحقائق الروحية ووجود الله الواحد. في مجتمعات تزعم التمدن ما زالت العبادات والمعتقدات الباطلة موجودة. فحتى اليوم أيضاً لا زالت توجد في أفريقيا، آسيا، أميركا وأستراليا قبائل تعبد الأصنام. كما أنك ستدرك صعوبة الكشف والتكلم عن الله مع الناس في عصرنا: يجب أن يكون عندهم حد أدنى من الاهتمام الروحي وأن يكونوا قد بلغوا درجة معينة من النضج النفسي ليتمكنوا من قبول الله... أو من رفضه على حساب مصالحهم الشخصية حتى بعد أن يكونوا قد تعرفوا إليه.

هكذا، أندريه جيد، بعد أن تاب عن اضطراباته الجنسية المثلية وأعلن عن محبته لله، يتوجّه إليه قائلاً:

> "أغفر لي يا رب! نعم، أعلم أنني أكذب. الحقيقة، هي أن هذا الجسد الذي أكره، ما زلت أحبه أكثر منك" ("أندريه جيد بنفسه"، كتاب كل الأزمنة، دار نشر لو سوي، كلود مارتن، 1963).

عددهم كبير الذين يفكرون بهذه الطريقة.

دعا الله إبراهيم إلى ترك بلاده، سورية، أهله وبيت أبيه. كان يجب إبعاده عن محيطه الوثني والمتعدد الآلهة بغية عزله، بعيداً عن كل تلوث روحي وانتقاد معارض. أرسله الله إلى حيث لا يعرفه أحد لحماية مخططه وضمان حسن تطوره. كان على ابراهيم أن ينفصل عن المجتمع الذي كان يعرفه، عن الأهل والأصحاب الذين كانوا يشكلون خطراً كبيراً على إيمانه الجديد. هذا هو حال كل إنسان عندما يبدأ باكتشاف الله والحياة الروحية؛ الاكتشاف الذي يثير عداء الماديين. ألم يقل يسوع: "يكون أعداء الإنسان أهل بيته" (متى 10، 36). كل من يسمع نداء الله ويريد الانجذاب إلى حياة الروح عليه ان يعرف كيف يتخلص من الحالة، أن يجرّد ذهنيته، أن يحررها من الروابط التي تؤدي إلى إعاقة اندفاعه الداخلي. لقد تم تفسير ذلك في "التمهيد" و "إدراك الذات". يجب التحلي بالشجاعة لقطع العلاقة مع كل إنسان يعيق تطورنا، حتى ولو كان من أحد افراد العائلة. يقول المزمور (45، 10 - 11) للنفس المؤمنة: "اسمعي يا ابنتي انظري وأميلي أذنك، إنسي شعبك وبيت أبيك (حرري نفسك!)، فيشتهي الملك جمالك، هو سيدك فاسجدي له!". ويقول المسيح أيضاً بهذا الخصوص: "من أحب أباه وأمه أكثر مما يحبني، فلا يستحقني" (متى 10، 37).

ها هي الآن النقاط الأكثر أهمية في هذا الدرس:

مواقع قديمة في بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى ذات صلة بتاريخ البطاركة

2.3 وعد الله إبراهيم بنسل وأرض (تكوين 12، 6 - 7)

بعد أن طلب من إبراهيم أن يترك بلاده، سورية، أعلن الله لإبراهيم أنه سيحميه ويكافئه: "لا تخف يا أبرام، أنا ترس لك، وأجرك عندي عظيم جداً". هذا الإعلان لم يرضي المدعو: "ايها السيد الرب، ماذا تعطيني؟ إني منصرف عقيماً..." (تكوين 15، 1 - 6).

إضافة إلى هذا الوعد وعده الله أن يعطيه، هو ونسله، أرض ميعاد كتعويض عن تلك التي تركها: "لنسلك أعطي هذه الأرض" (تكوين 12، 7). ينتقل الكتبة بشكل مفاجئ من النسل الذي طالب به إبراهيم إلى أرض غير مطلوبة وغير محددة، لم يتم تحديدها إلا لاحقاً: أرض كنعان، فلسطين.

هذه الهبة الجغرافية لنسل ابراهيم هي في أصل مفهوم "أرض الميعاد" التي نسبها العبرانيون، على مر القرون وعلى نحو غير صحيح، بصورة حصرية. لتصحيح هذا التفسير الباطل، يجب فهم ما هما، وفقاً لله، هذه الأرض وهذا النسل الحقيقي لإبراهيم.

الأرض التي وعد بها الله ليست بقعة جغرافية، إنها رمز لواقع أبدي أسمى. المقصود هو النعيم السماوي، الذي كان يتمتع به آدم قبل طرده من الفردوس. "أرض الميعاد" هذه ترمز إلى الله نفسه، الوحيد القادر على إرواء الروح المتعطشة للحياة والسعادة بشكل تام؛ الخالق هو الوطن الوحيد المستقر والآمن، إلى الأبد.

يؤكد القديس بولس الرسول على هذه الحقيقة الروحية لأرض الميعاد بقوله: "بالإيمان لبّى إبراهيم دعوة الهر فخرج إلى بلد وعده الله به ميراثاً... نزل في أرض الميعاد كأنه في أرض غريبة... لأنه كان ينتظر المدينة الثابتة على أسس والله مهندسها وبانيها" (عبرانيين 11، 8 - 10). هذه المدينة الغير أرضية هي الله نفسه، لأنه، كما يفسر بولس أيضاً، "ما لنا هنا في الأرض مدينة باقية، ولكننا نسعى إلى مدينة المستقبل" (العبرانيين 13، 14).

أمّا بالنسبة إلى نسل ابراهيم، فإنهم تلاميذ يسوع. يشير بولس إلى هذا الواقع بقوله: "فإذا كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم ولكم الميراث (الأرض السماوية) حسب الوعد" (غلاطية 3، 29).

دعا الله إبراهيم إلى الاستقرار في أرض كنعان ليعيش فيها بسلام مع سكانها. المقصود الإلهي كان أن تنشر هذه الطائفة التوحيدية الأولى نور الله حولها بإخاء وحكمة. هدف الله لم يكن "طرد أهل الأرض..." كما يعلن الكتبة دون خجل في كتاب العدد (العدد 33، 55). إن مثل هذه الآيات هي التي أدانها النبي إرميا واصفاً إياها بالكذب (إرميا 8، 8). هدف الله من خلال دعوته لإبراهيم لم يكن أبداً سياسياً أو وطنياً، بل روحياً وشاملاً.

عندما اقتحم اليهود فلسطين في القرن الثامن ق.م، بعد خروجهم من مصر مع موسى، استقروا فيها وأرادوا إقامة مملكة إسرائيلية. هذا التسييس للديانة اليهودية أدانه الله والأنبياء.

لم تكن مهمة إبراهيم تأسيس أمّة "كسائر الأمم"، بل تكوين طائفة توحيدية تشمل كل الأمم. هذه المهمة كانت ترتكز على الكشف عن الله الواحد وتحضير البشرية لاستقبال المسيح. لقد انحرف اليهود عن مخطط الله الشامل بتحويل الديانة اليهودية إلى صهيونية سياسية.

عندما ألّف الكتبة التوراة في القرن العاشر ق.م، كانت المملكة الإسرائيلية قد تأسست وقتئذٍ. كتابة التوراة تمت إذاً بروح مسيّس، مصهين. عَبَر الوحي الإلهي من خلال الموشور الصهيوني، وعمل الكتبة كل جهدهم لتضمين النصوص لهجات وإشارات مؤيدة لسياستهم. بالتالي لم يتغاضى الأنبياء عن إدانة هذه الممارسة "الكاذبة" (إرميا 7، 22 / 8، 8).

لإقامة دولة إسرائيلية، في الأمس كما اليوم أيضاً، ارتكبت جرائم مشينة ولا زالت ترتكب حتى اليوم. النبيان ميخا وإشعيا، ثمانية قرون ق.م، أدانا "رؤساء بيت يعقوب وقواد بيت إسرائيل الذين يمقتون الحق ويعوجون كل استقامة، الذين يبنون صهيون (الصهيونية) بالدماء وأورشليم (عاصمة إسرائيل) بالظلم" (ميخا 3، 9 - 10). "ويل للذين يصلون بيتاً ببيت ويقرنون حقلاً بحقل حتى لم يبقى أي مكان فتسكنون وحدكم في وسط الأرض" (إشعيا 5، 8).

كذلك، وفقاً للأنبياء أنفسهم، القومية اليهودية لا يمكن أن تبنى إلا على الظلم.

في القرن الثاني عشر ق.م، فهم جدعون ذلك ورفض رفضاً قاطعاً طلب اليهود بأن يتوّجوه ملكاً عليهم: "لا أنا أتسلط عليكم ولا ابني يتسلط عليكم، بل الرب هو يتسلط عليكم" (القضاة 8، 22 - 23). النبي صموئيل رفض هو أيضاً الخضوع لطلب الرؤساء الإسرائيليين الذين طلبوا منه قائلين: "أقم علينا ملكاً يقضي بيننا كما هي الحال في جميع الأمم. فاستاء صموئيل من قولهم..." حاول النبي ثنيهم، لكن "شيوخ الشعب رفضوا أن يسمعوا لصموئيل وقالوا: بل يملك علينا ملك. ونكون نحن أيضاً كسائر الشعوب" (صموئيل الأول 8، 4 - 21). أدرك الشعب فيما بعد أنه اقترف إثماً خطيراً بتأسيس مملكة واعترف لصموئيل: "زدنا على جميع خطايانا سوءاً حين طلبنا لنا ملكاً" (صموئيل الأول 12، 19).

يسوع، بدوره، رفض هذه المملكة الأرضية. لهذا السبب، عندما رأى أن القوميين اليهود المنبهرين بأعاجيبه "يستعدون لاختطافه وجعله ملكاً، ابتعد عنهم ورجع وحده إلى الجبل" (يوحنا 6، 15). وأمام بيلاطس الذي سأله: "أأنت ملك اليهود؟"، أجاب يسوع: "أنت قلت، أنا ملك... لكن ما مملكتي من هذا العالم" (يوحنا 18، 36 - 37).

لذلك، فإن كل مسيحي يعترف بحق اليهود اعتبار فلسطين أرضهم الموعودة، يبرهن أنه لم يفهم شيئاً من رسالة يسوع. المسيحي الذي يؤيد تأسيس دولة إسرائيلية يتخلى عن شهادته ليسوع.

لاحظ، أخيراً، أن حدود هذه الأرض "الموعودة" في الكتاب المقدس تتغير وفقاً لطموحات وشهية الكتبة المتعددين على مر القرون: في التكوين 15، 18، تمتد هذه الحدود من النيل إلى الفرات. في العدد 34، 1 - 2، تتوقف حدودها الشرقية عند بلاد الأردن والبحر الميت، بعيداً جداً عن الفرات... في

يشوع 1، 4، تمتد من جديد إلى الفرات، لكن حدودها الغربية تنحصر بسيناء ولا تتجرأ على الامتداد حتى نهر النيل. لو كان الله هو من أوحى بهذه الحدود الإسرائيلية، لما كانت خيالية لهذه الدرجة. فالله لا يناقض نفسه.

3.3 ملكيصادق (تكوين 14، 17 - 20)

من المهم جداً أن نعرف ملكيصادق لأنه يرمز إلى المسيح كما يفسر بولس في عبرانيين 7، 1 - 3: "ملكيصادق هو ملك شليم... ليس له أب ولا أم (معروفين) ولا نسب، وليس لأيامه بداية ولا لحياته نهاية، وهو على مثال ابن الله (يسوع)..."

إقرأ الآن دفعة واحدة الفصول 12 إلى 50 من كتاب التكوين. ستصادف نقاطاً غامضة وغريبة عن عقليتنا وعن عادات القرن الواحد والعشرين. لا تتوقف عندها، بل تابع قراءتك حتى النهاية. عندما ستستأنف بعد ذلك دراسة الكتاب المقدس، ستحصل على كل التوضيحات الضرورية. لاحظ طوال قراءتك كيف خلق الله بواسطة إبراهيم في ذلك الوقت مجتمعاً توحيدياً وسط أمم وثنية. لاحظ دوره الروحي الغير سياسي. أنشأ الله هذه الطائفة انطلاقاً من رجل سوري، ولم يختار شعباً عبرانياً، كون هذا الأخير لم يكن موجوداً في تلك الفترة.

الفصل 14 يروي حرب إبراهيم لإنقاذ ابن أخيه لوط. لقد شرحت لك لماذا الآية 13 تذكر إبراهيم "العبراني"، وهي كلمة دسّها الكتبة لإعطاء الانطباع أن العبرانيون كانوا موجودين منذ بدء العالم. تذكّر دائماً أن شعاع الوحي الإلهي قد عبر من خلال موشور السياسة الصهيونية العنصرية المشوّه. لاستعادة هذا الشعاع بنقاوته وصفائه، يجب، كم قلت لك سابقاً، تطهير الكتاب المقدس من محتواه السياسي الصهيوني، تماماً كما يُصفّى الذهب من الوحل بالنار، وكما يُفصل القمح عن الزؤان.

بعد انتصار إبراهيم، جاء ملكيصادق ليهنئه ويباركه. من هو ملكيصادق؟ ملكيصادق ليس معروفاً من التاريخ البشري. كتاب التكوين لا يكشف سوى جوانبه الرمزية، الخطوط، كما يفسر بولس، التي تجعله "على مثال ابن الله"، يسوع (العبرانيين 7، 1 - 3). كتاب التكوين يكشف أنه في نفس الوقت ملك وكاهن. إنه ملك "شليم" (أورشليم) وفي نفس الوقت كاهن "الله العلي"، أعلى وأكبر قدرة من جميع آلهة الميثولوجيا الشرق أوسطية. تجدر الملاحظة أن هذا الله العلي هو "خالق السماوات والأرض" (تكوين 14، 19). الله الذي كان يعبده ملكيصادق هو إذاً، من غير علمه، الله الواحد الخالق الذي نعرفه، الذي تجلى لإبراهيم، ثم لموسى، وتجسد في مسيحه، يسوع الناصري.

ملكيصادق يجسّد إذاً المسيح الذي، مثله، هو في نفس الوقت كاهن وملك. يسوع هو كاهن لأنه قدّم نفسه بنفسه ذبيحة لله – لا على يد كاهن آخر – على مذبح الصليب في أورشليم، مدينة ملكيصادق. يسوع هو أيضاً الملك الروحي، سيد القلوب، كون مملكته ليست سياسية وتشمل جميع البشر من كل الأعراق واللغات. يملك يسوع على المؤمنين انطلاقاً من أورشليم السماوية (رؤيا 21، 2)، الممثلة بأورشليم الأرضية، "شليم" ملكيصادق. من أورشليم إذاً ملكيصادق ويسوع يملكان ويقدّمان قرابينهما. بتقديمه ملكيصادق ملك وكاهن "شليم"، كان الله يشير إلى ملك وكاهن آخر سيخرج بعد 2000 سنة من هذه المدينة بالذات: يسوع، الذي، هو أيضاً، يقدّم الخبز والخمر إلى خاصته كل يوم.

يسوع هو كاهن، لكن كهنوته يختلف عن كهنوت الوثنيين الذي يكتفي بذبح الحيوانات لله. كهنوت المسيح يشبه كهنوت ملكيصادق الذي جلب "خبزاً وخمراً لأنه كان كاهناً لله العلي"، كما يفسّر بطريقة مباشرة تكوين 14، 18. المعنى الحقيقي للخبز والخمر أوضحه يسوع أثناء عشاء الفصح الأخير مع رسله: الخبز هو جسده الممزق والخمر هو دمه الذي أهرق على الصليب (متى 26، 26 - 29). خبز وخمر يسوع إذاً يجعلان ذبيحته حاضرة. إنها ذبيحة النظام الكهنوتي الجديد الذي أسسه يسوع لخلاص جميع المؤمنين، والذي يبطل ذبائح الحيوانات التي حددتها التوراة، لكن الغير قادرة على تليين قلب الله: "لأن دم الثيران والتيوس لا يقدر أن يزيل الخطايا"، كما يقول بولس (عبرانيين 10، 4). كل ذلك سيصبح أكثر وضوحاً فيما بعد.

ملكيصادق، كملك كاهن، بارك إبراهيم مستلم العهد الإلهي: "مبارك أبرام من الله العلي، خالق السماوات والأرض" (تكوين 14، 19). لاحظ في الآية 14، 22 أن إبراهيم حلف أمام ملك سدوم "بالرب الإله العلي، خالق السماوات والأرض". كشف بالتالي أنه لا يوجد سوى إله واحد خالق، وليس إله ميثولوجيا، مبهم ومجهول، بل "يهوه"، (كلمة تعني "الذي هو")، إله الوحي الذي تجلى شخصياً للبشر، من خلال ابراهيم.

ملكيصادق يظهر بغتةً، كمشهد خارج إطار سياق النص، مقاطعاً قصة لقاء ملك سدوم مع ابراهيم التي تستأنف فوراً بعد ذلك. ذلك أيضاً رمزي: الروحاني يقتحم حياتنا الزمنية، يقاطع مجرى التاريخ الدنيوي ليكشف ذاته للإنسان، ليجذب انتباهه. ثم تتتابع فصول قصة ملك أدوم: يتابع حديثه مع إبراهيم. هذا يعني أن على الإنسان أن يواصل حياته الطبيعية بعد أن يلتقي الروحانية، لكن عليه أن يبذل جهده أن لا ينسى أبداًهذا العالم الروحاني الذي انكشف له.

المدهش في هذه القصة هو أن إبراهيم، مستلم العهد الإلهي، يعطي ملكيصادق "العشر من كل شيء" (تكوين 14، 20). وهذا الأخير أيضاً هو الذي يبارك إبراهيم: "انظروا ما أعظمه! إبراهيم نفسه، وهو رئيس الآباء، أعطاه العشر من خيرة الغنائم... ملكيصادق أخذ العشر من إبراهيم وباركه وهو الذي نال الوعد من الله. ولا خلاف في أن الأكبر يبارك الأصغر (إبراهيم)"،قال القديس بولس (عبرانيين 7، 4 - 7). سبب عظمة ملكيصادق هو أنه كان يجسد كهنوت المسيح. فسّر الملك داود هذا التجسد في مزمور (نشيد موحى) بعد 800 سنة. يتوجه إلى المسيح الآتي بهذه العبارات: "أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق" (مزمور 110، 4).

ملكيصادق يجسّد المسيح إذاً لأن كهنوته يمثل الكهنوت الذي يرضي الله، العبادة "بالروح والحق" كما يفسر يسوع (يوحنا 4، 23)، لا الكهنوت البشري بحركته المالية وعبادته الشعائرية (الملابس الكهنوتية، البخور، الزينة، حركات معينة إلخ...). الله لا يتأثر بمثل هذا الكهنوت المسرحي: فقد تدخل على مر التاريخ البشري ليكشف لنا أن كهنوت ملكيصادق، رغم ما كان عليه من وثنية، هو بالنسبة له أهم من العبادات التي تزعم التديّن. لذلك كشف أن كهنوت مسيحه ليس على رتبة هارون، العبراني - مع أنه متحدر من إبراهيم، كما سترى لاحقاً - إنما على رتبة غريبة عن هذه السلالة الجسدية. يتحقق

ذلك بيسوع الذي أسس، من خلال صلبه، كهنوتاً غريباً عن اليهود. يسوع هو كاهن، بل إنه كبير الكهنة لكهنوت جديد، بالرغم من أنه ليس من عشيرة لاوي، كما يفسر بولس في رسالته إلى العبرانيين، الفصول 5 إلى 7. بالنسبة لليهود، وحدهم بني لاوي من سلالة هارون، يمكنهم أن يكونوا كهنة وأن يقرّبوا الذبائح (العدد 18). بيسوع، قلب الله كل هذا المفهوم البشري للكهنوت بإبطاله، من خلال الصليب، أضاحي الحيوانات.

مع كتاب الرؤيا، (كما سترى ذلك لاحقاً)، يقلب الله المفهوم الشعائري للكهنوت المسيحي من خلال تأسيس كهنوت جديد مؤلف من جميع الذين يؤمنون بالتفسير الوحيد لكتاب الرؤيا الذي كشفه يسوع بنفسه في 13 آيار 1970. (راجع نص "مفتاح سفر الرؤيا".)

كذلك، بما أن ظهور ملكيصادق كان قصيراً ولم يعاد ذكره سوى مرة واحدة أيضاً في العهد القديم (المزامير 110، 4)، فإن الإشارة إلى هذه الشخصية الغامضة تتضمن تعليماً ثميناً يسمح للمؤمن الشجاع بأن يتحرر من العبادات التقليدية المشربة بالمعتقدات الباطلة والعنصرية، ليصل بالتالي إلى أعلى درجات الاتحاد الروحي مع الله من خلال كهنوت القلب، على "رتبة ملكيصادق"، لا على رتبة عبادة مسرحية يهودية، مسيحية، إسلامية، بوذية، أو بشرية مهما كانت... فقد قال يسوع: "يعبد العابدون الصادقون الآب بالروح والحق. هؤلاء هم العابدون الذين يريدهم الآب. الله روح، وبالروح والحق يجب على العابدين أن يعبدوه" (يوحنا 4، 23 - 24).

هذا هو التعليم الذي يجب حفظه من ملكيصادق.

من الأفضل، في هذه المرحلة، قراءة الفصول من 5 إلى 10 من رسالة بولس إلى العبرانيين. فبولس يعلّق بطريقة رائعة على دور ملكيصادق ويعرض أهمية كهنوت يسوع الجديد لخلاص البشرية. إنه الخلاص الذي وعد به آدم وحواء.

4.3 عهد الأنصاف (تكوين 15، 7 - 17)

لقد وعد الله إبراهيم، الذي كانت زوجته عاقراً ومسنّة، نسلاً وأرض ميعاد. هذا الإبن الذي طال انتظاره لم يأتِ. كان إبراهيم، ذو السنوات الثمانين، يشكو إلى الله أن غريباً سيرث بيته: "يا سيدي الرب ما رزقتني نسلاً، ووارث بيتي هو أليعازر الدمشقي". لكن الله قال له: "لا يرثك أليعازر، بل من يخرج من صلبك هو الذي يرثك". يطلب إبراهيم بعدئذ أن يثبت من الأرض التي سيسكنها بعد أن يترك حاران: "يا سيدي الرب، كيف أعلم أني أرثها؟". كان إبراهيم بحاجة لعلامة ملموسة ليؤمن بالمعجزة، خاصة في ذلك الزمن. لقد فهم صعوبة رسالته والعهد مع الله، وأراد أن يكون "توقيع" الله موضوعاً في أسفل "العقد" بينهما. فيقول له الله: "خذ لي عجلة عمرها ثلاث سنوات، وعنزة عمرها ثلاث سنوات، وكبشاً عمره ثلاث سنوات، إلخ...". فأخذ إبراهيم "كل هذه الحيوانات وشطرها أنصافاً (بعد أن ذبحها) وجعل كل شطر مقابل الشطر الآخر" (تكوين 15، 1 - 11).

كي نفهم هذا النص، يجب أن نعرف أن الناس في زمن إبراهيم كانوا خرافيين. كذلك، كانت العادة أن يبرم كل اتفاق بالطريقة التالية: كان يؤتى بحيوان (أو عدة حيوانات وفقاً لأهمية العقد) يذبح لهذا الغرض، ثم يشطر إلى نصفين يعبر بينهما المتعاقدان. هذا العبور بين الشطرين كان يعني إبرام العقد وأن الفئة التي تنقض بنود العقد يكون مصيرها كمصير هذا الحيوان (أو هذه الحيوانات) فتشطرها الآلهة من النصف. بقيت هذه العادة تمارس من قِبل اليهود بعد إبراهيم بقرون عديدة، يذكرها النبي إرميا في القرن السادس ق.م، 1500 سنة بعد إبراهيم، الذي يدين خيانة العبرانيين بهذه العبارات: "أمّا الرجال الذين خالفوا عهدي ونقضوا ما تعاهدوا عليه أمامي حين قطعوا العجل شطرين ومرّوا بين قطعتيه، وهم رؤساء يهوذا وأورشليم والخصيان والكهنة وجميع شعب هذه الأرض، فأسلمهم إلى أيدي أعدائهم، وأيدي الذين يطلبون حياتهم" (إرميا 34، 18 - 20).

للإشارة إلى أنه سيحقق وعده لإبراهيم، يعبر الله بين القطع المشطورة "مثل تنور دخان ومشعل نار". يفسر كتاب التكوين أنه "في ذلك اليوم قطع الله عهداً مع أبرام" (تكوين 15، 17 - 18). هكذا يكون الله قد "وقّع" العقد مع الذي اختاره. كانت هذه الرؤية هي العلامة الملموسة التي طلبها إبراهيم.

كان الاعتقاد سائداً في ذلك الوقت أنه إذا التهمت الطيور الكاسرة لحم أضاحي الحيوانات، سيكون ذلك بمثابة نذير شؤم للعقد. لذلك يقول الكتاب المقدس: "انقضت الطيور الكاسرة على الجثث، فأخذ أبرام يزجرها" (تكوين 15، 11). هذه علامة إضافية للدلالة على نجاح هذا العهد. سيحصل إبراهيم إذاً على "أرضه"، ونسله من ساراي، زوجته العجوز والعاقر. على الرغم من الاستحالة البشرية لتحقيق بنود العقد "آمن أبرام بالرب، فبرره الرب لإيمانه" (تكوين 15، 6). إيمان إبراهيم هو نور لجميع المؤمنين. حرّك هذا النور الرسل وغالباً ما استند إليه بولس وتناوله كعبرة: "هكذا آمن إبراهيم بالله، فبرره الله لإيمانه. إذاً، فأهل الإيمان هم أبناء إبراهيم الحقيقيون" (غلاطية 3، 6 - 7).

هذه الرؤية تقودنا إلى نتيجتين مهمتين علينا أن نحفظهما كي نفهم روح الكتاب المقدس:

1) الله هو مربّي: يستعمل لغة الإنسان ويحترم ذهنيته. ينزل إلى مستواه، يتوجه إليه بلغة بشرية ليتمكن هذا الأخير من فهمه، ثم يرفعه تدريجياً إلى الفكر الإلهي الذي هو الروح القدس. أيضاً، بعبوره بين الأنصاف، يعطي الله إبراهيم علامة يستطيع فهمها.

2) كي نفهم أي نبي، علينا أن نضعه في إطاره التاريخي والاجتماعي. لا يصح ذلك بالنسبة للعهدين القديم والجديد فقط (القديم بالتوراة، والجديد بالإنجيل)، بل اليوم أيضاً للعهد الرؤيوي، عهد نهاية الأزمنة الذي هو العهد الأخير، فرصة البشر الأخيرة لإصلاح أنفسهم. علينا أن ننظر إلى الرسول الرؤيوي بأعين جديدة و، لنتمكن من فهمه، علينا أن نضعه في الإطار التاريخي والاجتماعي لعصره: القرن العشرين والواحد والعشرين.

5.3 إسماعيل (تكوين 16)

إبراهيم وسارة، اللذان كان يجهلان قدرة الله، لم يفهما كيف سيعطيهما الله ابناً وهما عجوزان وسارة عاقر. فالأعاجيب لم تكن معروفة بعد في أيامهما.

في ذلك الوقت، كان يوجد قانون للملك حمورابي يقضي بأنه في حال العقم، يمكن للزوجة الشرعية أن يكون لها أولاد يعتبرون شرعيين من خلال سماحها لزوجها بمضاجعة خادمتها. الطفل المولود من هذه العلاقة الخارجة عن الزواج كان يُعتبر مع ذلك طفل الزوجين، بشرط أن تحمله الزوجة الشرعية فور ولادته بين ذراعيها تعبيراً عن موافقتها الكاملة (اليوم يوجد ما نسمّيه "أمهات حاملات").

عندما رأت سارة، التي كان إيمانها أقل صلابة من إيمان زوجها والتي كانت تعلم أنها عاقر، أن هذا الابن لم يأتي، دفعت بإبراهيم نحو هاجر، جاريتها المصرية، قائلة له: "الرب منع عني الولادة فضاجع جاريتي لعل الرب يرزقني منها بنين" (تكوين 16، 2). هذا التصرف سيتكرر لاحقاً مع يعقوب، إبن ابراهيم الأصغر، الذي سيتزوج جاريتي زوجتيه، راحيل (تكوين 30، 1 - 6) وليئة (تكوين 30، 9 - 13).

من تزاوج إبراهيم وهاجر وُلد إسماعيل. كان إبراهيم وقتئذٍ يبلغ 86 سنة من العمر (تكوين 16، 16). تجدر الملاحظة أن الله لم يستعجل بتحقيق وعده بإعطاء إبراهيم إبناً من سارة؛ هذه طريقته بجعل الإنسان ينمو لبلوغ النضج الإلهي بالصبر.

هكذا، أخذت سارة مبادرة الحصول على إبن على طريقتها. إنما لله مخططه الخاص الذي لا يريد تعديله. مولد إسماعيل لم يثنيه عن الظهور مجدداً لإبراهيم ليكشف له عن مخططه الرائع: "أمّا ساراي امرأتك فلا تسمها ساراي، بل سارة. وأنا أباركها وأعطيك منها ابناً... فوقع إبراهيم على على وجهه ساجداً وضحك وقال في نفسه: أيولد ولد لابن مئة سنة؟ أم سارة تلد وهي ابنة تسعين سنة؟ فقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يحيا أمامك!". لكن الله شدد قائلاً: "بل سارة امرأتك ستلد لك ابناً وتسميه إسحق، وأقيم عهدي معه" (تكوين 17، 15 - 19). كان هذا الإعلان عن الأعجوبة الأولى في التاريخ البشري. العهد كان يعني أن المسيح سيأتي من سلالة إسحق.

6.3 إسحق (تكوين 17 و18)

كان على إبراهيم أن ينتظر مطولاً هذا الابن المُعلن عنه في عهد "الأنصاف". فإسحق لم يولد إلا خمسة عشر سنة بعد هذه الرؤية.

عند إعلان ولادته، "ضحك" أباه وأمه على السواء (تكوين 17، 17 و 18، 12). مناسبة الضحك هذه هي في أصل اسم إسحق الذي يعني "يضحك" في العبرانية: "الله جعلني أضحك، وكل من سمع يضحك لي أيضاً. من كان يقول أن سارة سترضع لإبراهيم بنين؟ وها أنا ولدت له ابناً في شيخوخته!"، قالت زوجة الشيخ فرحةً، والتي كانت عند ولادة إسحق تبلغ 90 سنة وزوجها 100 سنة من العمر (تكوين 21، 6 - 7). وحده الله كان يستطيع أن يعلن لإبراهيم مثل هذه المفاجأة وأن يحققها. بالنسبة للزوجين المسنين كان هناك فعلاً ما يدعو للضحك. لكنّا فعلنا نفس الشيء. كثير من الناس يضحكون أمام تسعينية حامل.

يتمتع إسحق بأهمية كبيرة لأنه يأتي ليجسّد العلامة التي طلبها إبراهيم من الله: هذا الابن هو إتمام لعهد "الأنصاف". هذه العلامة، التي يتعذر على العلم تفسيرها، هي شاهد رهيب لبشر كل الأزمنة. لا تخص إذاً إبراهيم وحده، بل تشملنا جميعاً لأن العهد الذي على إسحق أن يخلّده هو من خلال المسيح؛ على هذا العهد أن يأتي من نسل ابن إبراهيم، وليس من نسل أحد آخر، لأن الله يقول: "أمّا إسماعيل فسمعت لك، وها أنا أباركه... لكن عهدي أقيمه مع إسحق" (تكوين 17، 20 - 21).

لقد عززت هذه الأعجوبة إيمان إبراهيم، كما يجب أيضاً أن تعزز إيماننا. لهذا الهدف أرادها الله.

إن مخطط الخلاص الذي أعلنه الله لآدم وحواء يتحقق إذاً من خلال إبراهيم. عليه أن يظهر كمبادرة وتدخل إلهيين، برهان قاطع عن جبروت الله، وعن مخطط إلهي على البشر أن يحترموه ويتبعوه. وحدهم المؤمنون الصادقون سيرون ويفهمون.

لاحظ صبر الله: ليس إلا بعد 13 سنة من ولادة إسماعيل حتى أوضح الله مخططه لإبراهيم. فهذا الأخير لم يكن يفكر أبداً أنه سيرزق بأبناء آخرين، ولا حتى زوجته. فقد كانا مكتفيان باسماعيل. لكن لله مخططه و، ليحققه بشكل كامل، كان عليه أن يقلب المفاهيم البشرية رأساً على عقب. تلك هي حكمته. على الخليقة أن تتعلم باستمرار أن تتأقلم مع مشيئة الخالق؛ ستكتشف حكمة الله العميقة من خلال خضوعها لمشيئته دون مقاومة ولن تندم أبداً من استسلامها له تعالى.

مع إسحق، برهن الله عن جبروته. بهذه الطريقة حضّر البشرية لأعجوبة أخرى، تفوقها روعة، أعجوبة ميلاد المسيح 2000 سنة بعد إبراهيم: وُلد يسوع من مريم العذراء بتدخل إلهي مباشر، من دون تدخل بشري: "أرسل الله الملاك جبرائيل إلى عذراء اسمها مريم... وقال لها: ستحبلين وتلدين ابناً... وابن الله العلي يُدعى... الروح القدس يحل عليكِ... فالقدوس الذي يولد منكِ يُدعى ابن الله..." (لوقا 1، 26 - 38).

يأتي إسحق إذاً ليحضّر البشر لاستقبال المسيح. فلم يعد من مبرر لعدم الإيمان بولادة يسوع الأعجوبية.

7.3 الختان (تكوين 17، 9 - 14)

الختان هو عادة تعود إلى زمن ما قبل الكتاب المقدس؛ كانت موجودة قبل إبراهيم، وكانت يمارسها الوثنيون لأسباب مختلفة. في الحرب، كان المنتصرون يخضعون المهزومين لـ "إذلال" الختان. هذه الحقيقة مذكورة في الكتاب المقدس عندما طلب الملك شاول من داود "مئة غلفة من الفلسطينيين انتقاماً من أعدائه" (صموئيل الأول 18، 25). هذه الممارسة إذاً لا تعني بالضرورة عهداً مع الله، حتى ولو أن كتبة العهد القديم يقدمونها كـ "علامة للعهد" مع الله (تكوين 17، 11).

منذ العصور القديمة، كانت عادة الختان تمارس في جميع أنحاء العالم. اليوم أيضاً، بعض القبائل في أستراليا، أفريقيا وأميركا يعتبرونه رمزاً للرجولة: الأب يرفض تزويج ابنته لغير مختون. بعض الشعوب تجري هذه العملية حتى للفتيات (استئصال البظر).

عندما رأى إبراهيم أن الوثنيين كانوا يختتنون لأجل آلهتهم، ظنّ أن الأجدر به أن يختتن هو أيضاً من أجل الله الواحد الحقيقي. لكن مع الوقت، فهم الأنبياء القيمة الرمزية للختان، فقد طلب موسى أن يكون الختان ختان القلب (التثنية 10، 16). إرميا بدوره أصر على تطهير النفس من خلال ختان القلب (إرميا 4، 4). لم يتوقف هذا النبي الكبير على دعوة المؤمنين إلى التأمل و "تطهير" الضمير، بل قام بإدانة وهم وسطحية ختان القلف، مشدداً على أن الوثنيون يمارسونه أيضاً: "ستأتي أيام يقول الرب أعاقب فيها المختونين بالجسد مع غير المختونين من أهل مصر ويهوذا وأدوم... فإذا كان كل هؤلاء الأمم غير مختونين بالجسد، فكل بيت إسرائيل غير مختونين بالقلب" (إرميا 9، 24 - 25). لاحِظ أن يهوذا (اليهود) وُضعت في نفس مرتبة وثنيي ذلك الوقت (مصر وأدوم) على الرغم من الختان، وأن هذه العادة كانت تمارس خارج حدود فلسطين.

يجب مقارنة الختان مع العبادات العصرية المستوحاة من الوثنية: ملابس الكهنة، التبخير، السجود إلخ... جميع أشكال العبادة هذه ليست سوى أوهام، تديّن مفرط سطحي لا يرضي الله ولا يساهم في التطور الروحي. إنها عراقيل مادية أمام الارتقاء الحقيقي للنفس. يمكننا أن نقول نفس الشيء عن معمودية الماء؛ ليست سوى رمز. العبادة الوحيدة الصحيحة هي العبادة بالمعرفة والمحبة، عبادة الله "بالروح والحق" كما سبق ذكره (يوحنا 4، 23 - 24).

مع الإنجيل، ننتقل بشكل نهائي من المفهوم المادي للختان إلى المفهوم الروحي الذي يبطل هذه العادة: "لا الختان له معنى، ولا عدم الختان، بل الخير كل الخير في العمل بوصايا الله"، يقول بولس (كورنثوس الأولى 7، 19). وأيضاً: "ففي المسيح يسوع لا الختان ولا عدمه ينفع شيئاً، بل الإيمان العامل بالمحبة" (غلاطية 5، 6)، وفي المسيح كان ختانكم ختاناً، لا بالأيدي، بل بنزع جسم الخطايا البشري، وهذا هو ختان المسيح"، كما يضيف بولس (كولوسي 2، 11).

هذا الشعب "باطلاً يعبدني"، قال يسوع عن الكتبة والفريسيين بالرغم من ختانهم (متى 15، 9). إشعيا، كمعظم الأنبياء، شجب هو أيضاً هذه العبادات: فقد "قال الرب: هذا الشعب يتقرب مني بفمه ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيد عني. فهو يخافني ويعبدني بتعاليم وضعها البشر" (إشعيا 29، 13). نندهش من إصرار "تلاميذ" يسوع اليوم أيضاً على العبادة طبقاً لشعائر وطقوس أدانها يسوع والأنبياء: "يا مراؤون، صدق إشعيا في نبوءته عنكم حين قال: هذا الشعب يكرّمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيد عني. وهو باطلاً يعبدني بتعاليم وضعها البشر"، يكرر يسوع (متى 15، 7 - 9).

8.3 كشف الثالوث الألهي (تكوين 18)

الفصل 18 يكرر إعلان الله لإبراهيم عن ولادة إسحق، لكن هذه المرة بحضور امرأته سارة. في الرواية الأولى، إبراهيم هو الذي "ضحك" (تكوين 17، 17)، لكن في الرواية الثانية، إنها سارة، التي "كانت تسمع عند باب الخيمة وراء إبراهيم"... والتي "امتنع أن يكون لها عادة كما للنساء"، هي التي "ضحكت في نفسها وقالت: أبعدما عجزت وشاخ زوجي تكون لي هذه المتعة؟" (تكوين 18، 11 - 12).

في الروايتين نميّز تكرار ذكر أن إسحق سيولد "في مثل هذا الوقت من السنة المقبلة" (تكوين 17، 21 / 18، 14). يوجد هنا تقليدين شفهيين، الثاني يريد احترام كرامة الشيخ الجليل: ليس إبراهيم من ضحك وشكّ، بل سارة التي إيمانها أضعف من إيمان زوجها الذي يُعتبر دون عيب. الرواية الأولى تعود للتقليد الألوهي: "قال الله لإبراهيم..." (تكوين 17، 9 - 22)، والثانية تعود للتقليد اليهوي: "وتراءى الرب يهوه لإبراهيم عند بلوط ممرا..." (تكوين 18، 1 - 14).

الله، الذي يعرف ما في القلوب، رأى أن سارة ضحكت في نفسها، فسألها لماذا ضحكت، لا ليثقلها، إنما ليجعلها تدرك جبروته. سارة، التي رأت أنها انكشفت، تملّكها الخوف وأنكرت قائلة: "ما ضحكت". لكن الله الطيب والمتفهم عاد وقال لها: "لا، بل ضحكتِ"، ولم يعتبر تصرف خليقته "الصغيرة" الخائفة كذباً (تكوين 18، 15).

النقطة الأهم في هذه الرواية الثانية هو الكشف عن الثالوث الإلهي. فقد ظهر الله لإبراهيم على هيئة ثلاثة أشخاص: "رفع عينيه ونظر فرأى ثلاثة رجال واقفين أمامه" (تكوين 18، 2).

الحوار بين الله وإبراهيم موحٍ في حد ذاته: يتوجه الشيخ الجليل إلى هؤلاء الأشخاص الثلاثة تارة بالمفرد، وطوراً بالجمع. يبدو أنه لم يكن يعرف إن كان عليه أن يتوجه إلى واحد أو إلى ثلاثة: "إن كنت راضياً علي يا سيدي ... دعني أقدّم لكم قليلاً من الماء، فتغسلون أرجلكم... فقالوا له: إفعل كما قلت" (تكوين 18، 2 - 5). إنه الله-الثالوث الذي يفاجئ عالم البشر ويتجلى 2000 سنة قبل المسيح، من دون أن يدركه الذكاء البشري الذي كان لا يزال بليداً.

أعد قراءة الفصل 18 بانتباه وتأمل. ما رأيك بهؤلاء الأشخاص الذين ظهروا لإبراهيم؟ لماذا يتغيّر الحوار بين المفرد والجمع؟ ما هو تفسيرك.

تأمّل بالطريقة التي تُنقل بها هذه الرواية: كل شيء قيل ببساطة، بطهارة وبدون رصانة مزيفة، خاصة من ناحية سارة. يسارع إبراهيم لاستقبال ضيفه بحماسة عفوية ويقدّم له أفضل ما عنده من قطيعه (بعكس بخل قايين). وسارة، التي أذوتها السنون، والتي "امتنع أن يكون لديها عادة كما للنساء، ضحكت في نفسها وقالت: أبعدما عجزت وشاخ زوجي تكون لي هذه المتعة؟"

تبين لنا هذه السطور شخصية إبراهيم: إنه رجل بسيط، مستقيم، كامل الصفات، شهم، عفوي وطيّع لمشيئة وإرادة الله. هذا يفسّر لماذا اختاره الله. لا تنسى أن الاختيار الإلهي قد وقع على هذا الرجل، السوري، وليس على "شعب" عبراني قاس القلب ومتمرد على الله كما يكشفه الأنبياء (إشعيا 1، 2 - 4 ؛ إرميا 7، 25 - 28...إلخ.).

9.3 سدوم وعمورة (تكوين 19)

بعد إعلانه عن ولادة إسحق، أعلن الله لإبراهيم عن عزمه ضرب سدوم وعمورة بسبب فسادهما. هاتان المدينتان، اللتان كانتا تقعان إلى جنوب البحر الميت، كانتا مشهورتين بفجورهما، خاصة المثلية الجنسية. قرر الله أن يعاقبهما، كما فعل من قبل، في أيام نوح، بحضارة منحلة. على ذلك أن يكون بمثابة درس لأجيال المستقبل ومثل عن العقاب الذي سينقض على العالم الكافر في نهاية الأزمنة (لوقا 17، 26 - 30).

دعي لوط وامرأته لمغادرة سدوم مع ابنتيهما لأنهما لم تكونا قد تلوثتا من قبل السدوميين. رذيلة هؤلاء الأخيرين كانت بكل وضوح المثلية الجنسية (تكوين 19، 4 - 11). طلب الله من لوط وعائلته أن لا يلتفتوا إلى الوراء أثناء خروجهم من المدينة (تكوين 19، 17)، يعني أن يغادروا دون التحسر على الماضي، دون أن يتركوا قلبهم هناك على ممتلكاتهم، بيوتهم، إلخ...، بل أن ينظروا إلى المستقبل، مؤتمنين الله. زوجة لوط لم تبالي بهذه الوصية الإلهية فتحولت إلى "عمود ملح" (تكوين 19، 26).

يجب أن نفهم المعنى الرمزي لهذه القصة: لا يجب أبداً التردد في ترك حياة تخلو من وجود الله. من يرغب في الارتفاع عليه أن يتحرر من الانجذاب الدنيوي وينقض على الحياة الروحية دون الالتفات إلى الوراء، دون تغذية الحنين إلى الملذات السابقة: "ما من أحد يضع يده على المحراث (الحياة الروحية) ويلتفت إلى الوراء، يصلح لملكوت الله"، قال يسوع (لوقا 9، 62).

10.3 ولادة إسحق وطرد هاجر واسماعيل (تكوين 21)

بعد ولادة إسحق، "رأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحق، فقالت لإبراهيم: أطرد هذه الجارية وابنها! فابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق" (تكوين 21، 9 - 10). هكذا تبرأت سارة من أمومة إسماعيل ورفضته، وأبعدته مع أمه... بعد أن كانت هي التي حثت زوجها على الإنجاب من هاجر.

موقف سارة "ساء لإبراهيم، لأن إسماعيل كان أيضاً ابنه. لكن الله قال له: لا يسوؤك هذا الكلام على الصبي وعلى جاريتك. إسمع لكل ما تقوله لك سارة، لأن بإسحق يكون لك نسل" (تكوين 21، 9 - 12).

يسمح الله بهذه الغيرة الأنثوية؛ فيقبل بطرد هاجر واسماعيل لا ليقلل من اعتبارهما ويؤيد سارة، كما يفسره الحاخامات، إنما ليتمم مخططه المسيحي من خلال إسحق. كان على العائلة أن تعيش بسلام، دون خصام. لذلك طلب الله من إبراهيم أن لا يحزن من جراء هذا الإبعاد، مؤكداً على بركته التي سبق أن أعطاها لإسماعيل (تكوين 17، 20)، ومذكّراً أنه "سيجعله أمة لأنه من صلبه" (تكوين 21، 13).

هذه المباركة الإلهية تناقض تصرف اليهود المتعصبين فيما يخص إسماعيل والعرب، بحجة أن سلفهم إسماعيل قد "طُرد" من قبل إبراهيم. فكتاب التكوين لم يقدم إقصاء إسماعيل بهذا الروح العنصري الذي يعتبره، هو أيضاً، من نسل إبراهيم. بعد طرد هاجر وابنها، ظهر لهما ملاك من الرب ليخفف عن الأم المضطربة ويمدّها بالقوة: "ما لك يا هاجر؟ لا تخافي. سمع الله صوت الصبي حيث هو ... فسأجعله أمة عظيمة. وفتح الله بصيرتها فرأت بئر ماء، فمضت إلى البئر وملأت القربة ماء وسقت الصبي. وكان الله مع الصبي..." (تكوين 21، 14 - 21).

الله لم يتخلى عن إسماعيل أبداً، إنما كان على مخططه المسيحي أن يتحقق من خلال إسحق.

11.3 التضحية بإسحق (تكوين 22)

كان من عادة وثنيي ذلك العصر أن يقرّبوا أولادهم كتضحية للآلهة. حتى أن بعض ملوك اليهود بعد إبراهيم مارسوا هذه العادة التي أدانها الأنبياء (إرميا 7، 31). تحت ثقل أزمة ضمير، أراد إبراهيم أن يقدّم ابنه للرب كما يقدم الوثنيون أولادهم لآلهتهم، لاعتقاده أنه بهذه الطريقة يكرّم الله. لكن الله تدخل في الوقت المناسب ليثنيه عن فعلته وليبين له أنه ليس مثل "الآلهة" الوثنية التي تطلب أضاحي بشرية: "قال الملاك لإبراهيم: لا تمد يدك إلى الصبي ولا تفعل به شيئاً. الآن عرفت أنك تخاف الله، فما بخلت علي بابنك وحيدك. فرفع إبراهيم عينيه فرأى وراءه كبشاً... فأقبل عليه وأخذه وقدمه محرقة بدل ابنه" (تكوين 22، 9 - 13).

فيما بعد، فسر الله من خلال الأنبياء أن التضحيات الوحيدة التي ترضيه هي التوبة، العدل والمحبة. فقد قال النبي ميخا: "بماذا أتقدم إلى الرب وأكافىء الله العلي؟... أأبدل بكري عن معصيتي، ثمرة بطني عن خطيئتي؟ أخبرتك يا إنسان ما هو صالح وما أطلب منك أنا الرب: أن تصنع العدل وتحب الرحمة وتسير بتواضع مع إلهك" (ميخا 6، 6 - 8).

مع مجيء يسوع، حصلنا على نور جديد. ليس فقط أن الله لا يطلب من البشر أن يقرّبوا أولادهم، لكنه هو، الله، الذي يقدّم ابنه الوحيد ذبيحة لخلاص البشر: "هكذا أحب الله العالم حتى وهب ابنه الأوحد، فلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"، قال يسوع (يوحنا 3، 16)، وأيضاً: "ما من حب أعظم من أن يضحي الإنسان بنفسه في سبيل أحبائه. وأنتم أحبائي إذا عملتم ما أوصيكم به" (يوحنا 15، 13 - 14). من خلال تدخله بالتاريخ

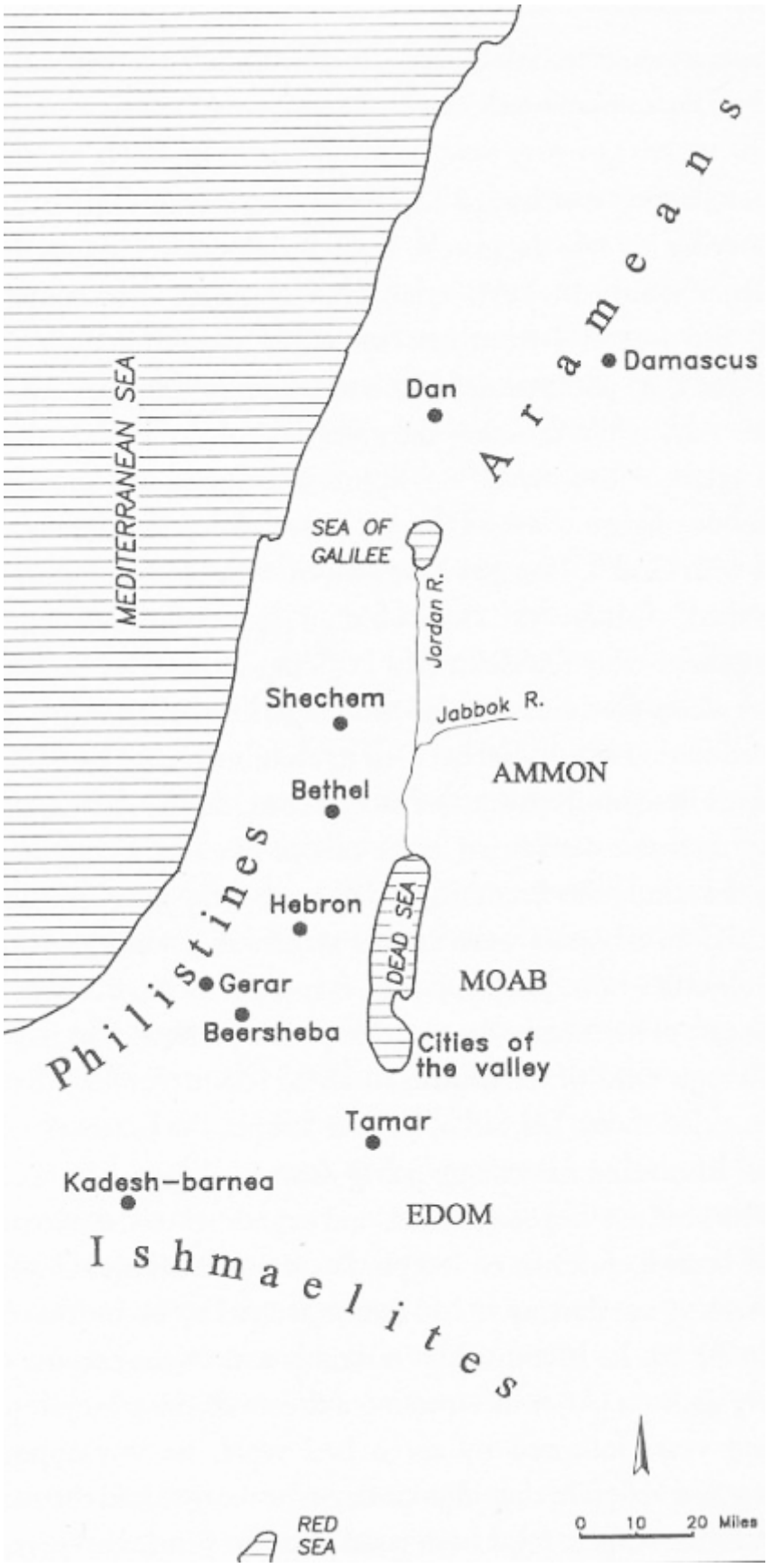

مواطن وشعوب كنعان المذكورة في تاريخ الآباء

البشري، غيّر الله، بحكمة وأسلوب تربوي، عقلية الإنسان عن أضاحي الحيوانات، و، مع مجيء يسوع، أصبح التغيير شاملاً. آلهة المثولوجيا المستبدة أخلت المكان للخالق الوحيد الذي تجلى صالحاً، عطوفاً وغفوراً.

12.3 زواج إسحق (تكوين 24)

أراد إبراهيم زوجة لابنه "من أرضه وعشيرته" (تكوين 24، 1 - 4). فأرسل خادمه إلى سورية، إلى "أرام النهرين" (في شمال دجلة والفرات)، حيث تقع مدينة حاران مسقط رأسه (تكوين 24، 10 - 15). من هناك جاء الخادم بـ "رَفقة" زوجة لإسحق. فرفقة هي البنت الصغرى لملكة، زوجة ناحور، شقيق إبراهيم (تكوين 11، 27 - 29). إنها إذاً ابنة عمه. من هناك أيضاً كانت رفقة تريد زوجة لابنها يعقوب (تكوين 27، 46 / 28، 5). هذا يبرهن الأصل السوري لعائلة إبراهيم.

تأمل

طمأن الله إبراهيم من خلال مباركته لإسماعيل. وأعلن له أيضاً أن هذا الأخير "سيلد اثني عشر رئيساً" (تكوين 17، 20) ذُكرت أسماؤهم في التكوين 25، 12 - 16. هذا العدد رمزي ويجب أن يوضع بالتوازي مع عشائر إسرائيل الاثني عشر (راجع أبناء يعقوب الاثني عشر في التكوين 35، 22 - 26). فروع إسماعيل "العظماء" الاثني عشر أعزّاء على قلب الله جديرون بالاحترام. مثل جميع البشر الصالحين، يحق لهم بنفس الميراث الروحي لأبناء إسحق الصالحين.

لو أن كاتب النص محاب ومؤيد لهاجر وإسماعيل لكان كتب: "بعد أن رُزقت سارة بإسحق، تخلت عن إسماعيل الذي تلّقى الصدمة. وانتهى بها الأمر إلى إبعاده ناسية أنها تشوقت للحصول عليه وتبنّيه. والحال هو أن الغيرة جعلتها ترفض حقه الشرعي بالميراث مثل إسحق، أخيه. موقف سارة "ساء لإبراهيم" (تكوين 21، 9 - 11). فيما بعد، تبنى المتعصبون عقلية سارة المتطرفة، بدلاً من الاقتداء بطيبة وعدالة إبراهيم.

4. الدرس الرابع – قصة إسحق ويعقوب (تكوين 25 إلى 50)

عليك بقراءة هذه الفصول قبل متابعة هذا الدرس، وإلا فلن تستخلص منه الشيء الكثير. خمس نقاط مهمة سنتناولها:

1.4 إبنا إسحق: عيسو ويعقوب (تكوين 25، 19)

رفقة (ريفكا)، مثل سارة حماتها، كانت سورية. التكوين 25، 50 يشدد على الإعلان عن هذا الأصل "الأرامي" لزوجة إسحق: "كان إسحق ابن أربعين سنة حين تزوج رفقة بنت بتوئيل الأرامي، أخت لابان الأرامي، من سهل أرام" (تكوين 25، 20).

رفقة، مثل سارة، كانت عاقراً: "صلى إسحق إلى الرب لأجل رفقة امرأته لأنها كانت عاقراً؛ فاستجاب له الرب وحبلت رفقة" (تكوين 25، 21). حملت رفقة بتوأمين: عيسو ويعقوب. الأول الذي يولد كان يعتبر مثل البكر والعادة كانت أن يكون ذو امتياز وبرث من الشرف الأبوي. بحسب التقليد البشري، كان يعود إذاً لعيسو، البكر، أن يرث رسالة إبراهيم وإسحق الروحية، وكان على المسيح أن يأتي من سلالته، لا من سلالة أخيه التوأم، يعقوب.

لكن الله لا يترك نفسه يتقيد بالعادات والاعتبارات البشرية، العائلية أو العشائرية، كما هو الحال هنا. فهي في أغلب الأحيان عنصرية وناتجة عن أحكام مسبقة غير عادلة. لقد أقام الله إذاً عهده مع يعقوب، لا مع عيسو، مع أنه البكر. هذا "العهد" يعني أن على المسيح أن يأتي من سلالة يعقوب.

فعندما ذهبت رفقة "لتسأل الرب"، قال لها: "في بطنك أمّتان... وكبير يستعبده صغير" (تكوين 25، 23). كان هذا بمثابة تغيير شامل لذهنية العصر وللتقاليد القديمة. السبب - البشري - لانتقال حق البكورية إلى يعقوب هو أن رفقة "أحبّت يعقوب" لأنه كان "رجلاً مسالماً يلزم الخيام"، بالقرب من أمّه (تكوين 25، 27 - 28). كانت هذه الأخيرة إذاً تتآمر لتختلس حق البكورية وتعطيه لابنها المفضل. بالحيلة، توصلت لاقتناص بركة زوجها إسحق لابنها يعقوب بدلاً من عيسو الذي كان إسحق مع ذلك يفضّله على أخيه "لأنه استطاب صيده (الطريدة التي يطبخها عيسو)" (تكوين 25، 28). كان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أن البركة التي تُعطى تكون فعلية ونهائية، ولا يمكن أن تنتقل إلى أحد آخر، بصرف النظر عن إن كان يستحقها أم لا (تكوين 27، 1 - 45). تجدر الملاحظة إلى أن "استشارة الله هذه" كانت تمارس من عرافين وعرافات كانوا يزعمون امتلاك مقدرة "العرافة". اليوم أيضاً، كثيرون يزعمون امتلاك هذه المقدرة. الكتاب المقدس يكشف أن بني إسرائيل كانوا يمارسون هذه العادة (مراجعة الخروج 33، 7 / صموئيل الأول 14، 41).

موقف رفقة ويعقوب في هذه المسألة ليس مثالاً على خلوقية عالية. الأنبياء الذين جاءوا فيما بعد شجبوا حيلة يعقوب: النبي إرميا يقدمها كمثل عن المكر: "ليحذر كل واحد من صاحبه، ولا يتكل على أحد من أخوته. فكل أخ يمكر بأخيه..." (إرميا 9، 3 - 4). "الرب يتهم بيت يهوذا، وسيعاقب بني يعقوب على طرقهم ويجازيهم بحسب أعمالهم. فيعقوب، وهو بعد في البطن، قبض على عقب أخيه..."، يقول هوشع أيضاً (هوشع 12، 3 - 4).

لكن الكتبة أرادوا أن يبرروا يعقوب وأمه، فأوردوا قصة طبيخ العدس على حساب عيسو. رجع هذا الأخير "خائراً من الجوع" ومنهوكاً من العمل في الحقل؛ فقال لأخيه الذي كان قد حضّر طبيخاً من العدس: "أطعمني من هذا الأدام لأني خائر من الجوع!" لكن يعقوب، المتعطش إلى حق البكورية، اغتنم

الفرصة واحتال على أخيه ليسرق منه هذا الحق قائلاً: "بعني اليوم بكوريتك". عيسو، الذي على الأرجح لم يحمل أطماع أخيه على محمل الجد، وافق. فعلّق الكتبة على ذلك بتهكم قائلين: "استخف عيسو بالبكورية" (تكوين 25، 29 - 34).

إلا أن لهذه القصة الفضل في أن تهز مشاعرنا: إنها تدعونا، إن كنا منتبهين، إلى الثورة على الظلم. لاحظ جيداً أن إسحق قال لابنه عيسو: "...تخدم أخاك، فإذا قويت، تكسر عن عنقك نيره" (تكوين 27، 40). يجب إذاً التحرر من نير التقاليد الدينية العقيمة.

عبرة أخرى علينا أن نستخلصها من هذه القصة: علينا أن نفضل الروحاني على المادي، أن لا "نبيع حق بكوريتنا"، حقّنا بالحياة الأبدية، مقابل منفعة دنيوية. هذا هو تعليم يسوع عندما رفض طلب إبليس تحويل الحجارة إلى خبز، بالرغم من جوعه، لأنه "ما بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (متى 4، 4. راجع أيضاً التثنية 8، 3). علينا أن نكون جائعين ومتعطشين للتوجيهات الإلهية. إن كان علينا أن نختار بين مصلحة مادية وأخرى روحية، فعلينا أن نختار الأخيرة ونضحي بالأولى، دون أن نلتفت إلى الوراء كما فعلت امرأة لوط...

وعد الله آدم وحواء بنسل سيسحق رأس الشيطان. هذا المخلّص هو المسيح. بدأ مخطط الله المسيحي مع إبراهيم، انتقل إلى إسحق واستمر بيعقوب.

بعد أن بدأ مع إبراهيم وانتقل إلى إسحق، النسل الذي وعد به الله آدم وحواء لسحق رأس الشيطان، مُجربهما، ينتقل إلى يعقوب الذي يصبح الأب الثالث. قصة طبيخ العدس تأتي لتفسر لماذا لم ينتقل هذا النسل إلى عيسو مع أنه البكر. لكن هذا التفسير البشري لا يكشف مقصود الله الحقيقي.

2.4 زوجتا يعقوب (تكوين 28 و 29)

تزوّج عيسو من امرأتين حثيتين، لا أراميتين: ساء ذلك لأمه وأبيه (تكوين 26، 34 - 35) وكان سبباً إضافياً ليحقدا عليه. أما رفقة، التي كانت تخاف على يعقوب من مثل هذه الزيجات، تدخلت لدى زوجها ليطلب من يعقوب: "لا تأخذ امرأة من بنات كنعان. قم اذهب شمالاً إلى سهل أرام (أرام، أي سورية)، إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وتزوج بامرأة من هناك، فيباركك الله القدير... ويعطيك بركة إبراهيم، لك ولنسلك من بعدك..." (تكوين 28، 1 - 4). لاحِظ أن إسحق التمس "بركة إبراهيم" على يعقوب ونسله. في المقصود الإلهي، هذه البركة تعني أن المسيح سيأتي من نسل يعقوب، لا من نسل عيسو. الكتبة يعطون هذه البركة تفسيراً جغرافياً، أي أن فلسطين هي ملك لنسل يعقوب (بني إسرائيل) وليس لنسل عيسو (العرب). يبرز ذلك من الآية التالية: "...لترث أرض غربتك التي وهبها الله لإبراهيم..." (تكوين 28، 4).

في طريقه إلى سورية، رأى يعقوب في الحلم الله واقفاً على سلم منصوبة على الأرض ورأسها إلى السماء ليعلن له أن عهده مع إبراهيم سيستمر به (تكوين 28، 12 - 16). استرجع يسوع هذا الحلم عن السلم، ناسباً إياه إلى شخصه ومعلناً أنه منذئذٍ سيكون هو نفسه حامل العهد الإلهي وخلف ووارث الوعود الحقيقية التي قطعها الله لإبراهيم، إسحق ويعقوب (يوحنا 1، 51). إنه هو هذه السلم الذي يوصل من الأرض إلى السماء ويتيح للمؤمنين به أن يرتقوا إلى الله العلي.

لاحظ أن الإيمان بالله الواحد لم ينمو دون صعوبات. لقد استوجب الأمر تجارباً وخيارات شخصية. يعقوب لم يكتفي بكلام والده. لقد تردد بالإيمان بالله وإيمانه كان مشروطاً: "إن كان الله معي... إن رزقني خبزاً... إن رجعت سالماً إلى بيت أبي، يكون الرب (وحده) لي إلهاً" (تكوين 28، 20 - 22).

قصة زيجات يعقوب تبدأ في الفصل 29، 15. السباق الجنوني بين ليئة وراحيل للإنجاب يبدو لنا مضحكاً. يجب قراءة هذه الروايات مع الأخذ بعين الإعتبار عقلية ذلك العصر: كان احترام الزوج بقدر عدد أولاده لأن النسل كان يعتبر إشارة للبركة الإلهية.

هذا السباق الجنوني للإنجاب بين الزوجتين، والذي شاركت به الخادمتان زلفا (لليئة) وبلها (لراحيل)، منح يعقوب 12 صبياً وبنتاً واحدة. أولاد يعقوب الاثني عشر هم الآباء المؤسسين لعشائر بني إسرائيل الاثني عشر، الطائفة التوحيدية الأولى التي دُعيت لتكشف الخالق الوحيد للعالم، برفق ومحبة. أدان الأنبياء خيانة وسوء إدارة هذه المجموعة الأولى من المؤمنين.

بعد أن أصبح غنياً، أراد يعقوب أن يستقل عن حماه لابان. فهرب نحو بلده الأم، كنعان. لاحِظ أنه، في خضم الاستعجال للسفر، أصرّت راحيل على أن تجلب معها أصنام الآلهة التي كانت تعبدها بالرغم من زواجها من يعقوب (تكوين 31، 34). تجدر الملاحظة إذاً أن الإيمان بالله الواحد نما تدريجياً مع الوقت في قلوب الأسلاف. لا يدهشنا ذلك. فاليوم أيضاً، 4000 سنة بعد إبراهيم، يوجد من اليهود، من المسيحيين ومن المسلمين من لا يؤمنون بالله...أو بئساً يؤمنون به، بتعصب، بذهنية تمامية وعقلية وثنية غير متجددة.

3.4 "صراع" يعقوب مع الله (تكوين 32، 24 - 33)

أثناء عودة يعقوب إلى بلاد كنعان، شاهد رؤية إلهية أخرى: "رجل يصارعه حتى طلوع الفجر". هذا "الرجل" هو الله بشكل بشري، مثل "الرجال" الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم (تكوين 18).

"الصراع" بين الله ويعقوب رمزي: يريد الله أن يصنع يعقوب، أن يقولبه على هيئة روحه القدوس، لكن الرجل يرفض الخضوع لخالقه. عندما رأى أن يعقوب كان يقاومه، أعطاه الله اسم "إسرائيل"، الذي يعني "الذي صارع الله" (تكوين 32، 29).

بتحليلنا لهذا الحدث، نستنتج أن يعقوب أراد لاشعورياً أن يتساوى مع الله، أن ينافسه. لهذا السبب أدان الأنبياء تصرفه. فيقول هوشع: "الرب يتهم بيت يهوذا، وسيعاقب بني يعقوب على طرقهم ويجازيهم بحسب أعمالهم... فيعقوب... في أوان رجولته صارع الله"، يختم هوشع متهكماً (هوشع 12، 3 - 4). أراد يعقوب أن يسرق بركة الله بالقوة وبأنانية، لا بمحبة وعدل، كما فعل عندما اختلس بركة عيسو من أبيه.

بعد هذا الحدث، يعطي الله اسماً آخر ليعقوب: "لا يُدعى اسمك يعقوب بعد الآن بل إسرائيل (إسرا=صارع، وإيل=الله)، لأنك غالبت الله والناس ("صارع" أخاه عيسو وسرق منه حق البكورية) وغلبت"، يعلن له الله ساخراً (تكوين 32، 29). هذه المقاومة تنطبق على الكتبة والفريسيين الذين طالما قاوموا الله وأنبيائه. فلم يتوانى الأنبياء، قبل يسوع والرسل، عن إدانة تمرّد رؤساء الدين على الله (راجع إشعيا 1، 2 - 3 / ميخا 2، 20 / متى 23 / تيموثاوس الأولى 2، 14 - 16). نرى في "انتصار" يعقوب في صراعه مع الله نفس السخرية الإلهية تجاه آدم بعد سقوطه (تكوين 3، 22).

يزعم كتبة التوراة أن الله "هناك بارك" يعقوب (تكوين 32، 30). في هذه "البركة" تناقض مع كلام الأنبياء المذكور أعلاه: إنه كلام دسّه "قلم الكتبة الكاذب" (إرميا 8، 8) ليبرروا مقاومتهم لله ويبيّنوا أنها مقبولة، لا بل "مباركة" من الله. لهذا السبب يقول الله لطائفة بني إسرائيل بفم النبي إشعيا: "أبوك الأول (يعقوب-إسرائيل) خطئ إلي ورؤساؤك (الكتبة وباقي رؤساء الدين الذين كانوا يفسرون النصوص الكتابية) عصوا شرائعي. أعيانك دنّسوا مقدسي، فأسلمت نسل يعقوب للهلاك وبني إسرائيل للشتائم" (إشعيا 43، 27 - 28). من أين تأتي إذاً هذه البركة المزعومة ليعقوب؟ تأتي من الكتبة والمفسرين، الذين تمردوا هم أيضاً على الله، مثل يعقوب، الذي دعي إسرائيل لأنه قاوم لله. انتقل هذا الإسم إلى نسله، ورثة المقاومة نفسها.

اليوم أيضاً، يُرمز إلى هذا الصراع مع الله بدولة إسرائيل. فالصهاينة يواصلون، من خلال تسييس الديانة اليهودية، صراع يعقوب مع الله والناس: مع الله برفضهم القبول بالرسالة المحض روحية والشاملة للديانة اليهودية وإنكارهم ليسوع، ومع الناس من خلال الإحتلال الجائر والتعسفي لأرض لا تخصّهم، بحجة أنهم "شعب الله المختار".

كثير من المؤمنين المزعومين من جميع الديانات والطوائف يستحقون أن يُدعوا "إسرائيل" لأنهم مع قولهم لله: "لتكن مشيئتك"، يصرون على فرض مشيئتهم الخاصة على الله والناس، محتقرين بذلك الله والناس.

4.4 أبناء يعقوب الاثني عشر: عشائر إسرائيل الاثني عشر (تكوين 35، 22 - 26)

رُزق يعقوب بـ 12 صبياً وبنتاً واحدة من زوجتيه وخادمتيهما.

ليئة أنجبت 6 صبيان وبنتاً واحدة:

- رأوبين (البكر): ضاجع بلهة (خادمة رفقة: التكوين 35، 22) و، بسبب ذلك، لم ينال بركة والده (تكوين 49، 3 - 4).
- شمعون ولاوي: ارتكبا جريمة عرقية وغادرة (تكوين 34، 25 - 31) جلبت عليهما لعنة والدهما (تكوين 49، 5 - 7). موسى وهارون أخوه، ينحدران من عشيرة لاوي الملعونة، التي اختارها موسى لتكون العشيرة الكهنوتية الوحيدة، أي العشيرة التي يخرج منها الكهنة الذين يقدّموا الأضاحي (العدد 3، 45).
- يهوذا: من سلالته يأتي المسيح (ليس من عشيرة الابن البكر، رأوبين). لهذا السبب أثنى يعقوب على يهوذا (تكوين 49، 8 - 12).
- زبولون ويساكر.
- دينة، أخيراً، هي بنت يعقوب الوحيدة.

راحيل أنجبت ولدين:

- يوسف: غار منه أخوته من أبيه وباعوه. أصبح مقتدراً وذات نفوذ في مصر حيث انتهى به الأمر باستضافة كل عائلته.
- بنيامين: المولود الأخير ليعقوب، صغير الأسرة.

بلهة (خادمة راحيل) أنجبت ولدين:

- دان
- نفتالي.

زلفة (خادمة ليئة) أنجبت ولدين:

- جاد

- أشير.

الفصل 49 من كتاب التكوين ينقل نبوءات يعقوب عن كل واحد من أولاده. أهمّها عن يهوذا لأن من سلالته يخرج المسيح الذي يُدعى "أسد يهوذا" لأن هذه النبوءة تصف يهوذا بـ "شبل الأسد" (تكوين 49، 9). يسند كتاب الرؤيا هذا اللقب المسيحي إلى يسوع (الرؤيا 5، 5).

عشيرة يهوذا مسكت الدور المسيحي في التاريخ اليهودي. منها خرج الملوك الذين حكموا في اليهودية، داود وسلالته، التي منها أتى المسيح. التكوين 38 يشير إلى نسب المسيح، من يهوذا وتامار، من خلال اتحاد خارج إطار الزواج. متى 1، 3 يشير إلى سلسلة النسب هذه. يهوذا هو الذي ثار على أخوته على أثر بيع يوسف. ترك عائلته وتزوج من كنعانية، وليس من يهودية. تدخّل لدى أخوته لإنقاذ حياة يوسف (تكوين 37، 26). هذا الموقف النبيل جعله جديراً بثناء والده (تكوين 49، 9) ومستحقاً لأن يكون سلف المسيح.

وفقاً لنبوءة يعقوب عن يهوذا (تكوين 49، 9 - 12)، كان على المسيح أن يبطل الملك في إسرائيل، لا أن يوطّده كما كان يعتقد اليهود، وحتى الرسل أنفسهم (أعمال 1، 6). "لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا السلطان من صلبه، إلى أن يتبوأ في شيلوه من له طاعة الشعوب (المسيح)" (تكوين 49، 10). الصولجان، رمز الملكية، سيبقى إذاً حتى مجيء المسيح، الذي سيستولي على التاج ليعلن المُلك الشامل والروحي، وفقاً لله، لا السياسي-العسكري، وفقاً لبني البشر.

سبب خراب المملكة الإسرائيلية - كما سنرى فيما بعد - هو أن اليهود أقاموها ضد إرادة الله. لكن، إن جاء المسيح ليبطل الملكية الزمنية لدولة إسرائيلية، فذلك ليبني ملكوته الروحي والشامل بحسب كلام يعقوب النبوي لابنه يهوذا: "لا يزول الصولجان من يهوذا... إلى أن يتبوأ في شيلوه من (المسيح) له (المُلك) طاعة الشعوب" (تكوين 49، 10). إذاً المُلك سينتهي في إسرائيل، لكن بعد مجيء المسيح الذي سيعلن نفسه ملكاً روحياً لجميع الأمم. بالفعل، بعد يسوع، انتهت المملكة السياسية في إسرائيل عندما اجتاح الامبراطور الروماني تيطس أورشليم ودمّر الهيكل. منذئذٍ تأسست المملكة الروحية، الشاملة والأبدية للمسيح يسوع، "أسد عشيرة يهوذا"، له "الصولجان" إلى الأبد.

عشيرة يهوذا ("يِهودا" في العبرية) أعطت اسمها لليهود ("يِهوديم" بالعبرية). الكلمتان "يهود" و "يهودية" هما مشتقتان من اسم هذه العشيرة التي، بسبب صفتها المسيحية، كان لها أهمية كبرى في الطائفة كلها. استند اليهود إلى اسمها، فأصبحوا الـ "يهوديم"، كي يقدموا أنفسهم كشعب المسيح المتحدر من عشيرة "يِهودا"، كما تبنوا اسم إسرائيل ليشيروا إلى أنهم من نسل يعقوب، الذي دُعي "إسرائيل".

تلاميذ يسوع يُدعون "مسيحيين" لأنهم يؤمنون بأنه "المسيح". هكذا، المسيح هو في مركز الطائفتين، اليهودية والمسيحية، ونقطة مرجعهما. به تتضحان وتجدان هويتهما. هو الكل بالكل في العهدين القديم والجديد.

هكذا إذاً، اليهودية والمسيحية ترتبطان بالمسيح: اليهودية كونها في انتظار مجيئه، والمسيحية لأنها تعلنه في شخص يسوع. هو "مسيحي" كل من يعترف أن يسوع هو المسيح التي بشرت به النبوءات. إذاً لم يعد من داعٍ لانتظار مسيح آخر كما يفعل اليهود.

الطائفة اليهودية كانت مهمتها نشر معرفة الله ومجيء المسيح. الطائفة المسيحية، بالمقابل، تشهد على تحقق النبوءات المسيحية بيسوع، مشيرة إلى أنه المسيح الوحيد المنتظر ولا يجب انتظار مسيح آخر (متى 11، 2 - 3).

ابناء يعقوب الاثني عشر لم تكن لديهم إذاً رسالة سياسية، بل رسالة محض روحية ترتكز على التعريف بالله والإعلان عن مجيء المسيح، في طائفتهم وفي العالم أجمع. أيضاً، الأسباط الاثني عشر ليسوا فقط الأسلاف الروحيين لليهود، بل لجميع الذين يؤمنون أن يسوع هو حقاً مسيح الله الوحيد.

تجدر الإشارة إلى أن كلمة "مسيح" تشتق من كلمة "مسيا" باللغة العبرية التي تعني "ممسوح"، الذي يحصل على مسحة الله. كلمة "مسيح" تعني أيضاً مختار الله. بالمسحة كانوا يتوّجون الملوك. والحال هو أن المسيح هو ملك العالمين ومسحته تأتي مباشرة من الله.

5.4 العشائر الاثني عشر في مصر (تكوين 37 إلى 50)

مع قصة يسوف، رأينا كيف وصل "ابناء إسرائيل" إلى مصر في نحو سنة 1700 ق.م حيث مكثوا أربعة قرون، متزايدين عدداً. رواية عهد "الأنصاف" بين الله وإبراهيم كانت قد "تنبأت" بهذا الحدث (تكوين 15، 13 - 15). يجب عدم تجاهل أن كتابة الرواية تمت في نحو سنة 1000 ق.م. الإقامة في مصر والخروج منها كانا إذاً قد حصلا. الكتبة أضافوا هذه "النبوءة" لاحقاً.

هذه الإقامة في مصر تركت أثراً بليغاً في الطائفة الإسرائيلية التي، مع الوقت، نسيت الله وانقادت إلى ممارسة شعائر العبادة الوثنية المصرية. وهذا ما عرّض مخطط الله المسيحي للخطر.

ليتابع هذا المخطط ويحققه بنجاح، كلف الله موسى إخراج الإسرائيليين من مصر بعد أربعة قرون من دخولهم إليها. كتاب الخروج، الذي سنراه في الدرس الخامس، يروي قصة هذا الخروج. مع يعقوب، 70 إسرائيلياً كانوا قد التجأوا إلى مصر (تكوين 46، 27)؛ مع موسى 600000 خرجوا منها بعد 400 سنة (خروج 12، 37).

علينا أن نحفظ حلمي يوسف عندما كان يبلغ 17 سنة: حلم حزم أخوته التي سجدت لحزمته، وحلم الشمس، القمر والأحد عشر كوكباً الذين سجدوا له هم أيضا (تكوين 37، 2 - 11). لنحفظ أيضاً حلمي الفرعون: حلم البقرات وحلم السنابل (تكوين 41، 1 - 7). غالباً ما يخاطب الله الناس في الحلم ويتجلى لهم بهذه الطريقة.

الخالق يعلن الرسالة نفسها بشكلين مختلفين: ليوسف أولاً، ثم لفرعون. الله يتكلم إذاً عن طريق الأحلام. لكن علينا أن نكون حكماء، لأنه يوجد أيضاً مصادر شيطانية لأحلامنا. علينا أن نميز المصدر ونفسّر جيداً معنى الرسائل الواردة بهذه الطريقة والتأكد أنها تأتي من الله. علينا أن نصلّي لنفهمها جيداً وأن نتصرف بحكمة. غالباً ما استعمل الله هذا الأسلوب في الكتاب المقدس، وفي كتاب الرؤيا بوجه خاص، حيث يتكرر الإعلان عن الرسالة نفسها برؤى مختلفة، مثل أحلام يوسف وفرعون. النبي يوئيل يعلمنا أن الله يتجلى لمختاريه بالأحلام والرؤى: "أفيض روحي على كل بشر، فينتبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاماً، ويرى شبانكم رؤى..." (يوئيل 3، 1).

ينتهي كتاب التكوين مع الإسرائيليين في مصر، بعد أن دُفن يعقوب في كنعان (فلسطين) في مدينة حبرون الحالية (في العربية "الخليل")، حيث دُفن إبراهيم وإسحق (تكوين 50، 12 - 13). اليوم، هذا المكان هو مسجد يريد اليهود استعادته.

قبل موته، نبّه يوسف أخوته أن "الله سيذكرهم بالخير ويخرجهم من هذه الأرض إلى الأرض التي أقسم عليها لإبراهيم وإسحق ويعقوب". أوصاهم أن يأخذوا عظامه معهم (تكوين 50، 24 - 25). وهذا ما فعله موسى عندما خرج من مصر مع بني إسرائيل (خروج 13، 19).

عبارة "الله سيذكركم" هي للحفظ. فكثيراً ما تعود في الكتاب المقدس. الله "يذكر" من خلال رسول، نبي، لينقل رسالة، أو من خلال أحداث سعيدة أو مأساوية ليكافيء أو ليعاقب. هذا التعبير يعني أن الله هو سبب هذه الأحداث: "ويتفقدك الرب القدير برعد وزلازل، وصوت عظيم وزوبعة..."، يتنبأ إشعيا ضد أورشليم الكافرة (إشعيا 29، 6 ؛ راجع أيضاً إرميا 29، 10 / عاموس 3، 2 / لوقا 7، 16 و لوقا 19، 44). الله يذكرك ويجذبك من خلال دراسة الكتاب المقدس...

6.4 أسئلة ملخصة للنقاط الأساسية

1. هل قمت بـ "التحرر من الذات" وبـ "إدراك الذات"؟
2. لماذ تدرس الكتاب المقدس وليس كتاباً مقدساً آخر؟
3. هل أنت واثق أن النص الكتابي الذي تدرسه أصلي؟ لماذا؟
4. هل أنت فرح بدراسة الكتاب المقدس؟ بماذا تشعر؟
5. فسر روايات الخلق والتقاليد الشفهية.
6. ماذا يعني "خلق الله الإنسان على صورته"؟ هل أنت على هذه الصورة؟
7. كيف تتصور وضع الإنسان في الجنة قبل سقوطه؟ وبعده؟
8. كيف تفهم خطيئة آدم وحواء؟
9. فسر التكوين 3، 15. ما علاقة ذلك بإبراهيم؟
10. قبِل الله بتقدمة هابيل، لا بتقدمة قايين. لماذا؟
11. من هو خلف هابيل؟
12. ماذا فهمت من الطوفان ومن سلالة نوح؟
13. ماذا تعرف عن ملحمة جلجامش؟
14. كيف تفهم تكوين 6، 1 - 4؟ تكوين 10؟ تكوين 15؟ تكوين 18، 1 - 15؟ تكوين 32، 23 - 33؟ تكوين 49، 8 - 12؟
15. إلى ماذا كان يهدف المخطط الإلهي بإبراهيم ؟
16. أي من هذين التصورين هو صحيح: "الشعب المختار" أو "الطائفة المثقفة"؟ لماذا؟
17. سارة طردت هاجر وإسماعيل. علق على الموضوع.
18. الختان، معمودية الماء، هل هما ضرورتان إلهيتان لخلاص الروح؟
19. ماذا فهمت من ملكيصادق؟
20. ماذا فهمت من سدوم وعمورة ؟

21. امرأة لوط تحولت إلى عمود ملح. علّق على ذلك.

22. عشائر إسرائيل الاثني عشر. فسر.

23. علّق على أحلام يوسف وفرعون.

24. من هو "أسد عشيرة يهوذا" ؟ لماذا هذا الإسم؟

25. حدد السلالة المسيحية من إبراهيم إلى يهوذا.

26. لماذا يريد اليهود استرجاع مسجدي حبرون وعمر بن الخطاب في أورشليم (القدس)؟ (شُيّد مسجد حبرون في نفس المكان حيث دُفن إبراهيم، إسحق ويعقوب. بينما جامع عمر بن الخطاب بُني حيث يُفترض أن يكون إبراهيم قد تهيأ لتقديم إسحق كذبيحة. هناك بنى سليمان المعبد الأول الذي دُمر في سنة 586 ق.م على يد نبوخذنصر، ثم من جديد في سنة 70 م على يد تيطس. في القرن السابع، الخليفة عمر بن الخطاب شيّد مسجداً في نفس هذا الموقع).

5. الدرس الخامس – كتاب الخروج

قبل قراءة تفسيراتي، من الأفضل أن تقرأ كتاب الخروج بكامله حتى تتعود على محتواه. إرجع من ثم إلى النقاط التالية:

1.5 إقامة الإسرائيليين الطويلة في مصر

هذه الإقامة الطويلة لليهود في مصر على مدى أربعة قرون جعلتهم ينسون التوحيد وأخذوا يعبدون الآلهة المصرية. في البرية، أثناء عودتهم إلى فلسطين، نراهم من جديد يعبدون العجل "آبيس"، أحد الآلهة المصرية في ذلك الوقت (خروج 32). ذلك يبرهن إلى أي حد قد ابتعدوا عن مخطط الله الذي بدأ بإبراهيم. هذا المخطط كان يهدف إلى إرسال المسيح إلى العالم من نسل إبراهيم.

كان على الله إذاً أن يعزل الله هذه الطائفة التي تلوثت بعبادة الأوثان بإخراجها من مصر، تماماً كما عزل إبراهيم قبل ذلك بـ 700 سنة بإخراجه من حاران جنوباً إلى كنعان، ليحافظ على إيمانه الذي كان لا يزال متعلقاً بوثنية الجوار.

الطائفة الإسرائيلية، السورية الأصل، تمثل القالب الاجتماعي الذي سيولِد المسيح، يسوع الناصري، الذي أتى بعد 13 قرناً. هذا هو السبب الوحيد لتكوينها وأهميتها.

2.5 دعوة موسى

إخراج اليهود من مصر لم يكن بالعملية السهلة: كان يجب أولاً إقناع اليهود أنفسهم بضرورته المعنوية. فاختار الله موسى لهذه الغاية، الذي منذ ولادته، تم توجيهه لإنجاح هذه الدعوة، كونه كان يرتاد بلاط فرعون.

موسى هو من عشيرة لاوي (خروج 2، 1). اسمه في العبرية يعني "المُنقَذ-من-المياه" ("مو"=مياه و"سى"=مُنقَذ 2، 10). "تبنته" ابنة الفرعون (خروج 2، 10) وكبر في القصر متشرباً عبادة الديانة الفرعونية. لهذا السبب اليهود والمسلمون يكنون لابنة فرعون احتراماً كبيراً.

عندما تجلى الله لموسى في العليقة المشتعلة (خروج 3، 1 - 15)، لم يتعرّف هذا الأخير على إله أسلافه ولم يعرف كيف يقدّمه لبني إسرائيل الذين هم أيضاً قد نسوه. كان الأمر يحتاج إلى هذا التجلي الإلهي الجديد لموسى لمتابعة المخطط الذي وضعه الله مع إبراهيم.

إعتقاداً منه أن الله يملك إسماً مثل آلهة الميثولوجيا، سأله موسى عن اسمه. أجاب الله أن اسمه هو "أنا الذي هو"، الكائن بامتياز، خلافاً لآلهة الميثولوجيا التي "ليست" آلهة لأنها ليست موجودة. الله يطلب من موسى أن يُعرّف عنه اليهود الذين نسوه تحت اسم "يهوه"، الذي يعني "أنا هو". باللغة العبرية يُكتب هذا الاسم بأربعة أحرف (يـ هـ و ه) ولذلك يُعرف بـ "الكتابة الرباعية" (الأحرف الأربع). غالباً ما نجد هذا الاسم منقوشاً فوق بعض المعابد اليهودية (كنيس). "هذا اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري مدى الأجيال"، يقول الخالق (خروج 3، 15). لا يجب أن نتوقف على الصدى الحرفي لهذا الاسم كما يفعل بعض اليهود، بل على معناه العميق، أنا هو، الذي للأسف أهمله المؤمنون.

علّمنا يسوع أن نتوجه إلى الله كأبناء إلى والدهم وأن نطلب منه قائلين: "أبانا، ليتقدس اسمك" (متى 6، 9) أي ليتطهر اسمك. لم يكن يسوع يتكلم عن اسم يهوه، كلمة تُلفظ، بل عن كينونة الله، عن ما هو حقاً. غاية المسيح ليست إذاً "تطهير" الله الذي هو في الأصل كامل، لكن تطهير معرفتنا عنه، الفكرة التي كوّنها الإنسان عن الله. الله ليس كما يبرزه معظم رجال الدين من مختلف الديانات الذين يملكون مفهوماً خاطئاً عنه ويعطون صورة مغلوطة

MAIN CONCORDANCE BETWEEN THE BIBLE AND HISTORY

Teaching of the Old Testament	*Historic facts*	*Chronological indications*
Entrance of Jacob and Joseph (Anachronistic mention of the "Land of Ramesses"	MERUSERRE YAKOUB HER In the list of the last king of Hyksos (Avaris)	Around mid XVIIth century B.C.
Birth of Moses contemporary to the construction of Pi-Ramesses	Beginning of the construction of Pi-Ramesses under Sethi 1st	About the beginning of the XIIIth century B.C.
80 years	430 years	
Moses in the Land of Madian (death of the king of Egypt)	Death of Ramses II after reigning 67 years. Advent of Mineptah	About 1235-1224 B.C.
	Israel's stele the Vth year of Mineptah	
The descendants of Jacob-Israel enslaved in Egypt	Death of Mineptah End of the XIXth dynasty	Last quarter of the XIIIth century B.C.
EXODUS		

The XVIIth century B.C. is Jacob's and Joseph's century. The biblical mention of 430 years between the entry in Egypt and the Exodus correspond approximately to the Hyksos sovereignty and the end of XIXth dynasty.
The XIIIth century B.C. is Moses' century correspond perfectly with history.

The duration of certain kingdoms are well known, but their place in time is relatively imprecise.

Extract from the French book "Moïse et Pharaon" Dr Maurice Bucaille

مأخوذ من كتاب "موسى وفرعون" للدكتور م. بوكاي

יהוה

الكتابة الرباعية

عن شخصه. كثيرون يرفضون أن يؤمنوا به بسبب ذلك، وعدد كبير من الملحدين يرفضون هذه الصورة الخاطئة أكثر من الله نفسه. ولو عرفوا الله كما هو حقيقةً، لكان هؤلاء الملحدون أصبحوا مؤمنين أفضل من الكهنة الذين دنّسوا اسم الخالق بعمل الشر باسم الله. أدان الأنبياء هذا التدنيس والذين بظلمهم يدنسون إسم الله ويشوهون صورته:

"لن تدنسوا بعد ذلك إسمي القدوس بتقدماتكم وأصنامكم..." (حزقيال 20، 39).

"...دنسوا إسمي القدوس حتى قيل عنهم: هؤلاء شعب الرب... فحرصت على إسمي القدوس الذي دنسه شعب إسرائيل...: ما سأفعله لا أفعله لأجلكم يا شعب إسرائيل، بل لأجل إسمي الذي دنستموه بين الأمم وحيث حللتم" (حزقيال 36، 20 - 23 ؛ راجع أيضاً رومة 2، 24).

"...يبيعون الصديق بالفضة... ويمرغون رؤوس الوضعاء في التراب، ويزيحون المساكين عن طريقهم، ويدخل الرجل وأبوه على صبية واحدة فيدنسان اسمي القدوس" (عاموس 2، 6 - 7).

"أما أنتم فقد دنستموه (إسمي)..." (ملاخي 1، 12).

قدّس الرب اسمه القدوس من خلال الصورة الحقيقية التي أعطانا إيها عن ذاته بشخص مسيحه الذي قال: "الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا 17، 3). يسوع قدّس اسم الله، جاعلاً إيانا نعرفه كما هو: محبة، طيبة وبساطة. الله هو أب حنون للذين يقتربون منه من خلال يسوع الذي أعلن أمام رسله أنه "أظهر لهم إسم الله وأنه سيظهره لهم في المستقبل" (يوحنا 17، 26) بقدر ما ستتطهر روحهم. ليكن اسم الله القدوس مقدّساً فينا جميعاً. آمين.

اليوم أيضاً تدنس هذا الإسم القدوس في كل مكان، والمسيحيون بدورهم شوهوا إسمي الله ومسيحه.

لاحظ أن موسى تزوج بمديانية، لا بيهودية. لهذا السبب لا يعتبر اليهود ابنيه يهوديين (خروج 2، 16 - 22 / 18، 6). فالحاخامات لا يعترفون بيهودية إلاّ من يكون من أم يهودية. لهذا السبب يروي لنا كتاب العدد أن "مريم وهارون تكلما على موسى سؤاً بسبب المرأة الحبشية (مديانية) التي أخذها زوجة له. لأنه تزوج امراة حبشية" (العدد 12، 1). لاحظ أيضاً أن حمو موسى يُدعى "رعوئيل" (خروج 2، 18) وفي مكان آخر "يثرون" (خروج 3، 1 / 4، 18). هذا يعود إلى التقاليد الشفهية المختلفة.

بعد هربه من مصر، سكن موسى في مديان لأنه قتل رجلاً مصرياً دفاعاً عن يهودي (خروج 2، 11 - 15). كان يعرف إذاً أنه كان هو نفسه يهودياً، لأن ابنة الفرعون كانت قد أخبرته بذلك. لقد اكتشفت هويته اليهودية لأنه كان مختوناً (خروج 2، 6).

لاحظ أن موسى، المرتعب من مهمته، ولأنه بطيء النطق وثقيل اللسان، طلب من الله أن يضم إليه أخيه هارون، الفصيح اللسان (خروج 4، 10 - 17). كثير من الأنبياء ترددوا بقبول الرسالة الصعبة التي عهد بها الله إليهم (إرميا 1، 6 - 7).

في طريق عودته إلى مصر، اصطحب موسى معه زوجته وولديه على الحمار. خلال الاستراحة، إنتابت موسى أزمة ضمير بسبب عدم ختان ابنه. الكاتب، المؤمن بأهمية الختان، يفسّر هذه الأزمة كلقاء مع الله الذي يريد أن يميت موسى بسبب ابنه الغير مختون. صفورة، زوجة موسى، التي لم تكن يهودية، كانت تجهل هذه العادة الغريبة عن بلاد مديان ولم تفهم سبب اضطراب زوجها. أمام إصرار هذا الأخير، أخذت صوانة وقطعت قلفة ابنها بنفسها وبحركة غاضبة "مسّت بها رجلي موسى وقالت: إنك لي عريس دم!!" (خروج 4، 24 - 26). يمكننا مقارنة هذه الأزمة التي يتعذر تبريرها مع الأزمة التي حصلت لإبراهيم الذي أراد تقديم إسحق تضحية لله.

إن كان إسم الله مقدساً فيهما، لا إبراهيم كان فكّر بتقريب إبنه، ولا موسى بختان إبنه أيضاً. من المهم أن نفهم الله كي لا نثقل أنفسنا بأفعال، طقوس وشعائر لا ترضيه.

كانت مسألة الختان على الأرجح سبب انفصال الزوجين لأننا بعد هذه الحادثة، نرى موسى وحده في مصر، دون زوجته وولديه. يجدهم فيما بعد، بعد خروجه من مصر، عندما جاء حموه للقائه مع ابنيه: "كان يثرون استرجع ابنته صفورة امرأة موسى وابنيها...فجاء بهؤلاء إلى موسى في البرية..." (خروج 18، 1 - 6). لاحظ أن موسى "خرج للقاء حماه وسجد وقبّله..." (خروج 18، 7). لم يُقال في الرواية أن موسى أسرع وقبّل امرأته وولديه الذين كانوا مع ذلك موجودين. هذه الهفوة قصدها الرواة اليهود لتحقير الزوجة والولدين الغير يهود.

لاحظ أن يثرون قد اعترف أن "الرب أعظم من جميع الآلهة... وقدّم محرقة وذبائح لله" (خروج 18، 11 - 12). لكنه لم يفهم أنه الإله الوحيد. بعد هذه الذبائح، "جاء هارون وجميع شيوخ بني إسرائيل ليأكلوا معه أمام مذبح الله" (خروج 18، 12). يكفي إذاً أن نؤمن بالله حتى نكون بحضرته، برفقته العطوفة. كان يجب على اليهود أن يتصرفوا دائماً مثلما فعل موسى مع يثرون: التعريف بالله للذين لا يعرفونه وذلك بروح أخوة وصداقة.

3.5 ضربات مصر العشر

ليس علينا أن نرى في هذه الضربات وقائع تاريخية. من خلال هذا النسج الروائي نستطيع أن ندرك قدرة الله التي تنتصر على الشر. لاحِظ أن السحرة المصريين توصلوا إلى تقليد بعض المعجزات التي قام بها موسى، لكنه كان دائماً هو الذي يربح في نهاية المطاف. الله هو الذي ينتصر على الشيطان. حيّة موسى هي التي ابتلعت حيّة السحرة: بالرغم من ذلك اشتد قلب فرعون قساوة، كما يعلّق الكتبة (خروج 7، 12 - 13). استطاع السحرة أن يقلّدوا بسحرهم معجزة الضفادع، لكنهم لم يقدروا أن يوقفوا المصيبة التي سببوها بأنفسهم، فلجأ فرعون إلى موسى الذي توصل إلى وضع حد لها بالصلاة إلى الرب (خروج 8، 1 - 11). مع ضربة البعوض، ملأ موسى البلد بهذه الحشرات "وصار تراب الأرض بعوضاً" (أسلوب مجازي لوصف هول هذه المصيبة). السحرة المصريون كانوا غير قادرين على منافسة رسول الله واعترفوا أن "هذه إصبع الله" أمام المقدرة التي تتخطاهم (خروج 8، 12 - 15). أخيراً، عندما ضرب الله المصريين بالقروح والبثور، السحرة أنفسهم أصيبوا بها ولم يستطيعوا أن يمثلوا أمام فرعون (خروج 9، 8 - 12). بالرغم من ذلك بقي فرعون على قساوته ورفض السماح لليهود بالخروج، بعكس وعده. النص يقول: "قسّى الرب قلب فرعون، فلم يسمع لموسى وهارون" (خروج 9، 12) : هذه طريقة خاطئة لتفسير عناد فرعون، لأن الله لا يقسّي قلب أحد، لكن في ذلك الوقت، كان المؤمنون يعتقدون أن الله هو المحرض على جميع قراراتنا. هذا خطأ! الله يحترم حريتنا ولذلك يحكم علينا. وإلا فسيكون ظالماً.

إحفظ من هذه القصة المبتكرة أن للشياطين القدرة على صنع المعجزات على هذه الأرض لخداع البشر. لكن المؤمنون الحقيقيون قادرون على إحباط السحر الشيطاني. الشيطان هو "سعدان الله"، لكن "سعدناته" تنكشف دائماً في النهاية عندما نعرف أن نميّز نور الله الحقيقي وأن ننتظر بإيمان وقوة ثابتة لرؤية نهاية قدرة الشر.

4.5 الفصح

الفصح هو عيد يهودي سنوي يُحتفل به في الربيع. ويتصادف أحياناً مع عيد الفصح عند المسيحيين.

الفصح اليهودي، الذي يعني "عبور"، يحتفي بذكرى خروج اليهود من مصر بعد "عبور" ملاك الموت الذي ضرب أبكار المصريين، يتبعه "عبور" الطائفة اليهودية للبحر الأحمر، هرباً من جيش فرعون.

التوراة تطلب من اليهود إقامة احتفال عشاء سنوي للإحتفاء بذكرى عيد العبور من بلاد العبودية إلى "أرض الميعاد". يتألف هذا الطعام من حمل بالأعشاب المرة. هذا هو عشاء الفصح الذي يسميه اليهود الـ "فطير": "...كلوه بعجلة، فهو فصح (عبور) للرب... ويكون هذا اليوم لكم ذكراً..." (خروج 12، 11 - 14). يحتفي اليهود بذكرى هذا الفصح كل سنة بفطير عائلي. يتشاركون حمل الفصح والخمر مع عبارات التبريك.

كشف يوحنا المعمدان أن يسوع هو حمل الفصح الجديد: "ها هو حمل الله" (يوحنا 1، 36). يجب إذاً نسيان حمل الفصح المصري لأجل "حمل" آخر وفصح آخر. يسوع هو المسيح المُرسَل من الله ليخرجنا من الموت الروحي ويجعلنا "نعبر" إلى الحياة الأبدية. هو فصح كل البشر الذين يؤمنون به ويبقون له أوفياء. لهذا السبب، عشية تسليمه للصلب، وبينما كان يأكل عشاء الفصح مع تلاميذه، قدّم نفسه، لا الحمل، كمأكل فعّال لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية: "خذوا كلوا، هذا هو جسدي (لحمي لا لحم الحمل التقليدي) ...إشربوا منها كلكم، هذا هو دمي، دم العهد الجديد الذي يسفك من أجل أناس كثيرين، لغفران الخطايا" (متى 26، 26 - 28): "ها هو حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"، يقول أيضاً يوحنا المعمدان (يوحنا 1، 29). قال يسوع أيضاً: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. من أكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أعطيه هو جسدي، أبذله من أجل حياة العالم..." (يوحنا 6، 51 - 58). الفطر المسيحي، أو "عشاء الرب" (كورنثوس الأولى 11، 20)، يجعلنا نعبر من هذا العالم الفاني إلى الآخر... مركبتنا هي المسيح الحي في القربان المقدس. لمساعدتنا على تنقية حياتنا يطلب منا يسوع أن نكرر هذا العمل بقوله: "إعملوا هذا لذكري" (لوقا 22، 19).

لاحِظ أن اليهود، عند خروجهم من مصر، "سلبوا" المصريين مصاغ فضة وذهب وثياب (خروج 12، 35)... هذا المصاغ المختلس سيفيدهم في صنع العجل الذهبي الذي سيعبدوه (خروج 32، 1 - 6). هذا الانتزاع لثروة الغير يتكرر دائماً في الكتاب المقدس (العدد 33، 50 - 56).

5.5 الكهنوت اليهودي

قبل موسى، لم يكن مفهوم الكهنوت معروفاً عند الطائفة اليهودية. فالله لم يكلّم إبراهيم عنه أبداً. خلال قرون من بعد إبراهيم، لم يكن لدى الطائفة التوحيدية الأولى كهنة، كان المؤمنون يقدمون قرابينهم بأنفسهم. تأسس الكهنوت بعد إقامة الإسرائيليين في مصر بإلهام من الميثولوجيا المصرية ونقلاً عنها. علينا أن لا ننسى أن موسى ترعرع في القصر الفرعوني، وتشرب العبادة المصرية الذي عرف كهنتها عن كثب. أراد إنشاء كهنوت يهودي مشابه للكهنوت المصري الذي كان يشتمل على تقديم الحيوانات كأضاحي للآلهة والأوثان. وحدهم الكهنة كانوا مؤهلين قانونياً لهذا الطقس بعد تأهيل دقيق. لقد استوحى موسى من الكهنوت المصري، لكن بدل أن يقدم الأضاحي إلى الأوثان، جعل فريضة تقديمها إلى الله.

في البدء، لم يكن يوجد مؤسسة كهنوتية، ولا حتى تضحية، كون ابراهيم كان يتوجّه إلى الله ببساطة، دون اللجوء إلى طقس خاص (تكوين 18، 22 - 33).

عندما تأسس الكهنوت اليهودي، "كل بكر من بني إسرائيل" كان يجب أن يكرس كاهناً للرب (خروج 13، 1). بعد ذلك كرس موسى اللاويين، هم وحدهم، لخدمة العبادة "بدل كل بكر من بني إسرائيل". أما بكور العشائر الأخرى "فيفتديهم" أهلهم؛ "تدفع الفضة إلى هارون وبنيه (؟!)، كما أمر الرب

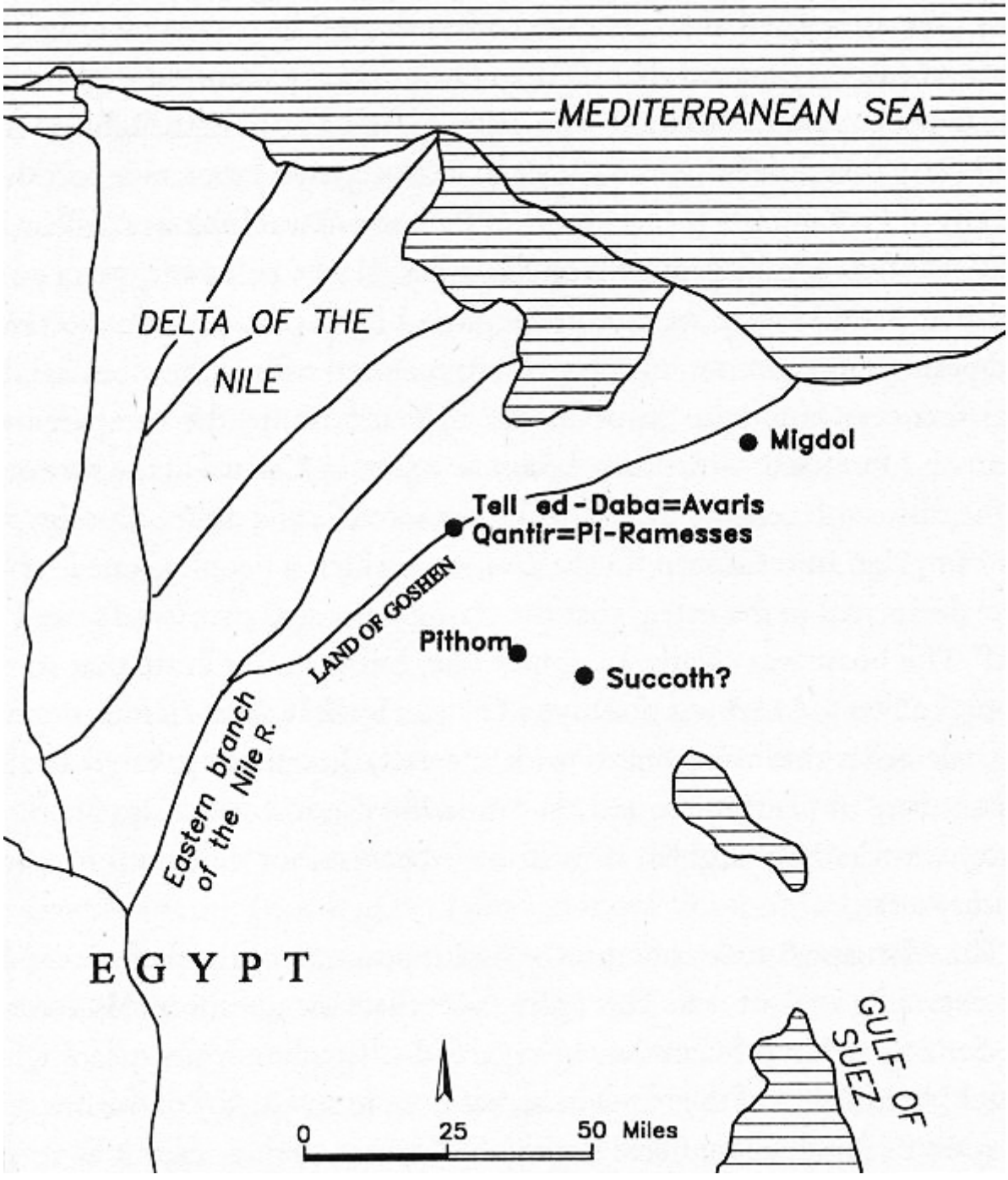
MEDITERRANEAN SEA
DELTA OF THE NILE
Migdol
Tell ed-Daba=Avaris
Qantir=Pi-Ramesses
LAND OF GOSHEN
Pithom
Succoth?
Eastern branch of the Nile R.
EGYPT
GULF OF SUEZ
0
25
50 Miles

موسى وفرعون

(!)" (العدد 3، 44 - 51). علينا أن لا ننسى أن موسى وهارون هما من عشيرة لاوي، العشيرة التي منحاها هما امتيازاً، وليس الله. إليها يعود كل هذا المال... بحجة أنه أمر إلهي. لا أعتقد أن الله يرضيه أي شيء من هذا التعبد ومن هذا الكهنوت المنسوخ عن الميثولوجيا المصرية. لأن الله قد أعلن مجيء الكهنوت الوحيد الذي يقبل به، أي كهنوت المسيح يسوع، على رتبة ملكيصادق، لا على رتبة لاوي (المزامير 110(109)، 4). راجع عن هذا الموضوع ما يقوله بولس في رسالته إلى العبرانيين من 5، 1 إلى 7، 19.

الكهنوت بحسب يسوع يأخذ كامل انطلاقته في العصر الرؤيوي. مع كشف رسالة كتاب الرؤيا، يقيم يسوع كهنوتاً جديداً لجميع الذين يؤمنون بمضمونه: "أنت الذي يحق له أن يأخذ الكتاب ويفض ختومه! لأنك ذُبحت وافتديت أناساً لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلت منهم ملكوتاً وكهنة لإلهنا يملكون على الأرض" (رؤيا 5، 9 - 10). إذاً من خلال فتح كتاب الرؤيا يكوّن يسوع كهنته الجدد المتحررين من المفاهيم الكهنوتية الرجعية.

6.5 نشيد موسى (خروج 15)

بعد عبور البحر الأحمر، "أنشد بنو إسرائيل للرب نشيد" فرح وامتنان لأنه "رمى في البحر خيل وفرسان" الجيش المصري (خروج 15، 1 - 21). إنه نشيد موسى المشهور عند الطائفة اليهودية. يُنشد ويُرقص على أنغامه في مناسبة الإنتصارات الإسرائيلية، كما فعلت من قبل مريم ، أخت موسى (خروج 15، 20 - 21).

الفصل 15 من كتاب الرؤيا يأتي على ذكر "نشيد موسى" بالإضافة إلى "نشيد الحمل". نشيد الحمل الذي سينشده تلاميذ يسوع لآخر الأزمنة، بعد انتصارهم على الوحش، عدو المسيح، المسيح الدجال. هذا الإنتصار يطابق عبور البحر الأحمر، كونه اجتياز مجيد للصعوبات المتأتية من أعداء يسوع. سينشدون عندئذ نشيد نصرهم، نشيد الحمل. لهذا السبب يرى يوحنا "ما يشبه بحراً من البلور ("بحر" روحي وليس أبداً البحر الأحمر) المختلط بالنار (نار المحنة) والذين غلبوا الوحش وصورته وعدد اسمه واقفين على بحر البلور ويرتلون نشيد عبد الله موسى ونشيد الحمل" (رؤيا 15، 2 - 3).

7.5 المن والسلوى (خروج 16)

جاع الإسرائيليون في البرية. فأعطاهم الله بأعجوبة المن ليأكلوه، وأوصاهم أن يكتفوا منه يومياً وأن لا يتركوا منه شيئاً لليوم التالي. هذا تعليم: علينا أن نثق كلياً بالله، وأن نكتفي بالخبز اليومي دون الاهتمام بأمر الغد كما علّمنا يسوع (متى 6، 11 / متى 6، 25 - 34).

يستعيد يسوع في الإنجيل واقعة المن حيث يصور نفسه مثل المن السماوي، خبز السماء الحقيقي الذي يغذي النفس: "ما أعطاكم موسى الخبز من السماء... أنا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء..." (يوحنا 6، 32 - 51).

منٌّ جديد مخصص للأزمنة الرؤيوية (رؤيا 2، 17). إنه من "خفي"، روحاني سيتغذى منه التلاميذ الرؤيويون لآخر الأزمنة: القربان المقدس في العائلة (رؤيا 3، 20 / 12، 6 / 12، 4).

8.5 شريعة موسى (خروج 20 إلى 31)

تُقسم شريعة موسى (التوراة) إلى قسمين:

1. الوصايا العشر
2. شريعة الأعمال أو ممارسة الشعائر (الختان، المأكل الحلال والغير الحلال، إلخ...).

1-8.5 الوصايا العشر

أغلب هذه الوصايا كانت موجودة أصلاً ووردت في شريعة الملك حمورابي (لا تقتل، لا تسرق، إلخ...). الجديد، هو الوصايا الثلاثة الأولى التي تتعلق بالله الواحد: "لا يكن لك إله غيري...". الوصايا العشر تصلح دائماً ولخصّها يسوع بكلمة "محبة"، لأن الذي يحب لا يقتل، لا يسرق ولا يشتم. تأمل جيداً بكلام المسيح في متى 22، 36 - 40 وكلام بولس في رومة 13، 8 - 10: "الوصايا تتلخص في هذه الوصية: أحب قريبك مثلما تحب نفسك.

تابوت العهد

المنارة ذات الشعب السبع

فمن أحب قريبه لا يسيء إلى أحد، فالمحبة تمام العمل بالشريعة". كذلك، يقول القديس أغسطينوس: أحب وافعل ما تشاء"، مع العلم أن المرء الذي يحب لا يعمل السوء. لا يمكننا أن نطلب من أم مُحبّة أن لا تسيء إلى أولادها... هذا واضح.

2-8.5 شريعة "الأعمال"

شريعة الأعمال تقضي بممارسات أو بأعمال شعائرية، مثل الختان، السبت، المأكل الحلال والنجس، الأضاحي إلخ... إنها ليست شريعة قديمة فقط، بل إنها لم تكن أبداً بوحي من الخالق، كما أعلن الله بلسان النبي إرميا: "أنا لم أكلم أباءكم ولا أمرتهم بأية محرقة أو ذبيحة يوم أخرجتهم من أرض مصر"، يقول الله (إرميا 7، 22).

كل هذه الممارسات هي من اختلاق الكهنة والكتبة لمصلحتهم المادية. فقد أضافوا، على مر القرون، أكثر من 600 ممارسة يجب احترامها تحت طائلة الخطيئة. ما عدا الختان إلخ...، إضاءة النور يوم السبت، تصفيف الشعر ابتداءً من يوم الجمعة بعد غروب الشمس، المشي أكثر من كيلومتر واحد يوم السبت، لمس امرأة أثناء عادتها الشهرية أو أي شيء تكون قد لمسته...إلخ... كل هذا يعتبر نجساً ويتوجب تطهيراً يقوم به الكاهن لقاء بدل مالي... بالطبع. إرميا أيضاً هو من فضح "قلم الكتبة الكاذب" (إرميا 8، 8).

إشعيا بدوره كشف أن العبادة التي يمارسها اليهود هي عبادة باطلة لأنها بوحي بشري، لا إلهي: "هذا الشعب يتقرب مني بفمه ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيد عني. فهو يخافني ويعبدني بتعاليم وضعها البشر" (إشعيا 29، 13). مستنداً إلى أقوال هذا النبي الكبير، يدين يسوع التقليد الذي يمارسه الكتبة والفريسيون ويصفهم بالمرائين: "يا مراؤون، صدق إشعيا في نبوءته عنكم حين قال: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيد عني. وهو باطلاً يعبدني بتعاليم وضعها البشر" (متى 15، 7 - 9). هذه التعاليم الباطلة ليست سوى تعاليم التوراة، شريعة موسى. هذا العبادة الباطلة والمرهِقة هي تزوير لكلمة الله. يفسر إشعيا ذلك بقوله: "لذلك سيكون كلام الرب لهم وصية على وصية على وصية، وفرضاً على فرض على فرض، وشيئاً من هنا وشيئاً من هناك، حتى إذا مشوا سقطوا إلى الوراء، فتحطموا ووقعوا في الشرك والأسر" (إشعيا 28، 13). أدان يسوع الكتبة والفريسيين لأنهم "يحزمون أحمالاً (تعاليم التوراة) ثقيلة شاقة الحمل ويلقونها على أكتاف الناس، ولكنهم لا يحركون إصبعاً تعينهم على حملها" (متى 23، 4).

لم يتوانى النبي هوشع عن كشف ما قاله له الله عن رفضه أضاحي الحيوانات وعن عدم جدوى العبادة الموسوية: "...فأنا أريد طاعة لا ذبيحة، معرفة الله أكثر من المحرقات" (هوشع 6، 4 - 6). أعلن النبي ميخا هو أيضاً: "بماذا أتقدم للرب وأكافئ الله العلي؟ أبمحرقات أتقدم إليه، بعجول حولية مسمنة... أخبرتك يا إنسان ما هو صالح وما أطلب منك أنا الرب: أن تصنع العدل وتحب الرحمة وتسير بتواضع مع إلهك" (ميخا 6، 6 - 8).

ندد القديس بولس، هو أيضاً، بشريعة الطقوس والشعائر هذه، وأعلن أنها كانت "لعنة" خلّصنا منها يسوع (غلاطية 3، 13): يقول إنها كانت غير نافعة للخلاص وإننا نتبرر بالإيمان بيسوع لا بالعمل بأحكام الشريعة (رومة 3، 28). كل جهود يسوع والرسل تهدف إلى تحرير المؤمنين من ممارسة هذه الشريعة الخرافية.

9.5 تابوت العهد والمنارة (خروج 25)

في البرية، بنى موسى خيمة كمقدس للصلاة. عليك أن تحفظ على وجه الخصوص تابوت العهد والمنارة ذات الشعب السبع. الأول كان صندوقاً محمولاً يحتوي على لوحي الوصايا العشرة، الثانية هي شمعدان ذو سبعة فروع، رمز النور الإلهي. الرقم سبعة هو للحفظ أيضاً لأنه يرمز إلى الكمال، إذاً الوضوح الكامل من خلال النور الإلهي.

تابوت العهد لعب دوراً كبيراً في تاريخ اليهود. فُقد بعد خراب الهيكل، وكذلك المنارة. حالياً يعكف علماء الآثار اليهود جاهدين على البحث عن التابوت. بيد أن إرميا كان قد تنبأ أنه في الزمن المسيحي "لا يتحدثون بعد عن تابوت عهد الرب، ولا يخطر لهم ببال ولا يذكرونه ولا يفتقدونه ولا يصنعه أحد ثانية"

(إرميا 3، 16). إختفاء هذا التابوت هو دليل على أن الزمن المسيحي قد تحقق فعلاً مع يسوع. ففي سنة 70 ميلادية دمر الرومان الهيكل واختفى التابوت.

10.5 العجل الذهبي (خروج 32)

اليهود الذين نفد صبرهم في البرية التي كانوا يجتازونها بعذاب وحرمان، رفضوا الله الواحد الذي من أجله تخلوا عن رغد العيش في مصر. كانوا محبطين وناقمين، فصنعوا إلهاً صنماً، عجلاً ذهبياً يجسّد الإله آبيس (الذي يُعبد في مصر على شكل عجل). فبدل أن يبعدهم هارون عنه، قبل به، هو الكاهن. ما أثار غضب موسى وجعله يكسر لوحي الوصايا العشر.

في مسارنا الروحي، سنمرّ نحن أيضاً بيسر وعسر. فلنحذر من التعب والملل في بريتنا الروحية، كما يفعل بعض الناس إلى درجة تكوينهم صورة خاطئة عن الله، صورة تناسبهم وترضي ميولهم المادية التي تُبعدهم عن الله.

11.5 أسئلة

1. ماذا فهمت من اسم الله يهوه؟
2. ما هو الفرق بين معجزات موسى ومعجزات السحرة المصريين؟
3. ما هو عيد الفصح (الفطير)؟
4. ما هو الثابت في شريعة موسى؟
5. تابوت العهد والمنارة.
6. ما هو رأيك في أضاحي الحيوانات؟
7. ما هو رأيك في الملابس الكهنوتية التي حددها "الله" (خروج 28)؟
8. ما هو رأيك في طقوس تكريس الكهنة (خروج 29)؟

تأمل

يقول كتاب الخروج إن اليهود في مصر، في زمن موسى، "نموا وتوالدوا وكثروا وعظموا حتى امتلأت أرض مصر منهم" (خروج 1، 7). إنهم يدينون بعظمتهم لسلفهم يوسف، الذي كان هو نفسه في مركز مرموق و "عظيماً إلى أقصى حد". فقد عيّن أخوته بالإضافة إلى يهود آخرين في مناصب عالية في الدولة منذ دخولهم إلى مصر. مع الوقت، بعدما كثروا وعظموا، أرادوا أن يحكموا البلد بأكمله، هذا كان السبب وراء رد فعل فرعون.

6. الدرس السادس - اللاويين - العدد - التثنية

مع هذا الدرس ننهي دراسة الكتب الثلاثة الأخيرة من التوراة، أو أسفار موسى الخمسة، والتي يسميها اليهود كتب "الشريعة". كتاب الخروج يروي قصة خروج الإسرائيليين من مصر. هذه الكتب الثلاثة الأخيرة للشريعة تنتهي تماماً قبل دخولهم إلى فلسطين مع موت موسى.

1.6 اللاويين

هذا الكتاب عسير الهضم وقد تجاوزه الزمن. علينا مع ذلك أن نطّلع عليه لتكون عندنا ثقافة كتابية جيدة، لكن دون التوقف على الطقوس الغريبة. كل ذلك قد أصبح قديماً اليوم. إقرأه دون التوقف على التفاصيل، ثم عاود قراءة الدرس.

تمت كتابة سفر اللاويين من قِبل الكتبة والكهنة اللاويين، من حيث اسمه. يقاطع هذا الكتاب سرد أحداث الخروج مقدماً مجموعة طقوس حددها الكهنة أنفسهم ولمصلحتهم الخاصة. لإعطاء وزن وأهمية لهذه الطقوس، نسبوها إلى الله. إن الله هو الذي سيطلب من موسى وهارون أن يطبّقا طقس الذبائح (لاويين 1 - 7)، مراسم تنصيب الكهنة والمنافع المادية التي تعود إليهم (لاويين 8 - 10)، القواعد المتعلقة بالحلال والنجس إلخ...

كي نفهم عمق كتاب اللاويين، يجب أن نبقي في أذهاننا أن الكهنة هم الذين يكتبون بغية المحافظة على مصالحهم المادية وهيمنتهم الروحية والنفسية على المجتمع. هذا الوضع يتجلى اليوم في كل رجال الدين الذين يستأثرون، باسم الله، بالـ "إقتصاد" الروحي.

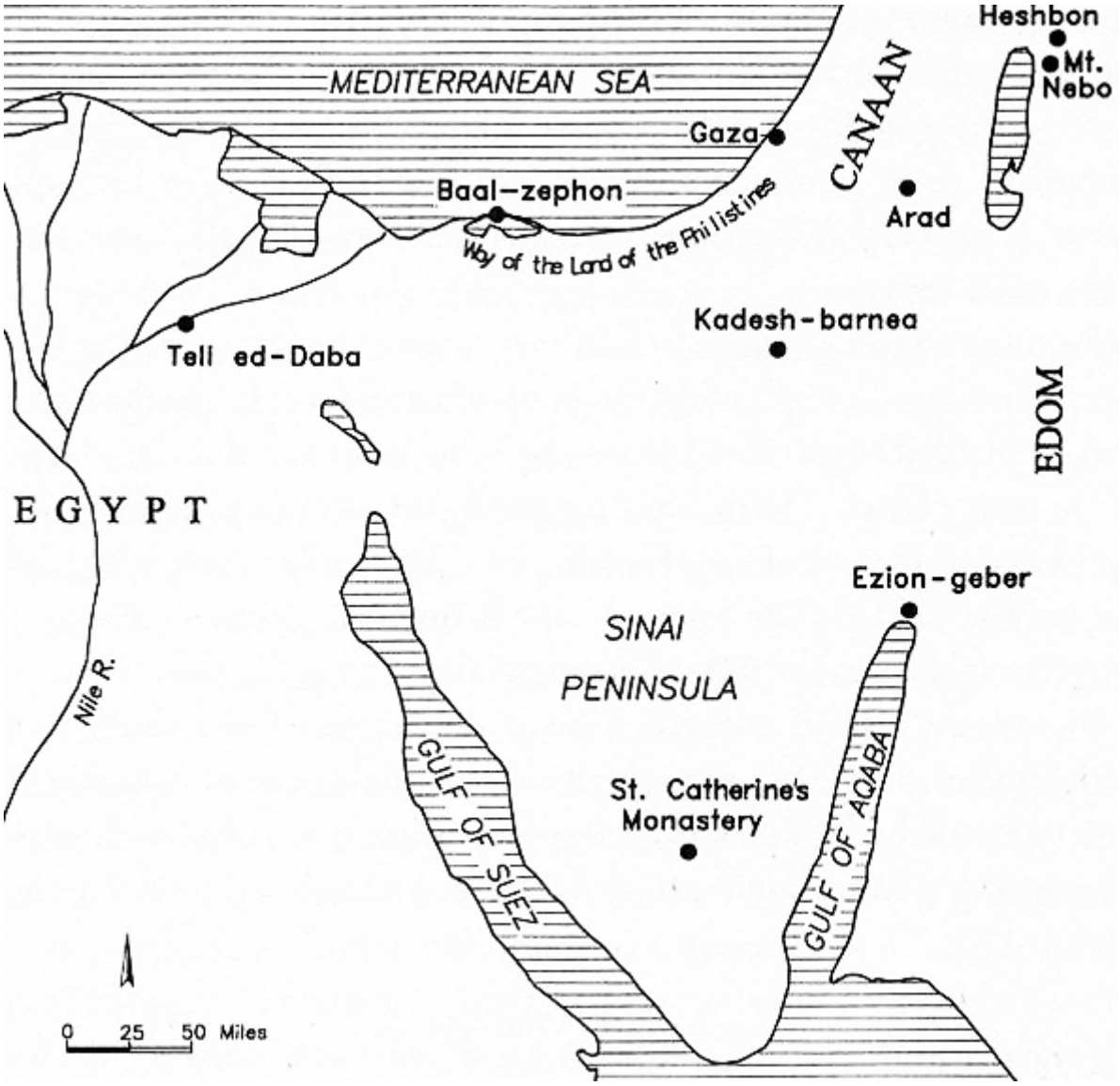

شبه جزيرة سيناء والأماكن الرئيسية المذكورة في كتاب الخروج

الفصول1 إلى 7 تعرض تنوع الأصناف المقدمة "إلى الله"، أي إلى الكاهن. نتبين منها:

أضاحي الحيوانات التي تُقدم بـ محرقة (الضحية تحرق كلياً في النار، لا شيء يعود للكاهن) والذبائح عن الخطيئة (الكهنة يقتطعون أجزاءً من الضحية لأنفسهم)، أو أيضاً أضاحي الشكر أو السلامة لتحقيق نذر (لحم الضحية يعود طبعاً إلى الكاهن مقدم الذبائح ويُحرق الشحم لله...).

قربان الحنطة ينص على تقديم حفنة من غلال الأرض لله، لكن "ما فضّل من التقدمة يكون لهارون وبنيه، وهو مقدس كل التقديس لأنه من الوقائد المقربة للرب" (لاويين 2، 1 - 3). نتبين من بين التقدمات الأشياء المقدسة والأشياء المقدسة كل التقديس. هذه الأخيرة تطهر جميع الذين يمسونها (خروج 29، 37).

لقد سبق أن أشرت أن النبي إرميا أدان هذه الممارسات الاحتيالية التي لم يحددها الله بل الكتبة أنفسهم (إرميا 7، 22). أنبياء آخرون أيضاً أشاروا إلى عدم جدواها (هوشع 6، 6 / عاموس 5، 21 - 24). المزمور 51، 18 - 19 يقول أيضاً: "أنت بذبيحة لا تسر، وبمحرقة إذا قدمتها لا ترضى. ذبيحتي لك يا الله روح منكسرة (بالتوبة)، والقلب المنكسر المنسحق لا تحتقره". ويذكّرنا يسوع أيضاً أن الله "يريد رحمة لا ذبيحة (حيوانات)" (متى 12، 7).

الفصول 8 إلى 10 تتكلم عن طقوس تكريس الكهنة. هذه المراسم القديمة والمثيرة للسخرية، مستوحاة من الوثنية (خاصة المصرية) ومُشرّبة بحركات خرافية. إنها لا تملك أي شيء من الألوهية. فلباس الكاهن هو داخلي و، في زمن الرؤيا، نحن جميعاً مدعوون لنكون كهنة بالإيمان والرحمة... من غير طقوس ترسيم مسرحية (رؤيا 1، 6 / 5، 9 - 10).

الفصول 11 إلى 27 تعرض بالتفصيل الدقيق الوصايا الشعائرية المختلفة، بوجه خاص، وبحسب الكتبة والكهنة اللاويين، ما هو طاهر أو نجس، محذرين من انتهاك حرمة السبت (لاويين 19، 3 / 19، 30 / 26، 2). وكان ذلك قد حُدد في الخروج 20، 8 - 11 / 35، 1 - 3. المؤمنون كانوا مثقلين بعدد هائل من الوصايا والتعاليم المنسوبة باطلاً إلى الله. كل هذه القوانين لا تملك شيئاً من التطهير ولا من الخلاص. بل إنها، بالعكس، كما كشف الأنبياء في البدء، ويسوع والرسل من بعد، تشكل عقبة خطيرة في وجه التطور الروحي، وتجعل الذين يمارسونها يتعثرون، إنها "وصية على وصية على وصية، وفرض على فرض، وشيء من هنا وشيء من هناك، حتى إذا مشوا سقطوا" تحت حمل الشريعة، كما يوضح النبي إشعيا (إشعيا 28، 13). يسوع هو أيضاً حذّر من الكتبة ومعلمي الشريعة الذين "يحزمون أحمالاً ثقيلة شاقة الحمل ويلقونها على أكتاف الناس ..." (متى 23، 4). ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان، قال يسوع، فاستاء اليهود من كلامه (متى 15، 10 - 12).

التحذير من انتهاك حرمة يوم السبت يتكرر بشكل رسمي في كتب الشريعة. في حال المخالفة، يكون العقاب الرجم حتى الموت (خروج 35، 1 - 3). كتاب العدد يروي حالة رجل تجرأ على جمع الحطب في يوم السبت. لقد رُجم بكل بساطة (العدد 15، 32 - 36). كشف الإنجيل كيف غضب اليهود على الرسل الذين كانوا يقطفون السنبل في يوم السبت (متى 12، 1 - 8). يسوع أيضاً اضطُهد لأنه كان يشفي المرضى في السبت (يوحنا 5، 16 - 18). بالنسبة للمتعصبين كان ذلك بمثابة عمل، إذاً، عقوبته الموت. كما ثار اليهود أكثر ضده عندما سمعوه يقول إنه "سيد السبت" (متى 12، 8) وإن "الله جعل السبت للإنسان، وما جعل الإنسان للسبت" (مرقس 2، 27).

لم يقدر موسى أن يقدّم صورة صحيحة عن الله. من خلال جرائم القتل التي أمر بها باسم الرب، شوّه الوجه الحقيقي للخالق. ثم، أتى الكهنة ورجال الدين لزيدوا هذا الوجه الإلهي تشويهاً، لأنهم لم يفهموا روحه.

معرفة الله هي فهم الله. وحده يسوع كشف لنا الوجه الحقيقي للآب. من خلاله هو وحده نتوصل إلى ولوج الروح الإلهي الذي يتعارض تماماً مع روح الشريعة (التوراة).

الله هو أب لجميع الأعراق. يفتح ذراعيه لجميع البشر الطيبين، لا لبني إسرائيل وحدهم. لهذا السبب كتب يوحنا يقول: "لأن الله بموسى أعطانا الشريعة، وأما بيسوع المسيح فوهبنا النعمة والحق. ما من أحد رأى الله. الإله الأوحد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه" (يوحنا 1، 17 - 18). موسى إذاً لم يرى ولم يفهم الله. وإلا لما أمر بالقتل باسمه. إن الشريعة التي فرضها لم تكن بوحي من الله.

هل موسى هو الذي، باسم الله القدوس، قضى بكل هذه الشريعة أو هم الكتبة ورجال الدين؟ لموسى حصة بالتأكيد، أما الباقي فقد أضافه الكتبة والكهنة اللاويون. والحصتان هائلتان، وخطيرتان بشكل مهول. ومهولة هي العواقب على مر القرون. إلى أيامنا هذه...

كتاب أعمال الرسل يروي نضال الرسل المر ليبرهنوا بطلان الشريعة. في رسائله إلى أهل رومة وغلاطية، يشرح بولس أن الإنسان يتبرر بالإيمان بيسوع، كون الشريعة ليست إلا رسالة ميتة وعديمة الجدوى للحياة الأبدية (قرأة رومة 3، 28 - 30 / غلاطية 3، 10 - 24 / أفسس 2، 14 - 16 / عبرانيين 10، 10).

كتاب اللاويين يحوي بعض التعاليم ذات القيمة الفعلية التي تشكل جزءاً من الذهب المدفون في كتب العهد القديم:

1-1.6 استحضار الأرواح

هذه الممارسة الخطيرة هي محاولة بشرية للاتصال بالعالم الثاني بوسائل مادية مختلفة، أدانها كتاب اللاويين: "لا تتشاءموا من شيء ولا تتفاءلوا به (لاويين 19، 26) ... كل من التفت إلى السحرة والعرافين وتبعهم في فجورهم أواجهه وأقطعه من بين شعبه (لاويين 20، 6) ... من كان من الرجال أو النساء ساحراً أو عرافاً، يُقتل رجماً بالحجارة، ودمه على رأسه" (لاويين 20، 27). يدل ذلك على أن استحضار الأرواح كان يمارس منذ أمد طويل، كما ستظهر فيما بعد قصة الملك شاول مع العرافة التي أطلعت له صموئيل (صموئيل الأول 28).

من خلال انتشاره الواسع في العالم اليوم أيضاً، يضلل استحضار الأرواح عدداً كبيراً من الناس. فإدانة الكتاب المقدس الواضحة لهذه الممارسة تبقى صالحة لكل الأزمنة، لأنه عند دعوة الأرواح الطيبة (ملائكة، قديسين)، الأرواح الشيطانية هي التي تطلع، أرواح أو نفوس متعلقة بالأرض. الله لا يتدخل لأن المؤيدين الذين يزاولونها لا يملكون في أكثر الأحيان العطش الروحي والرغبة العميقة للبحث عن الحقيقة الإلهية كي يخضعوا لها. إنهم يبحثون عن إجابات ذات طابع دنيوي، عاطفي أو اقتصادي. أو أنهم أيضاً يطرحون أسئلة فضولية تتعلق بحياة الآخرين الخاصة. لهذا السبب لا يعيرهه الله أهمية ويسمح للأرواح الشريرة أن تتدخل في هذه الجلسات. إنها أرواح، كما يقول القديس بطرس، "تجول في العالم كالأسد الزائر باحثة عن فريسة لها" (بطرس الأولى 5، 8).

بالمقابل، يحدث أن الله نفسه يأخذ مبادرة الاتصال بأشخاص من اختياره يراهم متعطشين إلى النور والحقيقة. فيتجلى لهذه القلوب التي ترغب بصدق أن تعرفه، والمستعدة لكل تضحية كي تتبعه. في هذه الحالة، النتيجة هي دائماً خلاصية لأن التدخل يأتي من الله، لا من الإنسان، ولأسباب ذات منافع دائماً روحية، لا مادية. هذا الاتصال السماوي يعمل إما من خلال الله نفسه، أو من خلال مرسلين (ملائكة أو قديسين).

الله أو مرسلوه يظهرون في الأحلام، في الرؤى (يوئيل 3، 1 - 2)، أو حتى في حالة اليقظة التامة: ظهورات المسيح لرسله بعد قيامته (لوقا 24)، وظهورات العذراء مريم في لورد، لا ساليت وفاطمة.

الكتاب المقدس غني بالتدخلات الإلهية، بالأحلام، بالرؤى والظهورات. يمكن للرسالة السماوية أن تُنقل إمّا بأسلوب رمزي أو بأسلوب واضح.

بالأحلام (أثناء النوم): أحلام يوسف (تكوين 37، 5 إلخ...)، الساقي والخباز (تكوين 40، 5 إلخ...)، فرعون (تكوين 41، 1 إلخ...)، نبوخذنصر (دانيال 2، 1 إلخ...)، دانيال (دانيال 7، 1 إلخ...)، يوسف خطيب مريم (متى 1، 20 / 2، 13 - 22)، زوجة بيلاطس (متى 27، 19).

بالرؤى (أثناء النوم أو في حالة النصف وعي) : إبراهيم (تكوين 15، 1)، صموئيل (صموئيل الأول 3)، بطرس والضابط (أعمال 10)، يوحنا في كتاب الرؤيا، رؤى إشعيا (إشعيا 6) إلخ.

الظهورات (في حالة اليقظة): إبراهيم (تكوين 18)، ذكريا (لوقا 1، 11)، مريم العذراء (لوقا 1، 26)، الرسل (لوقا 24 / يوحنا 21 / أعمال 1، 3 - 9)، بولس (أعمال 9) إلخ...

بالإضافة إلى ذلك، فإن ظهورات مريم العذراء في لا ساليت، لورد وفاطمة إلخ... هي علامات كتابية لنهاية الأزمنة التي أعلن عنها يسوع: "تظهر علامات هائلة في السماء" (لوقا 21، 11)، "وظهرت آية عجيبة في السماء: امرأة..." (رؤيا 12، 1 إلخ...).

تأمل من كتاب أيوب: لإصلاح الإنسان، "يتكلم الله مرة ومرتين، ولكن أين من يلاحظ كلامه... في الحلم يتكلم ورؤيا الليل،...ليصرف الإنسان عن شروره ويضع حداً لكبريائه. فيحفظه من فم الهاوية..." (أيوب 33، 14 - 18). تلك هي الأسباب التي من أجلها يتصل الله بالإنسان.

كما أن يسوع أيضاً قد وعد أن يتجلى للذين يحبونه: "...من أحبني أحبه أبي، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي... من أحبني سمع كلامي فأحبه أبي، ونجيء إليه ونقيم عنده" (يوحنا 14، 21 - 23).

إن أراد الله إذاً أن يتجلى لنا، فلماذا لا نضع أنفسنا تحت تصرفه؟ لماذا يقوم البعض بدعوة الأرواح في حين أن الروح القدس يطلب منا أن ندعوه هو؟ لماذا نذهب إلى خدم مشكوك بأمرهم عندما ينادينا المعلم؟

إن كان التضرع للأرواح مرفوضاً، فالتضرع للروح القدس هو، بالعكس، مطلوب. يجب الأتصال بالله لأسباب فوطبيعية. هذا الرابط الإلهي-البشري هو ضرورة محفورة في الطبيعة البشرية، عطش خنقه البعض واستبدله باستحضار الأرواح الذي ما هو إلا "بديل" خطير عن الحقيقة، "عملة مزيفة" تكشفها النفوس الفطنة ولا تقبل أن تقايضها بالكنز السماوي الذي هو تجلي الله ومسيحه يسوع، فينا.

يمكننا من خلال التأمل والصلاة أن نتصل بموتانا الأتقياء. يمكننا أن نلجأ إليهم لنحصل على دعمهم في نضالنا الروحي اليومي. أنفس القديسين وأرواح الملائكة تلتهب شوقاً للاتصال بنا لتدعمنا روحياً. القديسة تريز الطفل يسوع كانت تقول: "سأقضي سمائي في عمل الخير على الأرض". كذلك، علينا أن نكون منفتحين وجاهزين لاستقبال التوسلات السماوية. إنه نقيض استحضار الأرواح. فلنؤمن بقدرة تشفع النفوس السماوية وبشراكتهم.

2-1.6 المثلية الجنسية

الكتاب المقدس يدين المثلية الجنسية بكل وضوح. هذا يثبت أن هذا الإنحراف الجنسي هو قديم العهد كما تبينه قصة سدوم وعمورة (تكوين 18، 20 - 19، 25).

"لا تضاجع الذكر مضاجعة النساء، فذلك معيب" (لاويين 18، 22).

"إن ضاجع أحد ذكراً مضاجعة النساء فكلاهما فعلا أمراً معيباً فليقتلا ودمهما على رأسيهما" (لاويين 20، 13).

في رسالته إلى أهل رومة، يكرر بولس هذه الإدانة، مطبقاً إياها أيضاً على العلاقات بين النساء: "...أسلمهم الله إلى الشهوات الدنيئة، فاستبدلت نساؤهم بالوصال الطبيعي الوصال غير الطبيعي، وكذلك الرجال..." (رومة 1، 24 - 32).

في هذا القرن العشرين الذي نعيش فيه، قامت حركات داعمة للمثلية الجنسية تطالب، باسم الحرية (؟)، بشرعنة هذه المعاشرة التي تشمئز منها وترفضها الطبيعة كنقيض لاندفاعها الحيوي والتطوري نحو التسامي. نذكر مع بولس أن "هذه الشهوات الدنيئة هي وصال غير طبيعي" (رومة 1، 26). لا يمكننا أن نعتبر طبيعياً ما هو ضد الطبيعة، فنردد مع إشعيا قائلين: "ويل للذين يدعون الشر خيراً والخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً" (إشعيا 5، 20).

باسم الخالق، باسم الحرية الحقيقية والمسؤولة، وباسم الطبيعة وعظمتها، نلوم الذين يدعمون حقّاً طبيعياً مزعوماً، لا بل أخلاقياً، للمثلية للجنسية. بعض "رجال الدين" المسيحيين المزعومين وصل بهم الأمر إلى "تزويج" مثليي الجنس، متناسين أن الكتاب المقدس يرفض ويدين هذه المعاشرة و "الذين يرضون عن الذين يعملونها" (رومة 1، 32).

3-1.6 الزنى

هذا الانحراف الجنسي، بجميع أشكاله، معروف منذ القدم. "عقدة أوديب" ليست حكراً على العصور الحديثة كما يشهد كتاب اللاويين: "لا تكشف عورة أبيك بكشف عورة أمك. فهي أمك، لا تكشف عورتها" (لاويين 18، 7).

الزنى الأبوي ليس مذكوراً بوضوح. لكن هذه التسوس الأخلاقي، الذي غالباً ما يعمل عمله في العائلات مع الدمار النفسي الذي يحمله، مدان بطريقة ضمنية وغير مباشرة: "لا يقرب أحد إلى قريبه في الرحم لكشف عورته" (لاويين 18، 6). إن كان يُطلب الابتعاد عن "الأقرباء" فيجب بالدرجة الأولى الابتعاد عن الإبنة، لا سيما وأن الآية تقول بوضوح عن "عدم كشف عورة بنت الإبن أو بنت الإبنة" (لاويين 18، 10).

الزنى الأخوي، الذي ينخر بالخفية ملايين الضحايا، هو مدان أيضاً: "عورة اختك ابنة أبيك أو ابنة أمك" (اللاويين 18، 9). مثل هذه الانحرافات هي جميعها مدانة من كتاب اللاويين بسبب ممارستها في قلب المجتمع الإسرائيلي، كما تشهد قصة أمنون وأخته غير الشقيقة تامار (صموئيل الثاني 13)، وأيضاً قصة رأوبين مع محظية أبيه يعقوب (تكوين 35، 22).

الزنى الأخوي يشمل أيضاً زوجة الأخ: "لا تكشف عورة زوجة أخيك، فهي زوجة أخيك" (الاويين 18، 16). بسبب هذا المبدأ الأخلاقي أدان يوحنا المعمدان الملك هيرودس (متى 14، 3 - 4).

4-1.6 الأضاحي البشرية

هذا الطقس الوثني كان واسع الانتشار في قلب المجتمع الإسرائيلي مع أنه مؤمن بالله الواحد: "بنو يهوذا فعلوا الشر أمام عيني... وبنوا مشارف توفة التي في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار (لبعل). وأنا ما أمرت بذلك ولا خطر ببالي"، أعلن الرب بلسان النبي إرميا (إرميا 7، 30 - 31 / 19، 5 / 32، 34).

الأضاحي البشرية مذكورة بوضوح في كتاب الملوك الأول 16، 34: "في أيامه بنى حيئيل الذي من بيت إيل مدينة أريحا، على أبيرام ابنه البكر أسسها (أي بالتضحية به) وعلى سجوب أصغر بنيه أقام أبوابها". الملك آحاز نفسه "أحرق ابنه في النار قرباناً للبعل" لتوسل القدر (الملوك الثاني 16، 3).

في جو وثني مماثل حدد الكهنة اللاويون في كتاب اللاويين: "لا تُعطِ من نسلك محرقة تطيب رائحتها للوثن مولك ..." (لاويين 18، 21)، "أي إسرائيلي وغريب نزيل في إسرائيل (الفلسطينيون كانوا يُعتبرون غرباء) أعطى من نسله للوثن مولك، فليقتله الشعب" (لاويين 20، 1 - 5).

نكتشف بأسف أن الإسرائيليين تركوا أنفسهم يتلوثون بالعادات الوثنية بدلاً من هداية الآخرين بالإيمان بالله الواحد.

5-1.6 الموانع عن الكهنوت اليهودي

العاهات الجسدية كانت وما زالت تشكل مانعاً عن الكهنوت اليهودي: "من كان فيه عيب من نسلك على ممر الأجيال، فلا يقترب ليقدم طعام إلهه: الأعمى والأعرج والأفطس والأشرع، والأحدب...إلخ... لا يتقدم إلى المذبح إذ به عيب فلا يدنس معبدي الذي كرسته لي" (لاويين 21، 16 - 24).

الشريعة الموسوية تخلط بين العاهة الجسدية والدنس الأخلاقي. المعاقون لا يدنسون المعبد. الإنسان الدنس هو الخاطىء. لكن الخاطىء إذا تاب، فإنه يتطهر بالنعمة الإلهية. النعمة هي أقوى بكثير من الدنس و، كما يقول بولس: "حيث كثرت الخطيئة فاضت نعمة الله"(رومة 5، 20).

الموانع الجسدية عن الكهنوت اللاوي تم اعتمادها من قبل الكنائس المسيحية. فهذه الأخيرة ترفض أن ترسم كهنة معاقين جسدياً إنما أصحاء بالروح. كما أنها، علاوة على ذلك، تمنع عن الكهنة حق الزواج. فهي بالتالي تعتبر أن الاتحاد الزوجي دنس. والحال أن الزواج هو سر مقدس يطهر النفس.

مانع زواج الكهنة يقع تحت إدانة إلهية كشفها بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس 4، 1 - 3. الجنس المؤنث هو أيضاً، بحد ذاته، عائق للكهنوت اللاوي. إن رجالات الكنائس متعلقون بهذه المبادىء البشرية، لكنهم لا يترددون، وحسرتاه، في ترسيم كهنة مشوهين نفسياً، أصحاب عاهات أخلاقية ومبتوري القلب، دون محبة ولا رحمة للناس. كلام يسوع الذي توجه به إلى الفريسيين من قبل ينطبق اليوم على رجال الدين المسيحيين الذين يمارسون طقوساً أكثر تفاهة من طقوس أسلافهم اللاويين (مراجعة متى 15، 1 - 20).

لقد تخلّص الكهنوت الرؤيوي، والحمد لله، من هذه الاعتبارات اليهو-مسيحية. المسيح الحي بيننا (عمانوئيل)، اختارنا بنفسه كبواكير لشعبه الجديد من الكهنة. كل الذين "يفتحون له الباب ليتعشوا معه" (رؤيا 3، 20) هم في عداد هذا الشعب الكهنوتي. ذوي العاهات الجسدية يستطيعون أن يكونوا جزءاً

منه، لو أرادوا ذلك، مشكلين بذلك الهيكل الرؤيوي الحي، الخفي على البشر. هذا الهيكل السماوي هو مجرد من العاهات ومن العيوب الروحية لأنه "لا يدخله شيء نجس، ولا الذين يعملون القبائح ويفترون الكذب، بل الذين أسماؤهم مكتوبة في كتاب الحياة، كتاب الحمل" (رؤيا 21، 27). مكتوبة فيه أسماء الذين سيتعرفون على الوحش الرؤيوي ويحاربونه (رؤيا 13، 18 / 13، 8 / 20، 12).

في مثل وليمة العرس، يقول يسوع إلى خدمه: "الوليمة مهيأة ولكن المدعوين غير مستحقين، فاخرجوا إلى مفارق الطرق وادعوا إلى الوليمة كل من تجدوه" (متى 22، 7 - 10). في نهاية هذه الأزمنة، خدم يسوع (الذين هم نحن) أدركوا، بحزن ومرارة، عدم جدارة الذين يزعمون أنهم كهنة كنيسة يسوع. لقد قُطفنا من على مفارق الطرق رواداً للعهد الرؤيوي. كنا على ملتقى الطرق التي تؤدي إلى الحياة الفوطبيعية، إلى البحث عن مخرج. فأمسكتنا يد الله، من أجل ولادة جديدة. رواد لمسلك جديد، شرعنا في بناء "السماء الجديدة والأرض الجديدة" اللتان رآهما بطرس (بطرس الثانية 3، 13) ويوحنا (رؤيا 21، 1). معنا يقود يسوع "الفقراء والمشوهين والعرج والعميان" وفقاً للعالم (لوقا 14، 21) ليُسقط الذين يرفضون هؤلاء "المعاقين" من كهنوتهم البشري، الغير قادر على خلاص الروح. وكعلامة لانطلاقتنا الجديدة نحو بناء المجتمع السماوي الجديد على الأرض، يشكّل "المعاقون" والنساء، جزءاً من كهنوت يسوع، مدركين أنه "في ملكوت الله لا فرق بين رجل وامرأة" (غلاطية 3، 28).

بناءً على شريعة موسى، لا يمكن اعتبار يسوع كاهناً، لأنه ليس من عشيرة لاوي (عبرانيين 8، 4). لكنه بالمقابل، وفقاً للروح الإلهي، هو "الكاهن الأعلى" للعهد الجديد (عبرانيين 4، 14 إلى 5، 10 ؛ 9، 11 إلخ...). كذلك أنتم، رسل وكهنة العهد الرؤيوي، رجالاً ونساء، لا يمكنكم أن تكونوا كهنة وفقاً للكنيس اليهودي والكنيسة المسيحية. لكن وفقاً للروح الإلهي أنتم بكل تأكيد "ملكوت كهنة" أسسه يسوع "لله أبيه"، الذي هو أيضاً أبانا (رؤيا 1، 5 - 6).

الكهنوت الرؤيوي لا يعرف سوى مانعاً واحداً: دنس الروح من خلال الإيمان الضعيف (رؤيا 21، 27). لكن العجز الجسدي ليس مانعاً.

"مبارك ومقدس من كان له نصيب في القيامة الأولى، فلا سلطان للموت الثاني عليهم، بل يكونون كهنة الله والمسيح" (رؤيا 20، 6). الخلاصة المنطقية لإيماننا هي أننا من هؤلاء الكهنة. إيماننا بالرسالة الرؤيوية هو الشاهد والضمانة على مشاركتنا بالقيامة الأولى ومن ثم، بكهنوت الله ومسيحه يسوع. شهادة وضمانة موجودتان أيضاً في رسالة بولس: "فأنتم عندما تعمدتم في المسيح دُفنتم معه وقمتم معه أيضاً، لأنكم آمنتم... كنتم أمواتاً بخطاياكم... فأحياكم (القيامة الأولى) الله مع المسيح..." (كولوسي 2، 12 - 13). كنّا أمواتاً سمعوا صوت ابن الله وعادت إليهم الحياة (يوحنا 5، 25). لقد سمعنا هذا الصوت الإلهي مرة أولى في الإنجيل ليكشف لنا وجه المسيح، ومرة ثانية في كتاب الرؤيا ليكشف وجه المسيح الدجال. ونحن آمنا بالصوت الأول والثاني! وهذا الإيمان حوّلنا في الحال من أموات إلى كهنة أحياء، مثل لعازر الذي خرج من قبره عند سماع صوت ابن الله (يوحنا 11). الصاعقة الإلهية المحيية سقطت علينا لتعيد إلينا الحياة و، بلمح البصر، استعدنا الحياة: "مجيء ابن الإنسان يكون مثل البرق" (متى 24، 27)، هذا البرق "الذي يلمع من المشرق ويضيء في المغرب" أطلقه الملاك الطالع من المشرق (رؤيا 7، 2).

كهنة نحن لنمهّد لعودة يسوع بالإعلان عنها... لأنفسنا في بداية الأمر، باستقبال هذا "العائد" الكبير فينا ليطلقنا من مفارق الطرق والشوارع حيث نحن، إلى حيث يُقدّر لنا لنحاول جاهدين أن نخلّص من يمكنه أن يخلص بعد من هذه البشرية البائسة.

"كونوا على استعداد، أوساطكم مشدودة ومصابيحكم موقدة، كرجال ينتظرون رجوع سيدهم من العرس، حتى إذا جاء ودق الباب يفتحون له في الحال. هنيئاً لهؤلاء الخدم... الحق أقول لكم: إنه يشمر عن ساعده ويجلسهم للطعام ويقوم بخدمتهم" (لوقا 12، 36 - 37). أؤكد على هذا الكلام للمسيح قائلاً: "هنيئاً للذين يهرعون ليفتحوا له الباب بمحبة وبساطة، دون أن يرتبكوا بالطقوس في هذه الأزمنة الرؤيوية للقرن الواحد والعشرين. لقد أجلسنا جميعاً إلى مائدته، لنتعشى نحن معه وهو معنا" (رؤيا 3، 20). بذلك يؤكد كتاب الرؤيا على ما قد أعلنه الإنجيل. كل شيء يدور حول الكهنوت الرؤيوي الذي لا يمكن مقارنة مستواه الروحي مع الكهنوت اللاوي والكنسي... وكلاهما بعيدان كل البعد عن قلوب المؤمنين الحقيقيين الذين يتعشون بحميمية، دون طقوس مسرحية، مع العريس.

كهنة نحن، لكن كهنوتنا مخفي عن العالم لأن "حياتنا مستترة مع المسيح في الله" (كولوسي 3، 3)، ومع المسيح فينا. لأن "كوكب الصبح المنير" قد طلع في قلوبنا التي تدفأت ببريقه الإلهي الذي، مثل "البرق"، أعاد الحياة لنفوسنا الممزقة (بطرس الثانية 1، 19 / رؤيا 2، 28 و22، 16).

6-1.6 العدالة

لم يهمل كتاب اللاويين مبادىء العدالة الاجتماعية. لكنها، مع ذلك، عدالة نسبية وتهدف إلى منح اليهود امتيازاً على حساب الغير، واضعة إياهم فوق الأمم الأخرى. العدالة الإلهية، بالمقابل، تضع كل البشر، كل الأمم، وكل الأعراق على نفس المستوى.

صحيح أنه قيل: "لا تظلموا قريبكم ولا تسلبوه. لا تحتفظوا بأجرة الأجير عندكم إلى الغد" (اللاويين 19، 13). من هو هذا القريب؟ هنا السؤال.

وفقاً لكتاب اللاويين، على اليهودي أن يكن اعتباراً خاصاً لقريبه اليهودي مثله، أمّا سكان البلد الآخرون (الفلسطينيون) فكانوا يُعتبرون "غرباء" أو مواطنين من الدرجة الثانية، كما هو الحال اليوم في إسرائيل: "لا تسع بالنميمة بين شعبك، ولا تطالب بدم قريبك (اليهودي). لا تبغض أخاك (اليهودي) في قلبك، بل عاتب قريبك عتاباً فلا تحمل خطيئة بسببه. لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل أحب قريبك مثلما تحب نفسك" (لاويين 19، 16 - 18). هذا الـ "القريب" هو اليهودي؛ الغير يهود (الفلسطينيون والـ "غوييم") كانوا يُعتبرون غرباء.

مع ذلك توجد آية واحدة لصالح الغريب: "إذا نزل بكم غريب في أرضكم، فلا ترهقوه. وليكن عندكم الغريب النزيل فيما بينكم كالأصيل منكم. أحبوه مثلما تحبون أنفسكم..." (لاويين 19، 33 - 34). تجدر الإشارة إلى أن الغريب الذي نتكلم عنه ليس سوى المواطن الأصلي للبلد، البلد المصادر من قبل المستوطنين اليهود.

ثار الأنبياء على شوفينية (تطرف) أخوتهم في الدين. وشجبوا تنكيدهم الغير مبرر للغريب، معلنين أن العدالة الحقيقية هي "عدم اضطهاد الغريب واليتيم والأرملة..." (إرميا 22، 3). يقول حزقيال أيضاً: "حتى وجهاء الشعب يغتصبون المسكين ويسرقونه ويستغلون البائس ويعاملون الغريب بغير حق" (حزقيال 22، 29). ينطبق ذلك أيضاً على دولة إسرائيل اليوم التي تحرم الفلسطينيين من حقوقهم الأساسية.

يسوع ثار هو أيضاً على الظلم اليهودي: "سمعتم أنه قيل: أحب قريبك (اليهودي) وأبغض عدوك (كل من هو غير يهودي؛ وهذا تعليم مذكور في العرف التلمودي، لا في الكتاب المقدس). أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم (الذين يُدعون اليوم "إرهابيين": أحبوهم لأنهم هم الذين على حق، لا أنتم!...)،... فإن كنتم تحبون الذين يحبونكم (اليهود)، فأي أجر لكم؟... وإن كنتم لا تسلّمون إلا على أخوتكم (اليهود)، فماذا عملتم أكثر من غيركم؟ أما يعمل الوثنيون هذا؟" (متى 5، 43 - 47). كان المسيح يوجه كلامه لجموع المتعصبين، وليس لتلاميذه: "ولكني أقول لكم أيها السامعون: أحبوا أعداءكم... (لوقا 6، 27). والحال هو أن الذين كانوا يسمعونه كانوا من الوطنيين الراغبين بأن يعلنوه ملكاً سياسياً على إسرائيل (مراجعة يوحنا 6، 15). فهم لم يفهموا "سلميته" تجاه الغرباء، الغير يهود الساكنين في فلسطين.

العدالة التي علّمها يسوع موجودة في الموعظة على الجبل (متى 5 - 7). إنها تدعو لتجاوز المفهوم التمييزي للكتبة: "إن كانت تقواكم لا تفوق تقوى معلمي الشريعة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات" (متى 5، 20). يربط يسوع دائماً العدالة مع محبة القريب (لوقا 10،27)؛ فيعطي مثلاً عن القريب، لا لاوي، ولا كاهن، ولا يهودي، بل سامري، الذي يعتبره اليهود عدواً لهم (لوقا 10، 29 - 37). كان يعلم جيداً أن "اليهود يكرهون السامريين ولا يخالطونهم" (يوحنا 4، 9). بهذا المثل، يسقط يسوع مفهوم الشوفينية ويسعى إلى تصحيح ما شوهه معلمو الشريعة والفريسيون باسم الشريعة الموسوية: "لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء: ما جئت لأبطل بل لأكمل" (متى 5، 17). يتحقق هذا الإكمال بالانفتاح على كل إنسان صالح حتى ولو كان غريباً عن شعبـ "ي"، وبرفض كل إنسان خبيث حتى ولو كان من شعبي.

7-1.6 لأكون إلهكم

بعد أربعة قرون في مصر، نسي بنو إسرائيل الذي تجلى لإبراهيم. محاطون بالأوثان وبالعبادة الفرعونية، استسلموا لعبادة الأوثان. هكذا أصبح مخطط الله المسيحي في خطر. فأخرج الله العبرانيين من مصر ليعيدهم إليه: "أنا الرب الذي كرسكم وأخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً" (لاويين 22، 33 / 25، 38).

فسّر العبرانيون عبارة "لكم إلهاً" بأنانية، فقد رأوا فيها حيازة حصرية لله. اعتقدوا أنهم مميزون، مدللون، ووحدهم مختارون من الله. متمسكون بهذه الحيازة، أرادوا أن يكون الله لهم وحدهم. لا يجب أن يكون أيضاً إله شعوب أخرى. والحال أن المقصود الإلهي كان يهدف إلى انتزاع اليهود من الأصنام لمتابعة مخططه المسيحي.

لقد حصل اليهود على معرفة الله الواحد. كانت مهمتهم نقل هذه المعرفة للشعوب الأخرى، والكشف عن المخطط الإلهي لإرسال المسيح. والحال هو أنهم، بعد خروجهم من مصر، اعتقدوا أن هذه الدعوة تخصهم وحدهم دون سواهم. أتى المسيح ليقوّم هذا الانحراف بتعليمه أن كثيرين سيأتون إلى الله من جهات الأرض الأربع، في حين أن اليهود، بسبب تعصبهم، سيُرفضون من قبل الذي أخرجهم من مصر: "كثيرون من الناس سيجيئون من المشرق ومن المغرب ويجلسون إلى المائدة مع إبراهيم... في ملكوت السماوات، وأما من كان لهم الملكوت (إسرائيل)، فيطرحون خارجاً في الظلمة" (متى 8، 11). كشف المسيح هذه الحقيقة المروعة لتلاميذه، طالباً منهم أن يعلنوها بدورهم. لهذا السبب، بعد قيامة المسيح، أعلن بطرس أمام اليهود قائلاً: "...الله الذي يعرف ما في القلوب... وهب لغير اليهود الروح القدس كما وهبه لنا. فما فرّق بيننا وبينهم في شيء" (أعمال 15، 7 - 9). "أفيكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إله سائر الأمم أيضاً؟ بلى، هو إله سائر الأمم..."، كما يقول بولس أيضاً (رومة 3، 29).

أخرج الله اليهود من مصر لا لمجد إسرائيل، بل ليتمكن من إرسال المسيح الذي سيجعل العالم بأجمعه يعرفه. ينقل لنا النبي حزقيال قول الرب له: "قل لشعب إسرائيل ما أقوله أنا السيد الرب: ما سأفعله لا أفعله لأجلكم يا شعب إسرائيل، بل لأجل إسمي القدوس الذي دنستموه بين الأمم وحيث حللتم" (حزقيال 36، 22). كذلك أعلن الله بلسان إشعيا: "إسمعوا هذا يا بيت يعقوب، أيها المدعوون باسم إسرائيل... الحالفون باسم الرب الذاكرون إله إسرائيل بغير حق ولا صدق... عرفت أنك غادر ومن الرحم سمّيت عاصياً. لكرامة اسمي أبطيء غضبي وأرد عنك لئلا أقطعك... من أجلي أفعل هذا. لئلا يتدنس اسمي أو يأخذه أحد غيري" (إشعيا 48، 1 - 11).

لو بقي اليهود في مصر، لكانوا استمروا بممارسة الطقوس المصرية ونسوا الله بشكل نهائي. مخطط الله العالمي، الذي بدأ مع إبراهيم، لم يكن ليتحقق ليصل إلينا اليوم. لم يكن بإمكان المسيح أن يأتي إلا من خلال مجتمع يعرف الله ومخططه المسيحي. من دون هذا المجتمع، ما كانت النبوءات المتعلقة بالمسيح لتُكشف أبداً بما أنه لن يكون هناك أنبياء ليعهد بها إليهم. كان بحاجة لقاعدة، ولو ناقصة، لاستقبال المسيح. حرص الله على مخططه بإخراج المجتمع اليهودي من مصر. مخططه الذي يتحقق بالمسيح، لا بشعب أو بدولة إسرائيلية.

لقد جاء المسيح منذ 2000 سنة. لقد توجه في الماضي ويتوجه اليوم أيضاً إلى العالم أجمع. فقد "قال بأعلى صوته: إن عطش أحد (يهودي أو غير يهودي)، فليجيء إلي ليشرب... وعنى بكلامه الروح الذي سيناله المؤمنون به" (يوحنا 7، 37 - 39). كل الذين يبحثون عنه، الذين يتواجدون على "مفارق الطرق" الروحية، يجدونه وينالون هذا الروح الإلهي. بحصولهم عليه، تعود إليهم الحياة ويصيروا أبناء الله (يوحنا 1، 12). إنها القيامة الأولى (يوحنا 5، 25 / رؤيا 20، 6)، عودة النفس إلى الحياة. إنها تجربة مدهشة لا يعرفها إلا الذين يذوقونها. ندين بإيماننا بالله وبالمسيح لخروج اليهود من مصر في القرن الثامن ق.م جعلهم الله يخرجون من هناك ليكون إله جميع المؤمنين، ليكون إلهنا وأبينا.

علينا أن نكون مدركين جيداً للرابط الحميم الموجود بين "الخروج" من مصر ونحن. الخروج مع موسى ليس مجرد عبور بسيط من بلد نحو بلد آخر، بل رمز الانتقال من حالة روحية إلى أخرى، خروج من الجهل إلى معرفة الله. هذه المعرفة أعادت الحياة إلى نفوسنا من خلال إعادة اكتشاف الحياة الأبدية: "الحياة الأبدية هي أن يعرفوك، أنت، الإله الحق وحدك ..." (يوحنا 17، 3).

لتأسيس سر القربان المقدس، اختار يسوع عيد الفصح اليهودي، الذي يحتفل بذكرى "الخروج" من مصر (متى 26، 17). خبز الحياة الأبدية هذا ينتزع نفوسنا من الموت: "من أكل جسدي وشرب دمي فله الحياة الأبدية (فيه)... يثبت هو في، وأثبت أنا فيه... ويحيا إلى الأبد"، قال يسوع (يوحنا 6، 51 - 58).

من دون الخروج من مصر، لكان مخطط الله قد أخفق: لما كنا حصلنا لا على المسيح، لا على الكتاب المقدس، لا على الإنجيل، ولا على كتاب الرؤيا. كنا سنتجاهل القيامة الأولى التي هي الجنة على الأرض. هذه هي أرض الميعاد الحقيقية وليست فلسطين الجغرافية كما يظن الذين قلوبهم متعلقة بالمادة وبالأرض.

مع إبراهيم، كانت الخطوة الأولى نحو القيامة الأولى. الخطوة التالية كانت الخروج من مصر. ثم النداء الذي أطلقه يسوع، داعياً مؤمني العالم أجمع إلى المشاركة فيها. مع كتاب الرؤيا يصبح هذا الوعد واقعاً حياً، كهنوتاً ملكياً. ندين بكهنوتنا الرؤيوي للمبادرة الإلهية لاستئصال اليهود من مصر، ناشلة إيانا بالتالي من الجهل والموت الروحي. كيف نشكره على هذا؟ بيسوع!

من دون هذا الخروج من مصر، ماذا كنا سنصبح؟ عابدون أو كهنة للآلهة رع، بعل، جوبيتر، زيوس، ديانا أو عشتروت...!

تأمل

هل تظن أننا خلصنا بالإيمان بيسوع أو من خلال ممارسة شريعة موسى (الختان، السبت، الطاهر والنجس، إلخ...)؟

هل تعتقد أن التضحية بالحيوانات وتقدمتهم محرقة تقدر أن تصالح الخاطىء مع الله؟

وفقاً للأجوبة على هذه الأسئلة، نكون تلاميذ أو أعداء يسوع.

2.6 كتاب العدد

يبدأ هذا الكتاب بإحصاء للإسرائيليين في سبيل تحديد "العدد"، من حيث يأتي اسمه. لا يجب بصورة رئيسية التوقف على هذه الأرقام. في مرحلة أولى، وحدهم اللاويون لم يتم إحصاؤهم رسمياً (العدد 1، 48) ليسجّلوا في خدمة "مسكن الشهادة". هذا المسكن هو خيمة الإجتماع حيث كانت تقدم القرابين شهادة لله الواحد. هارون وأبناؤه، ولا أحد غيرهم، "خُصصوا لخدمة الكهنوت، ومن اقترب لخدمته سواهم يُقتل" (العدد 3، 10). نسبوا هذا القول للرب لصون حق الكهنة...

إقرأ هذا الكتاب من غير إبطاء ثم عد إلى الدرس الكتابي حيث تناولت وفسرت النقاط الأكثر أهمية التي عليك أن تحفظها.

قصة مسيرة اليهود في الصحراء التي يتناولها الكتاب هنا، كُتبت بعد حوالى ثلاثة قرون. كما قلنا سابقاً، الكتبة-الكهنة أضافوا عليها ما يبرز الدور الأساسي لعبادة وكهنوت هارون وسلالته. أمضت الطائفة أربعين سنة في البرية، فكان عندهم الوقت الكافي لإنشاء عبادة حول مسكن الشهادة الذي كان يقوم مقام الهيكل. في الداخل كان يوجد تابوت العهد الذي كان يحوي لوحي الوصايا العشر. كان تابوت العهد يرمز إلى حضور الله، من حيث تأتي أهميته (العدد 10، 33 - 35). كان أيضاً يتقدم مسيرة الشعب كما في بعض الزياحات الدينية المعاصرة التي تسبقها رموز دينية.

كان للاويين دور الخدمة في العبادة، أما الكهنوت فكان محفوظاً لهارون وأبنائه. غالباً ما يتكرر ذلك في التوراة وفي كتاب العدد بإصرار. العدد 3، 1 - 4 يحدد أن هارون وأبناءه وحدهم مُسحوا وكُرسوا كهنة في كل عشيرة لاوي، لا بل في الطائفة كلها. باقي عشيرة لاوي لا يتمتعون سوى بدور ثانوي في العبادة، وهو خدمة هارون وأبنائه: "قدم سبط لاوي ليقفوا بين يدي هارون الكاهن ويخدموه..." (العدد 3، 6 ...). "أما بنو لاوي، فجعلت لهم كل عشر في إسرائيل ميراثاً..." (العدد 18، 21). إنه مبلغ مهم جداً. بالإضافة إلى ذلك، فإن على عشر هذا العشر أن يعود إلى الرب (العدد 18، 26)، أي إلى جيوب هارون بما أن كل ما يقدم إلى الرب يعود للكاهن: "هكذا تقدمون أنتم أيضاً تقدمة خاصة للرب من جميع الأعشار التي تأخذونها من بني إسرائيل، وتكون هذه تقدمة لهارون الكاهن، وليكن ما تقدمون للرب أفضل جميع عطاياكم وأقدسها" (العدد 18، 28 - 29). بواكير المحاصيل ترمز إلى الحصة الأفضل.

كتب الكتبة هذه النصوص قروناً بعد هارون، فقد كانوا هم أنفسهم كهنة، من نسل هارون. أرادو أن يحافظوا على امتيازاتهم، فسارعوا إلى إضافة آيات تصب في مصلحتهم، ناسبين إياها إلى الله: "كلم الرب موسى فقال: قل لبني إسرائيل: إذا دخلتم الأرض التي سأدخلكم إياها، فقدموا مما تطعمكم الأرض تقدمة للرب (يعني للكهنة): من أول عجينكم تقدمون رغيفاً خاصة... وتكون تقدمة للرب مدى أجيالكم" (العدد 15، 17 - 21). بذلك، خلد الكتبة-الكهنة "حقوقهم الإلهية" على نسل الطائفة اليهودية.

لا نظنن أن الرب يطلب تأسيس كهنوت استغلال لثروة الغير، حيث ما زلنا نرى "قلم الكتبة الكاذب" (إرميا 8، 8). هناك رجال كهنوت مسيحيين مزعومين سقطوا في نفس الهاوية الاقتصادية. في كتاب الرؤيا، يدعو الله خاصته ليأخذوا "مجاناً" من فيض النعم الذي يدفقه على الذين يؤمنون (رؤيا 21، 6 / 22، 17). "مجاناً أخذتم، فمجاناً أعطوا"، يوصي يسوع أيضاً (متى 10، 8 / لوقا 9، 2).

1-2.6 مقتل ابني هارون

يروي كتاب العدد باقتضاب موت ناداب وأبيهو، في سيناء، وهما ابنا هارون، البكر وثاني البكر. نسبت وفاة هذين الأخوين إلى الرب. لكنها في الحقيقة قتل متعمد: "مات ناداب وأبيهو لأنهما قربا ناراً غير مقدسة أمام الرب في برية سيناء" (العدد 3، 4). كتاب اللاويين هو أكثر وضوحاً إذ يقول: "وأخذ كل من ناداب وأبيهو، ابني هارون، مجمرته... وقرب أمام الرب ناراً غير مقدسة... فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما، فماتا أمام الرب" (لاويين 10، 1 - 2).

هذان الرجلان، اللاويان والكاهنان، لقيا حتفهما في نفس يوم تكريسهما (العدد 8، 13). النار التي أكلتهما لم تكن سوى الذراع العسكري لموسى وفرقته. ماذا كانت جريمتهما؟ لقد أرادا أن يقدّما للرب في مبخرتهما ناراً مخالفة لشريعة موسى. هل أرادا أن يبّخرا بدلاً من هارون؟ هل أيضاً لأنهما أثارا الغضب القاتل لعمّهما موسى، الذي أمر بقتلهما "بأمر من الرب"، كعادته. فقد غضب أيضاً فيما بعد على أخويهما الآخرين من أجل مسألة طعام: "لماذا لم تأكلا ذبيحة الخطيئة في الموضع المقدس؟... كان يجب أن يؤتى بدمها إلى داخل القدس، وأن تأكلاها هناك كما أمرت". لم يهدأ موسى إلا بعد تدخل هارون التوضيحي والخائف (لاويين 10، 16 - 20).

موت ابنيه الاثنين أرعب هارون في خضم مواجهته مع موسى. لأنه أمام تفسيرات أخيه "بقي هارون صامتاً" مشلولاً من الخوف أمام هذا العنف المباغت. الصدمة التي أثارها تنفيذ الإعدام المفاجئ لابنيه الكاهنين، في نفس يوم الاحتفال السعيد، شلّت هارون وابنيه الباقيين الآخرين. عندما رأى موسى القلق يستولي على أخيه وابني أخيه، بادر إلى طمأنتهم: "لا تشقّوا ثيابكم حداداً لئلا تموتوا (مثل الاثنين الآخرين)... ومن عند باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا لئلا تموتوا" (لاويين 10، 1 - 7). إذ أنه في خارج الخيمة، كان هناك انتفاضة شعبية يقودها موسى ضد كل الذين لا يخضعون لمتطلبات العبادة القاسية كما كان يطلب. هارون وابنيه الباقيين كانوا معرضين لخطر الإعدام من دون محاكمة.

لو كانت النار هي التي أكلت ناداب وأبيهو، لكانت جعلت من قميصيهما رماداً. والحال هو أنهما "حُملا في قميصيهما إلى خارج المحلة" (لاويين 10، 5). في الحقيقة، النار القاتلة ليست سوى غضب موسى المُشتعل والمسلح. لاعتقاده أنه مكلف من الرب لتنظيم عبادة، لا يتردد بفرض "النظام" بقوة السيف. لا ننسى أن موسى كان رجلاً عنيفاً وقادراً على القتل. أما قتل رجلاً مصرياً قبل هربه من مصر (خروج 2، 11 - 15)؟ أما أمر بنفسه رؤساء بني إسرائيل قائلاً: "ليقتل كل واحد منكم أياً من قومه تعلق ببعل فغور... وكان الذين ماتوا بالضربة أربعة وعشرين ألفاً... ليرد غضب الرب عن بني إسرائيل" (العدد 25، 1 - 9). في عصرنا، هناك سياسيون تتم إدانتهم باسم حقوق الإنسان، لسبب أقل من ذلك! من جهة أخرى، عبارة "خرجت نار من عند الرب فأكلتهما..." تتوضح في العدد 21، 28: "لأن ناراً خرجت من حبشون ولهيباً من سيحون، فأكلت مدينة عار في موآب". هذه "النار" ليست سوى المعركة التي هلك فيها سيحون ملك الأموريين (العدد 21، 21 - 30).

مع ذلك، يقدّم الكتبة موسى على أنه "رجل حليم جداً أكثر من جميع الناس على وجه الأرض" (العدد 12، 3). هذا التواضع هو نسبي مع عنف معجبيه. لو أن هذا هو السجل العدلي "لأكثر الناس حلماً على وجه الأرض"، فماذا سيكون سجل أكثر الناس عنفاً؟ وماذا سيكون مستوى لطف وتواضع يسوع الناصري؟ فقد كان محقاً بقوله عن يوحنا المعمدان: "ما ظهر في الناس أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن أصغر الذين في ملكوت السماوات أعظم منه" (متى 11، 11). عنف موسى يضعه في مرتبة بعيدة وراء يوحنا.

2-2.6 تمرد مريم وهارون على موسى

"واتخذ موسى زوجة حبشية، فتكلمت مريم وهارون عليه سوءاً بسبب ذلك وقالا: أموسى وحده كلمه الرب؟ أما كلمنا نحن أيضاً؟!..." (العدد 12، 1 - 3). غضب مريم وهارون على أخيهما لا يمكن أن يتفسر فقط من خلال زواج هذا الأخير من امرأة غير يهودية. يدّعيان أن الله يكلمهما هما أيضاً. وهذا الإدعاء شرعي. علينا أن نفهم أن موسى أعطى لنفسه الحق الحصري بالتكلم مع الله وسماعه. انطلاقاً من وجهة النظر هذه، يجب تنفيذ كل ما يطلبه موسى وكما يطلبه، تحت طائلة الموت بأمر من الله. هكذا تم إنشاء نظام رعب باسم الرب. لهذا السبب، لا يعرف هارون الذي تملكه الخوف كيف يخضع لموسى ويستجدي رحمته حفاظاً على حياته وحياة ابنيه (العدد 12، 4 - 15).

3-2.6 عصيان قورح

تظهر سرعة غضب موسى أيضاً في عصيان عشيرة قورح، مع أنه لاوي. الامتيازات المادية المفرطة التي منحها موسى (لا الله) لأخيه هارون وأبناء أخيه خلق سخطاً كبيراً بين الناس الذين لم يروا في ذلك إرادة إلهية، بل منفعة بشرية. اللاويون أنفسهم كانوا يشعرون بالإحباط لأنه كان عليهم أن يعطوا لهارون وأبنائه "الجزء الأفضل" من العشر الذي كانوا يأخذونه. كذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى العشائر الأخرى التي كانت تعاني من وطأة هذا الاستغلال التعسفي، الذي كان يمارس بحجة أنه من الله. كل ذلك أدّى إلى عصيان عشيرة قورح، اللاوي العالي المقام الذي انضم إليه أميران من عشيرة رأوبين، ألياب وأبيرام بالإضافة إلى كثيرين غيرهما. ثاروا على شهية الكهنة الشرهة، و "أخذوا يقاومون موسى، هم وأناس من بني إسرائيل وعددهم مئتان وخمسون

من رؤساء الجماعة الأجلاء الأعضاء في المجمع... (هؤلاء إذاً يمثلون كل الطائفة). واجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما: كفاكما، فالجماعة كلهم مكرسون للرب، والرب فيما بينهم، فما بالكما تتكبران على جماعة الرب؟" (العدد 16، 1 - 3). لقد كانوا على حق!

أمام هذا العصيان، اختار موسى أن يتحدث على حدة مع قورح أولاً، ثم مع داثان وأبيرام. هذان الأخيران رفضا أن يمثلا أمام موسى، "فغضب موسى جداً" (العدد 16، 12 - 15). نصح موسى قورح بالاكتفاء بامتيازات اللاويين، آخذاً عليه أنه "يطلب الكهانة أيضاً" (العدد 16، 8 - 10).

يزعم الكتبة أن الأرض انشقت بأعجوبة وابتلعت المتمردين وأن "ناراً خرجت من عند الرب، فأكلت المئتين والخمسين رجلاً الذين قربوا البخور" الذين كانوا معهم (العدد 16، 28 - 35). هذه "النار" هي نفسها التي اغتالت ابني هارون: لقد قُتلوا على يد موسى ورجاله.

لماذا يروي الكتبة مثل هذه القصص؟ يعود ذلك لكونهم كانوا يكتبون بعد ثلاثة قرون، وبما أنهم أنفسهم كهنة، من نسل هارون، كانوا متمسكين بامتيازاتهم. ينقلون هذه الأحداث "ليتذكر بنو إسرائيل أن لا يتقدم أحد من غير نسل هارون ليوقد بخوراً أمام الرب لئلا يصيبه ما أصاب قورح وجماعته"، ويضيفوا أن "هذا كله تم كما تكلم الرب على لسان موسى" (العدد 17، 5).

أنا لا أؤمن بالحقيقة التاريخية لهذه القصة. لا أؤمن أن الأرض انشقت وابتلعت قورح و "جماعته" الذين أنتمي إليهم بالروح. لأنني أؤمن، مثل قورح، أن ألكهنة قد جاوزوا الحد، وأن "الجماعة كلهم مكرسون للرب"، أن أبانا السماوي هو بيننا، وأننا نعيش العمانوئيل ونمارس الكهنوت الرؤيوي الذي أراده الله ومسيحه يسوع.

الحقيقة هي أن موسى وعصابته المسلحة قتلوا قورح وجماعته. "الأرض التي انشقت" وابتلعتهم و "النار" التي التهمت ابني هارون ليستا سوى سيوف مافيا موسى الدموية. يظهر ذلك من ردة فعل الجماعة ضد موسى وهارون بعد هذه المذبحة: "وفي الغد ألقى جماعة بني إسرائيل اللوم على موسى وهارون وقالوا لهما: قتلتما من شعب الرب ..." (العدد 17، 6).

على المرء أن يكون ساذجاً ليصدّق بدون تمييز كل ما يرويه الكتبة-الكهنة في كتب العهد القديم التاريخية. يدين الأنبياء هذه الغباوة بقولهم بلسان الله: "أما بنو إسرائيل فلا يعرفون، شعبي لا يفهم شيئاً" (إشعيا 1، 3). وإرميا: "شعبي جاهل لا يعرفني. بنون حمقى لا فهم لهم وحكماء في عمل الشر لا يعرفون ما الخير" (إرميا 4، 22).

أخطاء الكهنة اليهود الجسيمة شوهت صورة الله، وجعلت بني البشر غير قادرين على معرفته. إن معرفة الصفات الإلهية الحقيقية كانت ستكون مستحيلة من دون يسوع. لو كان اليهود، كما أعلن الأنبياء، غير قادرين على معرفة الله، كان يسوع بالمقابل يدرك جيداً أنه يعرفه حق المعرفة: "ما عرفك العالم، أيها الآب الصالح، لكن أنا عرفتك"، قال يسوع، ثم أضاف: "أظهرت لهم اسمك، وسأظهره لهم" (يوحنا 17، 25 - 26). يسوع هو الذي كشف الوجه الحقيقي لله، "إسمه" الحقيقي.

إن فهمنا جيداً هذه النقطة الجوهرية للحياة الروحية، سيكون همنا الأساسي أن نصلي، كما طلب منا يسوع، حتى "يتقدس اسم الله" فينا، أي أن نعرف الله وأن نعرّف به كما هو في الحقيقة، لا كما يقدمه البعض. لأن الحياة الأبدية هي معرفة الله: "الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا 17، 3). لهذا السبب الصلاة الأولى التي علّمنات إياها يسوع هي التالية: "أبانا... ليتقدس اسمك". مهمتنا هي تقديس هذا الإسم المقدس، هذا الإسم العجيب لأبينا الخالق.

4-2.6 بعض النقاط الأخرى البارزة

نعمة الروح (العدد 11) عندما رأى موسى إرباك بني إسرائيل في البرية، وهن عزمه، وشعر بثقل رسالته. فخاطب الله قائلاً: "لماذا تسيء إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد حظوة عندك حتى وضعت أثقال جميع هؤلاء الشعب علي؟" (العدد 11، 10 - 11). يطلب منه الرب أن يجمع له سبعين رجلاً من شيوخ وزعماء إسرائيل الذين سيحل عليهم روحه، ليساعدوه في مهمته. بعد أن جمعهم، و "استقر عليهم الروح تنبأوا إلا أنهم لم يستمروا" (العدد 11، 24 - 25). لماذا لم يستمروا؟ على الأرجح لأن موسى قرر بعد ذلك أن يتنبأ وحده، أي أن يحكم وحده باسم الله. أن يتنبأ يعني أن يتكلم باسم الله، أن يكون الناطق بلسانه، أن يكشف الرأي الإلهي بالأحداث. لا يمكن لهذا أن يحدث دون مساعدة مباشرة من الله. هذا هو السبب الذي من أجله يحل الله روحه على البشر الذين يختارهم لرسالة ما.

لاحظ أن رجلين، ألداد وميداد، قد تنبأا بمعزل عن السبعين المجتمعين مع موسى. أراد يشوع، خادم موسى، أن يمنعهما، لكن موسى أمسكه قائلاً: "ليت جميع أمة الرب أنبياء يحل الرب روحه عليهم" (العدد 11، 26 - 29). ذلك لم يمنع غضب موسى على هارون وقورح لأنهما قالا أن الرب كلمهما. موقف هوشع مشابه لموقف يوحنا في الإنجيل: "قال يوحنا ليسوع: يا معلم، رأينا رجلاً يطرد الشياطين باسمك فمنعناه، لأنه لا ينتمي إلينا. فقال يسوع: لا تمنعوه! من لا يكون علينا فهو معنا" (مرقس 9، 38 - 40). هذه الحالات لنعمة الروح خارج الإطار التقليدي توضح كلام يسوع إلى نيقوديموس: "الريح تهب حيث تشاء، فتسمع صوتها ولا تعرف من أين تجيء وإلى أين تذهب: هكذا كل من يولد من الروح" (يوحنا 3، 8).

كثيراً ما كان روح الله يكلم موسى. هذا لا يقبل الجدل! لكن موسى أيضاً كان غالباً ما يأخذ قرارات شخصية معتقداً أنها بوحي من الله. كذلك، كي نميز، في كتب العهد القديم، بين ما هو بوحي من الله وما يأتي من موسى، علينا أن نلجأ إلى النور الذي يعطينا إياه يسوع في الإنجيل.

يشوع الإشارة الأولى ليشوع توجد في كتاب الخروج 17، 9: "فقال موسى ليشوع: خذ خيرة رجالك واخرج لمحاربة العماليق". كان يشوع الوحيد الذي صعد مع موسى إلى جبل سيناء (خروج 24، 13). كان يخدمه بإخلاص، كونه كان متعلقا بالعبادة وبالخيمة (خروج 33، 11). يشير كتاب العدد إليه للمرة الأولى عندما أراد أن يمنع الرجلين، ألداد وميداد، من أن يتنبأا (العدد 11، 26 - 29). هذه الواقعة تكشف غيرته الكبيرة على موسى. كان في عداد الاثني عشر رجلاً الذين أرسلهم موسى لاستكشاف أرض كنعان: إنه "هوشع بن نون من سبط أفرايم" (العدد 13، 16)، الذي غير له موسى اسمه ليصبح يشوع (العدد 13، 16)، وعينه خلفاً له (العدد 27، 15 - 23). الكتاب الأول بعد التثنية يحمل اسمه ويروي كيف أدخل بني إسرائيل إلى أرض كنعان.

مهمة استطلاع في كنعان أرسل موسى اثني عشر كشافاً إلى بلاد كنعان، واحد من كل قبيلة، ليستطلعوا الأرض ويتجسسوا على السكان بقصد اجتياح البلاد. يوشع كان واحداً منهم. انطلقوا من قادش، هذا اسم للحفظ. عند عودتهم من رحلتهم الاستطلاعية بعد أربعين يوماً، روى الكشافون أن بلاد كنعان كانت متحضرة وحصينة: "إنها بالحقيقة تدر لبناً وعسلاً، وهذا ثمرها". فقد أحضروا معهم عينات من العنب والتين والرمان. عناقيد العنب كانت ثقيلة لدرجة أنهم حملوا العنقود "بعتلة فيما بين اثنين منهم..." (العدد 13، 33). كانت هناك عقبة رئيسية: "إن الشعب الساكنين فيها أقوياء والمدن حصينة عظيمة جداً..." (العدد 13، 28). أرعب ذلك الكشافين العشرة الذين نصحوا بالتخلي عن الإجتياح: "لا نقدر أن نصعد إلى هناك لأن القوم أقوى منا... وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات... فصرنا في نظرنا صغاراً كالجراد، وكذلك في نظرهم" (العدد 13، 31 - 33). وحدهما يشوع وكالب كان رأيهما مخالف.

انضم الشعب إلى رأي الأغلبية من الكشافين (العدد 14، 1 - 4) واستعدوا، بالرغم من تشجيع يشوع وكالب، لرجم موسى وجماعته: "فقالت الجماعة كلها: هيا نرجمهم بالحجارة" (العدد 14، 10). فما كان من موسى إلا أن انتهى به الأمر بقتل "الرجال الذين أرسلهم ليتجسسوا الأرض ورجعوا وجعلوا كل الجماعة تلومه لأنهم أشاعوا برداءة الأرض. فماتوا بضربة أمام الرب... ولم يسلم منهم إلا يشوع بن نون وكالب بن يفنا" (العدد 14، 36 - 38).

إذاً فلسطين لم تكن يوماً خاوية كما يزعم البعض. منذ ألاف السنين وهي أرض متحضرة ومزروعة بجميع أنواع الأشجار المثمرة. الزعم بتحويل "الصحراء الفلسطينية إلى حديقة إسرائيلية" هو خداع وتضليل لا ينطلي إلا على الجهلاء.

أمام قوّة الكنعانيين، وحدهما يشوع وكالب كانا عازمان على دخول البلد. فيما بعد، وعلى الرغم من ذلك، قرر بنو إسرائيل الدخول؛ لكن بعد فوات الأوان، لأن الرب لم يعد معهم: "نزل العمالقة والكنعانيون... فضربوهم وهزموهم" (العدد 14، 45). العبرة من هذه القصة هي أنه علينا أن لا نتردد في التصرف عندما تكون ساعة الله، كما يجب بالمقابل أن نمتنع عن القيام بأي عمل، ولو بدا حسناً في الظاهر، إن كان سيتم من غير الله. لهذا السبب نصح موسى بالعدول عن الخطة (العدد 14، 41 - 42). وفقاً للكتبة، لقد هُزموا لأن "موسى وتابوت العهد لم يكونا معهم" (العدد 14، 44).

لم يدخل بنو إسرائيل عبر قادش، الطريق المباشر والأقصر، لأن ملك أدوم الذي كان خائفاً من عبور هذا العدد الكبير، رفض السماح لهم بالمرور، مما اضطرهم إلى الالتفاف حول أرض أدوم (العدد 20، 14 - 21). عدلوا إذاً عن هذا الطريق المختصر ونزلوا إلى الجنوب، ثم التفوا صعوداً إلى الشمال نحو موآب، وهي مسافة هائلة، كثيرة الصعوبة والخطورة يلزم 38 سنة لعبورها. كثيرون لن يدخلوا فلسطين، حتى موسى وهارون لن يرونها (العدد 14، 29 - 38).

الشرائع المختلفة رواية الإقامة في قادش تقطعها سلسلة شرائع يشار إليها في الفصول 15 - 19. سنتناول أهمها:

السبت

كل عمل هو محرم في يوم السبت. كان رجلاً يجمع الحطب في يوم السبت فاعتُبر ذلك انتهاكاً للشريعة "الإلهية" للسبت. قُتل الرجل رجماً بالحجارة "كما أمر الرب موسى" (العدد 15، 36). موقف بهذه القسوة لا يتوافق مع روح الله. قارن ذلك مع موقف يسوع تجاه الفريسيين الذين انتقدوا الرسل لأنهم قطفوا سنابل القمح في السبت (متى 12، 1 - 8).

الأهداب

يزعم موسى أن الله يطلب من بني إسرائيل "أن يصنعوا لهم أهداباً على أذيال ثيابهم مدى أجيالهم، ويجعلوا على أهداب الذيل سلكاً أزرق اللون..." (العدد 15، 37). هذه الأساليب "الدينية" السخيفة اقتدى بها المسيحيون، خصوصاً الكنيسة الكاثوليكية (كرادلة وأساقفة). أدان يسوع عادات الملبس هذه (متى 23، 5) وشدد على الإيمان والبساطة، لا على الثياب.

البقرة الحمراء

وفقاً لإحدى فرائض الشريعة التي أمر بها الرب، فإن رماد البقرة الحمراء الذي يمزجه الكهنة بالماء قادر على التطهير (العدد 19، 1 - 10). ورماد البقرة الباقي "يكون محفوظاً لجماعة بني إسرائيل لأجل ماء التطهير. وتُحسب هذه الذبيحة ذبيحة خطيئة" (العدد 19، 9). إنه طقس وثني آخر يمر، مع خزعبلاته، في الطقس اليهودي. التطهير المعنوي بالماء هو ممارسة معروفة في الديانات القديمة. المطابق له هو "الماء المقدس" عند المسيحيين، الوضوء عند المسلمين، نهر الغانج عند الهندوس إلخ...

من الواضح أن هذا "التطهير" وهمي، كونه مادي وملوث بالشعوذة والخرافات الوثنية. فكر بالأهمية الدينية المُعطاة للبقرة "البيضاء" في الهند (لون البقرة يختلف لكن ليس روح العبادة). الفرق هو أن الكتبة ينسبون هذه العبادة إلى... الرب! السبب الحقيقي هو أن ذلك كان يناسب الكهنة لأن الناس كانوا يدفعون مالاً كثيراً ليتطهروا بواسطة بقرة "حمراء" ليس من السهل دائماً العثور عليها. منذ فترة من الزمن، أعلن بعض الإسرائيليون بفرح أن الزمن المسيحي قد حل لأنه تم العثور أخيراً في اسبانيا على بقرة حمراء توافق متطلبات التوراة...!

لمعرفة التطهير الروحي من خلال التوبة، كان يستلزم مرحلة جديدة تطورية. يسوع هو الذي، على حساب تضحيته، علّمنا أن نتطهر من خلال التضحية بميولنا السيئة وطلب المغفرة، لا من خلال عبادة خارجية وهمية. الله هو الذي يسامح ويطهر النفس التائبة.

الماء التي خرجت من الصخرة

بنو إسرائيل الذين كان ينقصهم الماء والغذاء، ثاروا ،مرة أخرى، على موسى. ندموا لأنهم تركوا أرض مصر من أجل صحراء قاحلة (العدد 20، 1 - 5). فيقول الرب لموسى:

"خذ العصا (عصا هارون التي أزهرت على حساب عصا قورح عند ثورة هذا الأخير ضد موسى: العدد 17، 21 - 26) واجمع الجماعة، أنت وهارون أخوك، وكلما الصخرة على مشهد منهم فتُعطي مياهها... وجمع موسى وهارون الجماعة أمام الصخرة... ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء كثير، فشرب منه الجماعة وبهائمهم" (العدد 20، 6 - 11). مكان هذا التجمع هو موضوع نزاع كما سنرى لاحقاً: هل كان حول صخرة أو حول بئر؟

بعد هذه الأعجوبة، غضب الرب على موسى وهارون: "بما أنكما لم تؤمنا بي إيماناً يُظهر قداستي على مرأى بني إسرائيل، (أن أظهر جبروتي)، لذلك لا تدخلان أنتما هؤلاء الجماعة إلى الأرض التي أعطيتها لهم" (العدد 20، 11 - 12). بالفعل، يشوع هو الذي أدخلهم إلى فلسطين (العدد 27، 12 - 22). ما كانت غلطة موسى وهارون؟ لماذا هذا الغضب الإلهي عليهما؟ من غير الممكن تصور ردة فعل كهذه من قِبل الله بعد مثل هذه الأعجوبة. ضرب موسى الصخرة مرتين. هل كان عليه أن يضربها مرة واحدة، بثقة، لا مرة ثانية بعد أن تردد. هو الذي كان الله يكلمه، أما كان عليه أن يتصرف عن اقتناع وقوة عارفاً أن الله "قادر أن يظهر قداسته" أمام الجميع؟

الإجابة موجودة في المكان حيث كان يجب أن يتم التجمع لشرب الماء: أكان حقاً حول صخرة كما يدعي الكتبة في العدد 20، 1 - 13 ليجعلوا الناس يؤمنون بالأعجوبة؟ يناقض هذا المكان من قبل العدد 21، 16 - 18 الذي يكشف أن التجمع حصل حول بئر: "ثم رحلوا من هناك إلى بئر قال الرب عندها يوماً لموسى: إجمع الشعب حتى أعطيهم ماء. في ذلك الحين أنشد إسرائيل هذا النشيد: أخرجي يا بئر ماءك! غنوا لها. بئر حفرها الرؤساء..." (العدد 21، 16 - 18).

بالتالي، ليشربوا، حصل "التجمع"، لا حول صخرة، لكن بكل بساطة حول بئر. فضلاً عن ذلك، بشربه ماء البئر، لم يحترم موسى عهده بأن "لا يشرب ماء بئر" المناطق التي كانت الجماعة تعبرها (العدد 20، 17 / 21، 22).

غضب الله على موسى وهارون كان بالأحرى بسبب عنفهما المفرط وتأسيسهما عبادة متصلبة، منسوخة عن الوثنية، لم يأمر بها الله أبداً. وهذا، باسمه (الرب)!

موت هارون (العدد 20، 14 - 21)

لقد رأينا أن ملك أدوم منع الإسرائيليين من عبور أرضه. فكان على هؤلاء أن يسلكوا طريقاً طويلاً وشاقاً عبر الجنوب. مات هارون في الطريق إلى جبل هور، فخلفه ابنه ألعازر كرئيس للكهنة.

الحية النحاسية (العدد 21، 4 - 9)

صُنعت بناء على طلب الله، هذه الحية النحاسية عُلقت أفقياً على سارية عمودية، مشكلة بذلك صليباً. الذين لدغتهم الحيات في البرية، لكنهم نظروا إلى هذه الحية النحاسية بإيمان، شُفيوا جسدياً، وغُفر لهم تمردهم على الله.

هذا الصليب كان يجسّد بصورة مسبقة صليباً آخر أكثر أهمية، ذو قدرة شفائية روحية لا جسدية، أبدية لا زمنية. الصليب الذي شكلته الحية النحاسية على السارية العمودية أعلن عن صلب المسيح وشفاء الذين سيؤمنون به. استعاد يسوع هذه القصة عازياً لصلبه القيم المحيية، إنما على صعيد الروح هذه المرة. الحية النحاسية على هيئة صليب كانت ترمز إلى صلبه: "وكما رفع موسى الحية (النحاسية) في البرية، فكذلك يجب أن يُرفع (على الصليب) ابن الإنسان (المسيح)، لينال كل من يؤمن به الحياة الأبدية"، قال يسوع (يوحنا 3، 14).

كرم اليهود هذه الحية النحاسية لمدة طويلة إلى درجة العبادة. لهذا السبب حطمها الملك حزقيا بعد 600 سنة (الملوك الثاني 18، 4).

طقس "الأوريم والتميم" (العدد27، 21: راجع أيضاً الخروج 28، 30)

الأوريم والتميم كانا نوعين من الحجارة أو زهر النرد يحملهما الكاهن الأكبر ليستشير الله في مسألة معينة؛ كان الكاهن يرمي الأوريم والتميم و، بحسب وضعية سقوطهما أو النقش الذي يحملانه، كان الكاهن الأكبر يفسّر بـ "نعم" أو "لا" كإجابة إلهية على السؤال المطروح. إنه أسلوب سيء لاستشارة الله وغالباً ما كان يُعطي نتائجاً مفجعة.

التقدمات والقرابين إلى الرب من نصيب الكهنة

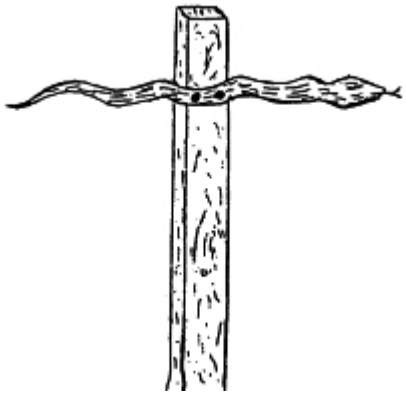

الحية النحاسية

الفصل 28 يكرر أيضاً بعض الشرائع الموسوية. بالنسبة للأضاحي، يقول "الله" للشعب: "قرباني، أي خبزي مع وقائدي التي ترضيني رائحتها، تحرصون أن تقربوه لي في وقته" (العدد 28، 1 - 2). كل هذه التقدمات "المقربة للرب" تصل في النهاية إلى طاولة الكهنة واللاويين الذين يكتبون هذه النصوص (إقرأ صموئيل الأول 2، 12 - 17). كان ذلك إذاً يناسب الكهنة، الكتبة واللاويين أن يكون هناك أكبر عدد ممكن من الأضاحي المقدمة إلى ... الرب... وأن يأكلوها هم أنفسهم ...باسم الرب!

5-2.6 بلعام ونبوءاته عن المسيح (العدد 22، 24)

الموضوع الأهم في كتاب العدد هو نبوءات بلعام (عراف غير يهودي) عن المسيح.

لدخول فلسطين، كان على بني إسرائيل أن يعبروا بلاد موآب (في الأردن حالياً). بالاق، ملك موآب، أراد منعهم بالقوة. فاستدعى بلعام، وهو ساحر من المنطقة، وطلب منه أن يلعنهم حتى يستطيع أن يتغلب عليهم دون عناء: "فذهب شيوخ موآب وشيوخ مديان، وفي أيديهم عطايا (ثمن السحر ضد اليهود)، وجاؤوا إلى بلعام" (العدد 22، 7).

منع الله بلعام من لعنهم: "لا نجس في بني يعقوب لا ذل في بني إسرائيل" (العدد 23، 23). لماذا؟ لأن بلعام العراف قال إن "ملكه يرتفع على أجاج وتتسامى مملكته. يفترس أعداءه من الأمم... (العدد 24، 7) ...أراه وهو غير حاضر، وأبصره وهو غير قريب. يطلع كوكب من بني يعقوب ويقوم صولجان من بني إسرائيل..." (العدد 24، 17).

بالتالي، إن السبب الوحيد الذي من أجله حمى الله هذا الشعب هو أن المسيح سيخرج منه. إنه هذا "الملك" الذي يأتي من بني يعقوب و "الكوكب" الذي يراه بلعام في المستقبل الـ "غير قريب". بالفعل، لم يأتِ يسوع إلا بعد 13 قرناً. هو "كوكب الصبح" كما يسميه كتاب الرؤيا (رؤيا 20، 28 / 22، 16). من الواضح هنا أن الدعوة الربانية الوحيدة لبني إسرائيل هي مجيء المسيح. اليوم، بعد مجيء هذا المسيح بشخص يسوع الناصري، كل إسرائيلي ينكره لن يعد بإمكانه أن يطمح إلى أية بركة سماوية، كما كل إنسان يولي ظهره لهذا الكوكب-الملك.

بلعام هو شخصية للحفظ لأنه لعدم قدرته على لعن اليهود، دفعهم إلى الزنى مع باغيات موآب ليجلب عليهم غضب الرب (العدد 25، 1 - 3). لاحظ أن اليهود ألقوا باللوم على الموآبيين والمدينيين على السواء (العدد 25، 6 - 16). لكن المسؤولية الكبرى في هذه القضية ألقيت على بلعام وكانت السبب الذي من أجله قتله الإسرائيليون فيما بعد (العدد 31، 8). كتاب الرؤيا أيضاً يأتي على ذكر بلعام فيشبه به كفار آخر الأزمنة، هو "الذي أشار إلى بالاق أن يوقع بني إسرائيل في شرك الخطيئة" ويستأهلوا الغضب الإلهي (رؤيا 2، 14). هؤلاء الكفار هم أتباع الوحش الذين يفسدون تلاميذ المسيح ليبعدونهم عن الله كما فعل بلعام (ننصح بقراءة كتاب "برتوكولات حكماء صهيون").

6-2.6 حدود إسرائيل

كتاب العدد ينتهي مع بني إسرائيل وهم على مشارف فلسطين شرقي نهر الأردن في جبل نبو المواجه لمدينة أريحا الفلسطينية. هناك توفي موسى (التثنية 34، 1 - 5).

وفقاً للكتبة، الحدود الممنوحة لليهود، ودائماً من قبل الله، تمتد من سيناء إلى مدينة حماة، في شمال سوريا (34، 8) وتنتهي في الشرق مع نهر الأردن والبحر الميت (34، 12).

هذه الحدود خيالية ولا تستند على الله بل على الطموحات المتقلبة للكتبة الذين، وفقاً لشهيتهم الشرهة، يضعون الحدود تارةً من سيناء إلى نهر الأردن، كما هو الحال هنا، وطوراً من النيل إلى الفرات، كما هو مذكور في يشوع 1، 3 - 4. لو أن الله هو الذي أعطى لبني إسرائيل حدوداً، لما كانت هذه الأخيرة قد اختلفت من كاتب لآخر، بل كانت ستكون ثابتة ومحددة بوضوح، وفوق كل ذلك، أن تكون ثابة تاريخياً.

الإسرائيليون المعاصرون ليسوا مسرورين بالأرض التي أعطاهم إياها "الله"، والتي وصفها موسى بالأرض التي "تدر لبناً وعسلاً" (خروج 3، 8 / العدد 13، 27). في الماضي، عندما كانوا في البرية، تحسر اليهود على "السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم" الذي كانوا يأكلونه في مصر "مجاناً" (العدد 11، 5 - 6). في سنة 1977، رئيسة الوزراء الإسرائيلية المتوفاة غولدا مايير قالت إن "إسرائيل لن تسامح لموسى عدم تبصره: فقد أخرج الإسرائيليين من مصر وضرب الصخرة ليروي ظمأهم، لكنه جعلهم يمشون لمدة 40 سنة في البرية ليضعهم في المنطقة الوحيدة الخالية من البترول".

3.6 كتاب التثنية

1-3.6 معنى كلمة تثنية

التثنية تعني "الشريعة الثانية" أو "الشريعة مرة ثانية". دُعي هذا الكتاب بهذا الاسم لأنه إعادة مختصرة لكتب الشريعة الأربعة (التوراة) التي تسبقه. إنه مجموعة، ملخص، أو عرض شامل للتوراة.

2-3.6 متى ومن كتبه؟

تمت كتابة سفر التثنية ثمانية قرون ق.م، أي نحو 200 سنة بعد الكتب الأربعة التي سبقته، وبعد 400 سنة على الأقل من دخول بني إسرائيل إلى فلسطين. تمّت كتابته من قبل مجموعة من الكتبة والكهنة بهدف جمع جوهر تعاليم موسى في جزء واحد. زادوا عليه ما كانوا يريدون أن يفرضه لمصلحتهم. وليجعلوا التعاليم الموجودة فيه أكثر وزناً، جعلوا موسى نفسه يتكلم. خطابات متعاقبة تشكل وصيته الروحية. ما عدا الشرائع والتعليمات، يتضمن كتاب التثنية سرداً للأحداث الرئيسية التي حصلت في البرية.

تمّت كتابة كتاب التثنية بعد تأسيس المملكة الإسرائيلية. هدفه هو تجنب تكرار أخطاء الماضي في المستقبل: "إذا دخلتم الأرض التي يُعطيكم الرب إلهكم وامتلكتموها وسكنتم فيها وقلتم: نقيم علينا ملكاً كسائر الأمم الذين حوالينا... وعلى الملك أن لا يُكثر من النساء (كما قد فعل داود وسليمان)،... ولا يبالغ في الإكثار لنفسه من الذهب والفضة. ومتى جلس على عرش مُلكه، فعليه أن يكتب نسخة من هذه الشريعة (التثنية) في سفر من عند الكهنة اللاويين... يقرأ فيها كل أيام حياته..." (التثنية 17، 14 - 20). تجدر ملاحظة أهمية الكهنة في كتابة الكتاب المقدس. علينا مقارنة هذا النص مع نص صموئيل الأول 8، 5 - 19 حيث طلب اليهود من صموئيل قبل أن تأسست المملكة الإسرائيلية في القرن الحادي عشر ق.م: "أقم علينا ملكاً يقضي بيننا كما هي الحال في جميع الأمم". في مكان آخر، في الملوك الأول 10، 14 - 18 والملوك الأول 11، 1 - 8، نجد الذهب، الجياد وتعدد نساء الملك سليمان. كتاب التثنية يهدف إلى تجنب تكرار مثل هذه الهفوات في المستقبل. في جزء واحد تكرر قول كل شيء لجعل الجميع يتذكرون، خاصة الملوك، واجباتهم تجاه الله: "فاعلموا الآن ورددوا في قلوبكم أن الرب هو الإله في السماء من فوق وفي الأرض من أسفل، ولا إله سواه. واحفظوا سننه ووصاياه التي أنا آمركم بها..." (التثنية 4، 39 - 40).

تعرّض كتاب التثنية للإهمال لمدة طويلة بعد كتابته. فقد وُجد مدفوناً في المعبد على عهد الملك يوشيا، في سنة 622 ق.م. إنه "كتاب الشريعة" الذي وُجد في الهيكل (الملوك الثاني 22، 8) و "كتاب موسى" الذي يرجع إليه نحميا 13، 1 - 3.

لجعل كلامهم أكثر إقناعاً، بذل الكتبة اللاويون كل جهدهم - كما يبدو واضحاً - ليعطوا الانطباع أن موسى هو الذي ألّفه وعهد به إلى اللاويين: "ولما فرغ موسى من تدوين كلام هذه الشريعة كلها في سفر، أمر اللاويين حاملي تابوت العهد وقال لهم: خذوا سفر الشريعة هذا...إلخ..." (التثنية 31، 24 - 26).

لكن نص التثنية يدل على أن موسى ليس هو من كتب جميع فصول الكاتب. فمن غير المعقول أن يكون هو الذي كتب الفصل الأخير الذي يتحدث عن موته ودفنه (التثنية 34). لما كان قد كتب: "هذا كلام الشريعة التي كلم به موسى جميع بني إسرائيل..." (التثنية 1، 1)، بل: "هذا كلام الشريعة التي كلمت به جميع..."، ولا: "ثم فرز موسى ثلاث مدن..." (التثنية 4، 41)، بل: "فرزتُ ثلاث مدن...". كل شيء يشير إلى أن الكهنة والكتبة سعوا جاهدين لكتابة كتاب التثنية على عهد النظام الملكي في إسرائيل، قبل الاجتياح البابلي سنة 586 ق.م. في مقدمته لكتاب التثنية، يعترف اندريه شوراقي، كاتب الكتاب المقدس الفرنسي الذي يحمل اسمه، بأن هناك "دلائل تحول دون رؤية عمل المشترع الكبير (موسى) في هذا الكتاب".

يجب في هذه المرحلة قراءة كتاب التثنية بكامله ثم العودة إلى شرح النقاط المهمة في تتمة الدرس الكتابي.

3-3.6 اغتصاب الأرض

فريضة اغتصاب الأمم كثيراً ما تعود في كتاب التثنية. فقد دفع موسى شعب إسرائيل، باسم الله، على طرد سكان بلاد كنعان والاستيلاء على ثرواتهم:

"يطرد (الرب) من أمامكم أمماً أشد وأعظم منكم، ويدخلكم أرضهم ويعطيها ملكاً لكم" (التثنية 4، 38).

"إسمع يا شعب إسرائيل. أنت اليوم تعبر نهر الأردن لتدخل وترث شعوباً أكثر وأعظم منك..." (التثنية 9، 1).

"وإذا أدخلكم الرب إلهكم الأرض التي أقسم لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لكم تجدون مدناً عظيمة حسنة لم تبنوها وبيوتاً مملوءة كل خير لم تملأوها، وآباراً محفورة لم تحفروها، وكروماً وزيتوناً لم تغرسوها، فإذا أكلتم وشبعتم لا تنسوا الرب..." (التثنية 6، 10 - 12).

نحن متأثرون بعدد المرات التي تكررت فيها وصية اغتصاب وسلب الأمم الأخرى... باسم الله! ففي آية واحدة، تتكرر هذه الفريضة مرتين: "وإذا إفنى الرب إلهكم من أمامكم الأمم الذين أنتم ذاهبون لترثوها، فورثتموهم وأقمتم في أرضهم..." (التثنية 12، 29).

لكن اغتصاب الملكية لم يكن يكفي: "وإذا اقتربتم من مدينة لتحاربوها فاعرضوا عليها السلم أولاً (!!)، فإذا استسلمت وفتحت لكم ابوابها، فجميع سكانها يكونون لكم تحت الجزية ويخدمونكم (!!). وإن لم تسالمكم، بل حاربتكم فحاصرتموها فأسلمها الرب إلهكم إلى أيديكم، فاضربوا كل ذكر فيها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغنموها لأنفسكم... وأما مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرب إلهكم ملكاً، فلا تبقوا أحداً منها حياً" (التثنية 20، 10 - 16). اغتصاب الملكية، تخريب وجرائم ترتكب باسم الله. هذا ما دنس إسم الله القدوس.

مع ذلك فإن الوصايا العشر تحوي ثلاثة وصايا واضحة: "لا تقتل، لا تسرق، لا تشته بيت قريبك، ولا امرأته ولا عبده ولا جاريته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما له" (خروج 20، 13 - 17). للتملص من هذه الوصايا، يفسر الكتبة والكهنة معنى كلمة "قريبك" بمهارة. فبالنسبة لليهودي، القريب هو اليهودي. فهذه الوصايا ليست صالحة إلا لليهودي. الغوييم هم الأعداء الذين أوعز بسلبهم، وحتى بقتلهم. ذلك لم يمنع موسى من الأمر بقتل أبناء أخيه وعدد كبير من اليهود. السامريون أنفسهم كانوا يُعتبرون أعداء. لإهانة يسوع، نعته الفريسيون بالسامري (يوحنا 8، 48). "لأن اليهود لا يخالطون السامريين"، يقول يوحنا (يوحنا 4، 9). صحح يسوع تفسير هذه الوصايا باختياره سامرياً، وهو العدو التقليدي لليهود، كمثل على محبة القريب (لوقا 10، 29 - 37). حتى أنه ذهب إلى أبعد من ذلك بالثناء على الضابط الروماني، الذي هو وثني، وبتوبيخ اليهود: "فتعجب يسوع من كلام الضابط وقال للذين يتبعونه: الحق أقول لكم: ما وجدت مثل هذا الإيمان عند أحد في إسرائيل. أقول لكم: كثيرون من الناس سيجيئون من المشرق والمغرب ويجلسون إلى المائدة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات. وأما من كان لهم الملكوت (إسرائيل، اليهود الصهاينة) فيطرحون خارجاً في الظلمة، وهناك البكاء وصريف الأسنان" (متى 8، 10 - 13). لهذا السبب يدعو يسوع اليهود أن يحبوا أعداءهم وأن يكفوا عن الاحتفاظ بالسلام والتحية لأخوتهم: "أحبوا أعداءكم... فإن كنتم تحبون الذين يحبونكم، فأي أجر لكم؟" (متى 5، 42 - 48).

هذا الإصرار على اغتصاب الأرض والقتل يلقي الضوء، بدون أي شك، على مصدر مثل هذه الوصايا: "أنتم أولاد إبليس، وتريدون أن تتبعوا رغبات أبيكم، هذا الذي كان من البدء قاتلاً"، صرخ يسوع في وجه منكريه (يوحنا 8، 44). إن هذه الأوامر التي أصدرها موسى هي التي جلبت عليه غضب الله. بعد إخراجه بني إسرائيل من مصر، أراد أن يستولي على البلدان من سيناء إلى لبنان وإلى أبعد من ذلك. فقد اعترف أمام الجماعة أنه " استعطف الرب قائلاً: أيها الرب الإله... دعني أعبر فأرى الأرض الطيبة التي في عبر الأردن غرباً وذلك الجبل الجميل ولبنان. لكن الرب كان غاضباً علي بسببكم ولم يسمع لي، بل قال لي: كفى، لا تزد في الكلام معي في هذا الأمر !" (التثنية 3، 23). غضب الله العارم لم يكن بسبب الشعب، كم اعتقد موسى، بل لكبح شهية التملّك عند هذا الأخير (التثنية 4، 21).

في تقييمنا لتصرف موسى، هل يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بعض الظروف التخفيفية: ذهنية وعادات العصر، صعوبة المهمة، قساوة الشعب...؟

4-3.6 الإضافات

اعترف موسى أن الله لم يضف شيئاً على كلام الوصايا العشر: "هذه هي الوصايا التي كلم الرب بها جماعتكم كلها في الجبل... لم يزد عليها شيئاً وكتبها على لوحي الحجر وسلّمها إلي" (التثنية 5، 22). أمر موسى أيضاً: "لا تزيدوا كلمة على ما آمركم به ولا تنقصوا منه" (التثنية 4، 2). والحال هو أنه قد تمت إضافة العديد من الفرائض لصالح رغد عيش الكهنة. من أين أتت هذه الإضافات؟ من "قلم الكتبة الكاذب" (إرميا 8، 8). نحن اليوم قادرون على اكتشاف هذه القذارة وتطهير التوراة من خلال تعاليم يسوع.

5-3.6 "القلة القليلة"

في التثنية 4، 25 - 31، يتنبأ موسى بخيانة بني إسرائيل الروحية: "حتى تبقوا جماعة معدودة" (التثنية 4، 27). حتى اليوم، ليس سوى "عدد قليل"، "جماعة معدودة"، سيبقون أوفياء لله ولمسيحه، وينجحون في تجربة الإيمان. بالفعل، قلة قليلة فقط من الطائفة الإسرائيلية اعترفت أن يسوع هو المسيح المُعلن، وقلة قليلة تعرفت على المسيح الدجال: "قال رجل ليسوع: يا سيد، أقليل عدد الذين يخلصون؟ فأجاب يسوع: إجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق. أقول لكم: كثير من الناس سيحاولون أن يدخلوا فلا يقدرون" (لوقا 13، 23 - 24). قال يسوع أيضاً بهذا الخصوص: "وفي ذلك الوقت يسلمونكم إلى العذاب ويقتلونكم... ويرتد عن الإيمان كثير من الناس، ويخون بعضهم بعضاً... تبرد المحبة في أكثر القلوب. ومن يثبت إلى النهاية يخلص" (متى 24، 9 - 13). وقال أيضاً: "أيجد ابن الإنسان إيماناً على الأرض يوم يجيء؟" (لوقا 18، 8). لن يجده إلا في قلوب قلة قليلة ستلهب العالم.

6-3.6 "أمة" إسرائيل

التثنية 4، 34 يقدم إسرائيل كأمة مختارة من الله: "هل أقدم إله غيري على أن يتخذ له أمّة من بين أمّة أخرى... مثلما فعل لكم الرب إلهكم في مصر أمام عيونكم؟". يوجد خطأان في هذا الكلام: من الخطأ الزعم أن الله اختار أمّة، فالاختيار الإلهي قد استقر على إنسان، إبراهيم. ومن الخطأ أيضاً أن يُقال لليهود: ...مثلما فعل الرب لكم". لقد رأينا أن الله قد عمل على تحقيق مخططه المسيحي لصالح جميع البشر ، لا لمجد الطائفة اليهودية.

7-3.6 ختان القلب

نجد في كتاب التثنية تطوراً في فهم الختان بحسب الروح لا الحرف. للمرة الأولى يتعلق الأمر بختان القلب، في التثنية 10، 16: "فاختنوا قلف قلوبكم ولا تقسوا رقابكم بعد اليوم". يعود النبي إرميا بعد بضعة قرون إلى هذا الختان الروحي فيقول: "اختتنوا للرب وأزيلوا قلف قلوبكم" (إرميا 4، 4).

على الرغم من ذلك، ما زال البعض يصرون على الختان الجسدي للقلف. شكلت هذه الممارسة موضوع خلاف كبير بين رسل يسوع الأولين: "نزل جماعة من اليهودية وأخذوا يعلّمون الإخوة فيقولون: لا خلاص لكم إلا إذا اختتنتم على شريعة موسى" (أعمال 15، 1). الختان الحقيقي هو ختان القلب كما يقول بولس: "وإنما اليهودي هو اليهودي في الباطن، والختان هو ختان القلب بالروح لا بحروف الشريعة" (رومة 2، 29).

8-3.6 الاختيار بين النعمة واللعنة

وُهب بنو إسرائيل نعماً إن كانوا مخلصين، ولعنات إن كانوا غير مخلصين: "ها أنا أتلوا عليكم اليوم بركة ولعنة..." (التثنية 11، 26 - 30). على جبل جرزيم، في السامرة، وُضعت البركة وعلى جبل عيبال، قبالته، وُضعت اللعنة (التثنية 11، 29). جبل جرزيم، كونه مكان البركة، تم اختياره كمقدس ومكان عبادة من قِبل السامريين. ولا يزال موجوداً حتى اليوم. أما بالنسبة لليهود، فكانوا يمارسون عبادتهم في هيكل القدس (إقرأ المحادثة بين يسوع والمرأة السامرية في يوحنا 4، 20 - 24).

9-3.6 موسى يبشر بالمسيح

الموضوع الأهم في هذا الكتاب هو بشارة موسى عن المسيح-النبي: "يُقيم لكم الرب إلهكم نبياً من بينكم، من أخوتكم بني قومكم مثلي، فاسمعوا له". وأضاف موسى: "قال لي الرب: سأقيم لهم نبياً من بين أخوتهم مثلك وأُلقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أكلمه به. وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أحاسبه عليه" (التثنية 18، 15 - 19).

يجب حفظ هذه النبوءة المسيحية المهمة التي يرجع إليها يسوع: "لأن موسى كتب فأخبر عني" (يوحنا 5، 46). إلى هذه الآية أشار الرسل أيضاً: "وجدنا الذي ذكره موسى في الشريعة، والأنبياء في الكتب، وهو يسوع..." (يوحنا 1، 45). عندما سأل الفريسيون يوحنا المعمدان إن كان هو "النبي"، فذلك لأنهم رجعوا إلى نبوءة موسى (يوحنا 1، 21).

علينا أن نحفظ أن النبي المُعلن هو "مثل" موسى، وأعظم منه. عندما جاء يسوع، تبين أنه أكبر من موسى كما يكشفه بولس: "لكن يسوع كان أهلاً لمجد يفوق مجد موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة تفوق كرامة البيت" (العبرانيين 3، 3).

المسيح الذي بشر به موسى يأتي لخلاص كل الذين يؤمنون به، يهود أو غير يهود، وليدين كل الذين يرفضونه (التثنية 18، 19). أعلن يسوع أن "من يؤمن بالإبن لا يُدان. ومن لا يؤمن به أُدين، لأنه ما آمن بابن الله الأوحد" (يوحنا 3، 18).

"ها أنا اليوم جعلت بين أيديكم الحياة والخير، والموت والشر"، يقول الرب في التثنية 30، 15. الحياة هي من جهة المسيح يسوع. الموت هو من جهة الدولة الصهيونية المناقضة لروح الله ومسيحه. "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" (متى 6، 24).

10-3.6 إبراهيم السوري

الكتبة يقدمون إبراهيم على أنه عبراني: "جاء أحد الناجين وأخبر أبرام العبراني..." (تكوين 14، 13). نيتهم هي أن يتركوا الناس يعتقدون أن "العرق" العبري كان موجوداً عندما تم اختيار إبراهيم الذي كان منهم. هكذا، من خلال اختيار إبراهيم، تم اختيار جميع العبرانيين به. هذا هو منطقهم، لا منطق الله، ولا منطقنا.

لهذا السبب يطلب موسى من جماعته: "...يجيء ويقول أمام الرب إلهكم: كان أبي أرامياً تائهاً فنزل إلى مصر..." (التثنية 26، 5). هكذا يذكّر موسى اليهود أن أبيهم، إبراهيم، هو من أصل سوري لا عبراني. في زمن إبراهيم لم يكن هناك عبرانيون. هذا التوضيح الذي قام به موسى يربك ويدين العنصرية الصهيونية.

11-3.6 الوعد الإلهي المشروط

وفاء بني إسرائيل لله هو الشرط الأساسي والضروري للحصول على أرض الميعاد: "...فتسلكوا في طرقه، وتحافظوا على فرائضه ووصاياه وأحكامه، وتسمعوا كلامه" (التثنية 26، 17 - 18). والحال هو أنه لم يتم احترام هذا الشرط: "هذا الشعب سيقوم ويزني وراء آلهة الأرض الغريبة... ويتركني وينقض عهدي الذي قطعته معه"، كما أعلن الرب لموسى (التثنية 31، 16).

يحذّر موسى اليهود من الخيانة والعصيان: "لأنكم لم تسمعوا كلام الرب إلهكم... كذلك يسر إذا أبادكم ودمركم وأزالكم عن الأرض التي أنتم داخلون إليها لتمتلكوها" (التثنية 28، 62 - 68). فضح إرميا بدوره خيانة بني إسرائيل وفسخ العهد مع الله: "العهد الذي عاهدته آباءهم نقضوه"، يقول الرب (إرميا 31، 32).

"قلة قليلة" فقط ستبق وفية (التثنية 28، 62) لمتابعة مخطط الله باستقبال المسيح، بادىء العهد الجديد الذي بشر به الأنبياء: "وستأتي أيام أُعاهد فيها بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي عاهدته آباءهم... لأنهم نقضوه" (إرميا 31، 31 - 32). باستشهاده، أسس يسوع هذا العهد الجديد الأبدي (متى 26، 28).

فسخ العهد الأول يجرّد إسرائيليي القرن العشرين من كل ذريعة للاستحواذ على فلسطين، باسم الله. عدم إخلاصهم للخالق، من خلال رفضهم ليسوع، سيقتلعهم مرة أخرى من هذه الأرض. إن كانوا موجودين فيها اليوم فهذا لا يعود إلى تدخل إلهي. فكتاب الرؤيا يكشف لنا أن المضلل (الشيطان) يجذبهم "من زوايا الأرض الأربع" (رؤيا 20، 7 - 9). هذا الأخير يجذبهم إلى هذه الأرض ملألئاً صورة عودة الشعب المختار من زوايا الأرض الأربع إلى أرض الميعاد. هكذا أصبحت إسرائيل، كم يكشفه بولس، "رجل المعصية الذي يقضي عليه الرب يسوع بنفس من فمه ويبيده بضياء مجيئه. ويكون مجيء رجل المعصية بقدرة الشيطان على جميع المعجزات والآيات والعجائب الكاذبة، وعلى جميع ما يغري بالشر أولائك الذين مصيرهم إلى الهلاك" (تسالونيكي الثانية 2، 8 - 12).

12-3.6 موت موسى

موت موسى وهارون خارج فلسطين هو العقاب الذي أعلنه الله (العدد 20، 12). موت المشترع الكبير خارج "أرض الميعاد" يعني أن شريعة موسى غير قادرة لأن تكون مدخلاً إلى ملكوت الله، بما أن مؤسسها نفسه لم يقدر أن يدخل أرض الميعاد، رمز السماء.

تأمل

الكتاب المقدس هو منجم ذهب. وهو، مثل كل مناجم الذهب، يحوي إلى جانب الكنز الذي يتضمنه، الشوائب والقذارة. علينا أن نكون قادرين على اكتشافها وفصلها عن الجوهر.

القذارة هي الوصايا والطقوس الكريهة المنسوبة لله. هؤلاء الذين أمروا بها دنسوا "اسم الله القدوس". هذه الأفعال المقززة مذكورة بوفرة، وفقط في العهد القديم. وقد أدانها الأنبياء، يسوع والرسل.

في العهد القديم، الذهب هو الكشف عن الله الواحد، سقوط الإنسان وسبب هذا السقوط، الإصرار الإلهي على تخليص البشرية، دعوة إبراهيم، تكوين الطائفة التوحيدية الأولى، إعلان الأنبياء عن مجيء المسيح إلخ.

في العهد الجديد، كل شيء هو ذهب. حان الوقت لتصفية ذهب الكتاب المقدس ببوتقة الرسالة الرؤيوية حيث يقول المسيح: "أشير إليك أن تشتري مني ذهباً مصفى بالنار لتغتني..." (رؤيا 3، 18). لتصفية الذهب، يجب أن نتعرف عليه وأن نفصله عن الشوائب. لذلك نحن بحاجة إلى النعمة الإلهية والخبرة الكتابية.

4.6 أسئلة

1. إرسم خريطة للمنطقة بما فيها مصر، سيناء، البحر الميت، نهر الإردن، بحيرة طبريا، ثم حدد مسار بني إسرائيل في برية سيناء. حدد موقع مديان، قادش، أدوم، جبل هور، شطيم، نبو، أريحا، جبل جرزيم.
2. في التثنية 33، 8 - 11 موسى يبارك عشيرة لاوي. كيف تفهم هذه البركة بمقارنتها مع لعنة يعقوب على لاوي (تكوين 49، 5 - 7)؟
3. لماذا قتل بنو إسرائيل بلعام (العدد 31، 1 - 12) وإلى ماذا يرمز ذلك؟
4. ماذا جرى في قادش (العدد 13)؟
5. ماذا حصل في شطيم (العدد 25، 1)؟
6. موسى وهارون لم يستحقا الدخول إلى فلسطين؟ ما كانت غلطتهما؟
7. ما هما الأوريم والتميم؟
8. هل تعتقد أن الله هو الذي أوحى حرفياً بجميع نقاط الشريعة الموسوية؟ كيف تفهم الآيات التالية: إرميا 7، 22 و 8، 8؟
9. هل إبراهيم هو عبراني؟
10. هل أراد الله تكوين أمّة مع إبراهيم أو نقل رسالة شاملة؟
11. ختان القلف أو ختان القلب؟ معمودية الجسد بالماء أو النفس بالمعرفة والإيمان؟ هل للختان والمعمودية القدرة على التطهير أو ليسا سوى رمزين يجب تخطيهما؟
12. ما هي أرض الميعاد؟ من وُعد بها؟
13. العهد بين الله والطائفة الإسرائيلية هل يبقى صالحاً؟ لماذا؟

7. الدرس السابع ـ يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول والثاني

إن فهم كتب التوراة الخمسة بالروح الانتقادي الذي اتبعناه يشكل أساساً أكيداً وواقعياً لدراسة بقية كتب العهد القديم. إقرأ بانتباه كتب يشوع والقضاة، ثم عُد إلى التوضيحات أدناه:

1.7 كتاب يشوع

هذا الكتاب يروي قصة دخول بني إسرائيل إلى فلسطين، ويشوع على رأسهم، حوالي سنة 1200 ق.م. كان الإنطلاق من شطيم (يشوع 3، 1). حدود البلد الذي سيحتلوه حُددت بسرعة: من الصحراء (سيناء، مع النيل كحدود شرقية) إلى الفرات (يشوع 1، 4)، وقد تم ابتلاع لبنان كلياً. باب الكنيست الإسرائيلي يحمل هذه العبارة: "مُلكِكِ يا إسرائيل، يمتد من النيل إلى الفرات". لهذا السبب العلم الإسرائيلي يحمل، على خلفية بيضاء، النجمة ذات الشعب الست (نجمة داود) بين خطين أزرقين يرمزان إلى نهري النيل والفرات. راجع في الدرس السادس في نهاية كتاب العدد: حدود إسرائيل.

تابوت العهد يعبر نهر الأردن في المقدمة كعلامة على وجود الرب مع جماعة بني إسرائيل (الذين تحولوا إلى جيش مُغير محتل).

الختان: عاد اليهود من جديد إلى الختان بأمر من يشوع "بسكاكين من صوان" بعد أن أهملوه في البرية بعد خروجهم من مصر (يشوع 5، 2 - 9).

قرن حيوان يستعمل كبوق - قرون الأكباش هي أقل كلفة

سقوط أريحا: لا يجب فهم هذا الحدث حرفياً. لاحِظ أن المدينة سقطت في اليوم السابع، بعد التطواف السابع، كون الرقم 7 يرمز إلى الكمال (يشوع 6، 14 - 16). "النفخ في قرن الهتاف" (يشوع 6، 4 - 5 / 6، 16) هو عادة طقسية ما زال اليهود يمارسونها حتى اليوم على حائط المبكى. لعن يشوع أريحا، وقال إن الذي سيبنيها عليه أن يقدّم أبناءه ذبيحة للأوثان (يشوع 6، 26 - 27). كتاب الملوك الأول، الذي كُتب فيما بعد مع كتاب يشوع، يروي أن حيئيل من بيت إيل أعاد بناء هذه المدينة مقدماً ولديه الاثنين ذبيحة (الملوك الأول 16، 34). تظهر هذه "النبوءة" بين كل تلك التي نُقلت استنتاجياً بنيّة إعطائها حقيقة تاريخية.

اتخذ البوق (يشوع 6، 16) معنى نبوياً وروحياً بعد استخدامه في العبادة الطقسية (كالأجراس). إنه يعلن أن الرب سوف يتكلم أو يفعل، وأن على جميع البشر إذاً أن يصغوا بانتباه: "يا جميع سكان العالم وقاطني الأرض... إذا نُفِخ في البوق فاسمعوا ! قال لي الرب..." (إشعيا 18، 3 - 4). في آخر الأزمنة يرسل يسوع تلاميذه بـ "بوق عظيم الصوت" لتحذير أخير (متى 24، 31). هذا البوق هو رمزي: إنه يُعلن فتح كتاب الرؤيا (رؤيا 8، 2 / 10، 2) ويدعو الذين لهم أذنان ليسمعوا ما سيكشفه الروح من جديد (رؤيا 3، 23).

دور الكهنة، الذي أبرزه الكهنة-الكتبة الذين كتبوا هذا النص فيما بعد، جُعل أساسياً لاحتلال المدينة. سقوط أسوار أريحا هو نسج رواية خيالي لا يرتكز على قاعدة تاريخية ويشكل جزءاً من "الخرافات اليهودية" الكثيرة التي حذرنا منها بولس (تيطس 1، 13 - 14). تجدر الملاحظة هنا أيضاً أن الوصية التي أعطيت للطائفة، أن أحداً، عند دخول المدينة، لا يجب أن يدفعه الطمع إلى نهب "كل فضة وذهب وإناء نحاس أو حديد، فهو مكرس للرب يدخل خزانة الرب"، أي جيب الكهنة التقي (يشوع 6، 17 - 19). يستمتع الكتبة بكتابة أن المقاتلين "قتلوا بحد السيف (شريعة الإبادة الشاملة) إكراماً للرب جميع ما في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير" (يشوع 6، 21). يذكّرنا ذلك بمذابح دير ياسين، كفر قاسم، إلخ... في فلسطين، لإقامة دولة إسرائيل (سنة 1948) بالإضافة إلى مذابح صبرا وشاتيلا وقانا إلخ... في لبنان، تكملة للمخطط الصهيوني التوسعي.

توقف الشمس على جبعون (يشوع 10، 12) هو أيضاً خرافة يجب فهمها من الناحية الشعرية، لا الواقعية، بما أن القمر أيضاً قد "أوقف" من قبل يشوع.

تقسيم الأرض المحتلة: حُددت منطقة لكل عشيرة، ما عدا عشيرة لاوي "لأن المحرقات التي كانت تقدم للرب، إله إسرائيل كانت هي حصتهم" (يشوع 13، 14). هذه الحصة الغير جغرافية للاويين، تبرهن أن "أرض الميعاد" هي حقيقة روحية، غير جغرافية كما فسرها يسوع ورسله فيما بعد (لوقا 17، 21 / عبرانيين 13، 14). تقسيم البلد كان يتم بالقرعة بين العشائر (يشوع 14، 2).

مقدس شيلوه: أول مركز للعبادة تم تشييد في شيلوه، في النصف الشمالي للبلاد (يشوع 18، 1). وأصبح مكاناً للحج (صموئيل الأول 1، 3). تابوت العهد كان موجوداً فيه قبل أن يتم نقله فيما بعد إلى هيكل أورشليم.

مات يشوع (يشوع 24، 29) دون أن يعيّن خلفاً له. فشكّل ذلك عقبة في إدارة أمور الطائفة. مجموعة من "القضاة" ستقرر مصير بني إسرائيل العسكري والسياسي. عنهم يتكلم كتاب القضاة الذي يتبع كتاب يشوع.

عظام يوسف، الذي مات في مصر، نُقلت ودُفنت في شكيم (نابلس، حيث يوجد بئر يعقوب). قبره لا يزال موجوداً حتى اليوم (يشوع 24، 32).

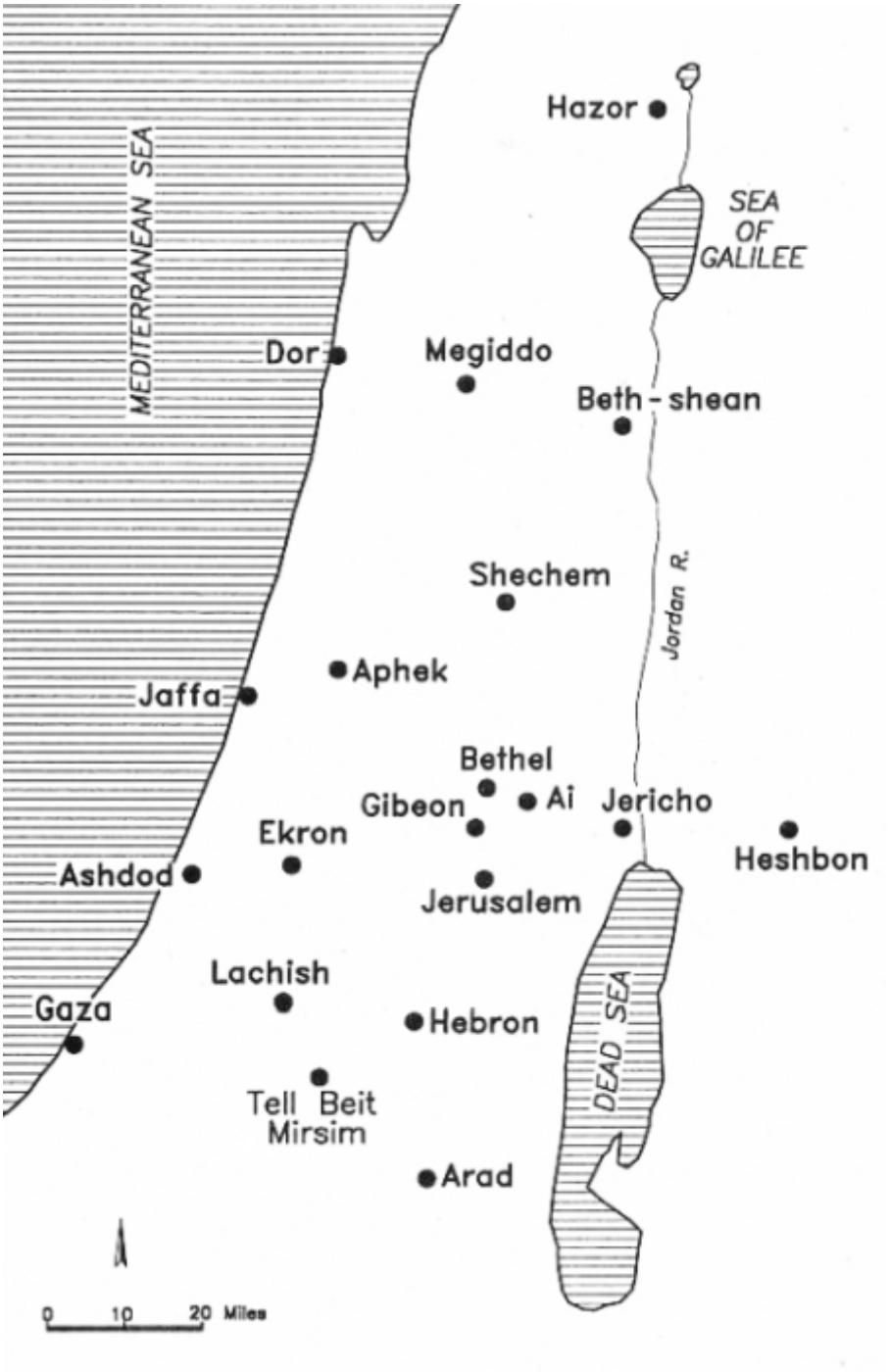

الأماكن الرئيسية ذات العلاقة برواية احتلال كنعان

ملاحظة: اختار بنو إسرائيل دخول فلسطين بالسيف والدم. بيد أنه كان بإمكانهم أن يسكنوا بسلام، مقيمين علاقات طيبة مع السكان الذين كانوا موجودين في الأصل. لو فعلوا ذلك، لكانوا استطاعوا نشر معرفة الله، يوماً بعد يوم، من خلال سلوك ودي، كما أراده الرب.

2.7 كتاب القضاة

بعد يشوع استسلم اليهود لعبادة الأوثان، "وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتروت، فغضب الرب على بني إسرائيل... فأقام عليهم قضاة فخلصوهم من أيدي الناهبين. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا، فخانوا الرب باتباع آلهة أخرى" (القضاة 2، 13 - 17). تجدر الملاحظة إلى أن الذين "كانوا ينهبون" بني إسرائيل، لم يفعلوا سوى أنهم كانوا يسترجعون ثرواتهم التي اغتصبها هؤلاء الأخيرون.

هكذا فإن تاريخ بني إسرائيل هو نسيج من خيانة الله والعدوان على البشر. ننذهل من الكلام الذي نسبه الكتبة للبلعام الذي كان يرفض أن يلعن اليهود: "من يبصر إثماً في بني يعقوب" (العدد 23، 21)، لأن هذا الإثم أدانه موسى عندما عبدوا العجل الذهبي بالإضافة إلى خيانات عديدة أخرى. الخير الوحيد الذي خرج من هذه الطائفة كان المسيح يسوع. كل ما حصل مع أبناء يعقوب، فسّره الكتبة والكهنة وفقاً لمصلحتهم. مثلاً، "ترك الرب بعض الأمم ليمتحن بهم من بني إسرائيل جميع الذين لم يعرفوا الحرب في أرض كنعان. وفعل ذلك ليعلّم أجيال بني إسرائيل الحرب" (القضاة 3، 1 - 2). ذهنية غريبة شرسة ترى في الله محارباً مهلكاً لكل غير يهودي. يجب قراءة مثل هذه الآيات بروح ناقد وموضوعي لتمييز ما هو من الله وما هو ناتج من عقلية الكتبة العنصرية. إن إبقاء الغير يهود مع اليهود كان يجب أن يُفهم بخلاف ذلك: الله، أب جميع الشعوب، يضع بني إسرائيل بين الأمم (وليس الأمم بين اليهود) ليسكنوا بينهم سلمياً، لا عدوانياً، كاشفين لهم، بحكمة، عن وجود الله. والحال هو أنهم، بالعكس، استسلموا هم أنفسهم لعبادة الأوثان بعد أن عرفوا الخالق الوحيد (القضاة 3، 4 - 6).

بعد يشوع، اثنا عشر قاضياً تعاقبوا على فترة حوالي مئة سنة. كلمة قاضي هنا لا تعني الذي يحكم بالعدل في المحكمة بين الناس، إنه الذي يوجّه ويرشد الطائفة بعد أن يكون، في أكثر الأحيان، قد شاور الله (القضاة 4، 4 - 6)، فيحكم بما هو صالح. القاضي هو نبي، يساعد الشعب على حكم ذاته، يحسم في اتخاذ القرارت، ويقوده في المعركة: اهود يحكم بمحاربة موآب ويقتل ملكهم، إغلون؛ دبورة تحكم بقتال الكنعانيين وتقتل سيسرا، قائدهم ؛ جدعون يحكم بالحرب على مديان. دبورة هي المرأة الوحيدة بين القضاة، على طراز القديسة جاندارك. القضاة هم إذاً موضع ثقة مؤتمنون على الدفاع عن بني إسرائيل. أكثرهم شهرة - دون أن يكون الأهم- هو شمشون.

1-2.7 جدعون

تجدر الإشارة إلى أنه للمرة الأولى، مع جدعون، يحاول بني إسرائيل أن يقيموا مملكة، أن يصبحوا أمّة و، أن يتحولوا من بني إسرائيل - طائفة ذات رسالة روحية- إلى إسرائيليين، أي إلى كيان سياسي. طلبوا إذاً من جدعون أن يملك عليهم وأن ينشيء سلالة ملكية حاكمة، ويكون ابنه خلفاً له. لكن ما كان من هذا الأخير إلا أن رفض، لأنه كان مدركاً أن الملك الأوحد هو الله، وأن رسالة بني إسرائيل ليست سياسية: "لا أنا أتسلط عليكم ولا إبني، بل الرب هو الذي يتسلط عليكم". غير أنه طلب قائلاً: "يعطيني كل واحد منكم الخواتم التي غنمها" (القضاة 8، 22 - 24). إبنه أبيمالك طمع بالعرش من بعده وحاول أن يؤسس مملكة لم تدم سوى ثلاث سنوات. فقام بقتل جميع أخوته وعددهم 70 ، ليملك على العرش، لكن أهل شكيم الذين ساعدوه في قتل أخوته انقلبوا ضده فيما بعد (القضاة 9). بعد حوالي مئة سنة، كانت هناك محاولة أخرى مع صموئيل آلت إلى تأسيس مملكة إسرائيلية مع شاول كملك أول (صموئيل الأول 8). تلك كانت خطيئة العبرانيين الأصلية كما سنرى في كتاب صموئيل الأول.

2-2.7 يفتاح

القاضي يفتاح، وهو ابن امرأة بغي (القضاة 11، 1)، حارب بني عمون ونذر نذراً للرب قائلاً: "إن سلمت بني عمون إلى يدي، فكل خارج من باب بيتي للقائي حين رجوعي سالماً من عند بني عمون أكرسه، وأقدمه محرقة لله" (القضاة 11، 31). فكانت ابنته هي التي قدمها محرقة للرب (القضاة 11، 34 - 40). هذه الذبائح البشرية كانت عادات وثنية حرمها الله، لكن، مع ذلك، مارسها بنو إسرائيل الذين أدانهم الله (إرميا 7، 30 - 31). فرض موسى أضاحي الحيوانات، لا لأن الله كان يطلبها، بل ليمنع اليهود من تقديمها للأوثان ولتجنب الأضاحي البشرية. لكن ذلك لم يجدي نفعاً: فقد اقترف بنو إسرائيل الرجسين الأول والثاني.

3-2.7 شمشون

قصة شمشون مليئة بالمبالغات التي لا يجب أن تؤخذ حرفياً. قتاله الأسد (القضاة 14، 6)، ثم الفلسطينيين بـ "فك الحمار" هي نسج روائي خيالي واضح (قضاة 15، 9 - 17) يهدف إلى إعطاء هذا الرجل القوي صورة العبراني الذي لا يُقهر، من طراز "هرقل" العصر. عقل ناضج لا يُصدق ذلك.

4-2.7 جريمة الدانيين

إحفظ تاريخ قبيلة دان الدموي (الفصل 17 و 18). ارتكبت هذه الجريمة بعد مشاورة الله! طلب بنو دان من الكاهن قائلين: "إسأل لنا الله ، فنعلم إن كنا

سننجح في طريقنا التي نحن سائرون فيها؟". فأجابهم الكاهن: "سيروا بأمان، فالطريق التي أنتم سالكون فيها يرعاها الرب" (القضاة 18، 5 - 6). لاحظ أن "الله" الذي التمسه الكاهن لم يكن سوى صنم. هذا "الله" الذي استشاروه بالترافيم (الأوريم والتميم) بارك بعثة بني دان الإجرامية! هذا الصنم كان من صنع ميخا الذي استشاط غيظاً على بني دان الذين سرقوه، فصاح بهم: "آلهتي التي صنعتها أخذتموها مع الكاهن وذهبتم...!" (القضاة 18، 24). هذا الإله الذي صنعه ميخا، سمح لبني دان بذبح "شعب هادئ مطمئن... لم يكن له منقذ" (القضاة 10،18 / 18،27 - 28). من خلال مثل هذه الشعوذات تمت استشارة الله من قبل الكهنة الذين دنسوا اسم الخالق القدوس.

كم من الناس يصنعون لأنفسهم آلهة على صورتهم بدلاً من أن يتحولوا هم أنفسهم على صورة الله الحقيقي الأوحد، هذه الصورة التي يخسرها كثير من الناس بمشيئتهم.

جريمة كريهة أخرى اقترفها بنو بنيامين في جبعة (الفصل 19 و 20). كان لها تبعات مشؤومة في كل الطائفة وتطورت بطريقة غامضة (القضاة 19، 1 - 21 / القضاة 19، 25). النبي هوشع لن ينسى هذه الجريمة التي لا يمكن تصورها (هوشع 9، 9 / 10، 9).

ملاحظات:

أراد الكتبة تبرير إنشاء المملكة الإسرائيلية، فعزوا ذلك إلى الاضطرابات الاجتماعية في طائفتهم لأنه "في تلك الأيام لم يكن لبني إسرائيل ملك" (القضاة 18، 1 / 19، 1). وينهون كتاب القضاة بإصرارهم على أنه "في تلك الأيام لم يكن لإسرائيل ملك وكان كل واحد منهم يعمل على هواه" (القضاة 21، 25). والحال هو، أن إقامة المملكة لم تحل المعضلات؛ الحالة الإجتماعية لم تتحسن، وانتهى الأمر بالمملكة إلى الإنقسام إلى مملكتين: واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب. الملوك كانوا في الأغلب غير كفوئين، الأنبياء لم يتوانوا عن إدانتهم، حتى رفض واقع تأسيس المُلك في إسرائيل (هوشع 8، 4).

هذه القصص الكتابية المحزنة التي رُويت بالتفصيل في كتاب العهد القديم تدعونا للتأمل: "الله يكتب بشكل مستقيم على خطوط ملتوية"، قال أحد الفلاسفة المعاصرين. لقد توصل، برغم عدم جدارة بني إسرائيل، إلى تحقيق مخططه المسيحي. كان يجب على المسيح أن يخرج من اليهود (يوحنا 4، 2) "كعرق في أرض قاحلة" (إشعيا 53، 2). هذه الأرض القاحلة هي البيئة اليهودية التي منها انبثق يسوع، كما أنه هو هذا المسيح الذي يسقط القناع الموسوي الذي يمنع المؤمنين من رؤية النور الإلهي: "لا يزال ذلك القناع إلى اليوم غير مكشوف عند قراءة العهد القديم، ولا ينزعه إلا المسيح. نعم، إلى اليوم لا يزال القناع على قلوبهم عند قراءة شريعة موسى، ولا ينزع هذا القناع إلا الاهتداء إلى الرب" (كورنثوس الثانية 3، 14).

3.7 كتاب راعوث

إقرأ هذا الكتاب التاريخي المؤثر باهتمام، آخذاً بعين الاعتبار أن راعوث هي موآبية، وليست يهودية. أهمية هذه القصة التي دارت أحداثها على عهد القضاة هي أن راعوث - الغير يهودية- هي إحدى أسلاف المسيح بما أنها جدة الملك داود الكبيرة الذي ينحدر منه المسيح. بالفعل، فقد ولدت "عوبيد، وعوبيد ولدَ يسى، ويسى ولد داود" (راعوث 4، 17، راجع متى 1، 3 - 5 ولوقا 3، 31 - 32).

هذه الحقيقة تناقض المبدأ اليهودي: "ليسوا يهوداً اولاد المرأة الغير يهودية". داود والمسيح ينحدران من امرأة غير يهودية: راعوث.

كم كنا أحببنا لو أن الكتب التاريخية في الكتاب المقدس قد كُتبت جميعها بنفس الروح التي كُتب فيه كتاب راعوث حيث لا يوجد لا عنف ولا عنصرية. نعمة، الحماة اليهودية، رائعة بحبها وحنانها لراعوث، الغير يهودية. إن نعمة، هي التي دفعت راعوث إلى أحضان بوعز الزوجية. العلاقة المتناغمة بين الحماة والكنة تتصف بالمثالية. ما كان الله يطلبه من بني إسرائيل هو تصرف مماثل. نعمة تستحق أن تكون سلف المسيح؛ هذا الروح العطوف والمنفتح هو الذي أتى يسوع ليمنحه للعالم. هذا هو الروح القدس، المعاكس كلياً للروح القومي المتطرف الذي نجده في أماكن عدة من التوراة.

4.7 كتاب صموئيل الأول

كتابا صموئيل وكتابا الملوك يشكلون مجموعة تاريخية من زهاء 550 سنة، تمتد من سنة 1100 ق.م إلى سنة 580 ق.م. هذه الكتب الأربع تحكي قصة تأسيس المملكة، انقسامها إلى مملكتين، وسقوطهما، السقوط الذي أدّى إلى سبي بني إسرائيل إلى بابل.

ملاحظة: بعض الكتب المقدسة تطلق على كتابي صموئيل إسم "كتابي الملوك الأول والثاني" وكتابي الملوك إسم "الملوك الثالث والرابع"، دون أن تأتي على ذكر صموئيل كعنوان. يعود ذلك لأن هذه الكتب الأربع تتكلم عن الملوك الإسرائيليين.

إقرأ كتاب صموئيل الأول قبل متابعة التوضيحات أدناه.

1-4.7 مقدس شيلوه

في شيلوه كان يوجد تابوت العهد. دمره الفلسطينيون واستولوا على التابوت (صموئيل الأول 4، 11). يزعم الكتبة أن هؤلاء خافوا منه (صموئيل الأول 4، 7). لكن داود خاف منه هو أيضاً فيما بعد (صموئيل الثاني 6، 9 - 10). هذه الوقائع تكشف المفهوم الخرافي القديم لكل ما يتعلق بالألوهية. كان الله

مرهوباً، وكل ما يتعلق به لا يُمس ويبعث إلى الخوف.

2-4.7 صلاة حنة (صموئيل الأول 2، 1 - 10)

ترتجل حنة نشيداً لله الذي خلصها من "عار" العقم. استطاعت أن ترفع رأسها أمام فننة، امرأة زوجها الأخرى، التي نظراً لخصوبتها، كانت تحتقر حنة. أخذت هذه الأخيرة بثأرها بانجابها صموئيل، ابن حميد الأخلاق وعظيم الشأن: "بك يا رب تهلل قلبي... تكسرت أقواس الجبابرة... العاقر ولدت سبعة (صموئيل، عظيم في عيني الرب، يساوي سبعة أولاد) وكثيرة البنين (فننة) ذبلت" (صموئيل الأول 2، 4 - 5). العذراء مريم، التي كانت حبلى بالمسيح، استوحت من هذه الصلاة: "تعظم نفسي الرب..." (لوقا 1، 44 - 55). تجدر الإشارة إلى أنه يوجد خطأ تاريخي في نشيد حنة: "يختار ملكه ويمنحه النصر..." (صموئيل الأول 2، 10). في ذلك الوقت لم يكن يوجد بعد ملك في إسرائيل. ما يدل على أن الكتبة قد أضافوا في وقت متأخر فوارقاً ملكية ووطنية على النشيد.

3-4.7 تأسيس المملكة

النقطة الأهم في كتاب صموئيل الأول هي تأسيس المُلك مع شاول كملك أول (1030 - 1010 ق.م). "استاء صموئيل من قولهم"، يقول النص، والله استاء أيضاً لأنه اعتبر نفسه "مرفوضاً" من بني إسرائيل "كي لا يملك عليهم" (صموئيل الأول 8، 6 - 7). أحد العوامل التي ستبتعث الرغبة في إنشاء مملكة كان فسق أبناء صموئيل (8، 5) بعد أبناء الكاهن عالي (صموئيل الأول 2، 12 - 25).

هذا التحول لجماعة بني إسرائيل إلى أمة إسرائيلية أدانه الأنبياء: "ينصبون ملوكاً ولا يستشيرونني. يقيمون رؤساء وأنا لا أعلم"، يقول الله للنبي هوشع (هوشع 8، 4)، ثم أعلن للشعب بغضب: "أعطيتكم ملوكاً في غضبي وأخذتهم في غيظي" (هوشع 13، 11). لقد انتهى النظام الملكي بالفعل بعد الاجتياح الأشوري البابلي ثم الروماني، كما سنرى فيما بعد.

بعد أن طالبوا بملك، سأل صموئيل الشعب أن "يعلموا ويروا عظمة الشر الذي فعلوه في عيني الرب لأنهم طلبوا ملكاً". اعترف الإسرائيليون بخطأهم وقالوا لصموئيل: "زدنا على جميع خطايانا سوءاً حين طلبنا لنا ملكاً" (صموئيل الأول 12، 17 - 19)... لكن دون أن يتخلوا عن مَلكهم.

بهدف الحرب والعنف، لا بهدف السلام، طلب الإسرائيليون ملكاً: "يملك علينا ملك ونكون نحن أيضاً كسائر الشعوب، فيقضي بيننا ويكون قائدنا ويحارب حروبنا" (صموئيل الأول 8، 19 - 20). لقد فهم جدعون أن الملك الوحيد هو الله (قضاة 8، 23). يسوع بدوره رفض إقامة مملكة إسرائيلية (يوحنا 6، 15) معلناً أن مملكته ليست من هذا العالم السياسي (يوحنا 18، 36). "الرب إلهكم هو ملككم"، أصر أيضاً صموئيل (صموئيل الأول 12، 12).

4-4.7 القطيعة بين صموئيل وشاول

أخذ شاول المبادرة بتقديم المحرقة بدلاً من صموئيل في جلجال. لقد ادّعى بذلك حقاً دينياً لا يخصه وحل محل صموئيل الذي أبعده على الفور. "لن يدوم ملكك، لأن الرب اختار له رجلاً يرضيه (داود)، وأمره أن يكون رئيساً على شعبه (صموئيل الأول 13، 8 - 15).

5-4.7 داود وجليات (صموئيل الأول 17 - 18)

كان على داود الشاب أن يقتل جليات العملاق الفلسطيني من جت (صموئيل الأول 17، 1 - 51). وكان ذلك ما أكسبه صداقة متينة (صداقة يوناثان ابن شاول) وعداوة عنيفة (عداوة شاول): "تعلق قلب يوناثان بداود وأحبه كنفسه" (صموئيل الأول 18، 1). بالمقابل، "غضب شاول وساءه ذلك، وقال: جعلن لداود عشرات الألوف، وأما لي فجعلن ألوفاً. وبعد، فما بقي له إلا أن يأخذ الملك. وأخذ شاول يضمر الشر لداود منذ ذلك اليوم". وفي الغد حاول شاول مرتين أن يرميه بالرمح، فتنحى عنه داود في المرتين (صموئيل الأول 18، 6 - 11).

ما هي الأصالة التاريخية لهذه الرواية؟ هل أن داود هو في الحقيقة من قتل جليات؟ نقرأ مع ذلك في صموئيل الثاني 21، 19 أن رجلاً يدعى ألحانان هو الذي صرعه: "ثم نشبت معركة أخرى في جوب مع الفلسطيين (الفلسطينيين)، فقتل ألحانان بن ياثير الذي من بيت لحم جليات الجتي...". بالتالي فإن انتصارات داود ليست إلا ملاحم عادية بهدف إعطاء صورة البطل لملك إسرائيل. المقصود هو جليات الجتي نفسه، لأن "قناة رمحه كانت سميكة كنول النساج" (صموئيل الأول 17، 7 / صموئيل الثاني 21، 19).

دامت محبة يوناثان لداود حتى الموت، كذلك حقد شاول الذي كان يسعى طوال عمره إلى قتل داود. العديد من مزامير داود كانت أناشيد إيمان بالله وشكران له لأنه أنقذه من يد شاول (المزامير 18 ؛ 52 ؛ 54 ؛ 57 ؛ 59 ؛ 63).

6-4.7 لجوء داود إلى أخيش

يسرد الكتبة مرتين بشكل مختلف قصة هروب داود من شاول والتجائه إلى أخيش، ملك جت الفلسطيني، في منطقة جليات. في الرواية الأولى (صموئيل الأول 21، 11 - 15) الملك يستقبل داود: "فقال له رجال حاشية أخيش: أهذا داود ملك الأرض؟ أما له كانت النساء يغنين في الرقص ويقلن: ضرب شاول الألوف وداود عشرات الألوف؟ فتأمل داود هذا الكلام في قلبه، وخاف جدا من أخيش ملك جت. فراح يتظاهر بالجنون... وهرب داود من جت ولجأ إلى مغارة عدلام". تجدر الإشارة إلى أنه "انضم إليه كل من ضاقت به الحال، أو كان عليه دين... فتولى قيادتهم..." ثم لجأ داود بعد ذلك إلى ملك موآب وعهد إليه بأمه وأبيه (صموئيل الأول 21، 11 - 15 / 22، 1 - 4).

وفقاً للرواية الثانية (صموئيل الأول 27، 1 / 29، 11)، لجأ داود إلى أخيش الذي استقبله وأعطاه مدينة صقلغ حيث مكث سنة وأربعة أشهر. وختم الكتبة قائلين: "...صارت صقلغ لملوك يهوذا إلى هذا اليوم" (صموئيل الأول 27، 6). كان يكفي إذاً لليهودي أن يسكن مكاناً حتى تحتله إسرائيل نهائياً: "كل مكان تدوسه أقدامكم أعطيه لكم، كما قلت لموسى"، ينسب الكتبة هذا القول... إلى الله! (يشوع 1، 3).

ترحيب الملكين بداود يبرهن على أنه كان بمقدور بني إسرائيل أن يعيشوا بسلام في فلسطين!

7-4.7 الأرواحية: استحضار الأرواح (صموئيل الأول 28، 3 - 25)

استحضر شاول صموئيل الذي حضر، لكن ليوبخه، معلناً له عن موته مع أبنائه. الأرواحية، استحضار الأرواح، ممكنة، لكن الله أدانها (لاويين 19، 31 / التثنية 18، 10 - 11). ففي أغلب الأحيان تحضر أرواح شريرة لتضلل الذين يسعون إليها. رغماً عن ذلك، كان بنو إسرائيل يمارسون مناجاة الأرواح (أو العرافة)، ملوكهم ضمناً (الملوك الثاني 21، 6). كما يُستعان بها اليوم أيضاً في كل أنحاء العالم.

كتاب صموئيل الأول، بعد أن عرّف عن شاول، ينتهي بموته.

5.7 كتاب صموئيل الثاني

يقدّم هذا الكتاب مُلك داود وينتهي قبيل موته. إقرأه بالكامل ثم عد إلى النقاط المشار إليها أدناه.

1-5.7 داود الملك

بعد موت شاول، اختار داود "ومسحه بيت يهوذا ملكاً عليهم" (صموئيل الثاني 2، 7). بيت يهوذا، المؤلف من أعضاء عشيرة يهوذا والذي يحمل نفس الإسم، كانوا يعيشون في المنطقة الجنوبية من فلسطين، من أورشليم في الشمال إلى حبرون (الخليل) في الجنوب، حيث توجد مقابر الآباء. لكن عشائر الشمال، التي كانت تُدعى "إسرائيل"، رفضت داود واختارت واحداً منها، إيشبوشث، ابن شاول، كملك على إسرائيل (صموئيل الثاني 2، 8-10). اسم إيشبوشث يعني "رجل بعل" (إيش=رجل في العبرانية). هذا الاسم الذي أعطاه شاول لابنه يدل عن تعلقه بعبادة الأصنام.

هذا التوتر بين "يهوذا" و "إسرائيل" دام حتى سقوط المملكتين. الضغينة بين الملكين دفعت داود إلى أن يملك انطلاقاً من حبرون، في الجنوب، بعيداً عن أعدائه (صموئيل الثاني 2، 11). "طالت الحرب بين أتباع شاول وأتباع داود، وكان أتباع داود يتقوون وأتباع شاول يضعفون" (صموئيل الثاني 3، 1). يوجد مثل على "القتال الشديد" بين المملكتين في صموئيل الثاني 2، 8 - 32.

أبنير، القائد العسكري لإسرائيل، قطع علاقته مع ملكه إيشبوشث بسبب امرأة. وفرض داود ملكاً على كل الشعب، من الشمال إلى الجنوب (صموئيل الثاني 3، 6 - 21). بعد مقتل أبنير وإيشبوشث "أقبل جميع أسباط إسرائيل إلى داود في حبرون وقالوا له: أنت تكون قائداً... ومسحوه ملكاً على بيت إسرائيل" (صموئيل الثاني 5، 1 - 3)، بعد أن اعترف به ملكاً على يهوذا.

آية غريبة تكشف أن "بنو داود كانوا كهنة" (صموئيل الثاني 8، 18). في حين أن الكهنوت، وفقاً للشريعة الموسوية، كان حكراً على اللاويين من نسل هارون (العدد 17، 5 / 18، 7). داود الذي كان من عشيرة يهوذا، لم يكن يحق له ذلك. لأنهم مارسوا الكهنوت، استحق أبناء داود الموت: "خُصص هارون وبنيه لخدمة الكهنوت ومن اقترب لخدمته سواهم يُقتل" (العدد 3، 10). أثار شاول غضب صموئيل بعد أن تجرأ على تقديم المحرقة (صموئيل الأول 13، 7 - 15). قورح وأتباعه تمت إبادتهم لأنهم طمحوا إلى الكهنوت، مع أنهم كانوا لاويين (العدد 17، 5). أبناء داود تعدّوا إذاً على حق يعود للاويين، مثيرين غضبهم الأكيد، خصوصاً وأن كاهنان لاويان، صادوق وأخيمالك، كانا يرأسان الخدمة الكهنوتية (صموئيل الثاني 8، 17). هذا الواقع،

بتجاوزه المفهوم القانوني الضيق للكهنوت الموسوي، يمهد للكهنوت الشامل الذي أسسه يسوع (راجع متى 12، 1 - 8 / كورنثوس الأولى 3، 16 - 17 / رؤيا 1، 6 / 5، 9 - 10 / 20، 6).

2-5.7 داود يحتل أورشليم

في سنة 1000 ق.م احتل داود أورشليم ودعاها "مدينة داود" (صموئيل الثاني 5، 6 - 9). وأصبحت أورشليم عاصمة ومكان إقامة الملك بعد حبرون. "كان داود ابن ثلاثين سنة يوم صار ملكاً (عمر يسوع عندما بدأ رسالته: لوقا 3، 23) وملك أربعين سنة. ملك بحبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وملك بأورشليم ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا" (صموئيل الثاني 5، 4 - 5). هكذا أصبحت المدينة عاصمة المملكة.

3-5.7 تابوت العهد

نُقل تابوت العهد إلى أورشليم التي، بعد أن أصبحت العاصمة، ستصبح مركز الديانة والحج. بعد أن بنى لنفسه قصراً، رغب داود ببناء معبد ليضع فيه تابوت العهد. كانت هذه فرصة النبي ناثان ليعلن عن النبوءة المسيحية المهمة في صموئيل الثاني 7، 1 - 17. يجب إعادة قراءتها قبل متابعة الدرس.

4-5.7 نبوءة ناثان المسيحية (صموئيل الثاني 7، 1 - 17)

هذه النبوءة هي النقطة الأهم في الكتاب. لقد أعلم داود النبي ناثان عن نيته بناء معبد ليحمي فيه تابوت العهد. فوافقه ناثان تلقائياً، "لكن الرب قال لناثان في تلك الليلة: إذهب وقل لعبدي داود: هذاما يقول الرب: أأنت تبني بيتاً لسكناي؟ ما سكنت بيتاً... وإذا انتهت أيامك ورقدت مع آبائك، أقمت خلفاً لك من نسلك الذي يخرج من صلبك وأثبت ملكه. فهو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت عرش ملكه إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً". هكذا يرفض الرب ويستبعد فكرة المعبد الذي كان داود ينوي بناءه ويعلن أن أحد المنحدرين منه سيبني الهيكل كما قال الله.

تفسير النبوءة:

الهيكل

الله لا يريد أن يبني له داود بيتاً من حجر وطين: "ما سكنت بيتاً" يقول الرب (صموئيل الثاني 7، 6). بالأحرى إن "الرب هو الذي سيقيم له بيتاً" (صموئيل الثاني 7، 11). لأن الهيكل بالنسبة لله، بيته، ليس بناءً مادياً: الله يسكن قلب المؤمنين الحقيقيين، "من أحبني"، قال يسوع، "أحبه أبي، ونجيء إليه ونُقيم عنده (فيه)" (يوحنا 14، 23). يقول بولس أيضاً: "أما تعرفون أنكم هيكل الله؟" (كورنثوس الأولى 3، 16)، وبطرس: "أنتم أيضاً حجارة حية في بناء مسكن روحي..." (بطرس الأولى 2، 5). لهذا السبب، في كتاب الرؤيا، لا يرى يوحنا هيكلاً (كنيسة، جامع أو باغود...) في "أورشليم السماوية" التي ترمز إلى مؤمني نهاية الأزمنة، "لأن الرب الإله القدير والحمل (المسيح، يسوع) هما هيكلها" (رؤيا 21، 22). الذين يبنون لله أبنية مادية لم يفهموا شيئاً من نبوءة ناثان ولا من تعاليم يسوع ورسله.

المسيح

سليل من داود، عرف منذئذ بـ "ابن داود"، سيبني هذا الهيكل الذي يريده الله... هذا المنحدر هو المسيح وهذا الهيكل هو روحي، وليس مادياً. أخطأ اليهود بتفسير هذه النبوءة معتقدين أن سليمان، ابن وخلف داود على العرش، هو الذي كانت مهمته بناء الهيكل المادي في أورشليم. التدخل الإلهي ينورنا إذاً ليس فقط على المعنى الحقيقي للهيكل، بل أيضاً على المسيح الذي أتى ألف سنة بعد الإعلان عن هذه النبوءة الجميلة لناثان.

المسيح هو "نسل"، نسب، متحدر "من صلب" داود (صموئيل الثاني 7، 12). انطلاقاً من هذه النبوءة عُرف المسيح بـ "ابن داود"، "ابن يسى" (يسى هو والد داود). هو أيضاً "ابن الله" بما أن الله يقول: "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً". اعتقد اليهود أن المقصود كان سليمان، ابن وخلف داود (راجع أخبار الأيام الأول 22، 1 - 19 وخاصة الآيات 8 - 10). لهذا السبب أراد سليمان، بأي ثمن، أن يبني هيكلاً من خشب الأرز والذهب حيث وضع تابوت العهد. لكن النبوءة كانت تهدف إلى أبعد من الابن المباشر لداود. كانت تشير إلى يسوع، الذي أتى بعد ألف سنة وتكلم عن خراب الهيكل المادي الذي بناه سليمان وخلفاؤه، مقدما "جسده"، أي نفسه، كهيكل نهائي للمؤمنين (يوحنا 2، 19 - 22 / رؤيا 21، 22).

نبوءة ناثان كانت تهدف إذاً إلى أبعد وأعلى من ذلك بالروح من الرؤية البشرية: لم يكن المقصود لا سليمان ولا بناء مادي. لم يُفهم ذلك إلا بعد تحقق نبوءة ناثان بعد عشرة قرون عندما ظهر الملاك جبرائيل على العذراء الوديعة من الناصرة ليقول لها: "ستحبلين وتلدين ابناً تسمينه يسوع. فيكون عظيماً وابن الله العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله عرش أبيه داود" (لوقا 1، 26 - 37). إقرأ هذا النص بانتباه مقارناً إياه بنبوءة ناثان.

لماذا يسوع هو "ابن الله العلي"، "ابن الله الوحيد" كما يقول يوحنا (يوحنا 3، 16) ؟

الإجابة موجودة في الحوار بين مريم وجبرائيل (لوقا 1، 35) :

مريم: "كيف يكون هذا وأنا عذراء لا أعرف رجلاً".

جبرائيل: "الروح القدس يحل عليك... لذلك فالقدوس الذي يولد منك يُدعى ابن الله".

أعطانا يسوع نوراً جديداً على بنوته. إنه أكثر من "ابن داود"، سلسلة نسبه لا تقدر أن تشير إلى بشر، مهما كان عظيماً، لأنه يأتي من مكان أعلى بكثير، إنه يأتي مباشرة من الله الذي هو تجسده. مجادلاً الفريسيين، طرح يسوع عليهم هذا السؤال: "ما قولكم في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود! قال لهم: إذاً، كيف يدعوه داود رباً، وهو يقول بوحي من الروح: قال الرب (الله) لربي (المسيح): إجلس عن يميني... (المزامير 110، 1). فإذا كان داود يدعو المسيح رباً، فكيف يكون المسيح ابنه؟" فما قدر أحد أن يجيبه بكلمة (متى 22، 44 - 45). طبيعة يسوع الإلهية تتفوق على نسبه البشري. لا أحد يمكنه أن يتصور هذا الأصل. إنه يعود إلى الأزل، لا إلى الزمن. النبي ميخا، ثمانية قرون قبل يسوع، كشف بوحي من الله أصل يسوع الإلهي بقوله: "يكون منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخا 5، 1).

يسوع هو إذاً ابن الله لأن ما من بشر يستطيع أن يزعم، بالعدل والحق، أن يكون والده في الجسد. بتدخل مباشر من الله حبلت مريم بيسوع في أحشائها. لهذا السبب الله وحده هو والده، "الروح القدس يحل عليها وقدرة العلي تظللها... فما من شيء غير ممكن عند الله" (لوقا 1، 35 - 37).

مثل معظم النبوءات المسيحية، لم تُفهم نبوءة ناثان إلا بعد تحققها. إحفظ إذاً كمبدأ أن النبوءة لا تُفهم إلا عند تحققها في الزمن. الذين لا يفهمون النبوءات هم الذين يرفضون أن يفسروها وفقاً لروح لله، لأنهم يريدونها أن تتحقق وفقاً لهم. بالإضافة إلى ذلك، إن غلطة اليهود هي أنهم رفضوا يسوع لأنه لم يتوافق وطموحاتهم القومية والعسكرية. "لا أفكاري أفكاركم يقول الرب، ولا طرقكم طرقي" (إشعيا 55، 8 - 9).

من هذه النبوءة الرائعة لناثان، علينا أن نحفظ أنه لا يجب على أحد أن يبني بيتاً مادياً لله. إن الله هو الذي يبني مسكناً أبدياً لجميع المؤمنين (صموئيل الثاني 7، 11)، هيكلاً روحياً لجمع مختاريه في سعادة أبدية. لقد بنى يسوع هذا الهيكل الروحي: هو نفسه... مع خاصته.

5-5.7 خطيئة داود الفادحة

الفصلان 11 و 12 يرويان جريمة داود المزدوجة: زنى مع بتشابع، مضاعف بقتل زوجها أوريا الحثي، قتل متعمد وشنيع. وبّخ ناثان داود الذي ندم على فعله. ألّف داود المزمور 51(50) لطلب المغفرة من الله: "إرحمني يا الله برحمتك، وبكثرة رأفتك أمح معاصي...".

6-5.7 أمنون وتامار

أمنون هو الإبن البكر لداود. أُغرم بتامار أخت أبشالوم، الإبن الثالث لداود (صموئيل الثاني 3، 2 - 3). لجأ إلى الحيلة واغتصبها، ثم أذلّها بطردها. أمر أخوه أبشالوم بقتله، ثم هرب بعيداً عن داود (صموئيل الثاني 13 و 14).

7-5.7 أبشالوم يستولي على مملكة داود

الفصول من 15 إلى 19، 5 تروي لنا مكائد أبشالوم لخلع أبيه عن العرش. كيف استولى على العرش لفترة قصيرة وعبث مع جواري داود.

8-5.7 التوتر الشديد بين إسرائيل ويهوذا

التوتر الحاد بين الشمال (إسرائيل) والجنوب (يهوذا) تجلّى في مناسبة رجوع داود على العرش. المنطقتان تنافستا على الملك (صموئيل الثاني 19، 41 / 20،2). ثورة شبع، من بني بنيامين (من الشمال)، هيأت للانشقاق بين قسمي المملكة الذي حصل بعد نحو أربعين سنة (حوالي 931 ق.م). صرخة العصيان على داود التي أطلقها شبع سوف يرددها إذاً متمردو إسرائيل على يهوذا: "ما لنا ولبيت داود... إلى خيامكم يا بني إسرائيل، وليتدبر بيت داود أمره" (الملوك الأول 12، 16).

إنشاء مملكة إسرائيل لم يحل شيئاً، بل زاد الوضع سوءاً بين بعضهم البعض، وأفسد علاقتهم مع الشعوب المجاورة. ارتكب الملوك أخطاء جسيمة، لا بل تعديات. تحذيرات صموئيل لهم بررها تصرفهم الذي سيؤدي بهم، كما يكشفه كتاب الملوك، من سيء إلى أسوأ. الكلام الذي وجهه صموئيل إلى الجماعة في صموئيل الأول 8، 10 - 18 قد تحقق: "...في ذلك اليوم تصرخون إلى الرب كي ينقذكم من الملك الذي اخترتموه لأنفسكم، فلا يجيبكم الرب!".

9-5.7 الإحصاء (صموئيل الثاني 24، 1 - 9)

يعتبر تعداد الشعب الذي قام به داود كفراً، لأنه كان يعني أنه كان يثق بنفسه بدلاً من ثقته بالله القادر هو تعالى على زيادة عدد السكان ورعايتهم. ذهنية العصر كانت تنسب كل مبادرة إلى الله. إن الله إذاً هو الذي حرّك داود ضد بني إسرائيل ودفعه إلى تعدادهم. لكن كتاب أخبار الأيام الأول، الذي كُتب بعد خمسة قرون، يصوب الأمور محدداً بدقة أن: "الشيطان نوى الشر لبني إسرائيل فحض داود على إحصاء شعبها" (أخبار الأيام الأول 21، 1). إذاً، هل كان الله أو الشيطان هو الذي أوحى ذلك لداود؟ أو هل أنها كانت رغبة عادية لداود الذي كان يتمنى رؤية عدد محاربي يهوذا يفوق عدد محاربي عدوته إسرائيل؟ إلا أن هذا الإحصاء خيّب أمل الملك: "أخذ ضمير داود يؤنبه بعد إحصاء الشعب" (صموئيل الثاني 24، 10). لماذا؟ لأن عدد محاربي إسرائيل

مذبح

قد تجاوز بفارق كبير عدد محاربي يهوذا الذين في خدمة داود: 000.800 مقابل 000.500 بحسب صموئيل الثاني 24، 29، لكن 000.100.1 مقابل 000.470 فقط بحسب أخبار الأيام الأول 21، 5 الذي يضيف أيضاً: "ولم يحص يوآب سبطي لاوي وبنيامين لأن ما أمر به الملك كان مكروهاً لديه" (أخبار الأيام الأول 21، 6). الأمر الذي جعل قلب الملك يرتجف أمام أعداء يفوقونه عدداً بشكل واضح... دون أن نحسب حساب عشيرتي لاوي وبنيامين العدوانيتين... اللتان لم يتم إحصاءهما!

أي من الإحصائين علينا أن نصدّق؟ أين الحقيقة التاريخية؟ هذان النصان المختلفان هل هما بوحي من الله؟ مثل آخر يتطلب تمييزاً وروحاً تحليلياً. هذا النص المكتوب بعد خيبة أمل داود، يفسر الإحصاء على أنه لعنة.

هذا الفصل يسمح لنا بأن نفهم بشكل أوضح لماذا جميع القرارات التي كان يأخذها موسى وآخرون كانت تُعتبر، بشكل خاطئ في كثير من الأحيان، كأنها آتية من الله. كان الأمر بحاجة لوقت طويل، ولنور يسوع المسيح خاصة، لتمييز ما هو حقاً آتٍ من الله في الكتب المقدسة. نفهم لماذا قال يسوع للذين رفضوه: "أنتم أولاد إبليس أبيكم، وتريدون أن تتبعوا رغبات أبيكم" (يوحنا 8، 44). ذلك لأن رفضهم الاعتراف بأن يسوع هو المسيح ليس أبداً بوحي من الله، بل من الشيطان (تأمل كورنثوس الأولى 12، 3).

8. الدرس الثامن - كتب الملوك - أخبار الأيام - عزرا - نحميا - طوبيا - يهوديت - أستير - المكابيين

1.8 كتاب الملوك الأول

إقرأ هذا الكتاب بكامله ثم النقاط التي أشير إليها:

سليمان ملك: لقد اختار داود سليمان خلفاً له قبل موته فوضع بالتالي حدّاً للمؤامرات المتعلقة بخلافة العرش. فقد كان المُلك لأدونيا، البكر (الملوك الأول 2، 15 - 22).

التجأ يوآب إلى خيمة الرب وتمسّك بقرون المذبح؛ إلا أنه قُتل بأمر من سليمان لأنه انحاز إلى أدونيا (الملوك الأول 2، 28 - 34). زوايا مذبح الأضاحي كانت على شكل قرون كي تسمح لدم الحيوانات المذبوحة أن يجري من خلالها (خروج 27، 2). الذين كانوا يلجأون إلى الهيكل ويتمسكون بقرون المذبح كانوا لا يُطرحون في مكانهم (موقف أدونيا: الملوك الأول 1، 50 - 53). مارس المسيحيون هذه العادة لوقت طويل، خاصة في أوروبا، حيث كان المجرمون يلجأون أحياناً إلى الكنائس حتى لا تقبض الشرطة عليهم ما داموا موجودين فيها.

بناء الهيكل: 480 سنة بعد الخروج من مصر (حولي سنة 96 ق.م) بنى سليمان الهيكل من خشب الأرز ونقل إليه تابوت العهد (الملوك الأول من 6 إلى 8). عُرف هذا الهيكل بـ "الهيكل الأول" لأورشليم. دمره نبوخذنصر بعد حوالي 400 سنة (في 586 ق.م). "المعبد الثاني" أعيد بناؤه في سنة 515 ق.م. <table

عمودا الهيكل: عند مدخل الهيكل، أقام سليمان عمودين: "ياكين" (التي تعني بالعربية "يقين" أي "المعرفة المطلقة")، و"بوعز" ("القوة"، من الممكن أن تكون مشابهة لكلمة "فولاذ" التي تعني "الحديد الصلب") (الملوك الأول 7، 21). أشير إلى هذا الأمر لأنه مهم في "صوفية" بعض الطوائف السرية مثل الماسونية والوردة المصلبة التي تعبد الـ "غنوصية"، التي تعني "المعرفة"، وهو اسم أحد العمودين، رمز المعبد الذي يريد اليهود بناءه في القدس.

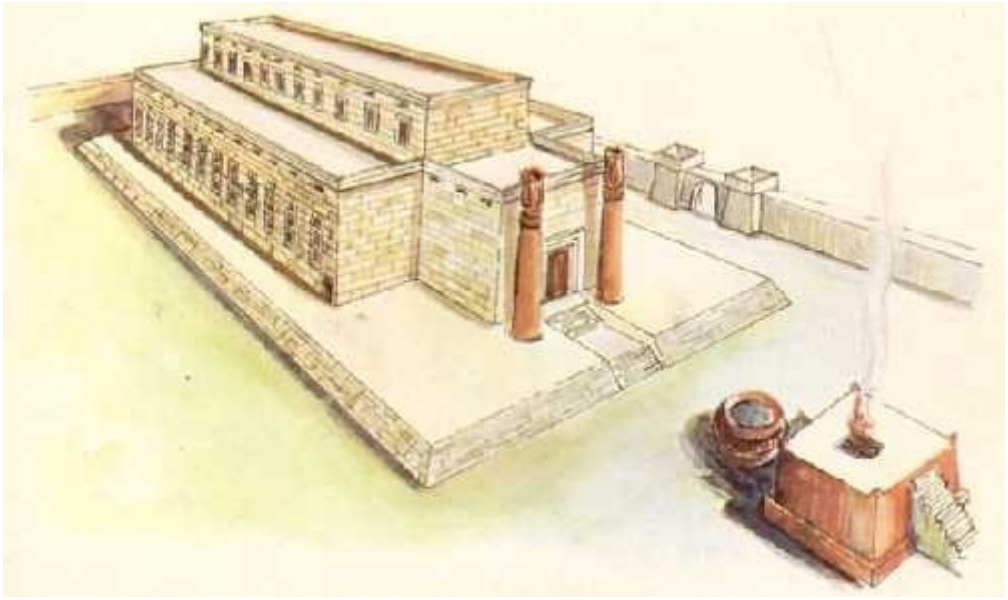

هيكل سليمان

ملكة سبأ (الحبشة: الملوك الأول 10، 1 - 13): زيارة هذه الملكة مهمة لأن يسوع يرجع إليها فيما بعد بقوله لليهود الذين كانوا يرفضون أن يؤمنوا به: "ملكة الجنوب ((الغير يهودية) هي ملكة الحبشة، إلى الجنوب (مديان) من فلسطين) ستقوم يوم الحساب مع هذا الجيل (اليهودي) وتحكم عليه، لأنها جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهنا الآن (بينكم) أعظم من سليمان (وترفضون أن تسمعوا له)" (متى 12، 42).

666 وزنة من الذهب: (الملوك الأول 10، 14): "كان وزن الذهب الذي يرد على سليمان في سنة واحدة 666 وزنة من الذهب". هذا الرقم يمثل إذاً الإمبراطورية السليمانية في كامل قدرتها وازدهارها. اليهود المعاصرون يحلمون بإقامة مثل هذه المملكة؛ سليمان هو قدوتهم ومثال المسيح الصهيوني الذي ينتظرون لتوسيع حدودهم من النيل إلى الفرات. هذا الخطر الصهيوني هو تهديد للإنسانية بأكملها. لهذا السبب تنبأ به كتاب الرؤيا ليوحنا تحت رمز "الوحش" الذي عدده 666، الذي هو "رقم إنسان"، يشير إلى وزن الذهب الذي كان يرد إلى خزينة الملك سليمان سنوياً (رؤيا 13، 18).

خيانة سليمان: سليمان أحب الله... لكنه أيضاً أحب "كثيراً من النساء الغريبات"، 1000 امرأة بالإجمال... التي "مالت بقلبه إلى آلهة غريبة... وفعل الشر أمام عيني الرب... فغضب الرب على سليمان... وقال له: "...سآخذ المملكة من يدك... لكني أبقي لابنك سبطاً واحداً (يهوذا)..." (الملوك الأول 11، 1 - 13). إنه إعلان الانشقاق بين إسرائيل ويهوذا.

يربعام، شمالي في خدمة سليمان، يثور بسبب ضرائب سليمان على أهل الشمال (الملوك الأول 12، 4). النبي أخيا يعلن ليربعام أنه سيصبح ملكاً على 10 أسباط، لكن الله، كما أعلن بنفسه لسليمان، سيبقي سبطاً واحداً لسلالة داود، "حتى يبقى"، يقول الله، "سراج لداود عبدي كل الأيام أمامي في أورشليم" (الملوك الأول 11، 29 - 36). هذا "السراج" سيؤدي إلى مجيء المسيح من سلالة داود. لهذا السبب، ستصبح مملكة يهوذا محكومة من سلالة مستقرة حتى الغزو البابلي، في حين أن مملكة الشمال ستعاني التمرد تلو الآخر، ملك يقتل آخر ليرث عرشه، دون سلالة دائمة.

الإنشقاق: (الملوك الأول 12) الانفصال بين الجزئين هو علامة فشل لمحاولة إقامة مملكة إسرائيلية. حصل هذا الانشقاق حوالي سنة 930 ق.م، 100 سنة فقط بعد بدايتها مع شاول.

رحبعام، ابن سليمان، كُرس ملكاً في شكيم، في الشمال. فقال له أسباط الشمال حينئذٍ: "أبوك ثقل نيره علينا، فخفف الآن من نيره الثقيل ومن عبوديته الشاقة" (الملوك الأول 12، 1 - 4). أجاب رحبعام بطريقة حمقاء: "أبي ثقل نيركم وأنا أزيد عليه..." (الملوك الأول 12، 14). لم يكن ذلك "تدخلاً من الرب" كما يفسر الكتبة، بل كان بالأصح "عدم تدخل"، تخلّي، لأن الرب ترك رحبعام لجنونه بما أنه لم يكن يرغب بالمُلك (الملوك الأول 12، 15). ردة فعل بني إسرائيل كانت سريعة، إنه الإنشقاق: "ما لنا ولبيت داود... إلخ" (الملوك الأول 12، 16). "وتمردت القبائل الشمالية على بيت داود إلى هذا اليوم" (الملوك الأول 12، 19). تمت كتابة هذا النص إذاً من قبل الكتبة بعد الانقسام.

أخذت عشائر الشمال اسم إسرائيل لأنها، كونها الأكثر عدداً، كانت تمثل يعقوب أب الأسباط العشر، الذي لقبّه الله بـ "إسرائيل" (تكوين 32، 29). احتفظت يهوذا باسمها لأن المسيح ينبثق منها. مؤسسو دولة إسرائيل الحالية، التي تأسست سنة 1948، كانوا محتارين بين اسمي إسرائيل ويهوذا. انتهوا باختيار "إسرائيل"، المعروف أكثر كتابياً.

كان للإنشقاق جانبين، جانب سياسي وآخر ديني:

استتبع الإنشقاق السياسي اختيار الإسرائيليين يربعام ملكاً على مملكة الشمال، في حين أن بني يهوذا احتفظوا برحبعام ملكاً على مملكة الجنوب. الانشقاق الديني كان نتيجة للانشقاق السياسي: "يربعام يقول لنفسه: إذا صعد هذا الشعب إلى أورشليم ليقدموا الذبائح إلى الرب (في الجنوب)، تحن قلوبهم إلى

سيدهم رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني... فصنع عجلين من ذهب وقال لشعبه: لا حاجة لكم بعد الآن بالصعود إلى أورشليم. هذه آلهتكم التي أخرجتكم من مصر... وأقام كهنة من الشعب، من غير بني لاوي وصعد على المذبح وقدم ذبائح للعجلين..." (الملوك الأول 12، 26 - 33). هكذا أضحى يربعام مثالاً الكفر. دام مُلكه من سنة 931 إلى 910 ق.م.

نتيجة طلب ملك من صموئيل (صموئيل الأول 8) كانت قيام مملكتين ومقدسين، سيتم تدميرهم الواحد تلو الآخر: اللذان في الشمال دُمرا سنة 721 ق.م، 210 سنوات بعد يربعام، واللذان في الجنوب سنة 586 ق.م، بعد 140 سنة. مملكة الجنوب، وهي الأطول، لم تدم سوى حوالي 450 سنة.

ملوك الشمال والجنوب كانوا جميعهم كفاراً، كل واحد أكثر من الآخر، "فاعلين الشر أمام الرب" كما يقول الكتاب المقدس (الملوك الأول 16، 30).

1-1.8 النبي إيليا

أسوأ ملوك إسرائيل، في الشمال، كان أخاب، الذي تزوج من امرأة صيدونية اسمها إيزابل، وعبد البعل إلاهها وسجد له (الملوك الأول 16، 29 - 33). ظهر النبي إيليا فجأة ليتنبأ ضد أخاب. إيليا هو من الشمال، من تشب. لاحِظ أن إيليا تنبأ بالقحط كعقاب: "لا ندى ولا مطر" (الملوك الأول 17، 1). دام ذلك ثلاث سنوات وستة أشهر: سنة، سنتين ونصف السنة (الملوك الأول 18، 1؛ راجع أيضاً رسالة يعقوب 5، 17). غالباً ما تتمثل هذه المدة الزمنية بعبارة "زمن، زمنين ونصف الزمن". لقد أصبحت هذه المدة رمزية. لمعاقبة الكفار في نهاية الأزمنة، سيفعل شاهدا كتاب الرؤيا كما فعل إيليا، لكن بطريقة مختلفة، و "يغلقا (رمزياً) السماء، فلا ينزل المطر في أيام نبوءتهما" (رؤيا 11، 6). يتجلى روح إيليا إذاً في نهاية الأزمنة... لكن قليلون هم الذين يفهمون.

لاحِظ أن الله يتجلى لإيليا بلطف، "بصوت نسيم خفيف، لا بريح شديدة ولا بزلزال" (الملوك الأول 19، 9 - 12).

ما كان على إيليا إلا أن يهرب إلى صرفة، في لبنان (الصرفند حالياً)، عند امرأة غير يهودية (الملوك الأول 17، 7 - 24). يصف يسوع هذا الحدث كمثال يحتذى به: لا يجب أن يكون المرء يهودياً ليرضي الله ويحافظ على أنبيائه. "لمّا سمع الحاضرون (اليهود) في المجمع هذا الكلام غضبوا كثيراً" على يسوع (لوقا 4، 25 - 30). اختار إيليا أليشع خلفاً له (الملوك الأول 19، 19 - 21).

كرم نابوت: (الملوك الأول 21، 1 - 29) احفظ هذه القصة التي تبرهن على وحشية أخاب وإيزابل وتجسم تحذيرات صموئيل في الأمس ضد الملوك (صموئيل الأول 8، 10 - 20). الويل الذي أعلنه الله على بيت أخاب سيتحقق فيما بعد من خلال المذبحة التي فتكت بالعائلة بأكملها (الملوك الثاني 9، 6 - 10).

النبي ميخا قصة هذا النبي جديرة بالاهتمام. نميز فيها الأنبياء الكذابين من النبي الحقيقي: 400 "نبي" - كلهم كذابون- يتفقوا ليعلنوا النصر للملكين اليهوديين. واحد فقط، ميخا، يناقضهم جميعاً. النبي الحقيقي وحيد دائماً في مواجهة الجميع. لاحِظ موقف ميخا الساخر: "إذهب فتنتصر..."، في حين أنه كان يعلم جيداً أن الملك سيخسر (الملوك الأول 22، 15). أدرك الملك سخرية ميخا: "كم مرة استحلفتك أن لا تكلمني باسم الرب إلا بالصدق؟" فيستعيد ميخا بصراحة: "أرى شعب إسرائيل مبعثرين على الجبال كغنم بلا راع..." (الملوك الأول 22، 17). يريد الناس أن يعرفوا الحقيقة، لكن إن لم تناسبهم، يرفضونها على حسابهم...

منذ زمن قريب، كانت توجد في فلسطين مدارس يهودية لتعليم النبوءة، مثل المدارس الإكليريكية المسيحية التي تعلم الكهنوت. لكن الأنبياء الحقيقيون ليسوا بحاجة لمدارس وهم مختارون من الله بعيداً عن هذه المؤسسات البشرية، كما كان حال جميع الأنبياء الكتابيين.

قارن بين عجرفة النبي الكذاب صدقيا الذي تجاسر على ضرب ميخا، وموقف هذا الأخير. نتعرف على النبي الكذاب من غطرسته، "كل شجرة يدل عليها ثمرها"، يقول يسوع (لوقا 6، 43 - 45). موقف ميخا (الملوك الأول 21، 24 - 25) مماثل لموقف يسوع تجاه خادم رئيس الكهنة الذي لطمه (يوحنا 18، 22 - 23).

النبي الحقيقي ليس بحاجة إلى استشارة الله بالأوريم والتميم كما كان يفعل الكهنة اللاويون. هذه العادة، لحسن الحظ، لم تعد موجودة بشكل رسمي. وحدهم المضطربون يمارسونها. عندما يختار الله نبياً، فهو يتجلى له. لاستشارة الرب، لسنا بحاجة إلى سحب الوجه أم القفا (الأوريم والتميم) كي نحصل على نصيحة جيدة، فالله يجيب دائماً المؤمنين الحقيقيين الذين يدركون كلامه في قلوبهم (إقرأ متى 7، 7 - 11 ؛ يوحنا 3، 21 - 22). قارن أيضاً موقف الأنبياء الكذابين الذين، ليستشيروا الله، كانوا يلجأون إلى السحر والحركات الاغتباطية التي تحملهم على الهذيان (راجع صموئيل الأول 10، 5)، مع رزانة ميخا الذي لم يكن بحاجة إلى كل هذا الإخراج ليكون على اتصال مع الله وليعرف أن السوريون سينتصرون على اليهود.

ميخا هذا، من الشمال، هو غير ميخا الذي يوجد كتابه بين الكتب النبوية، والذي كان من يهوذا، في الجنوب، وعاش بعد 150 سنة.

في كتاب الملوك الأول هناك نقطتان تاريخيتان علينا أن نحفظهما:

- البناء (العديم الجدوى) للمعبد الأول من قبل سليمان،

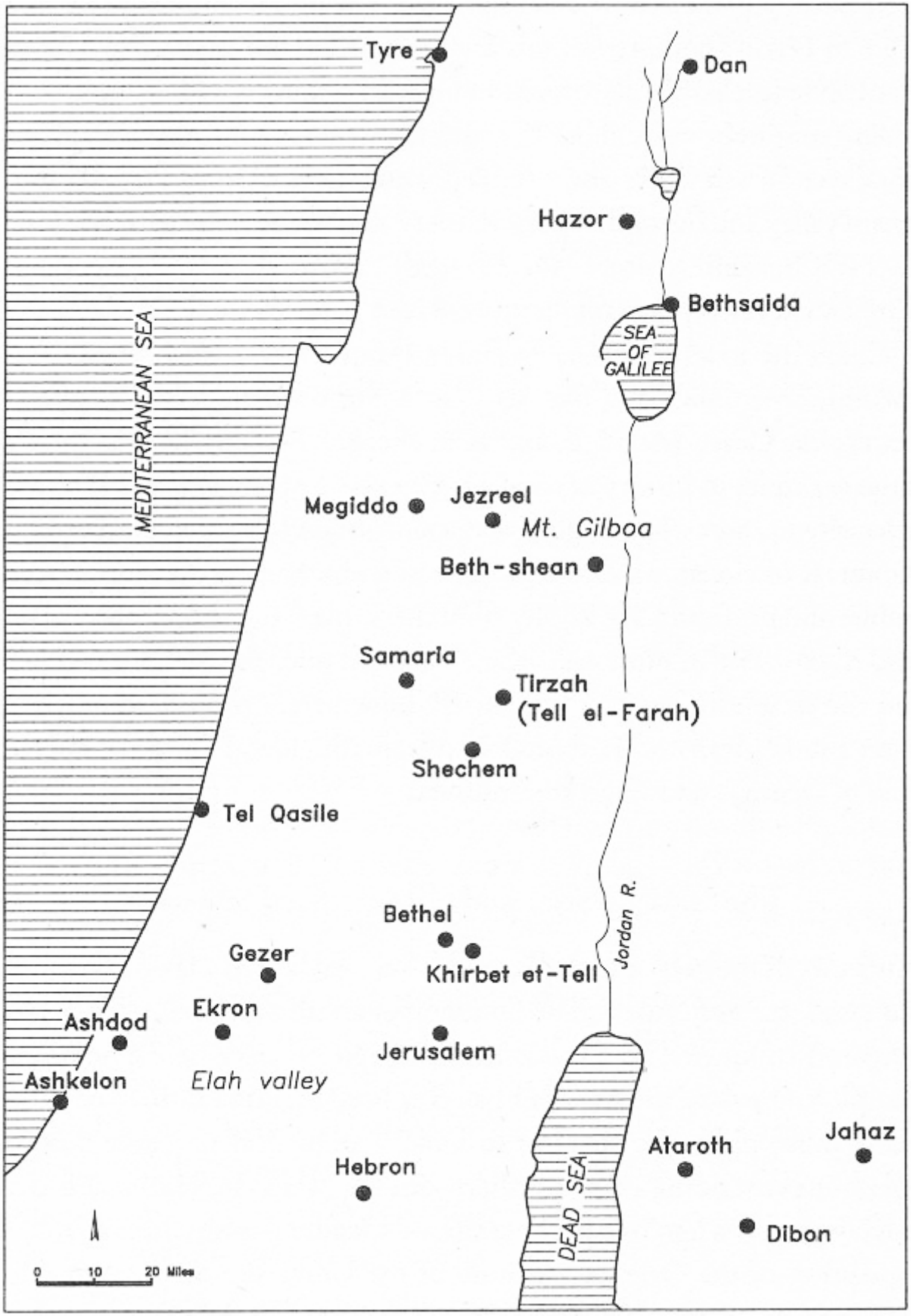

المواقع الرئيسية للفترة الملكية

- الانشقاق بسبب التوتر بين اليهود. هذا يعني إخفاق الملكية الإسرائيلية كما تنبأ به الله وأنبياءه.

2.8 كتاب الملوك الثاني

هذا الكتاب مهم من الوجهة التاريخية؛ إنه يتكلم عن الحدث المركزي الذي رسم تاريخ "الأمة" الإسرائيلية: السبي إلى أشور وإلى بابل. إنه إتمام تهديد موسى الذي حذر اليهود من أنه في حال الخيانة "يزيلهم الرب عن الأرض التي يدخلون ليمتلكوها" (التثنية 28، 62 - 63). الأنبياء الذين ستصادفهم في الكتب النبوية (إشعيا، إرميا، حزقيال، إلخ.) قد تنبأوا أيضاً بهذا العقاب.

إقرأ هذا الكتاب بانتباه شديد، دون أن تتعب نفسك بحفظ أسماء جميع الملوك الذين ستصادفهم. بعد ذلك ستقرأ تفسيراتي:

1-2.8 رفع إيليا

إيليا هو الشخصية الكتابية الثانية الذي لا يطاله الموت الجسدي. الشخصية الأولى كانت أخنوخ (تكوين 5، 24). لا يوجد إذاً قبر لإيليا على الأرض (الملوك الثاني 2، 11 - 18).

أليشع يخلف إيليا روحياً. لاحظ بأية قوة وبأي ازدراء يخاطب ملك الشمال، إضافة إلى رغبته في استشارة الله على صوت موسيقى العود العذبة (الملوك الثاني 3، 14 - 15): لا أوريم ولا تميم ولا هذيان. الموسيقى ترفع الروح عندما تكون متناغمة. المخطط الشيطاني الذي يطبقه عملاء "وحش الرؤيا" في نهاية الأزمنة هذه يهدف إلى إبعاد مؤمني الله بالموسيقى المحرّضة، المتنافرة، التي إيقاعها الصاخب يدمر النفس البشرية بكل ما للكلمة من معنى. داود، هو أيضاً، كان يمجد الله على أنغام الموسيقى؛ جميع مزاميره هي تراتيل وأناشيد تغنّى.

صنع أليشع المعجزات مثل إيليا: معجزة تكثير الزيت (الملوك الثاني 4، 1 - 7)، إحياء الصبي الميت (الملوك الثاني 4، 33 - 37) : لاحظ العدد 7 رمز الكمال. شفاء قائد الجيش السوري (الملوك الثاني 5، 14) يرجع إليه يسوع ليربك اليهود العنصريين (لوقا 4، 27). لاحظ أيضاً العدد 7 (الملوك الثاني 5، 10). هذا الغسل في نهر الأردن يرمز إلى المعمودية.

أشير إلى حادث ازدواجية التواجد: أليشع في مكان بعيد لكنه مع ذلك موجود: يرى خادمه، جيحزي، يبتز مالاً من نعمان (الملوك الثاني 5، 20 - 27).

نقطة أخيرة مهمة يجب أن تعرفها عن إيليا كي تفهم ماذا يقول يسوع عنه. قال الله بلسان النبي ملاخي: "ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الرهيب. فيصالح الآباء مع البنين، والبنين مع الآباء" (ملاخي 3، 23 - 24). منذ ذلك الوقت، واليهود يترقبون رؤية إيليا آتياً بشخصه قبل أن يظهر المسيح. والحال هو أن الرسل رأوا إيليا يتجلى مع موسى بعد مجيء يسوع ودُهشوا. يسوع فسر لهم أن المقصود كان يوحنا المعمدان (متى 17، 1 - 13). في الواقع، عندما أعلن جبرائيل لزكريا عن ولادة يوحنا، قال له: "يسير (يوحنا) أمام الله بروح إيليا وقوته، ليصالح الآباء مع الأبناء...فيهيىء للرب شعباً مستعداً له" (لوقا 1، 17). ليس المقصود إذاً إيليا بشخصه بما أن هذا الرسول سيسبق المسيح "بروح" إيليا، هذا الروح نفسه الذي، من قبل، "حل على أليشع" (الملوك الثاني 2، 15). لقد ظهر إيليا عند تجلي يسوع (متى 17) كي يكشف لنا أن نبوءة ملاخي قد تحققت مع يوحنا المعمدان (راجع متى 11، 10). قارن قوة إيليا تجاه أخاب وإيزابل مع قوة يوحنا المعمدان في وجه هيرودس وهيرودية (متى 14، 3 - 4). إنه نفس الروح الذي يتكلم بقوة ويتنبأ بشجاعة ضد الظالمين الكبار والأقوياء في هذا العالم. هذا الروح سيظهر من جديد في رؤيا يوحنا في نهاية الأزمنة المحددة للوثنيين (رؤيا 10، 11).

مع إيليا وأليشع نحن في حوالي سنة 850 ق.م. سننتقل إلى الفصل 17 ونتقدم 120 سنة لنرى السبيين: أولاً سبي الشمال (إسرائيل) ثم سبي الجنوب (يهوذا).

2-2.8 سبي الشمال (الملوك الثاني الفصل 17 إلى 19)

في سنة 721 ق.م (تاريخ للحفظ) غزا شلمنأسر ملك أشور "أرض إسرائيل وحاصر السامرة... فاحتلها وسبى شعب إسرائيل إلى أشور... (الملوك الثاني 17، 5 - 6)... وسقطت السامرة لأن بني إسرائيل خطئوا إلى الرب إلههم... وعبدوا آلهة أخرى... وأقاموا تماثيل وأنصبة... وصنعوا عجلين من المعدن المسبوك... وعبدوا البعل وأحرقوا له بنيهم وبناتهم في النار..." (الملوك الثاني 17، 7 - 17).

لم يسبي ملك أشور بني إسرائيل فقط، بل "جلب قوماً من بابل... وأسكنهم مدن السامرة" (الملوك الثاني 17، 24). هذا الوجود الغريب سيكون سبباً لاتساع الشقاق بين يهود اليهودية والسامريين الذين، منذ القدم، يحتقرهم بني يهوذا ولا يعتبرونهم يهوداً: "أنت يهودي وأنا سامرية، فكيف تطلب مني أن أسقيك؟" قالت المرأة السامرية ليسوع ثمانية قرون بعد هذا السبي. الإنجيل يفسر أنه بالفعل "اليهود لا يخالطون السامريين" (يوحنا 4، 7 - 9).

النبي إشعيا (من يهوذا) معاصر لهذا السبي. سنحاريب، إبن وخلف شلمنأسر، "هجم على مدن يهوذا المحصنة واحتلها" (الملوك الثاني 18، 13). حتى أورشليم كانت مهددة (الملوك الثاني 18، 17) وحزقيا، ملك يهوذا، استجار بمصر (الملوك الثاني 18، 21 - 24). أمام التهديدات المتواصلة، لجأ حزقيا لنصائح النبي إشعيا الذي طمأنه (الملوك الثاني 19، 1 - 7) من خلال نبوءته ضد سنحاريب المستعلي (الملوك الثاني 19، 20 - 31)، معلناً أن هذا

التسلسل الزمني لملوك وأنبياء العهد القديم (الملوك الثاني 14 إلى 25)

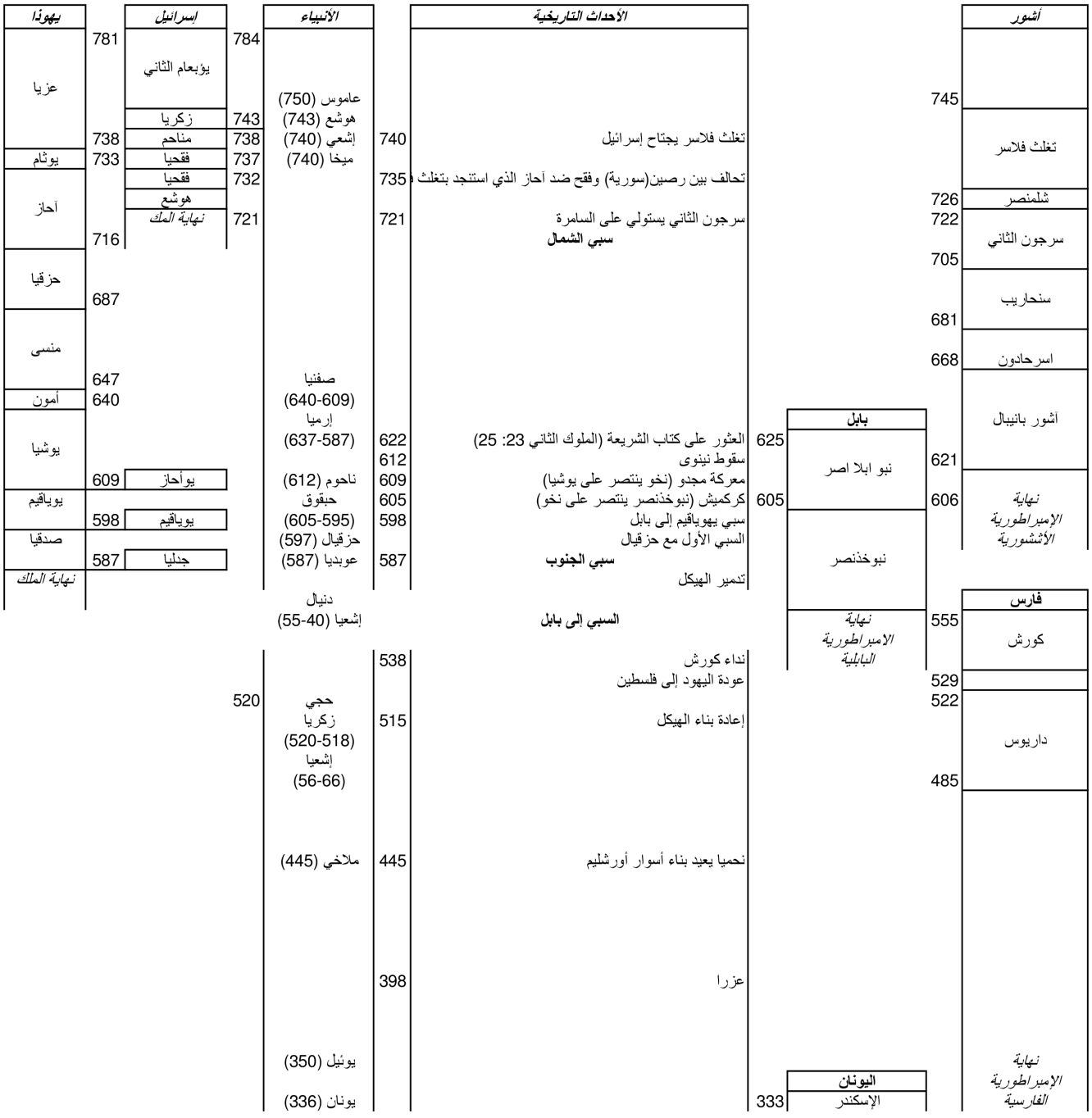

تسلسل الملوك الكتابيين (الملوك الثاني 14 إلى 25)

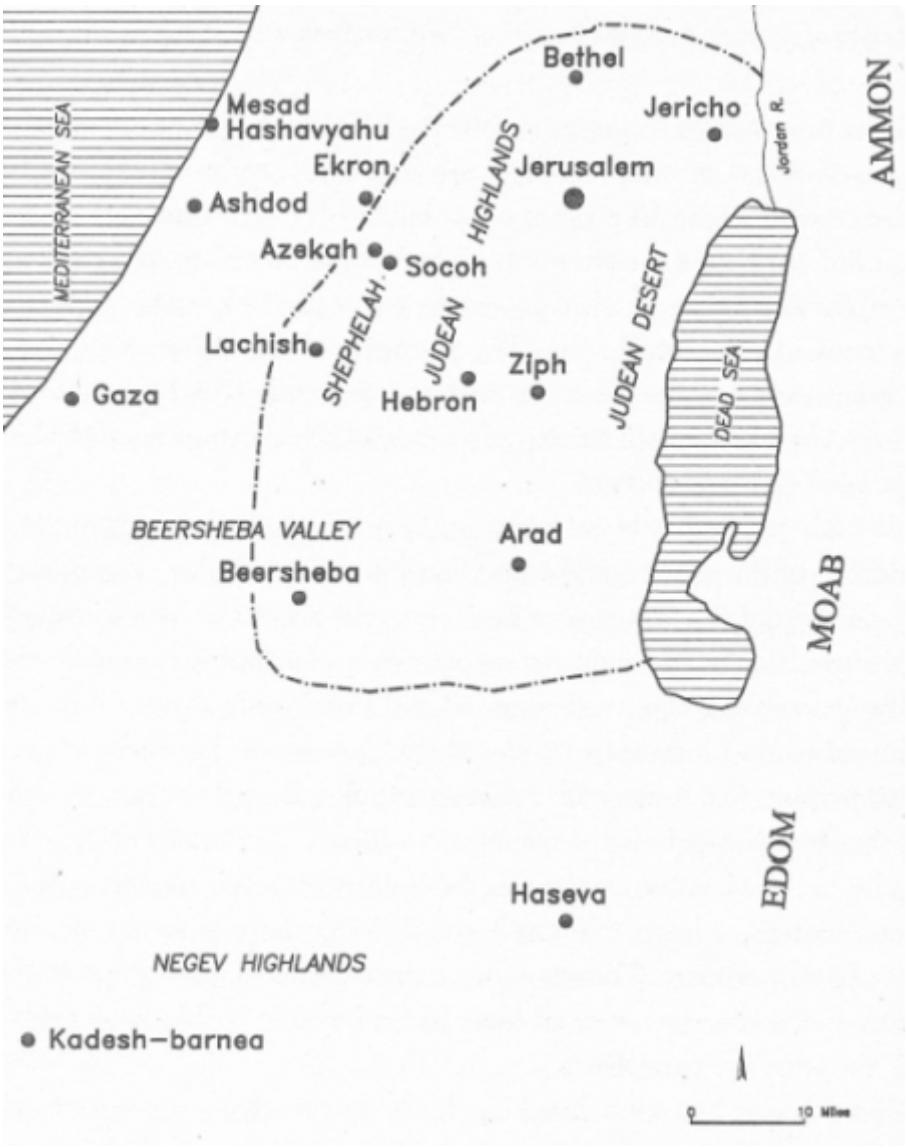

الأماكن الرئيسية في يهوذا تحت النظام الملكي
الخط المتقطع يشير إلى حدود منطقة نفوذ المملكة نحو نهاية القرن السابع ق.م، على عهد الملك يوشيا

الأخير "لن يدخل مدينة أورشليم" (الملوك الثاني 19، 3 - 34). غير أن بابل هي التي ستجتاح يهوذا بعد 150 سنة، كما تنبأ إشعيا لحزقيا الملك (الملوك الثاني 20، 12 - 19). كان ذلك الذِكر الأول للامبراطورية البابلية التي ستخلف الامبراطورية الأشورية بعد أن تغلبت عليها في معركة قرقميش (المذكورة في أخبار الأيام الثاني 35، 20).

هذا النبي، إشعيا، هو الذي كتابه موجود بين الكتب النبوية. في كتابه نجد كلام اللعن الذي قاله ضد بني يهوذا، لكن الذي لم يريد الكتبة في كتاب الملوك الثاني أن يأتوا على ذكره، مكتفيين بما يمدح بني يهوذا. أعلن إشعيا عن سبي الجنوب بسبب آثام بني يهوذا العديدة: "ويل للأمة الخاطئة، للشعب المثقل بالإثم، لنسل الأشرار والأمم المفسدين!... أرضكم خراب ومدنكم محروقة بالنار. حقولكم يأكل غلالها الغرباء أمام عيونكم" (إشعيا 1، 4 - 7). المقصود هو الاجتياح البابلي الذي سبق أن تنبأ به إشعيا لحزقيا (الملوك الثاني 20، 12 - 19).

جميع الأنبياء المذكورون في جزء الكتب النبوية من الكتاب المقدس عاشوا بدءاً من هذه الفترة وحتى 350 سنة تقريباً، مروراً بالاجتياح البابلي للجنوب (يهوذا)، الذي عاصره وتنبأ به النبي إرميا.

3-2.8 سبي الجنوب (الملوك الثاني 24، 10 / 25، 21)

قام الملك يوشيا بإصلاحات دينية ليتجنب العقاب. قام بترميم الهيكل وأخرج تماثيل بعل (الملوك الثاني 22، 3 - 7). لاحِظ أنه في قلب الهيكل كان يوجد "الوتد (القضيب) المقدس" بالإضافة إلى بيوت المأبونين (الملوك الثاني 23، 4 - 7). عبادة الأوثان والتضحية بالأولاد كانت تُمارس أيضاً (الملوك الثاني 23، 8 - 14). إصلاحات يوشيا شملت أيضاً هيكل السامرة، مملكة الشمال القديمة (الملوك الثاني 23، 15).

بالرغم من جميع إصلاحات يوشيا، هُزم هذا الأخير وقُتل على يد جيش الفرعون نكو في مجدو (609 ق.م). الأنبياء صفنيا، ناحوم وحبقوق عاصروا هذه الحقبة. كي تفهم كتبهم، عليك أن تضعها في إطارها التاريخي وأن تفهم الظروف التي تنبأوا خلالها.

معركة مجدو (الملوك الثاني 23، 29 - 30)، التي تكلم عنها الكتبة (الغاضبون من هزيمة هذا الملك مع أنه كان تقياً) بإيجاز، يجب أن تُحفظ وأن تُفهم جيداً. لقد اندلعت الحرب بين أشور الضعيفة وبابل القوية التي هاجمتها. أرادت مصر أن تساعد الأشوريين. حاول يوشيا أن يمنع الفرعون من الذهاب لنجدة الأشوريين. كان يريد أن يهزمهم لأنهم كانوا يحتلون شمال البلاد (السامرة) ويشكلون خطراً على أهل يهوذا. لم يكن يظن أن عليه أن يخشى البابليين. لقد أخطأ الظن. يوشيا والإسرائيليون كانوا يعتقدون أن بإمكانهم التغلب على جيش فرعون، لأن الله معهم بسبب الإصلاحات الدينية. لكن الحال لم يكن كذلك. الهزيمة في مجدو أوهنت عزيمة أهل يهوذا وألّف إرميا مرثاة عن هذا الموضوع. كتاب أخبار الأيام الثاني 35، 25 يحسن وصف هذه المعركة. بعد أن أصبحت ضعيفة، غدت يهوذا فريسة سهلة للملك البابلي نبوخذنصر.

في سنة 586 ق.م، دخل البابليون أورشليم وهدموا الهيكل (الهيكل الأول الذي بناه سليمان). أشراف يهوذا سُبيوا بدورهم (الملوك الثاني 25، 11 - 12)... مع عمودي الهيكل النحاسيين (الملوك الثاني 25، 16)، 135 سنة بعد سبي الإسرائيليين، كما تنبأ إشعيا (الملوك الثاني 20، 16 - 18 ؛ إشعيا 5، 13 ؛ إشعيا 39، 1 - 8).

تنبأ إرميا أن هذا المنفى سيدوم 70 سنة: يجب أن تحفظ هذه النبوءة الشهيرة (أخبار الأيام الثاني 36، 21 ؛ إرميا 25، 11). لاحظ أن السبي حصل على مرحلتين: سبي أول في سنة 598 ق.م (الملوك الثاني 24، 10 - 16)، يتبعه سبي آخر، بعد أحد عشر سنة (الملوك الثاني 25، 1 - 21). هُدم الهيكل أثناء السبي الثاني (587 - 586 ق.م).

3.8 أخبار الأيام الأول والثاني

تمت كتابة هذين الكتابين بعد عودة اليهود من السبي البابلي الذي دام 70 سنة. بعد عودتهم إلى فلسطين حرر الكتبة ملخصاً عن كل التاريخ الذي سبق هذه العودة من آدم إلى نداء كورش، ملك الفرس، الذي أطاح بالامبراطورية البابلية. سمح كورش للمنفيين أن يرجعوا إلى بلدهم. هؤلاء المسبيون لم يكونوا مؤلفين من اليهود وحدهم، بل أيضاً من الشعوب الأخرى المجاورة التي تغلب عليها نبوخذنصر. كل مجموعة كانت تستطيع أن تعود إلى وطنها الأم وتعيد بناء معبدها. هذا النداء التاريخي هو موجود في كتابي "أخبار الأيام"، وهي كلمة تعني "سلسلة تاريخية متوالية للأحداث".

ستجد إذاً في أخبار الأيام الأول والثاني الشيء الأساسي عن ما قد رُوي. إقرأهما دون أن تتأخر حتى الفصل 33 من الكتاب الثاني. الفصول الثلاثة الأخيرة (أخبار الأيام الثاني 34، 35 و 36) تستحق أن تُقرأ بانتباه. إحفظ ما يلي:

1-3.8 النبية خلدة

تعلن خلدة عن خراب يهوذا بالرغم من إصلاحات يوشيا. لكن لأن هذا الملك كان تقياً، سيموت. هكذا، "الشر الذي سينزل بأورشليم وسكانها لا تراه عيناه" (أخبار الأيام الثاني 34، 22 - 28 ؛ الملوك الثاني 22، 14 - 20).

2-3.8 مجدو وقرقميش

كتاب أخبار الأيام الثاني 35، 19 - 25 يروي هذه المعارك بطريقة أكثر تفصيلاً من كتاب الملوك الثاني 23، 29 - 30 الذي يتكلم فقط عن مجدو باختصار بالغ، دون التطرق إلى قرقميش، لأن هذه المعركة، على الأرجح، لم تكن بعد قد حصلت (فقد جرت في سنة 605 ق.م، 4 سنوات بعد مجدو) أو أيضاً لأن الكاتب لم يدرك أهميتها بالنسبة لليهود.

بالمقابل، كاتب (أو كتبة) أخبار الأيام كان يملك الوقت الكافي للتفكير حتى يحين وقت العودة من المنفى وإقامة الرابط بين الأحداث التي جرت.

لهذا السبب معركة قرقميش مذكورة في كتاب أخبار الأيام الثاني. وهي مهمة لأنها تنهي عهد الامبراطورية الأشورية وتكرس عهد الامبراطورية البابلية من خلال انتصار نبوخذنصر على نكو في سنة 605 ق.م. تلك كانت فرصة الأشوريين الأخيرة؛ لقد خسروا على الرغم من مساعدة جيش الفرعون المصري نكو.

لتفهم بشكل أفضل، يجب أن أخبرك عن معركة أخرى سبقت قرقميش وهي معركة نينوى في 612 ق.م. نينوى كانت عاصمة أشور على الضفة الغربية لنهر دجلة. اجتاحها ودمرها الملك البابلي نبوبلسر، والد نبوخذنصر، في سنة 612 ق.م. مات الملك الأشوري تاركاً وراءه بلداً ضعيفاً. الأشوريون استعانوا إذاً بمصر لتحرير وطنهم واسترجاع نينوى. تنظموا مع نكو في قرقميش، لكنهم هُزموا نهائياً في 605 ق.م، 7 سنوات بعد سقوط نينوى.

عاصر النبي ناحوم هذه الأحداث وأعلن عن سقوط نينوى. كتابه مخصص لهزيمة الأشوريين الذين لم يكن يحبهم بسبب اجتياحهم للسامرة وتهديدهم ليهوذا: "منك يا نينوى خرج المفكر بالسوء على الرب" (ناحوم 1، 11). "ويل لمدينة الدماء" (ناحوم 3، 1)... صعد المجتاحون (نبوخذنصر) عليك يا نينوى" (ناحوم 2، 3).

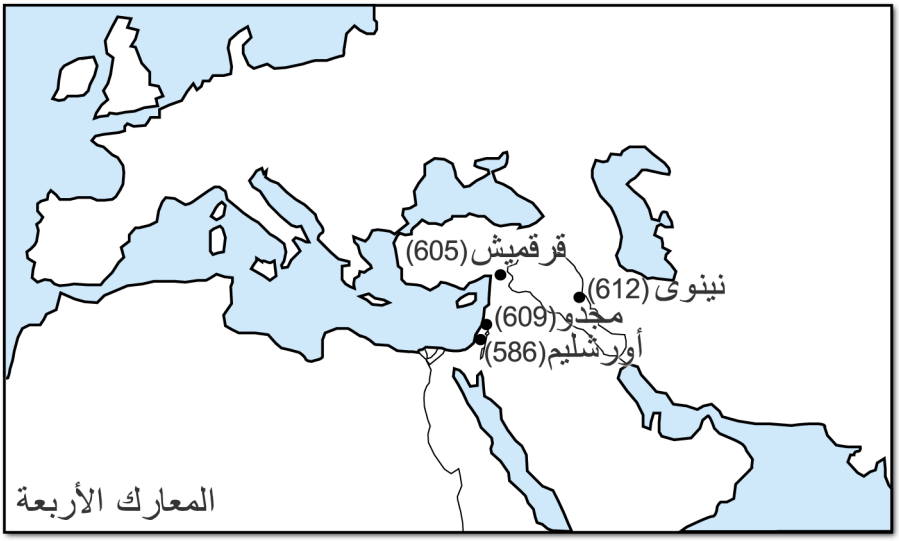

المعارك الأربع التي عليك حفظها

كان اليهود يأملون خيراً بعد سقوط نينوى. لكن، بالعكس، كانت فاجعة مجدو. كان النبي حبقوق يطمح إلى رؤية خلاص يهوذا، وكانت تُفرحه فكرة رؤية سقوط الأشوريين تحت "ضربات" الكلدانيين (البابليين): "ها أنا أثير البابليين، تلك الأمة الضارية المتسارعة، فتسير في رحاب الأرض لتمتلك ديار الآخرين (الأشوريين)" (حبقوق 1، 6). لم يكن حبقوق يتوهم أنه كان يجب على الكلدانيين أيضاً أن يحتلوا يهوذا ويخربوا هيكل أورشليم. النبي صفنيا، هو أيضاً، كان يفرح بدمار نينوى وكان يعلن أن الله "سيمد يده على الشمال ويبيد أشور. يجعل نينوى مقفرة قاحلة كالصحراء..." (صفنيا 2، 13). هذا ما حدث في 612 ق.م.

عليك أن تحفظ هذه المعارك الأربع كي تفهم فيما بعد الأنبياء:

- 612: نينوى: هزيمة الأشوريون الأولى. يقرر نكو مساعدتهم.
- 609: مجدو: يوشيا يحاول أن يمنع نكو، لكنه هُزم وقُتل.
- 605: قرقميش: هزيمة نكو والأشوريين. نهاية الامبراطورية الأشورية.
- 586: أورشليم: اجتاح البابليون أورشليم وخربوا الهيكل.

الـ 70 سنة من السبي التي أعلن عنها إرميا: إحفظ هذه النبوءة (أخبار الأيام الثاني 36، 21) التي المفيدة لتفهم نبوءات دنيال (دنيال 9، 1 - 2 و 9، 24).

نداء كورش (أخبار الأيام الثاني 36، 22 - 23) هو للحفظ. بهذا النداء يبدأ كتاب أستير (أستير 1، 1 - 4). هذا الكتاب، مع كتاب نحميا وأخبار الأيام، كُتبوا بعد العودة من السبي ليحكوا قصة عودة اليهود من بابل، وإعادة بناء الهيكل (أستير) والسور الذي يحيط بمدينة أورشليم (نحميا).

4.8 كتاب عزرا

هذا الكتاب يروي مراحل وصعوبات إعادة بناء الهيكل "على قواعده نفسها، مع أنهم كانوا خائفين من الشعوب المجاورة (الفلسطينيين والسامريين)" (عزرا 3، 3). إقرأه ثم عد إلى تفسيري.

نداء كورش، ملك الفرس (إيران)، يفتتح كتاب عزرا (عزرا 1، 1 - 4). يمكن مقارنة هذا النداء بوعد بلفور سنة 1917، وزير الخارجية البريطاني الذي وعد اليهود بوطن في فلسطين، من دون أن يسمح بالمقابل بإعادة بناء الهيكل مرة ثالثة (الهيكل الثالث). الهيكل الثاني تم بناؤه في حوالي سنة 515 ق.م، في أيام عزرا، ودمره الرومان سنة 70 م.

زربابل ويشوع (عزرا 2، 2) يظهران على لائحة الصهيونيين الذين رجعوا من المنفى، بعضهم فضل البقاء في بابل. زربابل هو ابن شألاتئيل، من العائلة الملكية، ووارث عرش داود، من هنا أهميته. يذكره متى في إنجيله كسلف للمسيح (متى 1، 12). يشوع هو كاهن. كلاهما شجعا على إعادة بناء الهيكل. لهذا السبب هاتان الشخصيتان هما مهمتان وتملكان قيمة روحية رمزية كونهما شاهدتان على إعادة بناء الهيكل.

السامريون أرادوا المساعدة في تجديد الهيكل، لكن، بما أنهم من الشمال، كانوا يعتبرون "أعداء بني يهوذا وبنيامين"، العشيرتان الجنوبيتان (عزرا 4، 1 - 3). لقد تم إذاً رفض مساعدتهم.

النبيان حجاي وزكريا، اللذان كتباتهما موجودة في عداد الكتب النبوية، عاشا في هذه الحقبة (عزرا 5، 1)، وشجعا على إعادة بناء الهيكل. تستطيع الآن قراءة الكتاب الصغير لحجاي. إنه من فصلين فقط. وهكذا تصبح في إطار فهمه. إقرأ أيضاً الفصل 4 من كتاب زكريا؛ يروي فيه رؤيتيه عن الزيتونتين، مشبّهاً إياهما بزربابل ويشوع، بانيا الهيكل. لكن كتاب رؤيا يوحنا يسترجع هذه الرؤيا ليكشف أن هاتين الزيتونتين هما شاهدي الرؤيا اللذين مهمتهما بناء الهيكل الروحي في نهاية الأزمنة (رؤيا 11، 3 - 4). الهيكل المادي، نعرف أنه لم يثير اهتمام الرب يوماً.

الهيكل الثاني، الأكثر تواضعاً من الأول الذي كان من خشب الأرز والذهب، خيب أمل "كثيرين من الكهنة واللاويين والشيوخ من رؤساء العشائر الذين رأوا (ترف) الهيكل الأول (هيكل سليمان الذي دمره نبوخذنصر) فبكوا بصوت عظيم" (عزرا 3، 12). لكن الجيل الجديد "هتفوا بفرح رافعين أصواتهم" عند رؤية هذا المقدس. انتهى بناؤه سنة 515 ق.م.

هذا الهيكل الثاني، الذي أُهمل ودنّس طوال قرون (راجع المكابيين الأول 1، 41 - 47)، تم توسيعه وزخرفته على عهد الملك هيرودوس. دام العمل فيه 46 سنة. هذا هو الهيكل الذي عرفه يسوع وتنبأ بخرابه (يوحنا 2، 13 - 21 / متى 24، 1 - 2).

عنصرية عزرا: لاحظ الذهنية الصهيونية التي أظهرها عزرا 9، 12؛ يطلب عزرا من اليهود أن لا "يطلبوا سلم أهل البلد (الفلسطينيين) ولا خيرهم"؛ قارن ذلك مع تعاليم يسوع لليهود: "أحبوا أعداءكم (الغير يهود الذين يعتبرهم اليهود دائماً كأعداء)... عاملوا الناس مثلما تريدون أن يعاملوكم..." (لوقا 6، 27 - 31).

"القلة" التي نجت: (عزرا 9، 8). هذه الفكرة عن "القلة القليلة" من اليهود الذين نجوا بعد سقوط المملكة الإسرائيلية هي عبارة شائعة في اللغة الكتابية والنبوية. الرب يضرب كل الشعب، لكن قلة تبقى لتواصل رسالة بني إسرائيل الروحية (إشعيا 4، 3 / 10، 20 - 22 / رومة 9، 27). الهدف من هذه القلة، رسالتها المقدسة، هو استقبال المسيح عند مجيئه. إنه عدد قليل بالفعل، قلة قليلة هم الذين تبعوا ودعموا يسوع، في حين أن العدد الأكبر اضطهده.

5.8 كتاب نحميا

نحميا هو من وجهاء العائلات اليهودية التي لم تعود من المنفى. كان يعيش في شوشن (في جنوب إيران)، وكان بإمكانه الدخول عند الملك، كونه الساقي والمسؤول عن الخمر الملكي (نحميا 2، 1). تجري أحداث القصة في سنة 445 ق.م، بعد أكثر من ستين سنة من العودة من السبي ونداء كورش. كان العمل في بناء الهيكل الثاني قد انتهى، لكن وضع اليهود المحزن في فلسطين "وسور أورشليم المهدوم وأبوابها المحروقة" (بعد مرور نبوخذنصر)، أحزنوا نحميا الذي أراد أن يساعد "الذين نجوا من اليهود المسبيين" (نحميا 1، 1 - 4) ويعيد بناء السور (نحميا 2، 7 - 8).

يروي لنا هذا الكتاب قصة عودة نحميا إلى فلسطين، مدعوماً من الملك الفارسي، بهدف إعادة بناء سور أورشليم. إقرأه.

6.8 كتب طوبيا، يهوديت وأستير

هذه الكتب تروي قصصاً عن السبي، وهي سهلة القراءة. طوبيا ويهوديت غير موجودان في الكتاب المقدس العبري.

7.8 كتابا المكابيين الأول والثاني

كتابا المكابيين يرويا لنا جزءاً من تاريخ الامبراطوريتين اللتين أعقبتا الامبراطورية الفارسية، أي الامبراطورية اليونانية والامبراطورية الرومانية.

لقد تعرفت على تاريخ طائفة بني إسرائيل في عهد الامبراطوريات الثلاث: الأشورية (سبي الشمال)، البابلية (سبي الجنوب) والفارسية (العودة من السبي). الأخبار الأخيرة نُقلت لنا عن طريق كتاب نحميا مع إعادة بناء حائط سور أورشليم حوالي سنة 445 - 450 ق.م. كتابا المكابيين يعطياننا معلومات حول الأحداث التي جرت في فلسطين وفي منطقة الشرق الأوسط بدءاً من سنة 175 ق.م، وحتى حوالي سنة 135 ق.م، إذاً خلال حوالي 40 سنة. الكتاب المقدس يتركنا دون أخبار حول ما جرى بين 450 و175 ق.م، وهي فترة 275 سنة.

هذان الكتابان غير موجودان في الكتاب المقدس العبري وينقلان إلينا نفس الأحداث. كتاب المكابيين الثاني، هو تقريباً إعادة لكتاب المكابيين الأول ويسترجع قصة مقاومة اليهود للامبراطورية اليونانية، بقيادة عائلة يهوذا المكابي، من حيث تسمية الكتابين. الملك اليوناني الأهم كان أنطيوخوس أبيفانيوس، الذي يجب أن تحفظ اسمه.

إقرأ كتابي المكابيين و من ثم تفسيري:

1-7.8 كتاب المكابيين الأول

الإسكندر الكبير: يبدأ الكتاب بذكر الإسكندر الكبير، ابن فيلبس الذي "هاجم داريوس ملك فارس ومادای، فقهره وملك مكانه" (المكابيين الأول). هذا الانتصار للإسكندر في معركة أربيل (العراق) في سنة 331 ق.م، أنهى عهد الامبراطورية الفارسية-المادية التي دامت 200 سنة تقريباً. مع الإسكندر يبدأ عهد الامبراطورية اليونانية.

أنطيوخوس أبيفانيوس: خرج من خلفاء الإسكندر "رجل شرير اسمه انطيوخوس الملقب بأبيفانيوس... ملك على انطاكية في السنة الـ137 من مملكة اليونان"، التي توافق سنة 175 ق.م (المكابيين الأول 1، 10). أراد أن ينشر الثقافة اليونانية بين اليهود "حتى أن جماعة منهم تحمسوا وذهبوا إلى الملك والتمسوا منه السماح لهم بممارسة تقاليد بقية الأمم. فسمح لهم بذلك. فبنوا ملعباً... وحاولوا ستر ختانهم...إلخ" (المكابيين الأول 1، 13 - 15). عدد كبير من اليهود تبنى نمط الحياة اليوناني (المكابيين الأول 1، 43 - 52).

"رجاسة الخراب": دنس انطيوخوس أبيفانيوس الهيكل ووضع فيه صنم زيوس، "رجاسة الخراب" (المكابيين الأول 1، 54). النبي دانيال هو الذي تكلم عن هذه "الرجاسة" قبل حوالي 400 سنة، متنبئاً أنه "في الهيكل ترتفع رجاسة الخراب" (دانيال 9، 27). في وقت المكابيين، اعتقد اليهود أن هذه الرجاسة كانت الصنم زيوس في الهيكل. لكن يسوع، متكلماً عن نهاية الأزمنة، يسترجع نبوءة دانيال هذه ليقول أنها لم تتحقق على عهد أنطيوخوس أبيفانيوس، لكنها ستتحقق في نهاية الأزمنة، عندما سيحتل أتباع المسيح الدجال أورشليم ويضللوا كثيرين من تلاميذ يسوع (متى 24، 15). في نهاية حياة أنطيوخوس ابيفانيوس، أسقط اليهود هذه "الرجاسة" (المكابيين الأول 6، 6 - 7).

الملك إسكندر بالاس، وهو وثني، يقيم يوناثان رئيساً للكهنة على اليهود. وافق هذا الأخير! في حين أنه كان عليه أن يرفض أن يُرسم كاهناً من قبل وثني يجهل الله. هاك كيف كانت تمارس العبادة الدينية... (المكابيين الأول 10، 15 - 21).

عهد اليهود مع الرومان (المكابيين الأول 8، 1 - 31 / 12، 1 - 23 / 14، 16 - 24 / 15، 15 - 21). إنها بداية الامبراطورية الرومانية التي ستكبر وتتوسع . من عادة الصهاينة أن يتحالفوا مع أمة قوية ليقيموا وطناً لهم في فلسطين. في القرن العشرين، سيتحالفوا أولاً مع بريطانيا، ثم مع الولايات المتحدة الأميركية للهدف نفسه.

2-7.8 كتاب المكابيين الثاني

كتاب المكابيين الثاني ليس تتمة للأول. إنه يتناول نفس الأحداث الموجودة في الأول، لكنه يتوقف عند هزيمة نكانور. يشكل ذلك خمسة عشر سنة من التاريخ، محتوى الفصول من 1 إلى 7 فقط من الكتاب الأول. كما أنه لم يأتي أبداً على أي ذكر للرومان.

إحفظ الامبراطوريات الخمس المتعاقبة:

1. الأشورية،
2. البابلية،
3. الفارسية-المادية،
4. اليونانية،
5. الرومانية.

من خلال معرفتك لها، ستفهم النبوءات بشكل أفضل. مثلاً، نبوءة دانيال التي تُعلن لنبوخذنصر الملك البابلي، أن المسيح سيظهر في عهد الإمبراطورية الثالثة بعد امبراطوريته (دانيال 2، 36 - 45). المقصود هو الإمبراطورية الرومانية التي وُلد يسوع في عهدها.

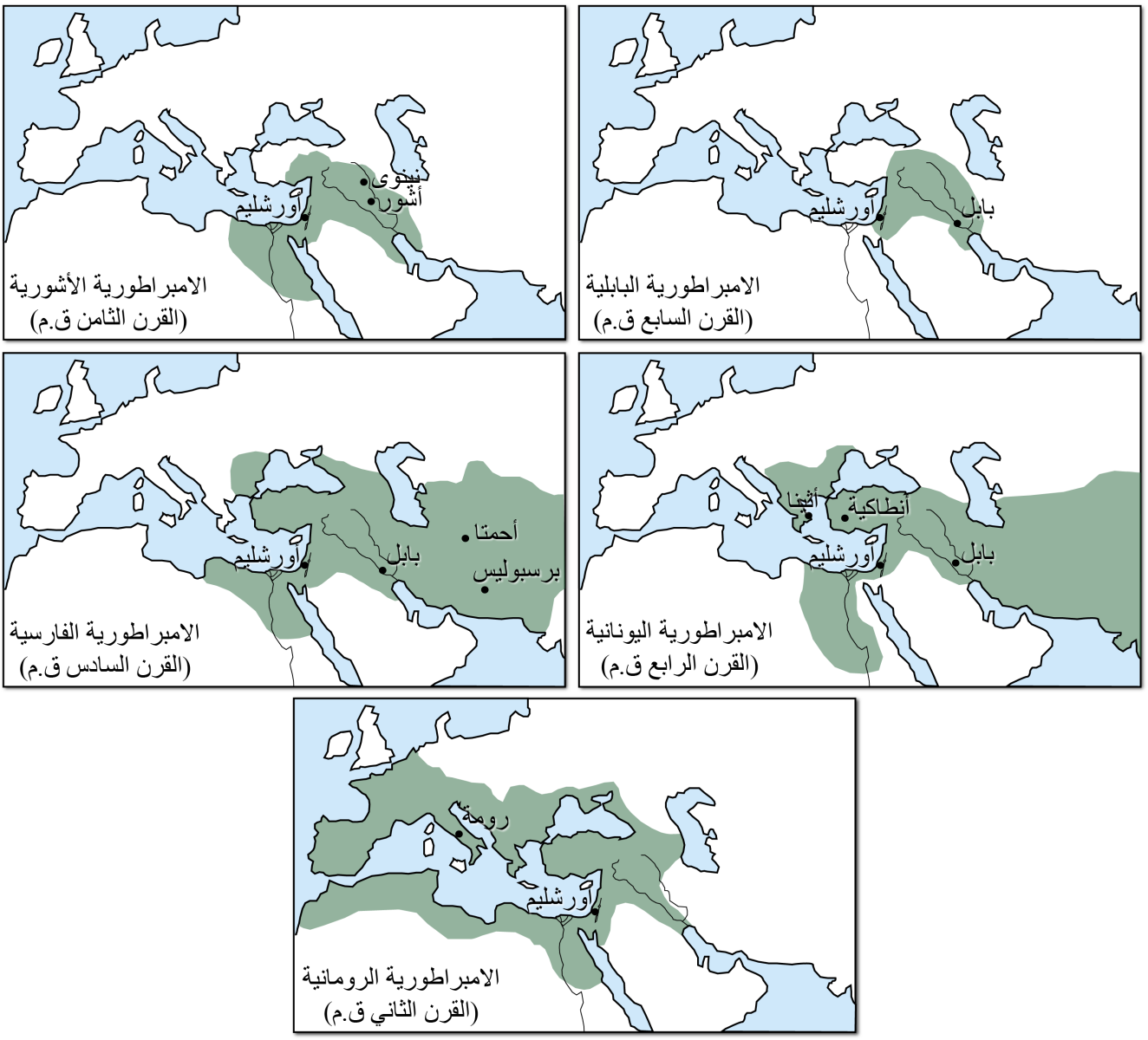

الامبراطوريات الخمس

9. الدرس التاسع – كتب الحكمة السبعة

1.9 أيوب

إقرأ تفسيري أولاً، ومن ثم الكتاب.

فيما مضى، وحتى اليوم أيضاً، بالنسبة لبعض المؤمنين، كان يسود الإعتقاد بأن الغنى، الصحة والأولاد كانوا بنعمة من الله، وأن العكس ينجم عن لعنة الله على الخاطئ. كل مصيبة كانت تفسر كعقاب إلهي.

والحال أن أيوب، رجل عادل نزيه ومؤمن، غني أنعم الله عليه بالصحة والبنين والبنات، عرف كتلة من المصائب والويلات: فجأة يخسر أمواله وأولاده، لكن دون أن يتمرد على الله: "عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك، الرب أعطى والرب أخذ، تبارك اسم الرب". خلال كل هذه المحنة لم يخطئ أيوب أبداً ولم يسمح لنفسه بأن يجدف على الله (أيوب 1، 20 - 22).

هذه المصائب ليست، كما كان يُعتقد، بسبب خطايا أيوب، بل بسبب الشيطان الذي كان يريد أن يضربه ليدفعه على الابتعاد عن الله ولعنه. هذا هو التعليم الكبير لهذا الكتاب: الله يسمح للشيطان أن يجرب إنساناً مستقيماً ومخلصاً لله ليخزي الشياطين الذين لم يعرفوا أن يثابروا في محبة الله الغير أنانية. مثل رجل واثق من إخلاص زوجته، يسمح لرجل فاتن بمغازلتها ليذهله بإخلاص زوجته الواضح.

بالفعل، تقول الرواية إن الشيطان يطلب من الله الإذن بتجربة أيوب: "مد يدك الآن ومس كل شيء له، فترى كيف يجدف عليك في وجهك. فقال الرب للشيطان: ها أنا أجعل كل شيء له في قبضة يدك، ولكن إليه لا تمد يدك" (أيوب 1، 11 - 12). (الشيطان هو عدو الإنسان).

بعد أن أظهر أيوب إخلاصه المدهش بعد التجربة، قال الله للشيطان: "عبدي أيوب لا مثيل له في الأرض لأنه رجل نزيه مستقيم وإلى الآن هو متمسك بنزاهته، مع أنك حرضتني عليه من دون سبب. فأجاب الشيطان: ...ولكن مد يدك ومس عظمه ولحمه، فترى كيف يجدف عليك في وجهك. فقال الرب للشيطان: ها هو الآن في قبضة يدك، ولكن احفظ حياته" (أيوب 2، 5 - 6).

فضرب الشيطان أيوب "بالجرب من باطن قدمه إلى قمة رأسه" (أيوب 2، 7). دفعته زوجته إلى التجديف على الله، لكن أيوب وضعها عند حدها قائلاً: "كلامك هذا كلام امرأة جاهلة. أنقبل الخير من الله، وأما الشر فلا نقبله؟ ومع هذا كله لم يخطأ أيوب بكلمة من شفتيه" (أيوب 2، 9 - 10).

هكذا انتصر أيوب في التجارب حتى بجسده.

ثلاثة أصدقاء لأيوب ذهبوا لزيارته في محنته ليكلموه ويدعونه للاعتراف بأنه خطئ ليستحق كل هذه الويلات. تنقل أحاديثهم بطريقة شاعرية، وكل واحد بدوره يحاول إقناع أيوب بأنه خاطئ. لهجتهم في غالبها كانت ساخرة، لا بل لاذعة وشريرة. لم يكن ذلك إلا ليزيد من ألم أيوب، كما ستلاحظ من خلال قراءتك النص. لكن أيوب، هو أيضاً، لم تنقصه الفطنة في إجاباته وكان يعرف كيف يضع حداً لمحادثيه وتأكيد براءته: "يا لك من معين للضعيف ومخلص للذراع الواهنة!" يقول بتهكم لأحد الثلاثة، "لمن توجه كلامك هذا؟ وأية روح خرجت منك؟ (هذا يعني ضمناً أنه ليس روح الله)... كيف لي أن أبرر كلامكم؟ (بأني خطئت) وأنا أموت ولا أنكر نزاهتي. أتمسك ببرائتي ولا أرخيها، وضميري لا يؤنبني بشيء". ذلك كان موقف أيوب الثابت (أيوب 26، 1 / 27، 5).

لأحد هؤلاء الأصدقاء الذي جاؤوا ليربكوا أيوب زاعمين أنهم يعرفون أسرار الله ودوافعه ليتصرف ضده، يجيب الله: "أنا غاضب عليك وعلى صاحبيك لأنكم ما تكلمتم أمامي بالصدق كعبدي أيوب" (أيوب 42، 7). "وردّ الرب أيوب إلى ما كان عليه من جاه... وزاد الله أيوب ضعف ما كان له من قبل... وبارك الرب أيوب في آخر أيامه أكثر من أولها" (أيوب 42، 10 - 12).

إقرأ الآن هذا الكتاب وافهم أن مغذاه الأخلاقي هو أن الله يسمح بتجربة الإنسان النزيه. هذا يهدف إلى إرباك عقلية المؤمنين المماثلة لعقلية أصدقاء أيوب. إنها تهدف فوق كل شيء إلى تحضير المؤمنين لفهم عذابات المسيح الآتي، العادل بامتياز، الذي يتألم لا بسبب خطاياه، بل بسبب خطايا الآخرين وجرائمهم العديدة.

2.9 كتاب المزامير

ليس من الضروري، في هذه المرحلة، أن تقرأ كل الكتاب دفعة واحدة. سأتناول بعض المزامير وسيكون بإمكانك الرجوع إليها تدريجياً كلما قدمتها لك.

هذا الكتاب هو مجموعة من المزامير الكثيرة الأهمية. المزمور هو صلاة تنشد على وقع آلة موسيقية، يدعوها المسيحيون "ترتيلة" ويتوجهون بها إلى الله، إلى المسيح أو إلى العذراء القديسة.

أغلب المزامير ألّفها داود في مناسبات مختلفة. يشار إلى هذه المزامير كالتالي: "المزامير 3: مزمور لداود. عند فراره من وجه أبشالوم ابنه" إلخ... بعض المزامير هي لسليمان (المزامير 72)، لآساف (المزامير 73 - 83)، لبني قورح (المزامير 84) إلخ... مؤلفو بعض المزامير مجهولون.

يوجد في المجموع 150 مزموراً. الكتاب المقدس اليوناني يقسم المزمور 9 إلى مزمورين، 9 و 10. هذا يعقّد قليلاً الترقيم بدءاً من المزمور 11 الذي يصبح 11 (10)، كون (10) هو الترقيم في الكتاب المقدس العبراني. بالمقابل، المزمور 147 يجمع المزمورين 146 و 147. هكذا ستجد دائماً 150 مزموراً في جميع الكتب المقدسة.

كلمة الآن عن المزامير الرئيسية: المزامير الأكثر أهمية هي المزامير المسيحية، يعني التي تتكلم عن المسيح الآتي. إنها بالأخص تلك التي سأتناولها:

1-2.9 المزمور 2

هذا المزمور يقدم المسيح كملك مقدس من الله وكإبن له: "ملوك الأرض يثورون وحكامها يتآمرون معاً على الرب، وعلى الملك الذي مسحه الرب (المسيح، الذي مسحه الرب بطيب إلاهي، كما كانوا يمسحون ملوك الأرض بالزيت المعطر أثناء التكريس): لكن الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم. يؤنبهم في غضب، وفي غيظه يرعبهم. يقول: أنا مسحت ملكي على صهيون جبلي المقدس. دعوني أنا الملك أخبر بما قضى به الرب (إنه المسيح الذي يتكلم مسبقاً): قال لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك. أطلب فأعطيك ميراث الأمم وأقاصي الأرض ملكاً لك".

مؤلف هذا المزمور المسيحي مجهول. المسيح الذي أعلنه الله في هذا المزمور ملكاً لجميع الأمم، أعطيت له "ميراثاً". الشيطان جرب يسوع واعداً إياه بإعطائه الامبراطورية السياسية على العالم (متى 4، 8-10). رفض يسوع لأن ملكوته "ليس من هذا العالم" (يوحنا 18، 36). السلطان الموعود للمسيح في هذا المزمور يجب أن يُفهم روحياً، لا سياسياً كما قدمه الشيطان ليسوع.

اليهود هم أيضاً أرادوا (ولا زالوا) أن يفهموا مُلك المسيح ساسياً. لذلك قاوموا (ولا زالوا حتى اليوم) يسوع؛ لقد اضطهدوه هو ورسله. القديس بطرس يطبّق هذا المزمور على يسوع ويدين "هيرودوس وبنطيوس بيلاطس وبني إسرائيل والغرباء" على أنهم هذه المؤامرة المدبرة من قبل "ملوك الأرض" الذين يتكلم عنهم هذا المزمور، "الذين تحالفوا كلهم على الرب ومسيحه" (أعمال 4، 25 - 28).

ملكوت المسيح لا يمكنه أن يكون سياسياً بما أن الله يقول: "أنا مسحت ملكي على صهيون جبلي المقدس". والحال أن المُلك في إسرائيل، كما رأينا في صموئيل الأول 8، لم يكن ليرضي الله: بل أن الله أدانه. في هذا المزمور المقصود هو المملكة الروحية التي أقامها يسوع، المسيح الكاهن الذي اختاره الله ليكون السيد الروحي على العالم بأكمله بالرغم من كل الذين يقاومونه.

2-2.9 المزمور 22

هذا المزمور يصف المسيح المتألم، المقتول، لكن الذي قام من الموت بعد التجربة. يسوع، على الصليب، لفظ بداية هذا المزمور المسيحي لينسبه إلى نفسه ويربك اليهود الذين كانوا يرون في صلبه علامة لعنة من الله. يبدأ المزمور مع المسيح المنتظر فيقول: "إيلي (إلهي)، إيلي (إلهي)، لما شبقتاني (لماذا تركتني)؟" (متى 27، 46). البعض لا يفهم الأسباب العميقة التي جعلت يسوع يتفوه بهذه الكلمات؛ أساءوا التفسير ظناً منهم أن يسوع يشعر أن الله قد تخلى عنه. أعداء يسوع يقولون إن يسوع فهم، وهو على الصليب، أن الله قد لعنه. اليهود الذين صلبوه اعتقدوا أنه كان ينادي النبي إيليا لنجدته (متى 27، 49). الحقيقة هي أن صرخة يسوع الأخيرة هذه هي نبوئية، كلماته الأخيرة هي نور للذين يريدون أن يروا فيها إتماماً نبوئياً. لأن يسوع يحيلنا إلى كلمات المزمور 22 ، حتى عندما كان يسلم الروح، لتأكيد إيماننا به. داود، في هذا المزمور، يعيش مسبقاً المسيح الذي يتعرض للقتل محاطاً بأعدائه. يبدأ المزمور بنفس الكلمات التي لفظها يسوع وهو يسلم الروح:

"إلهي، إلهي لماذا تركتني؟ ... إلى تراب الموت أنزلتني... الكلاب يحيطون بي. زمرة من الأشرار يحاصرونني، ثقبوا يدي ورجلي... يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون... (المزامير 22، 17 - 19)... جميع الأمم تتذكر الرب ترجع إليه من أقاصي الأرض (المزامير 22، 28)... له تحيا نفسي (هذه الكلمات تشير إلى قيامة يسوع)، وإياه تعبد ذريتي... لأنه قد صنع صنيعاً"(المزامير 22، 30 - 31).

هذا المزمور لا يمكنه أن ينطبق على داود، مؤلفه. فهذا الأخير لم يموت محاطاً بأعدائه، ولم تثقب يداه ورجلاه.

هذا المزمور النبوئي يشبه الفصل 53 من كتاب أشعياء الذي تنبأ بآلام، موت وقيامة المسيح.

3-2.9 المزمور 110

هذا المزمور يقدم المسيح المنتظر كـ ملك وكاهن في نفس الوقت:

"يمد الرب من صهيون صولجان عزتك (المزامير 110، 2)... أقسم الرب ولن يندم أن أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق" (المزامير 110، 4).

لا ملكية المسيح ولا كهنوته لم يُكشفا كما كان بني إسرائيل يتصورونهما ويمارسونهما. الملكية المسيحية ليست وفقاً لسلالة داود السياسية (التي، على أي حال، قضى عليها نبوخذنصر)، والكهنوت المسيحي لا يشبه بشيء كهنوت لاوي بما أنه "على رتبة ملكيصادق"، لا على رتبة لاوي. ذلك يعني تغييراً جذرياً للعبادة اليهودية كما يفسر بولس في الفصول من 5 إلى 7 من رسالته إلى العبرانيين. من خلال ذبيحته، وضع يسوع حداً للذبائح، للكهنوت والمملكة اليهوديين.

مع كتاب الرؤيا تنفتح حقبة جديدة حيث كل المؤمنين الحقيقيين بالمسيح يسوع يصبحون "ملكوت كهنة" (رؤيا 1، 6)، كما أراد الله منذ البداية (خروج 19، 6)، لكن دون أن يُفهم. القلب الكهنوتي هو القادر على الرحمة، الذي يقدر أن يتألم مع الإنسان العادل المضطهد من الإنسان الظالم، الذي يعرف أن يدافع عن الفقير المتهم زوراً وأن يشهد للعدل والحق بفضحه هوية المسيح الدجال، وحش كتاب الرؤيا (رؤيا 13، 18)، حتى ولو على حساب حياته. هذه هي الذبيحة الكهنوتية التي ترضي الله.

المزامير الباقية تتألف من أناشيد التسبيح لله، التجاء إلى جبروته ضد عدو ظالم أو صلاة شكر وامتنان. نتعرف على المزامير من خلال بتلاوتها مع الروح القدس الذي هو في يسوع، وليس وفق ذهنية مصلحة شخصية أو صهيونية.

3.9 كتاب الأمثال

يحتوي هذا الكتاب على أمثال ذات أخلاقية عالية يجب قراءتها من وقت لآخر للتعمق بالحياة الروحية والتحمس للبحث عن الحكمة: "الحكمة تنادي في الشوارع... (الأمثال 1، 20)... إلى متى، أيها السذج، تحبون السذاجة والساخرون يبتغون السخرية والجهال يبغضون العلم؟ (الأمثال 1، 22)... يا ابني، إن قبلت أقوالي... تجد معرفة الله" (الأمثال 2، 1 - 5).

إقرأه بسرعة مرة أولى لتتعرف عليه. ثم عد إليه باستمرار للتعمق واكتساب الحكمة.

4.9 كتاب الجامعة

إنه مجموعة تعاليم "كوهيليث"، الذي يعني في العبرية "القارئ" في الجماعة. إنه إذاً كلام حكيم يقدّمه واعظ للجماعات الدينية. جوهر تعليمه هو أن كل شيء يعيد نفسه على الأرض. من يعيش لهذه الأرض لن يجد سوى الرتابة. الخلاصة هي أنه يجب البحث عن الحياة الأبدية. هي وحدها يمكنا أن ترضي الإنسان: "باطل الأباطيل يقول الجامعة، باطل الأباطيل، كل شيء باطل" (الجامعة 1، 2). كل شيء مادي نفعله ليس له أي فائدة سوى لوقت حياتنا "تحت الشمس"، فذلك لا يستحق العناء الذي نوليه إياه: "وإذا كان رجاؤنا في المسيح لا يتعدى هذه الحياة، فنحن أشقى الناس جميعاً"، يقول بولس (كورنثوس الأولى 15، 19).

5.9 نشيد الأنشاد

إنه حوار حب بين العريس (الله) وعروسه (المختارون).

نقطة ملفتة للنظر: العروس لا تأتي أبداً من إسرائيل، بل من لبنان: "تعالي معي من لبنان يا عروس، معي من لبنان" (نشيد 4، 8). غالباً ما يُنظر إلى لبنان على أنه المكان الذي يخرج منه مختارو الله. يعلن حزقيال انتصار الأرز (رمز لبنان) على جبل صهيون: "قال السيد الرب: سآخذ من أعالي الأرز، من رأس جذوعه غصناً وأغرسه على جبل شامخ شاهق. في جبل إسرائيل العالي أغرسه، فيطلع أغصاناً ويثمر ويصير أرزاً رائعاً... أنا الرب قلت وفعلت" (حزقيال 17، 22 - 24). إن الله، بالفعل، قد فتح كتاب رؤيا يوحنا من لبنان ليفسره للعالم بأكمله ويثمر ثمراً كثيراً.

موضوع العروس والعريس يستعيده كتاب الرؤيا. العروس تنادي العريس: "آه نعم، تعال أيها الرب يسوع" (رؤيا 22، 17 - 20). ستفهم كل ذلك فيما بعد مع دراسة كتاب الرؤيا.

6.9 كتاب الحكمة

إنه كتاب يحث على البحث وعلى معرفة الله الذي حكمته ليست كحكمة البشر: "إن كان الصديق ابن الله فهو ينصره وينقذه... فلنمتحنه بالشتم والعذاب... ولنقض عليه بأقبح ميتة فإنه سيُفتقد كما يزعم. هذا ما ارتأوه فضلوا؛ لأن شرهم أعماهم، فلم يدركوا أسرار الله..." (الحكمة 2، 18 - 22). قال اليهود هذا الكلام عن المسيح وهو على الصليب (متى 27، 41 - 43). ليس من الحكمة، بل من الجنون التكلم هكذا!

يدعو هذا الكتاب إلى فهم حكمة الله وعدم الاقتداء بحكمة البشر الخاطئة.

7.9 كتاب يشوع بن سيراخ

كتبه يشوع بن سيراخ. إنه كتاب الجماعة، وليس كتاب القارئ الذي يقرأ أو يتكلم في الجماعة، كما هو حال كتاب الجامعة. إنه إذاً كتاب يُقرأ كما هو في اللقاءات، في الكنيس مثلاً. هذا الكتاب غير موجود في الكتاب المقدس العبري، لكنه كان يُقرأ في في المعابد اليهودية في الماضي نظراً لأهميته الأخلاقية. كباقي كتب الحكمة، إنه يدعو إلى التقرب من الله، إلى محاولة معرفته، إلى فهمه على الرغم من جميع الصعوبات، إلى التسلح بالصبر في التجارب، لأن الوصول إلى هذه المعرفة يستحق كل العناء:

"كل حكمة هي من الرب ولا تزال معه إلى الأبد (سيراخ 1، 1)... إن رغبت في الحكمة، فاحفظ الوصايا، فيهبها لك الرب (سيراخ 1، 33)... يا بني، إن أقبلت لخدمة الرب الإله، فاثبت على البر والتقوى، وأعدد نفسك للتجربة (سيراخ 2، 1)... مهما نابك فاقبله، وكن صابراً على صروف اتضاعك، فإن الذهب يمحص في النار، والمرضيين منى الناس يمحصون في أتون الاتضاع (سيراخ 2، 4 - 5)".

لقد تعرفت على كل كتب الحكمة. إنها جديرة بأن تقراءها عدة مرات، وسيكون بإمكانك كل أيام حياتك أن تقرأ مقتطفات منها لتغذي وترفع روحك. لم أفعل سوى أنني أشرت إليك بالخطوط العريضة، لكن مجهودك الشخصي هو الذي سيجعلك تقطف ثمار الحكمة الروحية الناضجة بقدر ما ستطبقها على نفسك، خلال كل أيام حياتك، من خلال معرفة الله ومسيحه: "الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته"، قال يسوع (يوحنا 17، 3).

في الوقت الحاضر، إكتف بهذه القراءة الأولى التي قمت بها لكتب الحكمة وتابع دراسة الكتاب المقدس مع الكتب النبوئية.

10. الدرس العاشر - الكتب النبوية الأربعة الكبرى

1.10 المقدمة

الآن أصبحت تملك بعض المعرفة عن التركيبة التاريخية للشعب الذي خلقه الله لاستقبال المسيح يسوع. فصرت قادراً على فهم الأنبياء. دون هذه المعرفة، لا أحد يمكنه أن يفهم تلميحات هؤلاء الرجال الذين أرسلهم الله ليقوّموا انحرافات الإسرائيليين المتواصلة، والتي نحن جميعاً معرضون لها. هذا يجعل كلام الأنبياء صالح لبشر كل الأزمنة، إن كنا بالمقابل قادرين أن نترجمها وأن نطابقها مع السياق التاريخي للفترات الزمنية المختلفة.

دراسة الكتب النبوية تعطي صورة مكملة للكتب التاريخية وتكشف المعنى الروحي للأحداث ولأهداف الله الحقيقية التي غالبا ما تكون مبطنة. علينا أن نعرف كيف نقرأ بين السطور لنفهم الأنبياء وندرك خفايا تلميحاتهم. لقد عاشوا في بيئة صهيونية تطغى عليها السياسة، وغالبا ما عانوا صعوبات لا تقهر ليبينوا أفكار الله الروحية والمناهضة للصهيونية. لقد تعرضوا في أكثر الأحيان للتعذيب والاضطهاد، واعتبروا خونة لـ "الوطن" والمملكة، الوطن والمملكة اللذان ما أرادهما الله أبدا. لم يُعترف بهم كأنبياء إلا بعد موتهم، بعد أن اضطهدوا خلال حياتهم (إقرأ ما يقول يسوع بهذا الشأن في متى 23، 29 - 39).

النبي هو ناطق بلسان الله. الله يتجلى للنبي ليطلب منه أن يعلن رأيه، نصائحه أو أحكامه على الأحداث ومواقف الناس، خصوصاً الرؤساء المسؤولين (ملوك، كهنة). هؤلاء هم مدعوون، تحت طائلة العقاب الإلهي، للخضوع لمطالب وأفكار السماء. في أكثر الأحيان، كان المقصود هو التخلي عن الذهنية الصهيونية (التعلق المَرَضي بالامتلاك الحصري للأرض الفلسطينية وبالامبراطورية الإسرائيلية). إرميا، على سبيل المثال، اضطُهد، كما سترى، لأنه طلب من اليهود أن يستسلموا لنبوخذنصر ولأنه تنبأ بدمار الهيكل.

جوهر الرسالة النبوية يدور حول نقطتين:

1. السبي كعقاب على الخيانة،
2. إرسال مخلص (المسيح) في المستقبل تصوّره اليهود، على نحو غير صحيح، قائداً سياسياً عسكرياً.

الكتب النبوية هي كتابات عن كلام وأعمال الأنبياء الذين عاشوا قبيل، أثناء، وبعيد السبي. لقد تنبأوا إذاً بالسبي، عاشوه وأعلنوا عن عودة المسبيين (بعد 70 سنة من السبي) وعن إعادة بناء الهيكل (الثاني).

فتك هذا الحدث (السبي) بالروح الإسرائيلي بالعمق. كان اليهود وكأنهم يترقبون الحل للمأساة التي كانوا يعيشونها، ساعين إلى "خلاص إسرائيل" (وفق المصطلح النبوي). خلال عدة قرون، كان أمل الخلاص يحوم حول شخص المسيح المنتظر بتلهف وعطش شديدين. لكن كان على هذا المسيح أن يحرر النفس من الخطيئة، لا اليهود من وضعهم السياسي.

قبل قراءة كتاب أي نبي، يجب وضعه في سياقه التاريخي: هل كان موجودا قبل، أثناء، أو بعد الغزو الأشوري للشمال (إسرائيل: 721 ق.م)، سقوط نينوى (612 ق.م)، معارك مجدو، قرقميش، الغزو البابلي للجنوب (يهوذا)، العودة من السبي، إعادة بناء الهيكل (515 ق.م)؟ هذه المراحل التاريخية تواكب الكتب النبوية. إحفظها.

يجب أن نميز الأنبياء الذين هم موضوع هذه الكتب من الأنبياء الآخرين، مثل إيليا وأليشع، أو أيضا مجموعة الأنبياء المذكورين في صموئيل الأول 10، 5 - 6. لا نملك عن هذين الأخيرين أي مؤلف، ولا نعرف عنهما إلا ما ترويه الكتب التاريخية.

الأنبياء الذين سنراهم (الذين يعتبرون أنبياء "كتبة") عاشوا خلال مدة حوالي 300 سنة (من 750 ق.م حتى 450 ق.م). ينقسمون إجمالا إلى مجموعتين:

1. الأنبياء الأربع "الكبار": إشعيا، إرميا، حزقيال، دانيال.
2. الأنبياء الاثني عشر "الصغار".

الأنبياء الأولون يقال عنهم "كبار" لأن كتبهم أكبر من كتب الاثني عشر الآخرين "الصغيرة" وليس وفقاً لرتبة روحية (قارن الفصول الـ 66 من كتاب إشعيا مع الفصول الـ 4 ليوئيل والفصل الوحيد لعوبديا).

مع الأنبياء الأربع الكبار، سأضمن دراسة كتاب إرميا، كتاب "مراثي إرميا" والكتاب الصغير للنبي "باروك" الذي يلي كتاب إرميا، لأنه كان تلميذ وأمين سر هذا الأخير. كتاب باروك غير موجود في الكتاب المقدس العبري.

بعض الكتب المقدسة (ككتاب أورشليم) تضيف مقدمات مفيدة على الكتب التاريخية. فتساعد بذلك على التعرف على العهد الذي عاش فيه النبي وعلى فهمه بشكل أفضل. أنصحك، فيما بعد، أن تتعمق بمعرفة نبي أو اثنين. أقترح عليك إرميا القريب منّا نفسياً، ومن يسوع روحياً.

نستهل الأنبياء الأربع الكبار بإشعيا. كما هو الحال بالنسبة لجميع الكتب النبوية، لا تقرأها إلا بعد قراءة توضيحاتي.

2.10 إشعيا

كان إشعيا موظفاً ملكياً رفيع المستوى. كان له تأثير كبير على أحداث عصره. ولد نحو سنة 765 ق.م. في سنة 740، في سن الـ 25، شاهد إشعيا رؤيا يوكل الله إليه من خلالها مهمة شاقة وشجاعة ألا وهي الإعلان عن انهيار إسرائيل، يتبعه فيما بعد انهيار يهوذا، كعقاب على خيانات اليهود المتعددة.

في الفصل السادس، يروي إشعيا رؤياه التي يطلب الله منه فيها قائلاً: "من أرسل؟ من يكون رسولا لنا؟". فيجيب إشعيا دون تردد، وبكل شجاعة: "ها أنا لك، فارسلني". كان عليه، بالطبع، أن يكون قوي الشخصية ليقبل المهمة الشاقة والخطرة؛ أن يفضح ملوك ونافذين في البلاط الملكي. إرميا، كما فعل موسى، بدأ برفض العرض الإلهي (إرميا 1، 6). توبيخ النافذين ليس مهمة سهلة ومستحبة، حتى ولو كان بأمر من الله، فذلك لا يتم أبداً من دون التعرض لاضطهاد لا يحتمل. كانت شجاعة إشعيا باهرة.

إقرأ الآن هذا الفصل السادس، ففيه ينبئ الله اليهود بالسبي: "تصير المدن خربة بغير ساكن، والبيوت بغير بشر... لأن الرب يبعد عنها الشعب، ويكون فيها فراغ عظيم" ولن يبقى فيها إلا "العشر منهم... فيكون زرعاً مقدساً"، هذا العشر هو "القلة" الباقية التي تكلمت عنها، والتي يوفرها الله لمواصلة مخططه المسيحي.

أكثر من مرة تنبأ إشعيا بالسبي: "لذلك سبي شعبي لجهالتهم" (إشعيا 5، 13)، لكن قلة باقية تبقى لتتابع المهمة: "ومن بقي في صهيون وترك في أورشليم يقال له قديس" (إشعيا 4، 3). هذا الموضوع "القلة الباقية" أعلنه من قبل النبي عاموس الذي كان له تأثير روحي كبير على إشعيا (عاموس 3، 11 - 12 ؛ 5، 15). عاموس سبق إشعيا بقليل. كان كبيرا في السن وتنبأ قبل أن يبدأ إشعيا رسالته بحوالي 40 سنة.

ما عدا السبي، نبوءات إشعيا المهمة تختص المسيح. سأشير إلى أهمها:

1-2.10 "عمانوئيل" (إشعيا 7، 14)

يعلن إشعيا للملك آحاز الذي كان يريد ابناً: "الرب نفسه يعطيكم هذه الآية: ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل". هذا الإسم يعني "الله معنا". إنه "آية" من الله (إشعيا 7، 14).

لتفهم هذه النبوءة، عليك أن تعرف الإطار التاريخي الذي أعلنت خلاله. إرجع إلى الفصل 16 من كتاب الملوك الثاني. إنها مسألة الملك آحاز الذي إليه يتوجه إشعيا بالكلام. في هذا الوقت، كان فقح (المسمى"بن رمليا" في إشعيا 7، 9) ملك إسرائيل وكان رصين ملك سورية (آرام: إشعيا 7، 1). ملك أشور (تغلث فلاسر، المسمى "فول": الملوك الثاني 15، 19) كان يهدد كل المنطقة. رصين وفقح كانا يريدان جر آحاز إلى الحرب معهما ضد فول، لكنه رفض. وقدّم ابنه الوحيد، وريث العرش ذبيحة للبعل (الملوك الثاني 16، 3) لتغيير قدره. فلم يعد لديه وريث وأصبحت السلالة الحاكمة مهددة.

رصين وفقح قررا اجتياح اليهودية لخلع آحاز وتنصيب ملك ("ابن طبئيل"، إشعيا 7، 6) يتحالف معهما ضد فول (إشعيا 7، 2). خاف آحاز: " اضطرب قلبه وقلب شعبه ..." (إشعيا 7، 2). لكن الله أرسل إشعيا إلى آحاز ليقول له: "تنبهه واطمئن ولا تخف ولا يضعف قلبك، فما غضب رصين ملك آرام وفقح بن رمليا ملك شعب إسرائيل إلا كلهب ذنبين مشتعلين مدخنين" (إشعيا 7، 4) ولن ينجحا بمحاولتهما ضد يهوذا لأن "عاصمة آرام هي دمشق، وملك دمشق هو رصين، عاصمة إسرائيل (مملكة الشمال) هي السامرة وملك السامرة هو ابن رمليا (فقح)" (إشعيا 7، 8 - 9)، أي ما معناه أن عاصمة اليهودية هي أورشليم وملك أورشليم هو آحاز. انتهز الله أيضا الفرصة ليعلن انسحاق السامرة القريب: "وبعد ست أو (حتى) خمس سنوات ينكسر شعب إسرائيل فلا يبقى شعباً" (إشعيا 7، 8). إنه إعلان الغزو الأشوري للشمال (السامرة).

آحاز مرهق من جراء الأحداث ومن فقدان ابنه الوحيد الذي ضحى به بنفسه. لكن النبوءات أعلنت أن "ابن داود"، المسيح المنتظر، سيجلس على عرش داود إلى الأبد. إشعيا، هو أيضاً، يؤكد على ذلك: "يخرج فرع (المسيح) من جذع يسى (والد داود)... روح الرب ينزل عليه..." (إشعيا 11، 1 - 2). ليس هناك إذاً من داع للخوف على العرش لأن "السيد الرب نفسه يعطي هذه الآية: ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إشعيا 7، 14). حبل الملكة الشابة كان إشارة إلهية لآحاز لسببين اثنين:

- آحاز لم يكن يعلم أن امرأته حامل.

- لم يكن يعلم أن الطفل هو صبي. فهذا الطفل لم يعطى إرضاءً لآحاز، بل إتماماً لأهداف الله المسيحية.

الملك حزقيا خلف أبيه آحاز. كان مصلحاً "وعمل القويم في نظر الرب وأزال معابد الأوثان وحطم الأنصاب وسحق حية النحاس التي صنعها موسى" (الملوك الثاني 18، 1 - 4). لكنه لم يكن هو الـ "عمانوئيل" الذي يجب أن يوحّد يهوذا وإسرائيل، "ويعيد المنفيين من بني إسرائيل والمشتتين من بني يهوذا في أربعة أطراف الأرض... لينهبوا بني المشرق جميعاً..." وباختصار، يقيم الامبراطورية الصهيونية الوهمية بالنهب والسلب... (إشعيا 11، 10 - 16).

لم تتحقق نبوءة عمانوئيل إلا بعد مضي ثمانية قرون. عندئذ أصبحت مفهومة من الذين عندهم عيون تبصر وذكاء قادر على فهم أهداف الله. فقد أعلن متّى أن هذه النبوءة قد تحققت بمجيء يسوع:

"حدث هذا كله ليتم ما قال الرب بلسان النبي: ستحبل العذراء، فتلد ابناً يدعى عمانوئيل" (متى 1، 22 - 23).

أراد الله أن يولَد مسيحه من العذراء مريم، التي تكلم عنها إشعيا. كذلك، لا تفهم النبوءة، إجمالا، إلا بعد تحققها. يجب إذاً أن نكون يقظين ومتنبهين، لينين ومستعدين لفهم نوايا الله، لا أن نصر على مفاهيمنا الخاصة ـ كما فعل اليهود الذين رفضوا يسوع- بل على مفاهيم الله.

يجب الأخذ بعين الاعتبار أن اسم "عمانوئيل" هو رمزي بما أنه يعني "الله معنا" كما يشرحه متى. ليس على المسيح بالضرورة أن يدعى هكذا، كما فهم كثير من اليهود، بل إن "الله معنا"، حي بيننا جسدياً، على الأرض. هذا الواقع يتأكد باسماء أخرى رمزية يطلقها إشعيا على المسيح: "يسمى باسم عجيب، ويكون مشيراً وإلهاً قديراً وأباً أبدياً ورئيس السلام" (إشعيا 9، 5). هذه الأسماء تظهر الهوية الإلهية للمسيح. فيقول الله من خلال النبي حزقيال: "سأسأل عن غنمي وأتفقدها أنا... (حزقيال 34، 11).

شعر إشعيا من غير وعي ضرورة التجسد الإلهي؛ فتوجه إلى الله قائلاً: "ليتك تشق السماوات وتنزل..." (إشعيا 63، 19 أو 64، 1).

2-2.10 المسيح هو من الجليل

يرى إشعيا "نوراً ساطعاً من أرض زبولون وأرض نفتالي"، وهي قبائل من شمال فلسطين في الجليل، حيث عاش يسوع (إشعيا 8، 23 / 9، 6). كونها مجاورة للبنان، الذي كان في ذلك الوقت يعبد الأوثان، كان سكان هذه المنطقة محتقرون من اليهود الذين كانوا يعتبرونهم مدنسين من جيرانهم الوثنيين: "أمن الناصرة (في الجليل) يخرج شيء صالح؟" قال نثنائيل لفيلبس (يوحنا 1، 45 - 46). والفريسيون، عندما سمعوا نيقوديموس يدافع عن يسوع قالوا له: "فتش تجد أن لا نبي يظهر من الجليل" (يوحنا 7، 52).

لو كان الفريسيون أنفسهم قد بحثوا جيداً في النبوءات، لكانوا فهموا، خلافاً لما كانوا يعتقدون، أن المسيح، أعظم الأنبياء، سينبثق تماماً من الجليل. فيقول إشعيا:

"في الزمان الأول أهينت (من الله) أرض زبولون وأرض نفتالي (الجليل). وأما في الزمان الأخير، فتكرم تلك الأنحاء ما بين طريق البحر وعبر الأردن جليل الأمم (الوثنية). الشعب السالك في الظلام رأى نوراً ساطعاً، والجالسون في أرض الموت (الجليل) وظلاله أشرق عليهم النور (المسيح)... لأنه يولد لنا ولد ويعطى لنا ابن (عمانوئيل، ابن العذراء)، وتكون الرئاسة على كتفه، يسمى باسم عجيب، ويكون مشيراً وإلهاً قديراً وأباً أبدياً ورئيس السلام..." (إشعيا 8، 23 / 9، 5).

يرجع متى في إنجيله إلى هذه النبوءة لإشعيا (متى 4، 12 - 16).

بعد تعرضه للإهانة من المغتصب الأشوري، يتمجد الجليل فيما بعد بيسوع الذي عاش وعمل في الناصرة (زبولون) وبشر في كفرناحوم (نفتالي).

3-2.10 المسيح يعذب ويموت قتلاً على أيدي اليهود.

تنبأ إشعيا أن المسيح سيرفض من شعبه، وسيخضع لعذاب شنيع، ويموت قتلاً. لكنه تنبأ أيضاً بقيامته لأنه بعد عناء نفسه "يرى ثمرة تعبه ويكون راضياً، وبوداعته يبرر عبدي الصديق (المسيح هو "عبد" الله) كثيرين من الناس ويحمل خطاياهم" (إشعيا 53، 11). النور الذي سيراه هذا العبد المخلص هو نور القيامة بعد الموت.

أنقل أهم الآيات في إشعيا الفصل 13 الذي يتكلم عن هذا العبد الصالح وأشرحها بين هلالين:

"من صدق ما سمعنا به؟ (إشعيا 53، 1: من كان سيصدق أن المسيح المنتظر سيكون ضد الصهيونية، فقيراً ومرفوضاً)... لا شكل له فننظر إليه ، ولا بهاء ولا جمال فنشتهيه (إشعيا 53، 2: يأتي من مجتمع فقير ومتواضع، لا ثياب فخمة ولا مجد بشري)... محتقر منبوذ من الناس، وموجع متمرس بالحزن... نبذناه وما اعتبرناه (من قبل اليهود أنفسهم، شعبه!). حمل عاهاتنا وتحمل أوجاعنا، حسبناه (اليهود) مصاباً مضروباً من الله ومنكوباً وهو مجروح لأجل معاصينا (الصلب)... إنقطع من أرض الأحياء وضرب لأجل معصية شعبه... لكن الرب رضي أن يسحقه بالأوجاع ويصعده ذبيحة إثم، فيرى نسلاً وتطول أيامه... يرى ثمرة تعبه ويكون راضياً (القيامة)".

إقرأ الآن هذا الفصل. لم يُكتب أجمل وأصح منه حتى بعد مجيء يسوع الذي تمم كل هذه النبوءات. عندما كان يمشي مع تلميذي عمواس (لوقا 24، 25 - 27) قال يسوع لهما: " أما كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام، فيدخل في مجده؟ وشرح لهما ما جاء عنه في جميع الكتب المقدسة".

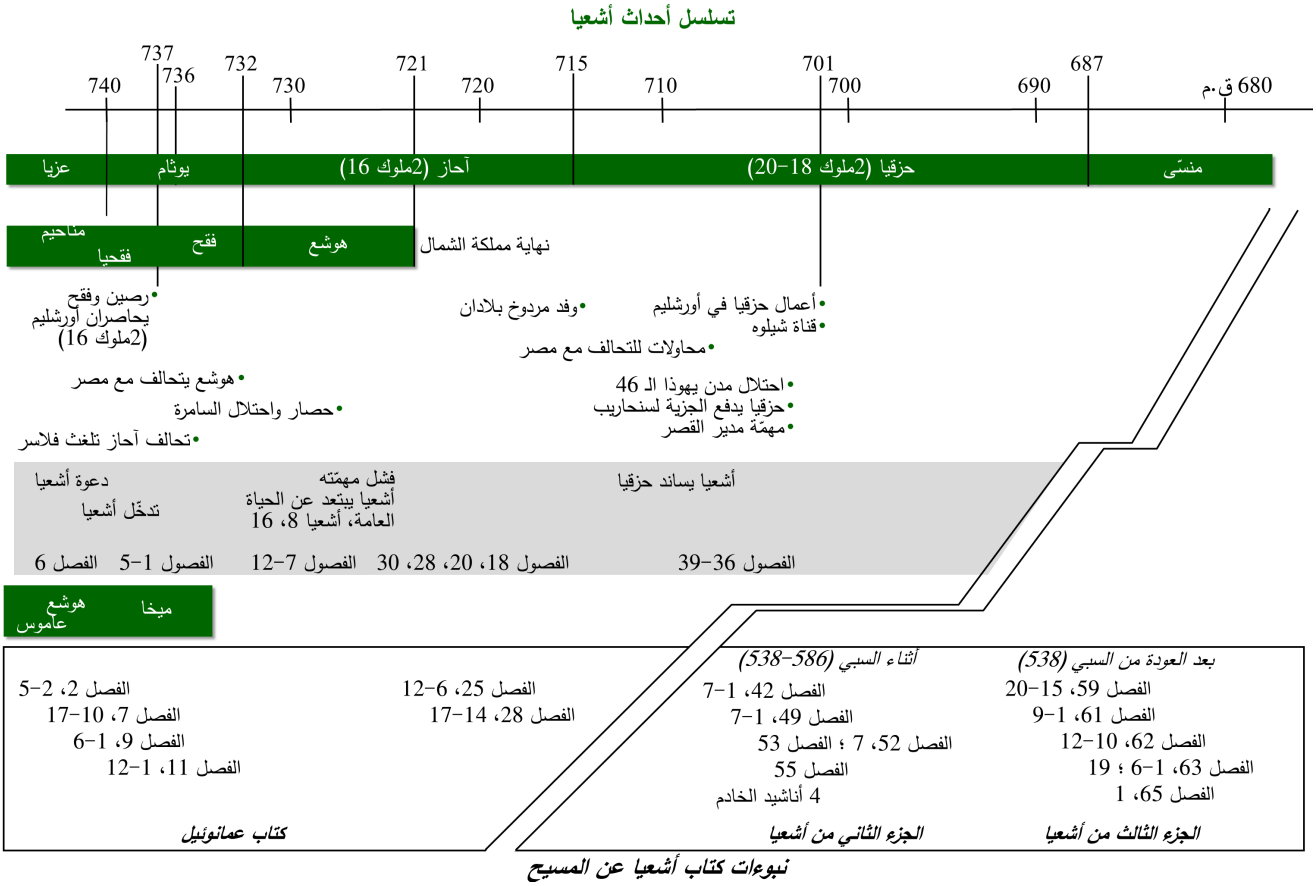

تسلسل أحداث إشعيا

الفصل 53 من إشعيا (كذلك المزمور 22) يشكل جزء من تفسيراته. نتساءل كيف أن بعض اليهود ما زالوا لا يفهمون! الجواب هو أنهم مضللون من الذهنية الصهيونية: جشع السلطة والتملك.

4-2.10 "عزاء" إسرائيل

خصص إشعيا الفصول الـ 26 الأخيرة من كتابه لتعزية اليهود بإعلان الخلاص. هذا الخلاص فهم خطأ وفسّر على أنه العودة إلى فلسطين والتجديد "القومي اليهودي". لكن الله كان يتكلم عن خلاص روحي يحمله يسوع لجميع البشر ويرفضه كثير من اليهود. تُعرف هذه الفصول بـ "كتاب العزاء" لأنه يبدأ هكذا: "عزوا، عزوا شعبي... بشروها بنهاية أيام تأديبها وبالعفو عما ارتكبت من جرائم (من خلال مجيء المسيح في المستقبل)... صوت صارخ في البرية: هيئوا طريق الرب مهدوا في البادية درباً قويماً لإلهنا..." (إشعيا 40، 1 - 4). هذه الآيات طبقت بالإنجيل على يوحنا المعمدان الذي جاء ليمهد الطريق أمام المسيح في صحراء النفوس النائمة (متى 3، 3).

يظن البعض أن فصول التعزية هذه لم يكتبها إشعيا بنفسه بل تلاميذه بعد العودة من السبي.

مصير إشعيا مجهول. هناك رواية يهودية تقول إنه أعدم مقطوعاً إلى نصفين على عهد الملك منسى الذي "سفك الكثير من الدم البريء، حتى ملأ أورشليم كلها، فأضاف ذلك إلى خطيئته التي جعل بها شعب يهوذا يخطأون ويفعلون الشر في نظر الرب" (الملوك الثاني 21، 16).

3.10 إرميا - مراثي إرميا - باروك

1-3.10 إرميا

يأتي إرميا من عائلة كهنوتية كانت تقيم بالقرب من أورشليم، في مدينة عناتوت (إرميا 1، 1). تنبأ في أورشليم من السنة الـ 13 للملك يوشيا (626 ق.م) "إلى الشهر الخامس من السنة الـ 11 من ملك صدقيا" (إرميا 1، 3)، سنة السبي (الملوك الثاني 25، 2). لقد عاش إرميا إذاً مأساة السبي من بدايتها وتنبأ بها.

سقوط نينوى (612 ق.م) وإصلاحات يوشيا أعطت بعض الأمل بالخلاص، لكن اليأس كان من نصيب بني إسرائيل بعد الهزيمة المأساوية في مجدو (609 ق.م) وتفاقم الخطر البابلي.

كان إرميا إبن الكاهن الكبير حلقيا (إرميا 1، 1). دعاه الله وهو شاب فتي: "قال الرب لي: قبل أن أصورك في البطن اخترتك، وقبل أن تخرج من الرحم كرستك وجعلتك نبياً للأمم. فقلت: آه، أيها السيد الرب! أنا لا أعرف أن أتكلم لأني صغير" (إرميا 1، 5 - 6). لكن، بالرغم من فتوته، أصرّ الرب قائلاً: "لا تقل: إني صغير. أينما أرسلك تذهب... فأنا معك لأنقذك... ها أنا جعلت كلامي في فمك وأعطيك اليوم سلطة على الأمم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك، ولتنقض وتبني وتغرس" (إرميا 1، 6 - 10). قبل أن يبني، سوف يهدم الرب ما بناه بني البشر من دون رضاه.

لاحظ أنه تم اختيار إرميا كنبي "للأمم"، وليس لبني إسرائيل فقط؛ إنه إذاً لكل البشر: "على الأمم والممالك". عليه أن "يهدم ويهلك" ثم "يبني ويغرس". رسالته تشبه رسالة نبي كتاب الرؤيا الذي يجب "أن يتنبأ ثانية على كثير من الشعوب والأمم والألسنة والملوك" (رؤيا 10، 11).

أوكل الله لإرميا مهمة الإعلان عن الإجتياح البابلي من الشمال، خراب هيكل سليمان والسبي، تتبعه العودة بعد 70 سنة من السبي: "من الشمال يهب الشر على جميع سكان هذه الأرض... (إرميا 1، 14) ...أجلب عليكم أمّة من بعيد يا بيت إسرائيل، أمة قوية عريقة... يقتلون بنيكم وبناتكم... ويدمرون بالسيف مدنكم الحصينة" (إرميا 5، 13 - 17).

بالمقابل، كان الأنبياء الكذابون يناقضون إرميا ويعارضونه: "الشر لا ينزل بنا ولن نرى حرباً ولا جوعاً..." (إرميا 5، 12). أعطى ذلك رجاءً خاطئاً للشعب وفضل الناس الاستماع إلى الكهنة والأنبياء المزعومين الذين كانوا يتنبأون بالسلام والطمأنينة بدلاً من إرميا الذي كان يتنبأ بالحقيقة المرّة. كان الرب يتدخل بلا انقطاع ليطلب من إرميا أن يعلن: "في أرضنا عجب عجاب: الأنبياء يتنباون زوراً، والكهنة يجمعون ما تصل إليه أيديهم، وشعبي راض بهذه الأمور. فماذا تفعلون لتضعوا حدا لها؟ " (إرميا 5، 30 - 31).

وبخ الله رؤساء الكهنة والعلمانيين باستمرار، وكان إرميا ينقل دائما الرسالة بشجاعة: "فلا الكهنة قالوا: أين الرب، ولا معلموا الشريعة عرفوني (لقد أساءوا تفسير كلام الرب، فهموه بحسب الروح السياسي، الذي يدينه الله)، والحكام (الملوك) أنفسهم عصوني (يعملون "الشر في نظر الرب")، والأنبياء (الذين يدعون النبوة) تنبأوا باسم البعل" (إرميا 2، 8).

يفضح إرميا أيضاً المفسرين اليهود الأشرار وعلماء الشريعة والكهنة، لأنهم ينسبون إلى الله في التوراة ما لا يريد قوله. لهذا يصف قلم الكتبة بـ "قلم الكتبة الكاذب" الذي حول التوراة إلى كذب خدمة لمصالحهم الخاصة (إرميا 8، 8)، وفرضوا الذبائح وعبادة لم يطلبها الله أبداً (إرميا 7، 22): "فأنا لم أكلم أباءكم ولا أمرتهم بأية محرقة أو ذبيحة يوم أخرجتهم من أرض مصر وإنما أمرتهم بأن يسمعوا لي حين أكلمهم... (إرميا 7، 22 - 23)...كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ أما ترون قلم الكتبة الكاذب حوّلها إلى الكذب..." (إرميا 8، 8).

تجدر ملاحظة أن إرميا يأتي من عائلة كهنوتية وابن الكاهن العظيم حلقيا، وكان في مركز يخوله معرفة تلاعب الكتبة بنص التوراة لما فيه مصلحتهم "بقلمهم الكاذب" (إرميا 8، 8). فوالده حلقيا هو الذي وجد كتاب الشريعة (التوراة) في الهيكل (الملوك الثاني 22، 8). من الأرجح أن يكون قد أخبر ابنه إرميا عن ذلك، الذي عرف بدوره أن الكتبة والكهنة تلاعبوا بالنصوص لتناسبهم. يسوع هو أيضاً لم يفوت فرصة إدانتهم بوصفهم قائلاً: "معلمي الشريعة والفريسيون المراؤون" (متى 23).

كما تنبأ يسوع بخراب الهيكل الثاني، كذلك تنبأ إرميا بخراب الهيكل الأول: "هذا البيت الذي دعي باسمي هل صار مغارة للصوص... سأفعل به كما فعلت هناك بشيلوه" (إرميا 7، 11 - 14)، (شيلوه هي المدينة التي شيّد فيها أول معبد والذي دمر على يد الفلسطينيين: صموئيل الأول 4، 17 - 18).

لم يريد بنو إسرائيل أن يصدقوا إرميا حتى بعد غزو نبوخذنصر والسبي. فقد تنبأ إرميا أن السبي سيكون طويلاً: 70 سنة (إرميا 25، 11). ناقضه النبي حننيا قائلاً: "هذا ما قال الرب القدير إله إسرائيل: كسرت نير ملك بابل، وبعد سنتين أرد إلى هذا الموضع كل آنية هيكل الرب... وجميع سبي يهوذا الذين ذهبوا إلى بابل..." (إرميا 28، 1 - 4). عندئذ أرسل إرميا إلى المسبيين في بابل يدعوهم أن يتنظموا فيقول لهم: "إبنوا بيوتا واسكنوا... تزوجوا وانجبوا... إعملوا لخير المدينة التي سبيتكم إليها، وصلّوا من أجلها. وقال الرب: عندما تتم لكم سبعون سنة في بابل أتفقدكم وأبر بوعدي لكم فأعيدكم إلى هذا الموضع" (إرميا 29، 4 - 10). "الصلاة من أجل" البابليين، أعداءهم، كانت بمثابة شذوذ وانحراف بالنسبة لكثيرين من اليهود الذين رأوا في إرميا خائناً واضطهدوه. للمقارنة مع يسوع الذي طلب من اليهود "أن يحبّوا أعداءهم ويصلّوا لأجل المسيئين إليهم" (لوقا 6، 27).

نميز النبي الحقيقي من النبي الكذاب عند تحقق النبوءات. إرميا، كجميع الأنبياء الحقيقيين، كان يعرف أن الله هو الذي كان يكلمه وهو الذي أرسله. الأنبياء الكذابون مذنبون لأنهم يستعملون اسم الله زوراً. لهذا السبب حذّر إرميا من هؤلاء الكذابين الذين يزعمون التكلم بوحي من الله: "لا يضلكم أنبياؤكم والعرافون الذين بينكم، ولا تسمعوا للأحلام التي يحلمون. فهم يتنبأون لكم باسمي زوراً، وأنا لم أرسلهم، يقول الرب" (إرميا 29، 8 - 9).

موقف إرميا الثابت أدى إلى تعرضه للاضطهاد: "وسمع فشحور بن إمير الكاهن، وهو رئيس القيمين على هيكل الرب، أن إرميا يتنبأ بهذه الكلمات، فضربه وحبس رجليه في القيود..." (إرميا 20، 1 - 2).

العداء المتزايد تجاه إرميا أخفق في النيل من معنوياته: "أسمع الكثيرين يهمسون، والرعب حولي من كل جانب... وأصحابي يراقبون سقوطي... ملعون اليوم الذي ولدت فيه!... (إرميا 20، 10 - 15). كشف له الرب أن عائلته أيضاً قد اصطفت ضده: "إن كان أخوتك وأهل بيت أبيك يغدرون بك ويصرخون وراءك بملء أفواههم، فكيف تأتمنهم إذا كلموك بالخير؟" (إرميا 12، 6).

رسالة إرميا كانت تثقل كاهله: "ويل لي يا أمي لأنك ولدتني. في خصام ونزاع أنا مع الأرض كلها" (إرميا 15، 10). بسبب إحباطه، أوشك على نزع حمله الثقيل: "صار كلام الرب عاراً ومهانة ليل نهار. فإن قلت: لن أذكر الرب ولا أتكلم باسمه من بعد" (إرميا 20، 8 - 9). ولزم إرميا الصمت. لكن

الله لا يترك أنبيائه، بل أنه يلهبهم في أعماق أنفسهم بنار محبته بإصرار وينال منهم الشهادة التي يريدها. يعترف إرميا أن سكوته كان مثل نار تحرق أحشاءه: "...أحسست بنار محرقة محبوسة داخل عظامي، أحاول كبتها ولا أقدر" (إرميا 20، 9). أفضى الأمر بالنبي إلى الاستسلام لمحبة الله، القادرة والساحرة و، استعاد رسالته بمحبة الله، قائلاً: "خدعتني يا رب فانخدعت، وغالبتني بقوتك فغلبت" (إرميا 20، 7). هذا الموقف الجميل من المحبة العميقة يتناقض مع موقف يعقوب، "إسرائيل"، الذي إدّعى التغلب على الله!... (تكوين 32، 25 - 33). عظمة الإنسان، انتصاره الأكبر، هو استسلامه لله.

العذاب الداخلي والشديد يطهر نفس إرميا. "مخدوعا" من الله، يتابع مهمته حتى النهاية. لحسن حظنا، لأنه تنبأ بال"عهد الجديد" الذي يجب أن يأسسه يسوع: "وستأتي أيام أعاهد فيها بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا لا كالعهد الذي عاهدته آباءهه... لأنهم نقضوه... أما العهد الجديد الذي أعاهد به بيت إسرائيل فهو هذا: أجعل شريعتي في ضمائرهم وأكتبها في قلوبهم..." (إرميا 31، 31 - 34). إقرأ هذا الفصل وتأمل به، وقارنه مع كلام يسوع: "ملكوت السماوات هو فيكم" (لوقا 17، 21). على حساب تضحيته بنفسه أسس يسوع هذا العهد الجديد: "هذه الكأس"، قال يسوع لتلاميذه، "هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك من أجلكم" (لوقا 22، 20).

لاحظ أن إرميا، بكلامه عن هذا العهد الجديد، لا يأتي على ذكر "أرض الميعاد"، بل يذكر الضمائر، وأن الله يكتب كلماته في قلوب المؤمنين "فلا يعلم بعد واحدهم الآخر أن يعرف الرب. فجميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم سيعرفونه..." (إرميا 31، 34). هذا يعني أنه ليس على المؤمنين بعد ذلك أن يلحّوا على الذين لا يؤمنون كي يعمموا معرفة الله، هذه المعرفة التي كانت منتشرة في كل مكان، كما هو الحال اليوم. من يعطش إليها يجدها، من لا يرغب بها يتجاهلها: "من كان نجساً فليبق في نجاسته، ومن كان قديساً فليبق في قداسته" يقول كتاب الرؤيا (رؤيا 22، 11). كل انسان هو حر في اختيار طريقه بين ملذات الدنيا العابرة وفرح الأبدية الدائم.

طلب الله من إرميا أن يكتب نبوءاته ويرسلها إلى الملك يوياقيم. "فدعا إرميا باروخ بن نيريا وأملى عليه جميع كلام الرب الذي كلمه به" (إرميا 36، 1 - 4). ظل الملك على كفره "وشق الكتاب وألقاه في نار الكانون حتى احترق كله" (إرميا 36، 23). أملى إرميا كلام الرب مرة ثانية على باروخ، "وزاد عليه كلاماً كثير مثله" (إرميا 36، 32). سنتكلم عن باروخ لاحقاً.

نصح إرميا اليهود بعدم مقاومة نبوخذنصر، بالإستسلام أو بمغادرة أورشليم: "الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء، والذي يخرج ويلجأ إلى البابليين الذين يحاصرونكم يحيا وتكون له حياته مغنماً" (إرميا 21، 8 - 9). هذا الكلام جعل بعض المسؤولين الكبار يحقدون على إرميا ويطالبون بقتله (إرميا 38، 1 - 3). "فقال أولئك الرؤساء للملك: أقتل هذا الرجل لأنه يضعف عزيمة المحاربين الباقين في المدينة وعزيمة جميع الشعب بكلامه هذا... فقال الملك صدقيا: هو في أيديكم... فأخذوا إرميا ليلقوه في جب ملكيا ابن الملك في سجن القصر... فغاص إرميا في الوحل" (إرميا 38، 4 - 6). إقرأ هذا الفصل 38 والفصل الذي يليه لتعرف كيف قام الملك بانقاذ إرميا من موت فظيع ومؤكد، وكيف أخرجه نبوخذنصر فيما بعد من السجن، وعامله أفضل مما عامله اليهود الذين يدّعون التقوى.

الحالة المأساوية التي كان يعيشها بنو إسرائيل تولد الأمل بالخلاص المسيحي. يعلن إرميا عن الخلاص بمجيء المسيح في المستقبل. لكن هذا المسيح اعتبر أيضاً ملكاً سياسياً "سيعيد أمجاد" الوطن (إرميا 30، 18). في حين أن التجديد وفقاً لله هو تجديد روحي ابتدأ مع يسوع ليتحقق في آخر الأزمنة مع سقوط دولة إسرائيل الحالية (رؤيا 3، 21). ستجد في إرميا 23، 5 - 6 و 30، 8 - 9 نبوءتين عن المسيح.

اقتيد إرميا بالقوة إلى مصر من قبل جماعة من بني إسرائيل هربوا من المدينة على الرغم من إملاءات الله الملحة الذي طلب إليهم، من خلال إرميا، البقاء في أورشليم.

لا نعرف شيئا عن إرميا بعد ذلك. من المحتمل أنه قضى أيامه في مصر. إقرأ الفصلين 42 و43 اللذان يتكلمان عن هذا الحدث، وعن الغزو البابلي لمصر، من ثم انتقل إلى قراءة كتاب إرميا بشكل متواصل.

تجدر الملاحظة أن إرميا كان من عائلة كهنوتية. والده "حلقيا"، الكاهن العظيم الذي وجد "كتاب الشريعة" (التوراة) في المعبد. على قاعدة هذا الكتاب قام الملك يوشيا بالإصلاحات الدينية. أضاف الكتبة والكهنة على نص هذا الكتاب بنودا تناسبهم. وبما أن إرميا هو ابن الكاهن الكبير، علم بفعلتهم وفضح خبثهم (إرميا 7، 22 / 8، 8). علينا نحن أن نستخلص العبرة من ذلك!!

2-3.10 مراثي إرميا

ألفت هذه المراثي بعد خراب أورشليم واحتراق الهيكل. ربما يكون إرميا قد كتب بعض الآيات، لكن على الأرجح أن هناك أكثر من مؤلف واحد. جميعهم يبكون ويكتبون بيوت شعر جنائزية ليعبروا عن حدادهم بعد هزيمة أورشليم. إقرأه بهذا الروح: "كيف جلست وحدها المدينة الملأى بالناس. صارت كأرملة بغتة وهي العظيمة في الأمم السيدة في البلدان صارت تحت الجزية" (مراثي إرميا 1، 1). راجع أخبار الأيام الثاني 35، 25 عن المرثاة التي ألفها إرميا بعد موت الملك يوشيا في مجدو.

3-3.10 ملحق لدراسة إرميا

الملوك الخمسة في زمن إرميا (إرميا 1، 2)

(الملوك الثاني 22 - 26 ؛ أخبار الأيام الثاني 34 - 36)

النبي أرميا

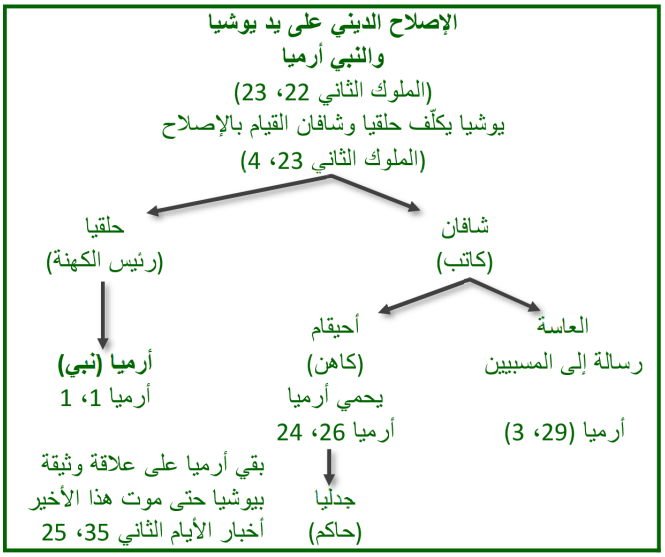

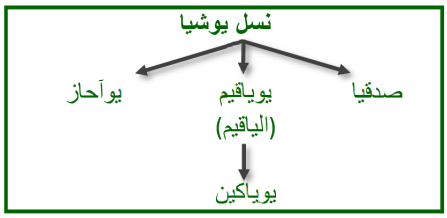

حياة أرميا		التسلسل التاريخي	
		يوشيا	640
		النبي صفنيا	630
دعوة أرميا	الفصل 1	دعوة أرميا	627
ما قبل إصلاح يوشيا	الفصول 2 - 6	العثور على سفر الشريعة (الملوك الثاني 23، 25)	622
كتاب التعزية، عهد جديد 31، 31	الفصلان 30 - 31	الإصلاح الديني	
		النبي ناحوم	612
		مجدو	609
العهد المنقوض	الفصل 11	يوآحاز (الياقيم ثلاثة أشهر)	609
ضد الهيكل	الفصول 7 - 9	عودة عبادة الأوثان	
إعتقال أرميا	الفصل 26	يوياقيم	609
القحط ورفض يهوذا	الفصلان 14-15		
كسر جرّة الخزف وفشحور، أرميا رجليه في القيود	الفصلان 19 - 20	كركميش	605
نبوءة السبعين سنة	الفصل 25	نبوءة أرميا عن سبي السبعين سنة (أرميا 25)	
تمزيق الكتاب	الفصل 36	يوياقيم يخضع لثلاث سنوات (الملوك الثاني 24، 1)	
		تمرّد يوياقيم	600
		النبي حبقوق	
تهديد يوياكين والسبي	الفصل 13	يوياكين (ثلاثة أشهر)	598
		السبي الأول	
حمل نير بابل وحننيا النبي الكذاب	الفصلان 27 - 28	صدقيا	597
		النبي حزقيال	
رسالة إلى المسبيين	الفصل 29		
		تمرّد يوياقيم	589-588
الرد على صدقيا حول حصار أورشليم	الفصلان 21 - 22	حصار أورشليم	
مصير صدقيا	الفصل 34		
فك الحصار عن أورشليم 588، أرميا في جب السجن	الفصلان 37 - 38		
إستئناف الحصار، الوعود بالإصلاح	الفصلان 32 - 33		
قصة أرميا إلى سقوط أورشليم	الفصلان 39-40، 6	احتلال أورشليم	586
		السبي الثاني	
جدليا حتى نهاية أرميا	الفصول 40، 7 - 45	جدليا	586

1. يوشيا 640 - 609 (إصلاحات دينية كبيرة + العثور على كتاب الشريعة)

في سنة 609، صعد نكو ملك مصر لمؤازرة الأشوريين ضد البابليين، فحاول يوشيا قطع الطريق بين المصريين والأشوريين، رغبة بتدمير أشور التي كانت تحتل قسماً من شمال إسرائيل بشكل نهائي. أتت هزيمته إذاً بالفائدة على مملكة يهوذا. لكن نكو قضى على يوشيا في مجدو سنة 609 ق.م، ثم تابع زحفه إلى قرقميش حيث هُزم بدوره على يد نبوخذنصر في 605 ق.م (الملوك الثاني 23، 29 ؛ أخبار الأيام الثاني 35، 20 - 25). تلك كانت نهاية الإمبراطورية الأشورية.

2. يوآحاز 609

بقي يوآحاز على العرش ثلاثة أشهر بعد موت يوشيا. على أثر هزيمة أشور في قرقميش، وهو في طريق عودته إلى مصر، احتل نكو سوريا وفلسطين. خلع يوآحاز عن عرشه وأخذه معه أسير إلى مصر. أقام أخاه يوياقيم بدلاً منه، وفرض ضريبة على يهوذا (الملوك الثاني 23، 31 - 35 ؛ أخبار الأيام الثاني 36، 1 - 4). يتناول إرميا بمرارة ذهاب يوآحاز إلى مصر: "لا تبكوا على الميت (يوشيا) ولا تندبوه، بل إبكوا بكاء مراً على الذاهب (يوآحاز) الذي لا يرجع (من مصر) من بعد ولا يرى أرض ميلاده... بل في الموضع الذي سبي إليه يموت..." (إرميا 22، 10 - 12).

3. يوياقيم 609 - 598

في سنة ملكه الرابعة (605 ق.م)، بعد أربع سنوات على معركة قرقميش، استسلم يوياقيم إلى نبوخذنصر بعد أن أدرك قوّته (إرميا 36، 1). شعر يوياقيم بالطمأنينة بعيداً عن مدفعية الفرعون. ومع سعادته بهذا الشعور بالأمان، أراد أن يقتل إرميا بعد أن سمعه يتنبأ بالويل على بلده. فشق الكتاب الذي أملاه إرميا على باروخ وأحرقه، وأمر بالقبض عليهما. لكن أحيقام بن شافان كان يحمي إرميا (إرميا 26 و36). كان شافان قريباً من البلاط الملكي، على عهد يوشيا، وساعد الملك في الإصلاحات (الملوك الثاني 22، 3 - 12). ولما كان إرميا من عائلة كهنوتية، كان شافان يعرفه جيداً وقام بمساعدته (إرميا 26، 24). شافان هو أيضاً جد جدليا بن أحيقام (الملوك الثاني 25، 22) الذي ساعد بدوره إرميا (إرميا 40، 5 - 6). (شافان هو والد أحيقام والد جدليا، جميعهم أصدقاء وحماة إرميا).

4. يوياكين 598

السبي الأول: الملك وكل البلاط الملكي وجميع المحاربين والعمال المهرة (الملوك الثاني 24، 15). نبوخذنصر أقام صدقيا، عمّه، ملكاً بدلاً منه (الملوك الثاني 24، 17 وأخبار الأيام 36، 9 - 10).

5. صدقيا 598 - 586

تمرّد صدقيا على نبوخذنصر (الملوك الثاني 24، 20)، فزحف هذا الأخير على أورشليم وحاصرها (الملوك الثاني 25، 2). عندما حاول الهرب، اعتقله نبوخذنصر، حكم عليه وسباه إلى بابل. دخل البابليون أورشليم، دمروا الهيكل وسبوا باقي أهل يهوذا، تاركين الفلاحين والكرامين ليحرثوا الأرض (الملوك الثاني 25 وأخبار الأيام 36، 11 - 21).

10.3-4 باروك

يغيب كتاب باروك عن الكتاب المقدس العبري. كتبه باروك في بابل بعد السبي: "هذا سفر باروك كتبه في بابل" (باروك 1، 1). كان هذا الكتاب يقرأ في محافل المسبيين "على مسامع يكنيا بن يوياقيم ملك يهوذا (المسبي) والأعيان وشيوخ الشعب... بمن فيهم الساكنون في بابل" (باروك 1، 3 - 4). نلاحظ في هذا الكتاب الانطباع الكبير الذي تركته رسالة إرميا، والذي دام طويلاً في الضمير اليهودي (المكابيين الثاني 2، 1 - 7 و15، 14 ومتى 16، 14). ليس لباروك نفسه حصة إلا لأنه يردد ويذكّر بالكلام اللاذع لأستاذه، كلام رفضه اليهود: "لأنك أنزلت علينا ذلك الغضب الشديد الذي حذرتنا منه على ألسنة عبيدك الأنبياء الذين قالوا: أحنوا أكتافكم واخدموا ملك بابل... ولكننا لم نسمع لصوتك أيها الرب بأن نخدم ملك بابل" (باروك 2، 20 - 24).

يذكّر باروك بالعهد الجديد الذي بشّر به إرميا لتشجيع المسبيين: "لكنهم سيرجعون إلى قلوبهم ويعلمون أني أنا الرب إلههم... وأعيدهم إلى الأرض التي حلفت أن أعطيها لآبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب... وأقيم لهم عهدا أبدياً... ولا أعود أبعثر شعبي إسرائيل من الأرض التي أعطيتها لهم" (باروك 2، 30 - 35). هذه "الأرض" هي الحياة الأبدية، السماوية، لا الجغرافية.

هذا العهد الأبدي هو الذي أعلن عنه إرميا (إرميا 31، 31) وتممه يسوع. لاحظ أن باروك قد أدرك البعد الداخلي والروحي لهذا العهد: "سيرجعون إلى قلوبهم". لكنهم ما زالوا يؤمنون بأرض الميعاد كحقيقة جغرافية، "الأرض التي وعد الله أن يعطيها لإبراهيم..."، وتنبأ بالعودة إلى هذه الأرض (فلسطين) مبشرا أن الله "لا يعود يبعثر شعبه من الأرض التي أعطاها لهم" (باروك 2، 35). بينما، سبي اليهود من جديد على يد تيطس سنة 70 م وتشتتوا في العالم بكامله. من الواضح إذاً أن مقصود الله كان يهدف إلى استقرار نفسي وروحي، لا جغرافي، يجري في نفوس المؤمنين، "في قلوبهم".

يعتبر باروك اليهود مثل "أحباء الأرملة" (باروك 4، 16) لأن إسرائيل، المعاقبة من الله، تشبه أرملة حزينة ومتروكة. عبارة "الأرملة" هذه، كثيراً ما تُذكر في المحافل السرية (الماسونية، الوردة المصلبة) وترمز إلى إسرائيل.

إحفظ عبارة "لبس المسح" (باروك 4، 20) التي تعني الحداد على أوضاع مأساوية. ستصادفها في كتاب الرؤيا عندما يتكلم عن الشاهدين اللذين أرسلهما الله واضطهدهما أتباع الوحش (رؤيا 11، 3).

ينهي باروك كتابه بأسلوب متفائل مذكراً بالعودة من السبي: "إخلعي يا أورشليم لباس النوح والمذلة... تطلعي من حولك وانظري أبناءك مجتمعين من مشرق الشمس إلى مغربها..." (باروك 5، 1)، مستعيداً رسالة إرميا إلى المسبيين.

هكذا إذاً، باروك هو مراجعة لإرميا، وشهادة له.

4.10 حزقيال

النبي حزقيال هو كاهن منفي منذ السبي الأول لأهل يهوذا إلى بابل (الملوك الثاني 24، 10 - 17): "كان ذلك في السنة الخامسة من سبي الملك يوياكين (593 - 592 ق.م). هناك في أرض البابليين، انفتحت السماوات فنزلت علي رؤيا من الله" (حزقيال 1، 1 - 3). لم يكن هيكل سليمان قد دمر بعد عندما بدأ حزقيال رسالته. إنه إذاً معاصر لإرميا. في المنفى، نزلت عليه رؤى من الله تتعلق بالسبي الثاني وبخراب الهيكل ودمار أورشليم المفاجيء بعد بضع سنوات (في 586 ق.م). طلب الله منه أن يتنبأ ضد بني إسرائيل المتمردين، وأن ينذرهم بهذا العقاب: "يا جبال إسرائيل إسمعي كلمة السيد الرب. سأجلب عليك حرباً... ويسقط القتلى في وسطكم..." (حزقيال 6، 1 - 7)، مع بقاء قلّة باقية لإكمال المخطط المسيحي الإلهي: "ولكنني أبقي منكم بقية بين الأمم، فينجون من الحرب ويتشتتون في البلدان. هؤلاء يذكرونني..." (حزقيال 6، 8 - 10).

نبوءات ورؤى حزقيال الأكثر أهمية هي:

(إقرأها، بالتتابع، بعد توضيحاتي).

1-4.10

لاحظ أن حزقيال قد تنبأ بـ "نهاية" إسرائيل: "هكذا قال السيد الرب: ستفنى أرض إسرائيل. ها هو فناؤها آت على أطراف البلاد الأربعة. الفناء آت عليكم يا بني إسرائيل... أعاقبكم ولا أشفق عليكم" (حزقيال 7، 1 - 9).

مع نبوخذنصر، في سنة 586 ق.م، كانت النهاية الأولى لإسرائيل. يسوع تكلم أيضاً عن "نهاية" إسرائيل (متى 24، 3 - 14)، التي حصلت سنة 70 م عندما أحرق تيطس المعبد الثاني، وتشتت معظم بني إسرائيل. تلك كانت النهاية الثانية لإسرائيل. في الأزمنة الرؤيوية التي نعيشها، ستعرف إسرائيل نهاية ثالثة وأخيرة (متى 24، 14). إنها "وحش" الفصل 13 من كتاب الرؤيا، "ولن توجد من بعد أبداً" (رؤيا 18،21).

عن هذه النهاية الثالثة والأخيرة تكلم يسوع في الأناجيل:

"وتجيئ النهاية بعدما تعلن بشارة ملكوت الله هذه في العالم كله" (متى 24، 14).

لقد أعلنت بشارة الإنجيل إذاً في العالم كله. فنهاية إسرائيل أصبحت قريبة جداً.

2-4.10 رؤيا الكائنات الحية الأربع (حزقيال 1، 4 - 28)

"رأيت عاصفة... وفي وسطها تراءى لي شيء كأنه أربعة كائنات حية (حزقيال 1، 5). ولكل واحد منها أربعة وجوه وأربعة أجنحة... ومن تحت أجنحتها أيدي بشر (حزقيال 1، 8) ولوجوهها الأربعة ما يشبه وجه بشر... وأسد... وثور... ونسر... وفوق القبة التي فوق رؤوسها شبه عرش... عليه شكل كمنظر إنسان... هذا منظر يشبه مجد الرب" (حزقيال 1، 26 - 28).

هذه الرؤيا المهمة، كجميع النبوءات المسيحية، تكون غير مفهومة في وقتها. إنها نبوءة عن الأناجيل التي تعرف عن المسيح يسوع. الله ينذر بالعقاب البابلي الذي سينقض على إسرائيل في الشمال مثل العاصفة. لأن عقاب الرب ينقض، بغتة، كالعاصفة. "فاسهروا وصلوا حتى لا تأخذوا على حين غرة مثل العذارى الجاهلات"، يوصي يسوع (متى 24، 42 و25، 1 - 13). في هذه الرؤيا أيضاً، يكشف الله عن مخططه الخلاصي للبشرية جمعاء: الكائنات الأربع ترمز إلى الإنجيليين الأربعة. أجنحتهم ترمز إلى سموهم الروحي، والأيدي تحت الأجنحة تشير إلى أنهم كتبة، بما أنهم كتبوا بأيديهم الأناجيل. "القبة" هي السماء، "العرش" هو حيث يجلس الله ليدين البشر من خلال الأناجيل. وفي أعلى العرش، المسيح، هو بنفس الوقت إنسان وإله، الذي هو "كمنظر إنسان"، لكنه أيضا "يشبه مجد الرب".

يمكننا اليوم أن نفهم من هذه الرؤيا أن المسيح قد أعلن من الله كتجسد بشري شخصي له، الله بنفسه الذي عليه أن يكون هذا المسيح الذي سيتجسد ليخلص المؤمنين ويدين الكفار: "والكلمة صار بشراً"، يقول يوحنا في إنجيله، "فرأينا مجده، مجداً يفيض بالنعمة والحق، ناله من الآب" (يوحنا 1، 1 - 14). يمكننا اليوم أن نفهم، بعد تجسد المسيح-الله، أن هذا المجد الإلهي الذي شاهده حزقيال كان بيسوع الناصري في كماله.

الكائنات الأربع "تشبه البشر، ولكل واحد منها أربعة وجوه وأربعة أجنحة". الشكل البشري يدل على أنهم بشر. وجوهها تنظر في الإتجاهات الأربع، لأن رسالتها مخصصة لزوايا الأرض الأربع. أجنحتها متصلة لأنها موحدة فيما بينها بنفس الرسالة، رسالة المسيح.

"كل واحد يسير في اتجاه وجهه وهكذا كانت كلها تسير إلى حيث يشاء الروح دون أن تدور"، لأنهم مدفوعون من الروح ذاته، روح الله الحق. يوصلون رسالتهم مثل "الزارع الذي خرج ليزرع" (متى 13، 4)، دون أن ينظروا إلى الوراء. "دون أن تدور"، يصر حزقيال، لأن "ما أحد يضع يده على المحراث ويلتفت إلى الوراء، يصلح لملكوت الله" (لوقا 9، 62).

"وفي وسط هذه الكائنات الحية ما يشبه جمرات نار متقدة أو مشاعل..." (حزقيال 1، 13). هذه الجمرات المتقدة وهذه المشاعل هي قلوب الرسل والمؤمنين الذين، مثل جمرات متقدة، يشتعلون حباً لله ولمسيحه والذين، مثل المشاعل، يضيئون بنورهم هذا العالم الغارق في الظلام.

"وللنار ضياء ومن النار يخرج برق. وكانت هذه الكائنات تندفع ذهاباً وإياباً مثل البرق" (حزقيال 1، 13 - 14). يقول يسوع: "إن مجيء ابن الإنسان يكون مثل البرق الذي يلمع من المشرق ويضيء في المغرب" (متى 24، 27).

الإنجيل بالإضافة إلى رسالة كتاب الرؤيا قد انتشرا في العالم كله عن طريق الإنترنت. إنهما ينتشران بلمح البصر، مثل البرق الذي يلمع من المشرق إلى المغرب. وذلك من خلال رسل نهاية الأزمنة، هؤلاء الجمرات الصغيرة المتقدة، الذين قلوبهم مشتعلة حباً للمسيح وأمّه القديسة.

في كتابه، كتاب الرؤيا، يرى يوحنا هو أيضاً 4 كائنات حية، دائماً "في وسط العرش وحوله" (رؤيا 4، 6)، لأنهم، بوجودهم على العرش، يشاركون بالدينونة من خلال أناجيلهم. "من غلب أعطيه أن يجلس معي على عرشي، كما غلبت أنا فجلست مع أبي على عرشه"، يقول يسوع (رؤيا 3، 21). أما قال أيضاً لتلاميذه: "متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء، تجلسون أنتم الذي تبعوني على اثني عشر عرشاً لتدينوا عشائر إسرائيل الاثني عشر" (متى 19، 28) ؟

كما يعلن حزقيال من خلال هذه الرؤيا عن المجيء الأول للمسيح، كذلك كتاب رؤيا يوحنا يعلن عن مجيئه الثاني في نهاية الأزمنة، بعد النهاية الأخيرة لدولة إسرائيل المعاصرة.

3-4.10 رؤيا الكتاب (حزقيال 3، 1 - 15)

"كلْ هذه الكتاب... فأكلته فصار في فمي حلواً كالعسل... وقال لي: يا ابن البشر، إذهب إلى بيت إسرائيل وكلمهم بكلامي... فلا تخف منهم ولا من وجوههم المرعبة فهم شعب متمرد... سواء سمعوا أو لم يسمعوا".

طُلب من حزقيال أن "يأكل" كتاب نبوءته، أي أن يتولى رسالته ضد بني إسرائيل: "فأنا لا أرسلك إلى شعب لغته غامضة وغريبة، بل إلى شعب إسرائيل. فلو أرسلتك إلى شعوب كثيرين... لسمعوا لك"، يقول الله لنبيه (حزقيال 3، 5 - 6). مهمة حزقيال - في زمنه - كانت تقتصر على "بيت إسرائيل"، كانت محددة إذاً ولم تمتد لتشمل "شعوباً كثيرة".

هذا التشبيه عن "أكل" الكتاب يبرز ثانية في كتاب الرؤيا. في نهاية الأزمنة، عندما تعود إسرائيل إلى الظهور، أنبياء الله هم مدعوون "من جديد" لـ "يأكلوا كتاباً" وليشهدوا، ليس فقط من جديد على إسرائيل، كما كان الحال مع حزقيال، بل أيضاً "على كثير من الشعوب والأمم والألسنة والملوك"، الذين يدعمونها في ظلمها: "إذهب، خذ الكتاب المفتوح... وابتلعه... ابتلعته (الكتاب)، فكان حلواً كالعسل في فمي، وصار مراً في جوفي. فقيل لي: يجب أن تتنبأ ثانية على كثير من الشعوب والأمم والألسنة والملوك" (رؤيا 10، 8 - 11). علينا أن نلاحظ مرارة النبوءة الرؤيوية، الغير موجودة في نبوءة حزقيال، كونها أصعب لأنها شاملة، وتصطدم بكثير من العقبات: نبوءة حزقيال كانت موجهة إلى اليهود وحدهم لتبشرهم بالمجيء الأول للمسيح، بينما نبوءة كتاب الرؤيا هي أكثر صعوبة لأنها تتوجه إلى بشر العالم كله لتنذرهم وتحضّرهم لعودة يسوع، لمجيئه الثاني القريب: "ها هو آت مع السحاب! ستراه كل عين حتى عيون الذين طعنوه (اليهود)، وتنتحب عليه جميع قبائل الأرض" (رؤيا 1، 7).

4-4.10 العهد الجديد (حزقيال 11، 19 - 20 و 36، 25 - 27)

هنا أيضاً تشدد نبوءة العهد الجديد على القلب والروح، لا على تملّك أرض جغرافية: "وأعطيهم قلباً جديداً وروحاً جديداً في أحشائهم". إنه الروح القدس الذي يتكلم عنه يسوع (لوقا 11، 13)، والذي يحصل عليه أخصاءه الحقيقيون (يوحنا 14، 15 - 26 و 16، 7 - 15).

5-4.10 ترمّل ومناحة حزقيال (حزقيال 24، 15 - 27)

يعلن الرب لحزقيال عن موت زوجته، تلك التي كانت "بهجة عينيه" (حزقيال 24، 16)، طالباً منه أن لا يقيم مناحة: "لا تندب ولا تبك... تنهد ساكتاً ولا تقم مناحة على الميت" (حزقيال 24، 16 - 17).

كان على هذه المناحة أن تكون رمزاً لخراب الهيكل الذي كان بالنسبة لبني إسرائيل "عنوان مجدهم وبهجة عيونهم ومنية نفوسهم" (حزقيال 24، 21). لن تبدأ مهمة حزقيال إلا بعد خراب الهيكل، مع تحقق نبوءته، سيسمع كلامه بشكل أفضل. عندئذ سيسمح له الله أن يتكلم ويحل له لسانه: "فينحل لسانك في ذلك اليوم وتتكلم ولا تكون بعد أبكم" (حزقيال 24، 27)، بعد أخرسه بسبب كفر اليهود: "وأنا ألصق لسانك بحنكك، فتصير أبكم ولا تقدر أن توبخ هذا الشعب المتمرد" (حزقيال 3، 26).

النبوءة الرؤيوية عرفت هي أيضاً فترة طويلة من السكوت: "أكتم ما نطقت به الرعود السبعة فلا تكتبه" (رؤيا 10، 4). هذه الفترة -التي دامت 20 قرناً- تبعها زمن الإعلان الصريح والمفتوح للرسالة: "لا تكتم كلام النبوءة في هذا الكتاب، لأن الوقت (عودة المسيح) قريب" (رؤيا 22، 10). في كتاب الرؤيا، يعود سبب فترة السكوت إلى أن النبوءات الرؤيوية لم تكن قد تحققت بعد ليُمكن فهمها.

6-4.10 القيامة (حزقيال 37، 1 - 28)

شاهد حزقيال في الرؤيا "عظاماً يابسة" تأخذ روحاً وتعود إلى الحياة: "سأفتح قبوركم وأصعدكم منها يا شعبي، وأجيء بكم إلى أرض إسرائيل" (حزقيال 37، 12). تفسر هذه القيامة من قبل البعض على أنها عودة الدولة الإسرائيلية الحالية إلى الحياة. هذا خطأ. فهذا الكيان سيفنى إلى الأبد.

القيامة، التي نتكلم عنها، هي قيامة الروح، عودتها إلى الحياة الروحية التي تكلم عنها يسوع (يوحنا 5، 24 - 27). إنها محفوظة لتلاميذه المؤمنين. يسميها كتاب الرؤيا "القيامة الأولى" (رؤيا 20، 6). إنها تختلف عن القيامة النهائية في آخر الأزمنة التي تدعى "القيامة الثانية"، عندما سيحيا الجسد، هو أيضاً، ويتجدد (يوحنا 5، 28 - 29).

7-4.10 جوج وماجوج (حزقيال 38، 39)

هذه الأسماء تشير إلى وثنيي ذلك العصر. المختارون، "شعب الله"، سينتصرون عليهم. كتاب الرؤيا يشرح لنا أن جوج وماجوج، في القرن العشرين، ليسوا سوى الإسرائيليين الذين "صعدوا على وجه الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة" (رؤيا 20، 7 - 9). يلقي كتاب الرؤيا بضوء إلهي يساعدنا كي نحسن تفسير مقصود الله في نبوءة حزقيال.

8-4.10 رؤيا الهيكل الجديد (حزقيال 40 - 48)

بعد نحو 15 سنة من خراب الهيكل، "وفي السنة الـ 25 من الذهاب إلى السبي" (حزقيال 40، 1)، شاهد حزقيال في الرؤيا إعادة بناء هذا الهيكل. "فإذا برجل واقف بالباب منظره كمنظر النحاس وبيده خيط كتان وقصبة قياس (لقياس الهيكل)... فقاس السور... إلخ" (حزقيال 40، 3 - 5).

المقصود، طبعاً، هو الهيكل الروحي إذ أن الله يقول لحزقيال: "لا يدخل هيكلي غريب غير مختون القلب" (زاد الكتبة عن طيب خاطر: "ومختون الجسد") (حزقيال 44، 6 - 9). كتاب الرؤيا يتحدث عن بناء الهيكل الروحي في آخر الأزمنة، الذي سيقاس، هو أيضاً، كي لا يقبل إلا المؤمنين الحقيقيين (رؤيا 11، 1). هذا الهيكل الأبدي ليس إلا الله ويسوع المسيح (رؤيا 21، 22)، "لن يدخله شيء نجس، ولا الذين يعملون القبائح" (رؤيا 21، 27). هذا هو البعد الحقيقي لهيكل الله الذي لم يقدر بنو إسرائيل أن يفهموه.

الهيكل الجديد الذي شاهده حزقيال هو نفسه الذي يصفه كتاب الرؤيا. إنه روحي. قابل "مياه الحياة" التي تخرج من مقدس الهيكل الذي رآه حزقيال (حزقيال 47، 12)، مع "نهر الحياة" في كتاب الرؤيا (رؤيا 22، 1 - 2). الهيكل الذي رآه حزقيال هو هيكل روحي، هذا استنتاج سهل لأن مقاساته وشكله لا تطابق الهيكل الذي بناه عزرا بعد العودة من السبي. فما من نهر حياة كان يخرج من مقدس هذا الهيكل.

5.10 دانيال

اقتيد دانيال إلى المنفى في عهد نبوخذنصر، على الأرجح في أيام سبي يهوذا الأول (الملوك الثاني 24). كان ينتمي إلى طبقة النبلاء اليهود: "وأمر الملك أن يحضر من بني إسرائيل، من نسل الملك ومن الأمراء فتياناً لا عيب فيهم... ممن لهم القدرة على القيام بالخدمة في قصر الملك... وكان بينهم، من بني يهوذا، دانيال، ..." (دانيال 1، 3 - 6). إذاً لم يكن النبي دانيال سوى فتى صغيراً عندما ترك فلسطين. "وبقي في قصر الملك إلى السنة الأولى من عهد الملك كورش" (دانيال 11، 20).

أصبح دانيال ذو شأن في البلاط الملكي بعد أن كان الوحيد الذي استطاع أن يفسر للملك حلمه (كما فعل يوسف مع فرعون). إقرأ الفصل 2 ثم عاود قراءة هذا الدرس.

التمثال الذي رآه نبوخذنصر يمثّل 4 امبراطوريات تعاقبت في التاريخ: البابلية، المادية-الفارسية، اليونانية والرومانية. فقد أعلن أن المسيح سيأتي في عهد الامبراطورية الرابعة (الرومانية)، إنه هو هذا "الحجر الذي انقطع من الجبل من دون أن تلمسه يد، فضرب التمثال... فانسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب معاً... فحملتها الريح وما وجد لها أثر. أمّا الحجر فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها" (دانيال 2، 34 - 35). فسر دانيال الامبراطوريات الأربع (دانيال 2، 36 - 43). "وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماء مملكة (مملكة المسيح التي ليست من هذا العالم: يوحنا 18، 36) لا تخرب أبدا" (دانيال 2، 44). جاء يسوع - في زمن هؤلاء الملوك- في عهد الامبراطورية الرومانية. مملكته تثبت إلى الأبد في قلوب المؤمنين به.

لقد زالت الامبراطورية الرومانية؛ فماذا ينتظر بعد بعض اليهود ليفهموا؟!

بالإضافة إلى رؤى نبوخذنصر، كان لدانيال هو أيضاً رؤى لتحذره من التطورات التاريخية التي تتعلق بالامبراطوريات الأربع. ستلاحظ أن جميع هذه الرؤى أقلقت وأنهكت النبي (دانيال 7، 28 ؛ 8، 27). الرسائل الإلهية غالباً ما تكون ثقيلة الحمل.

التاريخ	المملكة	
539-606 ق.م	البابلية	ذهب
331-539 ق.م	الميديا- فارسية	فضة
30-331 ق.م	اليونانية	برونز
30-397 م	الرومانية	حديد و خزف

التمثال الذي شاهده نبوخذنصر والامبراطوريات الأربع

ها هي رؤى دانيال الرئيسية:

1-5.10 الفصل السابع: رؤيا "الحيوانات" الأربع

"الحيوانات" الأربع تمثل الامبراطوريات الوثنية الأربع التي تسبق مجيء المسيح. هذه الرؤيا تشبه رؤيا تمثال نبوخذنصر (دانيال 2). في عهد الامبراطورية الرابعة سيأتي المسيح: إنه "الجد"، السيد على بني إسرائيل منذ القديم، منذ أيام الأزل (ميخا 5، 1)، الجالس على العرش" ليحكم (دانيال 7، 9). "فتح الأسفار" (دانيال 7، 10) هو إشارة إلى الدينونة. هذا التعبير يعود في كتاب الرؤيا (رؤيا 10، 2 / 20، 12). الكتب المفتوحة هي كتب العهد القديم. "فُتحت" لتبرهن، من خلال النبوءات الموجودة فيها، أن يسوع هو حقاً المسيح. هكذا، الذين لا يعترفون بالمسيح يسوع، هم مربكون ومدانون بالنبوءات التي أعلنت عنه (راجع لوقا 24، 25 - 27 ؛ أعمال 17، 2 - 11 و 18، 28). يوبّخ إشعيا الذين لا يفهمون الرؤى النبوية، قائلاً إنها بالنسبة لهم "كأقوال كتاب مختوم" (إشعيا 29، 11).

نجد هذه "الحيوانات" الوثنية الأربع أيضاً في كتاب الرؤيا على صورة "الأحصنة الأربع" (رؤيا 6، 1 - 8). تجتمع كلها في واحد، "الوحش" الذي يمثلها كلها (رؤيا 13). وحش الرؤيا هذا الذي سيظهر في نهاية الأزمنة، يختلف عن تلك التي رآها دانيال: إنه يرمز إلى الوثنية العصرية التي تتجلى بقوة بدولة واحدة قوية عسكرياً وعالمياً، مركزها فلسطين، وعاصمتها المطموع فيها: أورشليم -القدس (رؤيا 13 و 20، 7 - 9). المقصود هو إسرائيل.

2-5.10 الفصل الثامن: رؤيا "تيس الغرب"

رؤيا "تيس الغرب" (الإسكندر الكبير: "ملك اليونان"، دانيال 8، 5 و 21) الذي ينتصر على الامبراطورية الفارسية، "الكبش" (دانيال 8، 6 و 20). بعد انتصاراته العديدة، مات الإسكندر في أوج شبابه، عن عمر 33 سنة: "تعاظم تيس الماعز جداً، ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع من تحته أربعة قرون...". هذه القرون هم قادة الإسكندر الأربعة الذين تقاسموا امبراطوريته (دانيال 8، 8). أنطيوخس أبيفانيوس، الذي عرفته بقراءتك لسفر المكابيين (المكابيين الأول 1، 10 - 44)، خلف أحد هؤلاء الأربعة وحكم منطقة فلسطين. سياسة الهلنة التي مارسها أدت إلى تمرد المكابيين (سنة 167 ق.م: المكابيين الأول 2). يرمز إليه بالقرن الذي "تعاظم جداً نحو الجنوب والشرق والأرض المجيدة" (فلسطين). دنّس هذا القرن هيكل أورشليم بإقامته "المعصية (تمثال زيوس) على المحرقة الدائمة، فطرح الحق على الأرض" (دانيال 8، 11 - 12).

لاحظ أن دانيال لم يفهم الرؤيا (دانيال 8، 27). علينا أن نتذكر هذا المبدأ النبوي الذي سبق ذكره: النبوءة التي تتعلق بحدث تاريخي لا يمكن فهمها إلا بعد حصول الحدث المتنبأ به. عندئذ "تفتح" الكتب النبوية التي تنبأت به. هذه الكتب تبقى "مغلقة" (أو مختومة) على الذين يرفضون الاعتراف بالتحقق التاريخي للنبوءة. سيبقون عمياناً إلى الأبد، عيونهم مغلقة على الحقائق الإلهية.

3-5.10 الفصل التاسع: نهاية 70 سنة من السبي

كان دانيال "يتفحص الأسفار" (إرميا) ويطلب من الله معرفة "عدد السنين التي قال الرب لأرميا إنها ستنقضي على خراب أورشليم وهي سبعون سنة" (دانيال 9، 2). ينتهز الله الفرصة ليكشف له بدلاً من ذلك مخططه الخلاصي من خلال إرسال "الرئيس-المسيح" (يسوع) الذي سيقتل بعد 69 اسبوعاً من إعادة بناء أورشليم" (دانيال 9، 25 - 26). يدعو الله دانيال أن لا يتقيد بالـ 70 سنة التي ذكرها إرميا، بل أن يتطلع إلى أبعد من ذلك وأن يكون لديه رؤية شاملة: الـ 70 سنة هي 70 "أسبوعاً" من السنوات، إذاً 70x7=490 سنة، فترة تقريبية لمجيء يسوع.

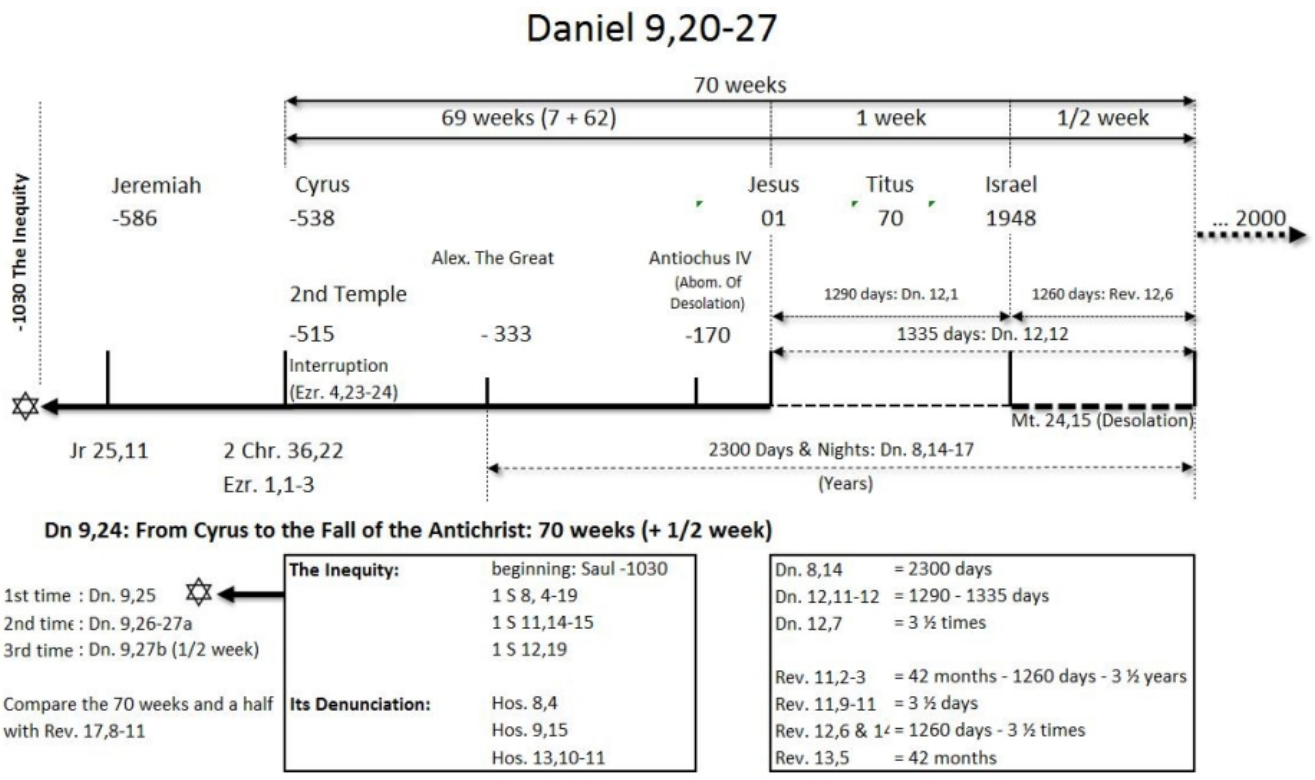

دانيال 9، 20-27

هذه "الـ 70 أسبوعاً من السنوات" تقسم إلى 3 فترات زمانية: 62 – 7 - 1. "بعد 62 أسبوعاً يُقتل المختار الذي مسحته (بالفعل، لقد رفض وصلب) و... (عرش داوود السياسي الصهيوني) لا يكون له"، لأن ملكه روحي. "ويأتي رئيس بجيشه فيخرب المدينة (أورشليم) والمقدس (الهيكل)" (دانيال 9، 26). تيطس هو الذي حقق هذه النبوءة في سنة 70م. هذه النبوءة التي تعلن عن خراب ثانٍ للهيكل، لم تكن بطبيعتها لتعزي دانيال.

الفترة الزمنية من دانيال إلى "الرئيس-المسيح" هي 62 + 7 = 69 أسبوعاً من السنين (رمزية). الأسبوع الأخير من السنوات يرتبط بزمن مجيء المسيح. نصف الأسبوع الأخير، أي ثلاثة أيام ونصف اليوم، ترمز إلى الأزمنة الرؤيوية التي نعيشها. تُعرف بنهاية الأزمنة عندما نرى "رجاسة الخراب" في أورشليم (دانيال 9، 27 / متى 24، 15). هذا الرجاسة ما هي إلا المسيح الدجال الصهيوني في القدس اليوم: عدو المسيح في الأرض المقدسة مع سلسلة من الجرائم والتدمير. الـ "70 أسبوعاً من السنين" تنتهي عندما "ينصب غضب الله على الذي رفعها (إسرائيل)" (دانيال 9، 27). أو أيضاً، بحسب تعبير يسوع: "يدوس الوثنيون (الصهاينة الذين يرفضونه) أورشليم إلى أن يتم زمانهم (دولة إسرائيل)" (لوقا 21، 24).

4-5.10 الفصل الثاني عشر: رؤيا نهاية الأزمنة

هذه الرؤيا الأخيرة تتعلق بالفترة الرؤيوية التي تسبق مباشرة نهاية الأزمنة. "ويكون وقت ضيق لا مثيل له منذ كانت الأمم إلى ذلك الزمان" (دانيال 12، 1)... "فستنزل في ذلك الوقت نكبة ما حدث مثلها منذ بدء العالم إلى اليوم، ولن يحدث"، يؤكد يسوع (متى 24، 21). هذه الفترة هي علامة نهاية الأزمنة، علامة أعطيت كي يتهيأ العقلاء للدينونة الأخيرة، عندها "سيتيقظ كثير من الراقدين في تراب الأرض، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والذعر الأبدي" (دانيال 12، 2).

هذه الرؤيا تشبه رؤى القديس يوحنا. إنها تكشف عدداً رمزياً من الأيام (1290 و 1335 يوماً: دانيال 12، 11 - 12)، عدداً إضافياً كشف ليوحنا (1260: رؤيا 11، 3 و 12، 6). لفهم أفضل علينا أن نقيم مقارنة بين النصين.

بالمقابل، ليس إلا بعد تحقق الأحداث الرؤيوية (سقوط إسرائيل والحرب العالمية الثالثة) حتى "تنفتح" هذه الأعداد لإدراكنا وتتوضح رمزيتها. لهذا السبب كان دانيال "يسمع ذلك ولا يفهمه" (دانيال 12، 8). هذه الأحداث ستدوم "زمن، وزمنين، ونصف الزمن"، إنها "الثلاثة أزمنة ونصف الزمن" و "الثلاثة أيام ونصف اليوم" في رؤيا 11، 8 - 11. وتوافق نصف الأسبوع في دانيال 9، 27. لا أحد يستطيع فهم هذه النبوءة قبل "أن تتم كلها عندما يتم تشتيت قوى الشعب المقدس" (دانيال 12، 7). المقصود هو تدمير الدجال الإسرائيلي الذي ضلل وضعضع المؤمنين. "إذهب يا دانيال، فالأقوال مغلقة ومختومة إلى أن يحين الوقت" (دانيال 12، 9). مع تفسير كتاب الرؤيا تتوضح كل هذه النبوءات.

الكتاب العبري ينهي سفر دانيال في الفصل الثاني عشر. الفصلين 13 و14 غير موجودين إلا في الكتاب المقدس اليوناني. إنهما يكشفان حكمة دانيال ويمكن فهمهما بسهولة.

5-5.10 الخلاصة

هذا نص مختصر لتفهم نبوءات دانيال بشكل جيد. أقترح قراءة الفصول الـ 12 الأول من كتابه وخصوصا الفصول 1 / 2 / 3، 1 - 23 / 4 / 7 / 8 / 9 / 12. إن مفتاح فهم هذه النبوءات هو معرفة أنها تستهدف زمن مجيء المسيح في المستقبل، المسيح الذي طالما انتظره اليهود.

قال يسوع مرات عديدة (أكثر من 40 مرة في الإنجيل) إنه "ابن الإنسان" (متى 8، 20 / 12، 40 / 24، 30 / مرقس 9، 12 / 13، 29 / لوقا 12، 8 / 18، 8 / 21، 36 / يوحنا 1، 51 / 6، 27 / 9، 35 / أعمال 7، 56). لم يفهم اليهود قصده وطلبوا منه: "من هو ابن الإنسان؟" (يوحنا 12، 34). رجع يسوع إلى نبوءة دانيال 7، 13 - 14 التي تعلن عن مجيء المسيح "آتيا على سحاب السماء بمثل ابن إنسان... يكون سلطانه أبدياً...". لاحظ أن بمجيئه "يجلس أهل القضاء وتفتح الأسفار" (دانيال 7، 10). المقصود هو الكتب النبوية التي ستفتح وتتوضح، وليبرهن من خلال هذه الكتب المقدسة أن يسوع هو بكل تأكيد المسيح الذي بشر به الأنبياء (أعمال 17، 2 / 17، 11). نجد هذا التعبير أيضاً في كتاب الرؤيا 20، 12 عن المجيء الثاني ليسوع ليثبت، ودائما من خلال الكتب المقدسة المفتوحة وبالأخص كتاب الرؤيا، هذا "الكتاب الآخر المفتوح"، أن المسيح، الذي جاء من 2000 سنة، قد عاد، روحياً.

كي نفهم نبوءات دانيال، يجب أن نأخذ بعين الإعتبار أن كل ما جاء في كتابه يهدف إلى مجيء المسيح. هذه هي النقطة المركزية لهذا الكتاب. كل النبوءات الأخرى هي ذات طابع تاريخي وتعنى بالامبراطوريات التي تسبق مجيء المسيح، التي تتابعت في أيام دانيال وبعده: البابلية، المادية، الفارسية، اليونانية ثم الرومانية. فعلى عهد هذه الامبراطورية الأخيرة، أي الرومانية، يعلن كتاب دانيال مجيء "ابن الإنسان" (دانيال 7، 13 - 14)، "المسيح المقتول" (دانيال 9، 26)، الحجر الذي انقطع من الجبل دون أن تلمسه يد" (دانيال 2، 33)، "حجر العثرة" الذي تكلم عنه يسوع (متى 21، 42)، الذي سحق الامبراطوريات البشرية والذي مملكته الروحية لا تزول أبداً (دانيال 2، 29 - 45).

قلق دانيال كان بسبب السبي البابلي وخراب الهيكل. لقد تنبأ إرميا أن هذا السبي سيدوم 70 سنة (إرميا 25، 11 - 12 و29، 10). لكن هذه المدة طالت، ولم يكن دانيال يرى نهاية لمصائب إسرائيل. فقد كان هناك هجرتان: الأولى في سنة 597 ق.م، تبعتها أخرى سنة 587 ق.م. عودة خجولة من المنفى حصلت بعد نداء كورش في سنة 538 ق.م. في حوالي سنة 515 ق.م، جرت محاولة لبناء الهيكل، لكن تبعها توقف دام "إلى السنة الثانية لداريوس ملك الفرس" بسبب معارضة السامريين (عزرا 4، 24). هكذا نفهم قلق دانيال المتشوق لرؤية إعادة بناء الهيكل فيعترف قائلاً: "في السنة الأولى من عهد داريوس، تبينت، أنا دانيال، من قراءة الأسفار عدد السنين التي قال الرب لإرميا النبي إنها ستنقضي على خراب أورشليم، وهي 70 سنة" (دانيال 9، 1 - 2). هكذا إذاً، في السنة الأولى لداريوس، مرت الـ 70 سنة لكن دون أن يعاد بناء الهيكل بحسب ما توقع دانيال وجميع اليهود.

هكذا، النقطة الهامة التي علينا أن ندركها هي أن دانيال كان متلهفاً لرؤية بناء الهيكل، ومجيء المسيح كإمبراطور قدير لتأسيس - أخيراً- الامبراطورية الإسرائيلية في العالم. كما هو حال الإسرائيليين الصهاينة في أيامنا.

قرر هذا النبي إذاً أن يميت جسده بالصوم وباعترافه، من خلال دفاع منظم، بأخطاء شعبه المتعددة، متوسلاً الخالق أن يسامح وأن يعيد بناء الهيكل وهذا، ليس من أجل فضائل الشعب الإسرائيلي الخاطىء، بل من أجل شرفه السماوي الخاص (دانيال 9، 3 - 19). يحاول أن يقنعه أن الأمر يتعلق هنا بالسمعة الإلهية الخاصة: "أنظر بعين الرضى إلى مقدسك الخرب، وذلك لأجلك أيها السيد... ونحن لا نلقي تضرعاتنا أمامك لأننا صالحون، بل لأنك كثير الرحمة. أيها السيد إسمع... لأن اسمك دعي على مدينتك (أورشليم) وشعبك" (دانيال 9، 17 - 19).

أمام هذا الإلحاح البشري الصادق، إلحاح ناتج عن جهل وعدم فهم هذا "الرجل المحبوب" للمخطط الإلهي (دانيال 10، 11)، تتدخل السماء لدى دانيال - بطريقة مفاجئة واندفاع- لتقاطع هذه اللائحة الطويلة من كلمات الدعاء المملة: "وبينما كنت أتكلم... إذا بالرجل جبرائيل طار سريعا ولمسني..." (دانيال 9، 20). هذه المقاطعة المفاجئة لجبرائيل تستعيد تعليم يسوع: "لا ترددوا الكلام ترداداً في صلواتكم... لأن الله أباكم يعرف ما تحتاجون إليه..." (متى 6، 7). كانت هذه المقاطعة الملائكية ضرورية بالنسبة لدانيال لوضع حد لهذا الوابل من الكلمات التافهة. لأن دانيال اعترف قائلاً: "بينما كنت أتكلم..." (دانيال 9، 20).

قال له جبرائيل: "تأمل وافهم الجواب على الرؤيا: حدد الله سبعين مرة سبع سنوات على شعبك ومدينتك المقدسة للقضاء على المعصية وإنهاء الخطيئة، وتكفير الإثم وإحلال الحق الأبدي، وتمام الرؤيا والنبوءة وإعادة تكريس قدس الأقداس. فاعلم وافهم... في الهيكل ترتفع رجاسة الخراب، وتبقى هناك إلى أن ينصب غضب الله على الذي رفعها" (دانيال 9، 24 - 27).

لم يفهم دانيال شيئاً من هذه الرؤيا مع أن جبرائيل قد قال له: "تأمل وافهم الجواب على الرؤيا". كان النبي متلهفاً لرؤية الأحداث التي أعلن عنها إرميا بعد السنوات الـ 70 من النفي تتحقق على أرض الواقع. بينما، تأتي السماء لتعلن له أن الـ 70 أسبوعاً هي 70 أسبوعاً من السنين، أي 70 × 7 = 470 سنة قبل التحقق التاريخي للنبوءات، وهذا، ليس لإعادة بناء هيكل أورشليم حسب تفسير دانيال، بل "لإعادة تكريس قدس الأقداس"، أي المسيح الذي هو الهيكل الحقيقي بالمفهوم السماوي. هكذا، يفقد هيكل أورشليم أهميته. يسوع هو من وضّح هذه النبوءة بإعلانه، عند مجيئه، بعد حوالي 490 سنة (70 أسبوعاً من السنين بعد دانيال): "إهدموا هذا الهيكل، وأنا أبنيه في ثلاثة أيام... وكان يسوع يعني بالهيكل جسده" (يوحنا 2، 18 - 22). فيما بعد أيضاً، بعد قيامة يسوع، فهم الرسل أن هيكل الله يسكن في كل نفس تتبع يسوع (كورنثوس الأولى 3، 16 - 17). كتاب رؤيا يوحنا يكشف أيضاً ما هو أفضل من ذلك: كل بناء ديني مادي - هيكل، كنيسة، جامع، باغود، إلخ- يصبح باطلاً، إذ أنه في أورشليم السماوية لا يوجد هيكل أو بناء من هذا القبيل (رؤيا

21، 22). لقد كان دانيال بعيداً كل البعد عن هذا المفهوم الإلهي، مضطرباً وعاجزاً عن هذه العبادة بالروح. فنفهم بالتالي حالته النفسية المنهكة (دانيال 8، 27 / 10، 9 - 10).

من خلال روح يسوع أعطينا أن نفهم النبوءات وفقاً لمقصود الله، التي لم يكن دانيال قادراً على إدراك معانيها. يوحنا المعمدان بنفسه، الذي أتى بعد 5 قرون نذيراً للمسيح، لم يكن قد فهمها هو أيضاً. وفقاً لشهادة يسوع، كان يوحنا "أعظم من نبي، ولكن أصغر الذين في ملكوت السماوات أعظم منه" (متى 11، 11). لأن يوحنا المعمدان، هو أيضاً، مثل دانيال، كان يتوقع مملكة إسرائيلية ثيوقراطية (دينية). بينما "أصغر الذين في ملكوت السماوات" قد فهم جيداً البعد الروحي والداخلي لملكوت الله ولامبراطوريته الأبدية. الاضطراب النفسي الذي أصاب دانيال، حتى وإن كان لاشعورياً، "أضعفه وجعله يمرض لأيام" (دانيال 8، 27).

رؤى دانيال لا تنحصر بمجيء يسوع الأول، بل تمتد في الزمن إلى حين عودته في الزمن الرؤيوي: "وقت ضيق لا مثيل له منذ كانت الأمم إلى ذلك الزمان" (دانيال 12، 1). يستعيد يسوع هذه النبوءة في متى 24، 21 ويشير إلى "رجاسة الخراب" التي تكلم عنها النبي دانيال (متى 24، 15). يسوع، بمجيئه الأول والثاني، "يفتح الكتب"، أي الكتب النبوية التي تبشر بمجيئه وبعودته للدينونة (دانيال 7، 10 / رؤيا 20، 12). هكذا تكون جميع نبوءات دانيال قد تحققت من خلال هذين المجيئين. ننتظر "الإفناء المقضي على المخرب" (دانيال 9، 27): أي سقوط الوحش. عندئذٍ سنفهم القليل الباقي لنا لفهم النبوءات.

ملاحظة: يهدف كتاب دانيال بشكل رئيسي إلى مجيئي يسوع الذي، من خلال عودته، سيفسر أقوال دانيال التي عيّنها الله لتبقى "مختومة إلى آخر الأيام" (دانيال 12، 4). هذه الأيام التي نحن نعيشها اليوم.

6-5.10 ملحق

تأمل بدانيال الأمس وبنا نحن اليوم، الرومان مع بني إسرائيل في الأمس والولايات المتحدة الأمريكية معهم اليوم:

الفصل الثاني من دانيال يعرض حلم نبوخذنصر عن "التمثال الذي رأسه من الذهب... وقدماه بعضهما من حديد وبعضهما من خزف". هذا يعني "أنهما يختلطان بزرع بشري، ولكن لا يلتحم هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف " (دانيال 2، 43). هذا الزرع البشري الهش، في مقصود الله، والذي يأتي بعد دانيال بـ 3 قرون، يشير إلى التحالف الهش بين الرومان وإسرائيليي ذلك العصر كما يكشف كتاب المكابيين الأول 8، 17 الخ... هذا التحالف "بذرع بشري"، أي بين الرومان والإسرائيليين، لا يمكنه إلا أن يكون هشاً. خليط بشري كهذا هو في مثل هشاشة المزيج الغير ممكن بين الحديد والخزف. الرومان، في هذا الوقت، كانوا مشهورين بكونهم لا يقهروا، كشهرة الولايات المتحدة الأمريكية اليوم (المكابيين الأول 8، 1 - 14 وبخاصة الآيات 11 - 13). الدعم الروماني المطلق لليهود يظهر في الرسالة المعلنة في كتاب المكابيين الأول 15، 15 - 24. في عهد الامبراطورية الرومانية، كانت إسرائيل موجودة كدولة. فليس من الخطأ إذاً أن نقول إن "هذا الوحش كان موجوداً في الماضي" (رؤيا 17، 8)، مدعوماً من الرومان. كل ذلك كان يمهد لمجيء الذي "مملكته لا تخرب أبداً وتثبت إلى الأبد..." (دانيال 2، 44) كونها في النفوس. بالفعل، في عهد الامبراطورية الرومانية أتى مخلصنا المبارك. على الرغم من الدعم الروماني للإسرائيليين في الأمس، فالرومان هم الذين دمّروا المملكة الإسرائيلية على يد تيطس في سنة 70 م. هكذا ظهرت هشاشة التحالف.

اليوم، "من جديد"، إسرائيل، وحش الرؤيا الأول، حصلت على حماية الدولة الأمريكية القديرة، وحش الرؤيا الثاني. ذلك أيضاً كان يهيء، ولا يزال، مجيء الذي "لا نهاية لملكه...". لكن المقصود اليوم هو مجيئه الثاني، عودته، دائماً في القلوب. الذين لا ينامون بل يبقون مخلصين إلى النهاية، ساهرين متمنطقين بسلاح البصيرة، "يفتحون له ما أن يدق باب القلب" (لوقا 12، 35 - 36 و 24، 33 / رؤيا 3، 20).

11. الدرس الحادي عشر - الكتب النبوية الصغيرة الاثني عشر

1.11 هوشع

أصله من الشمال. تنبأ على اليهود "في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا، ملوك يهوذا (الجنوب)، وفي أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل (الشمال)" (هوشع 1، 1). كان إذاً معاصراً لإشعيا (الذي تنبأ على الملك آحاز). هوشع كان أيضاً معاصراً لعاموس. من المحتمل أنه رأى سقوط السامرة على يد الأشوريين (721 ق.م).

طلب الله منه أن يكون علامة لليهود بزواجه من "امرأة زنى" (مثل كل الشعب اليهودي) وبإنجابه "أولاد زنى لأن أهل الأرض كلهم يزنون في الخفية" (هوشع 1، 2). أعلن الله بلسانه أنه "سيضع حداً لمملكة إسرائيل. وفي ذلك اليوم يكسر قوس بني إسرائيل في وادي يزرعيل" (هوشع 1، 2 - 5). هذا الوادي هو وادي مجدو، حيث حصلت هزيمة الملك يوشيا المفجعة بعد قرن ونصف (الملوك الثاني 23، 29 - 30). يستعيدها كتاب الرؤيا كرمز للهزيمة النهائية لإسرائيل العصر (رؤيا 16، 16).

السياق التاريخي لنبوءات دنيال

الامبراطورية الأشورية

سقوط نينوى 612

1. الامبراطورية البابلية

معركة مجدو 609
معركة كركميش 605
نبوخذ نصر 604- 562 604
السبي (أرميا 25): السبعون سنة 587
سبي دنيال (دنيال 1)
بلشصر (ابن نابونيدوس ابن نبوخذنصر) 545

2ا. الامبراطورية الميدية

كورش الفارسي 555
ضد الميديين

دخول قورش إلى بابل 539
موت بلشصر (دنيال 5، 30)

2ب. الامبراطورية الفارسية

نداء كورش (دنيال 9) 538
قمبيز (ابن قورش) 530
توقف بناء الهيكل
عزرا 4 و5
داريوس الأول : (522-486) (دنيال 6، 1) 522
استئناف بناء الهيكل
عزرا 6

3. الامبراطورية اليونانية

الاسكندر الكبير 336
معركة إسوس 333
معركة اربيل 331
السلوقيون الأربع 319

انطيوخوس الرابع الظاهر 175
(175 - 164) (دنيال 7، 8 / 8، 9)
رجاسة الخراب 170
(دنيال 9، 27 / 11، 31 / 12، 11)

4. الامبراطورية الرومانية

متى 24، 25 63
بومبيوس يستولي على أورشليم 1
يسوع: (دنيال 9، 25) 70
تيطس يهدم الهيكل الثاني
(دنيال 9، 26)

دنيال 1 : دنيال في بابل

دنيال 2 : تمثال الامبراطوريات الأربع
(البابلية - الميديا-فارسية - اليونانية - الرومانية)

دنيال 3 : تمثال الذهب والنشيد

دنيال 4 : الشجرة وجنون نبوخذنصر

دنيال 5 : موت بلشصر

دنيال 6 : دنيال في جب الأسود

دنيال 7 : رؤيا الحيوانات الأربع (السنة الأولى من عهد بلشصر):
(البابلية - الميدية - الفارسية - اليونانية)

دنيال 8 : الكبش والتيس
(الفارسية - اليونانية : السنة الثالثة من عهد بلشصر)

دنيال 9 : السبعون أسبوعاً (السنة الأولى من عهد داريوس)

دنيال 10-11: الفارسية واليونانية (السنة الثالثة من عهد كورش)
(انطوخيوس الرابع الظاهر)

دنيال 12 : زمان النهاية

ملاحظة: قراءة:
المكابيين الأول 1: للمقارنة مع دنيال 11، 31-39
متى 24 / لوقا 19، 41-44 / لوقا 21، 20-24
عزرا ونحميا

الإطار التاريخي لنبوءات دانيال

يعلن هوشع، كما سيفعل إرميا فيما بعد (إرميا 3، 18)، عن إتحاد "بيت يهوذا وبني اسرائيل واختيارهم رئيساً واحداً... فيكون اليوم الذي يزرعهم في الله يوماً عظيماً" (هوشع 2، 2). هذا الرئيس الوحيد هو المسيح الذي سيوحّد في شخصه كل البشر بعد تدمير الجيش الإسرائيلي الذي يشكل عائقاً لمخطط الله. لهذا سيكون "عظيماً يوم يزرعيل" لأنه سيرى زوال هذا الجيش: "أنا أهلككم يا بني إسرائيل" (هوشع 13، 9). هوشع هو ضد القومية الإسرائيلية وملكيتها (هوشع 8، 4 و 13، 9 - 11)؛ إنه يكشف عن الخلاص الروحي لا الحربي، خلاص لا يراد لا "بالقوس ولا بالسيف ولا بالخيل ولا بالفرسان ولا بأدوات الحرب كلها" (هوشع 1، 7). راجع أيضاً هوشع 10، 13 - 15 الذي يتكلم عن خراب إسرائيل العسكري "التي اتكلت على إدراكها وعلى كثرة جبابرتها" بدلاً من اتكالها على الله. لقد تجرأ هوشع إذاً، كما فعل صموئيل قبله، على إدانة الملكية الإسرائيلية، وبالتالي القومية اليهودية.

فوق كل ذلك ثار هوشع على الكهنة والأنبياء المزعومين الذين يتركون الشعب في الجهل (هوشع 4، 4 - 6). عندما تقرأ هذا النبي، كن متعاطفاً مع ألمه، فهو يتوجه إلى اليهود بوجع داخلي. يفضح زناهم الروحي متنبأً بسبي الشمال (هوشع 8، 6 - 13). اضطهده الإسرائيليون: "النبي أحمق ورجل الروح مجنون... ينصبون له فخاً على جميع طرقه، ويشتمونه في بيت إلهه" (هوشع 9، 7 - 8).

2.11 يوئيل

عندما تقرأ يوئيل بانتباه ستكتشف أنه يتوجه إلى مجتمعين مختلفين يبعد أحدهما عن الآخر قروناً عديدة:

1. إلى يهود يهوذا
2. فيما بعد، إلى جميع الأمم

كلاهما سيعاقبا على خيانتهما. بعد العقاب سيكون هناك تجديد.

هذا هو الموضوع العام ليوئيل. إليك التفاصيل:

1-2.11 عقاب يهوذا

يوئيل يوجه الذم الإلهي إلى أهل يهوذا: "أنفخوا في البوق في صهيون (أورشليم). إهتفوا في جبلي المقدس!" (يوئيل 2، 1). "صعدت أمة على أرضي. هي قوية ولا عدد لها: .. دمرت كرمي وقصفت تيني" (يوئيل 1، 6 - 7). "الكرم" و "التين" هما من رموز إسرائيل. عندما لعن يسوع التينة، لمّح إلى دمار إسرائيل (متى 21، 18 - 21).

يوئيل هو نبي ما بعد السبي. العقاب المعلن هو إذاً الغزو الروماني ودمار الهيكل على يد تيطس (70 م). الكهنة هم مدعوون إلى التوبة قبل إبطال العبادة في الهيكل: "إتزروا بالمسوح (رمز التوبة) واندبوا أيها الكهنة... بيت إلهنا (الهيكل) محروم من التقدمة (التي يقربها المؤمنون)... (يوئيل 1، 13 - 14)... يقول الرب: توبوا إلي بكل قلوبكم... مزّقوا قلوبكم لا ثيابكم. فتوبوا إلى الرب. الرب حنون رحوم... لعله يرجع (عن قراره بتدميركم) ويندم ويبقي وراءه بركة (ولن يعاقبكم أبداً لأنكم ندمتم)" (يوئيل 2، 12 - 14).

النكبة التي تنبأ بها يوئيل ستأتي من "الشمال" وستكون مماثلة، بالخراب الذي ستوقعه، إلى مختلف أنواع الجراد: "فضلة الزحاف أكلها الجراد، وفضلة الجراد أكلها الجندب..." (يوئيل 1، 4). آفة الجراد هذه ذكرها عاموس أيضاً (عاموس 4، 9) وملاخي (ملاخي 3، 11). ويستعيدها كتاب الرؤيا (رؤيا 9، 2 - 11).

هذا العقاب هو "يوم الرب" (يوئيل 1، 15 / 2، 1 / 2، 11)، عبارة نبوية قد أصبحت تقليدية (إشعيا 13، 6 / حزقيال 30، 2-3 / عاموس 5، 18). بعض اليهود يعتقدون أن هذا اليوم سيكون لصالحهم؛ لكن جميع الأنبياء دعوهم أن لا يتوهموا": "يوم الرب قريب يأتي كالخراب من عند القدير (يوئيل 1، 15)... إرتعدوا يا جميع سكان الأرض. يوم الرب... يوم ظلمة وغروب" (يوئيل 2، 1 - 2). "ويل للمتمنين يوم الرب... هو ظلام لا نور" (عاموس 5، 18).

2-2.11 التجديد

بعد الخراب، يبشر الله بالتجديد: "وأعوض لكم عن السنين التي أكل قوتها الجراد والجندب... فتأكلون وتشبعون وتهللون لاسم الرب إلهكم" (يوئيل 2، 25). هذا الإصلاح سيكون روحياً بالمسيح، من خلال جسده ودمه. لقد تكلم يسوع عن ذلك لرسله: "الحق أقول لكم: متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء، تجلسون أنتم الذين تبعوني..." (متى 19، 28). الذين تبقى ذهنيتهم مادية وسياسية لن يذوقوا هذا الطعام الإلهي و "عصير الكرمة سينقطع عن أفواههم" (يوئيل 1، 5): "عصير الكرمة" هو الذي يقدمه يسوع لتجديد الروح (يوحنا 6، 53 - 57 / لوقا 22، 14 - 20 / متى 26، 27 - 29).

هذا التجديد الأول يحدث بنعمة من روح الله: "في الأيام الأخيرة (نكبة الجراد) أفيض من روحي على جميع البشر (إذاً على جميع الناس- بيسوع - وليس على اليهود وحدهم). فهم اليهود هذا التجديد سياسياً، "تجديداً" لدولة إسرائيل. لكن الرسل فهموا أن المقصود هو بعد روحي داخلي، في النفس البشرية.

لهذا السبب يرجع بطرس إلى هذه النبوءة عن فيض الروح الإلهي في أعمال 2، 17 - 21. كذلك يحدد في أعمال 3، 20 - 21 أن "تجديد كل شيء مثلما أعلن الله من قديم الزمان بلسان أنبيائه الأطهار" يتحقق بيسوع. يتم هذا التجديد على مرحلتين: المرحلة الأولى تمّت بمجيء يسوع منذ 2000 سنة، والثانية تتم الآن في زمننا الرؤيوي من خلال عودة يسوع المسيح فينا. أتكلم عن هذه المرحلة الأخيرة فيما بعد وأيضاً في نص "مفتاح سفر الرؤيا".

3-2.11 عقاب العالم

عقاب إسرائيل المؤلم هو مَثَلٌ ودرس لجميع أمم العالم التي لم تعد تبالي برسالة يسوع. "فها أنا في تلك الأيام وفي ذلك الزمان، حين أعيد سكان يهوذا وأورشليم من السبي، أحشد جميع الأمم وأنزلهم إلى وادي يوشافاط وأحاكمهم هناك من أجل شعبي وميراثي إسرائيل (يوئيل 3، 1). اغيروا أيها الأمم واصعدوا إلى وادي يوشافاط، أنا هناك جالس لأدين الأمم المجاورة... أعملوا المنجل فالحصيد نضج تعالوا دوسوا فتمتلىء المعصرة وتفيض الخوابي... إلى وادي حروص يا جماهير يا جماهير، فيوم الرب اقترب في وادي حروص..." (يوئيل 3، 12 - 14).

"وادي يوشافاط" هو مكان رمزي غير موجود جغرافياً ويعني: "الله يدين"، إنه أيضاً "وادي حروص" أو "السحق" أو "القرار" الإلهي بضرب أعداء الله ومسيحه، يسوع الناصري.

هذه الدينونة ستحدث قبيل نهاية الأزمنة حيث أن "الحصيد قد نضج" و "المعصرة قد امتلأت". كتاب الرؤيا ليوحنا يردد نفس عبارات يوئيل (رؤيا 14، 14 - 19) ويفسر أن يسوع، "كلمة الله... يدوس في معصرة خمر نقمة غضب الله القدير" (رؤيا 19، 13 - 15).

هكذا إذاً، "إسرائيل" أو "شعب الله" الذي يتكلم عنه يوئيل (يوئيل 4، 1) يتألف من تلاميذ يسوع. هذا هو شعب الله الحقيقي . في أيامنا الرؤيوية ستدان إذاً جميع الأمم التي تدعم إسرائيل، الدولة التي تأسست على الظلم وإنكار يسوع. منكرو المسيح تجمّعوا من كل الأمم في فلسطين "ليُسحقوا" كما تُسحق الكرمة في المعصرة. هذا هو "وادي يوشافاط" حيث الله يدين ويسحق تحت أقدام مسيحه، المسيح الدجال وجميع الدول التي تدعمه.

مع مجيء يسوع الأول، حصل أول فيض للروح الإلهي. هذا الفيض لم يحدث من دون أحداث دموية: دمار أورشليم وخراب الهيكل سنة 70 م. قبل عودة المسيح، سيحصل فيض ثان (وهو يحصل حالياً)، ودائماً من خلال أحداث دموية - حروب وثورات - تهيئ للحرب العالمية الثالثة: "وعلى عبيدي أيضاً، نساءً ورجالاً، أفيض روحي في تلك الأيام. وأصنع عجائب في السماء والأرض، دماً وناراً وأعمدة دخان"، يقول الرب (يوئيل 3، 3). تشير هذه العلامات إلى الحروب: أعمدة الدخان هي من مميزات القنابل الحديثة... خصوصاً القنابل النووية.

يذكرنا يسوع بكل هذه العلامات (متى 24 / لوقا 21)، "مصائب تلك الأيام و "الشمس التي تظلم والقمر الذي لا يضيء" (متى 24، 29)، كما يقول يوئيل (يوئيل 3، 4) وكتاب الرؤيا (رؤيا 6، 12). لا يجب أن نفهم ذلك حرفياً وأن نتوقع زوال الشمس والقمر. إنها عبارات رمزية ونبوية، تشير إلى الأزمنة الصعبة، زوال الإيمان والأخلاقية، كسوف الشمس الروحي.

4-2.11 "الإصلاح الشامل"

بعد هذه النكبات، كل شيء سيتجدد: "وفي ذلك اليوم تقطر الجبال خمراً جديداً... وجميع سواقي يهوذا تسيل مياها. ويخرج معين (روحي) من بيت الرب" (يوئيل 4، 18 - 19).

"الخمر الجديد" أو "عصير الكرمة" (كما يترجمه البعض) يرمزان إلى الأزمنة الجديدة التي تلي العقاب الشامل. إنهما "السماء الجديدة والأرض الجديدة" بعد هزيمة أعداء يسوع (رؤيا 21، 1). مصر ترمز إلى الكفار الذين سيبقون في الحزن.

هذا الزمن هو زمن تجديد جماعي روحي، أشدد على روحي وجماعي. هو يحدث داخل روح المؤمنين، كل المؤمنين الحقيقيين. المسيح بذاته سيظهر لهم كما وعد (يوحنا 14، 21) وكما أعلن بطرس: "فتجيء أيام الفرج من عند الرب، حين يرسل إليكم المسيح الذي سبق أن عينه لكم، أي يسوع الذي يجب أن يبقى في السماء إلى أن يحين زمن تجديد كل شيء، مثلما أعلن الله من قديم الزمان بلسان أنبيائه الأطهار" (أعمال 3، 20 - 21). لأن، كما يكشف لنا بولس، "المسيح سيظهر ثانية، خارج الخطيئة (بالروح، في النفس)، لخلاص الذين ينتظرونه" (العبرانيين 9، 28).

الذين فهموا أن الإصلاح الشامل هو قيامة وطنية إسرائيلية سيهلكون في "وادي يوشافاط"، ويسحقوا في "معصرة غضب الرب".

3.11 عاموس

إنه الأقدم من بين الأنبياء الكتبة؛ تمتد رسالته من 783 حتى 743 ق م. هو إذاً معاصر لهوشع، إشعيا وميخا، لكنه يسبقهم.

بشّر عاموس في الشمال، في معبد بيت إيل، حيث أرسله الله ليتنبأ على إسرائيل وملكها، يربعام الثاني (عاموس 7، 7 - 14). لكنه من الجنوب، من تقوع في يهوذا (عاموس 1، 1)، ما شكّل سبباً إضافياً ليكون مكروهاً من الإسرائيليين.

عاموس هو راع بسيط، فقير وغير مثقف. لم يكن عضواً في مدرسة نبوية معترف بها، ولم يكن يملك شهادة ليتنبأ مثل بعض الذين كانوا يزعمون النبوءة في زمنه. يعترف بنفسه أنه ما كان "لا نبي ولا ابن نبي" (عاموس 7، 14)، وإنه لم يكن عضواً في أي أخوية أو تجمع نبوي (مثل بعض الحركات التي

تستهوي الجماهير في أيامنا). لا يتاثر الرب بشهادات دينية في اختياره للبشر. بالإضافة إلى أن الربّ أخذ عاموس "من وراء الغنم" (عاموس 7، 15) كما اختار بطرس، اندراوس، يعقوب ويوحنا، بعد ثمانية قرون، وانتزعهم عن شباك صيدهم ليصنع منهم رسلاً لمسيحه. احتقر عاموس الكتبة والفريسيين - مع أنهم كانوا أكثر ثقافة وعلماً منه في الديانة - مفضلاً أناساً قلوبهم لينة وطيعة للروح القدس.

طلب الرب من عاموس أن يتنبأ ضد إسرائيل: "سأجعل الشاقول في وسط شعبي إسرائيل ولا أعود أغض النظر عن اعوجاجهم من بعد" (عاموس 7، 7 - 9). "الشاقول" هو أداة قياس: الرب "يقيس" استقامة الروح، كما في رؤيا 11، 1، ليكشف القلوب ويدين الأشرار. إنها نبوءة عن الغزو الأشوري (عاموس 3، 11) وعن السبي (عاموس 5، 27).

عاموس هو أول من تكلم عن "يوم الرب الذي سيكون ظلاماً لا نوراً للإسرائيليين" (عاموس 5، 18) وعن "القلة الباقية" التي تنجو بعد الدينونة (عاموس 5، 15).

إنه نبي العدالة الإجتماعية، لأنه ثار على الأثرياء وعلى غناهم الفاحش (عاموس 2، 6 - 7 / 4، 1 - 3 / 5، 7 - 12).

امتدت نبوءته على اليهودية أيضاً، فتنبأ بخرابها: "هذا ما قال الرب: ...أرسل ناراً على يهوذا، فتأكل أورشليم ولا تبقي منها شيئا" (عاموس 2، 4 - 5).

فضح عاموس العبادة الظاهرية، معلناً أن الله يمقتها، وأنه يطالب بممارسة العدالة كعبادة: "أبغضت أعيادكم ورفضتها... محرقاتكم وتقدماتكم `لا أرضى بها،...بل ليجر العدل كالمياه، والصدق كنهر لا ينقطع" (عاموس 5، 21 - 24).

4.11 عوبديا

إنه الأقصر من بين الكتب النبوية. اسمه يعني "عبد الله".

هذا الكتاب الصغير هو نبوءة ضد الأدوميين لأنهم غزو يهوذا: "من أجل جوركم يا بني عيسو على أخوتكم بيت يعقوب سيغمركم البؤس وتنقرضون إلى الأبد" (عوبديا 1، 9 - 10).

تنبأ عوبديا بالتجديد لأهل يهوذا: "ويرث أهل الجنوب جبل عيسو (أدوم)..." (عوبديا 1، 19 - 21). هذا التجديد هو وطني أيضاً مع طموحات توسعية للإستيلاء على أدوم.

5.11 يونان

القصة التي تحكى في هذا الكتاب هي قصة رمزية، غير تاريخية، حتى ولو نُسبت إلى النبي يونان المذكور في سفر الملوك الثاني 14، 25.

مغزى القصة: يقبل الرب توبة كل البشر، ولو كانوا من أهل نينوى (أشوريين)، أعداء اليهود. الله إذاً ليس حكراً ولا ملكاً لليهود فقط، بل للبشرية جمعاء.

أرسل يونان إلى أهل نينوى، تماماً مثل رسل يسوع الذين بشروا الوثنيين بالتوبة وبالمسيح، ومثل يسوع الذي كان عطوفاً مع الجنود الرومان. كل هذا هو سبب لغضب المتعصبين، من اليهود وغير اليهود. ماذا كان سيفكر، اليوم، بعض المسيحيين عن أحد أساقفتهم الذي يفضل المسلمين عليهم. والعكس بالعكس، ماذا يقول المسلمون عن أحد شيوخهم الذي يفضل مسيحيين عادلين على بعض المسلمين الكافرين؟

بقاء يونان في جوف الحوت لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال (يونان 1، 17) ترمز إلى بقاء المسيح في جوف الأرض لثلاثة أيام قبل قيامته. المزمور الذي قاله يونان بعد خروجه من جوف الحوت، ينطبق تماماً على المسيح في جوف الأرض بعد ضيق الصلب وقيامته بعد الموت: "نزلت إلى أسس الجبال، إلى أرض أبوابها انغلقت علي يا رب إلى الأبد" (يونان 2، 6).

لذلك تكلم يسوع عن "آية" يونان (متى 12، 40 - 41). هذه الآية كانت وستبقى غير مفهومة من قبل الكثيرين، وبخاصة من أغلبية اليهود الذين سيحكم عليهم أهل نينوى - ويدينوهم- لأنهم لم يؤمنوا بأن يسوع هو المسيح! بينما أهل نينوى آمنوا بيونان، الذي هو أقل أهمية من يسوع (متى 12، 41). هذه الدينونة تشكّل ضربة قاضية لكل المتعصبين.

6.11 ميخا

ميخا هو ريفي من جنوب يهوذا، من "مورشت" جنوبي حبرون. مارس رسالته النبوية "في أيام يوثام وآحاز وحزقيا، ملوك يهوذا" (ميخا 1، 1). قروي بسيط، على الصعيد الفكري كان يشبه عاموس، الراعي البسيط. كان معاصراً لإشعيا. ومثل عاموس، فضح الترف الجامح للذين "يشتهون حقولاً فيغتصبونها وبيوتاً فيستولون عليها" (ميخا 2، 2).

فضح ظلم الإسرائيليين وتنبأ بخراب السامرة ويهوذا: "سأجعل السامرة خرابا... ضربة السامرة لا تشفى، ارتدت فأصابت يهوذا، بلغت أبواب أورشليم. أبواب مدينة شعبي" (ميخا 1، 6 - 9). تنبأ بخراب أورشليم والهيكل (ميخا 3، 12) وكذلك بالسبي (ميخا 4، 10): "لذلك ستفلح صهيون بسبب أعمالكم كحقل، فتصير أورشليم خرائب وجبل بيت الرب وعراً" (ميخا 3، 12)... لتذهبي إلى بابل" (ميخا 4، 10).

يعزي ميخا اليهود بالمسيح الملك الذي "سيجمعهم كغنم الحظيرة... يكون هو الرب ملكهم، هم يعبرون وهو على رأسهم" (ميخا 2، 12 - 13). هذا الملك سيولد في بيت لحم: "لكن يا بيت لحم أفراتة، صغرى مدن يهوذا، منك يخرج لي سيد على بني إسرائيل يكون منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخا 5، 1). هذه النبوءة تحققت بيسوع، الذي ولد في بيت لحم (متى 2، 6 / يوحنا 7، 42). إحفظ جيداً هذه النبوءة المهمة، خاصة لأنها تكشف الأصل الأزلي للمسيح (طابق مع أسمائه الإلهية: إشعيا 9، 5).

يعزي ميخا اليهود أيضا بالتجديد بعد الخراب. لكن هذا التجديد فهم أيضاً من المنطلق القومي: "يكون جبل بيت الرب في رأس كل الجبال... وتجري إليه الشعوب... وأنت يا جبل بنت صهيون، إليك يأتي الحكم ويعود الملك كما من قبل إلى مدينة أورشليم"(ميخا 4، 1 - 8). كذلك، لم ينظر إلى لمسيح إلا كملك قومي "تمتد عظمته إلى أقاصي الأرض ويقاوم الأشوريين إذا داسوا أرضنا"(ميخا 5، 2 - 5).

كان لميخا تأثير كبير. فبقي اليهود يتذكرون نبوءاته لعدة قرون من بعده، كما يكشف إرميا (إرميا 26، 18) بخصوص نبوءة ميخا عن خراب أورشليم والهيكل (ميخا 3، 12).

7.11 صفنيا، ناحوم، حبقوق

علينا دراسة هؤلاء الأنبياء الثلاثة مع بعضهم البعض لأنهم معاصرون. عاشوا نفس الفترة الصعبة التي سبقت سقوط نينوى (في سنة 612 ق.م)، وكان يحييهم نفس الأمل، أي رؤية تجديد إسرائيل القومي مع سقوط نينوى الذي طالما تمنوه. لكن، بعد هذا السقوط، كان اليأس التام بعد هزيمة مجدو القاسية وموت الملك يوشيا الذي كان يجسد آمال القوميين اليهود.

تاريخياً، صفنيا هو أقدم من ناحوم. سأقدمه إذاً قبل النبيين الآخرين، خلافاً لمحله في الكتاب المقدس.

1-7.11 صفنيا

تنبأ صفنيا في عهد الملك يوشيا، أي بين 640 و 609 ق.م (سنة موت يوشيا في مجدو). اعتلى يوشيا العرش وهو صغير جداً (كان ابن ثماني سنوات في سنة 640: الملوك الثاني 22، 1). لم يكن إذاً قد باشر باصلاحاته الدينية والكهنة كانوا فاسدين. ثار صفنيا على رؤساء الدين وأعلن عن خراب يهوذا. هذا الخراب هو "يوم الرب القريب"، "قريب وسريع جداً... يوم عقاب... وضيق" (صفنيا 1، 14 - 18).

تأثر يوشيا بصفنيا. شرع باصلاحاته ليجنب الأمة الأسوأ. لكن، كما تنبأت النبية خلدة في ذلك الوقت، أن غضب الله لن ينطفئ (الملوك الثاني 22، 14 - 20).

بعد هذا العقاب، ستبقى "بقية"، متواضعة وقليلة العدد، تعود إلى الله (صفنيا 3، 12). بهذه البقية سيتم "التجديد" الذي أعلن عنه الأنبياء. لكن صفنيا لا يزال يرى أن هذا التجديد هو وطني (صفنيا 3، 19 - 20).

لم يتنبأ صفنيا ضد يهوذا فقط، بل أيضاً ضد أشور وبسقوط نينوى: "يجعل الله نينوى مقفرة قاحلة" (صفنيا 2، 13 - 15). متنبئاً بنهاية أشور وخراب يهوذا، يعلن صفنيا بطريقة غير مباشرة مجيء الامبراطورية البابلية التي، في عصره، كانت تكبر وتزداد قوة.

2-7.11 ناحوم

تنبأ ناحوم بعد صفنيا ببضع سنوات. الخطر على نينوى يتوضح مع نمو القدرة البابلية. يثور ناحوم على نينوى قبيل سقوطها: "صعد المجتاحون (نبوبلنصر، والد نبوخذنصر)... عليك يا نينوى... تنفتح أبواب النهر (دجلة)، فيسقط القصر (قصر نينوى، لقد اجتاز البابليون النهر للوصول إلى نينوى)... نينوى كبركة جف ماؤها (ناحوم 2، 2 - 9)... خربت نينوى، فمن يرثي لها!" (ناحوم 3، 7).

كانت معنويات ناحوم مرتفعة بسبب إمكانية هزيمة الأشوريين، أعداء إسرائيل، فلم يكن يرى إلا خلاص يهوذا وتجديدها. كان أمل التجديد (الوطني) مسيطراً عليه: "ها... السلام! (ليهوذا، من خلال خراب نينوى)..." (ناحوم 2، 1). "الرب أعاد جاه يعقوب..." (ناحوم 2، 3). هذا الأمل كان قصير الأمد لأن هزيمة اليهود في مجدو في 609 التي تلت سقوط نينوى في 612 بوقت قصير. هكذا، أفسح الأمل بالخلاص المجال للفوضى. فيقول إرميا بعد بضع سنوات بهذا الصدد: "إنتظرنا السلامة عبثاً وأوان الشفاء فجاءنا الرعب (إرميا 8، 15)... ننتظر السلام لكن عبثاً ووقت الشفاء فإذا الرعب" (إرميا 14، 19).

مع ذلك، نبوءة التجديد ليست بلا جدوى إن فهمناها روحياً وفقاً للمقصود الإلهي: بيسوع.

3-7.11 حبقوق

يتنبأ بعد سقوط نينوى. الخطر على الإسرائيليين يأتي الآن من "الكلدانيين" (البابليين): "ها أنا أثير البابليين... لتمتلك ديار الآخرين" (حبقوق 1، 6).

يستعيد حبقوق بطريقة خفية تهديدات ميخا لأورشليم: "ويل لمن يبني مدينة بالدماء (أورشليم) ويؤسسها بالإثم" (حبقوق 2، 12 / ميخا 3، 10). إنه إعلان العقاب من خلال الغزو البابلي.

4-7.11 حجاي وزكريا

يجب دراسة هذين النبيين مع بعضهما البعض لأنهما عملا معاً لإعادة بناء الهيكل بعدما دمره نبوخذنصر (عزرا 5، 1).

5-7.11 حجاي

الفصلان الوحيدان في كتاب حجاي مخصصان لإعادة بناء الهيكل. يحث حجاي زربابل ويشوع على تشييد هذا المقدس: "كانت كلمة الرب على لسان حجاي النبي إلى زربابل حاكم يهوذا، وإلى يشوع الكاهن العظيم... إصعدوا إلى الجبل (جبل الهيكل)، وهيئوا خشباً (للبناء)، وابنوا بيتي (الهيكل)" (حجاي 1،1 - 8).

لم يتم إنجاز بناء الهيكل الثاني إلا حتى حولي سنة 515 ق.م. لم يكن بمثل فخامة الهيكل الأول وكان الشيوخ يبكون على الذكرى المحزنة للهيكل الأول الذي كان يمتلئ "مجداً" (عزرا 3، 12). حجاي يعزيهم ويعدهم أن مجد الهيكل الثاني سيكون أعظم من مجد الهيكل الأول: "من فيكم، أنتم الباقون، رأى بيتي هذا في مجده الأول؟ وكيف ترونه الآن؟ أما هو في عيونكم كلا شيء؟ تشددوا ولا تخافوا... سيكون مجد هذا البيت الأخير أعظم من مجده الأول، يقول الرب القدير" (حجاي 2، 3 - 9). لكن ذلك لم يحدث بما أن هذا الهيكل دمر على يد تيطس في سنة 70 م... هل حجاي هو نبي حقيقي؟!

حجاي وكل الطائفة فهموا هذا "المجد" مادياً، مؤمنين بجمع الثروات من جميع الغير يهود. فقد جعل حجاي الله يقول: "أزلزل جميع الأمم فتأتي كنوزها لتملأ هذا البيت مجداً، لي الفضة ولي الذهب، يقول الرب القدير" (حجاي 2، 7 - 8). من الصعب تصديق أن الرب طلب كل هذه الثروات المادية لصناديق دولة إسرائيل! إن ذلك لم يكن طبعاً مقصود الله الذي يصر دائماً على المجد الروحي للهيكل الروحي الموجود في نفوس المؤمنين، لا على الذهب والفضة. هذا المجد الروحي يتعدى إلى حد كبير المجد المادي الزهيد والمزيف لهيكل سليمان. عن هذا المجد تكلم يسوع قائلاً: "تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو... ولا سليمان (الذي اشتهر بذوقه للفخامة) في كل مجده لبس مثل واحدة منها" (متى 6، 28 - 29).

قبل الإجتياح، كان الأنبياء يتنبأون بالعقاب. في زمن السبي، كانوا يتكلمون عن العزاء، و، عن العودة إلى فلسطين، وكانوا يدعون إلى التجديد الوطني. من زمن حجاي وزكريا، بُني الرجاء الوطني على زربابل، المنحدر من سلالة الملك داود. كان زربابل هو الحاكم، وكانت الطائفة تأمل أن يعيد تأسيس الملك في إسرائيل. ساد الإعتقاد بأنه المسيح المنتظر، وحجاي، "بوحي من الله"، قال له: "في ذلك اليوم، يقول الرب القدير، آخذك يا زربابل... وأرسمك حاكماً. فإني اخترتك" (حجاي 2، 23). هذا الإختيار الإلهي لم يكن يعني أن زربابل هو المسيح، بل أن المسيح سيأتي من سلالته (متى 1، 12 - 13).

6-7.11 زكريا

حث زكريا الشعب على إعادة بناء الهيكل (زكريا 1، 16). كانت له ثماني رؤى، أهم اثنتين منها هما:

1. "مسح" أورشليم: سبر القلوب لتجديد الطائفة بالمؤمنين الحقيقيين: زكريا 2، 5 - 9. (طابق مع رؤيا 11، 1 و 21، 15).
2. "الزيتونتان" (اللتان "مسحهما" الله ليبنيا الهيكل: زكريا 4، 1 - 10. للمقارنة مع رؤيا 11، 4).

أعلن زكريا عن رؤيا مهمة عن المسيح "وديعاً راكباً على حمار"، وليس على مركبة حرب، الذي سيقضي على "مركبات الحرب والخيل وأقواس القتال" (زكريا 9، 9 - 10). إنه تحول في الذهنية اليهودية العدوانية. تتحقق هذه النبوءة مع يسوع، المسيح المتواضع بامتياز، الذي دخل أورشليم راكباً على حمار (متى 21، 1 - 5 و 11، 29).

8.11 ملاخي

يأخذ هذا الكتاب إسمه من كلمة "ملاخي" التي تعني "ملاكي". يأتِ هذا الإسم من أن الكاتب يتنبأ بمجيء المسيح القريب ويدعوه "ملاك العهد" (ملاخي 3، 1). ملاخي (ملاكي) هو إذاً اسم مستعار والكاتب، المجهول الهوية، يكتب بعد العودة من السبي وإعادة بناء الهيكل، حوالي سنة 450 ق.م.

كما فعل أنبياء آخرون قبله، يفضح ملاخي كفر الكهنة وتفاهة عبادتهم، معلنا سقوط عهد الله مع لاوي، العشيرة التي ينبثق منها الكهنة: "إليكم هذه الوصية أيها الكهنة!... أرسل عليكم اللعنة وأجعل بركتكم لعنة... أمنع عنكم الزرع وأرمي وجوهكم بالزبل، زبل ذبائح أعيادكم، وأبعدكم عني... كان عهدي معه للحياة... أما أنتم فحدتم الآن عن الطريق... ونقضتم عهد لاوي" (ملاخي 2، 1 - 8. راجع العهد الجديد في إرميا 31، 31 - 32).

تذكر أن داود قد تنبأ بتأسيس كهنوت مختلف عن كهنوت لاوي، من خلال المسيح، "على رتبة ملكيصادق" (مزمور 110، 4). هذا الكهنوت أسسه يسوع، فهو الكهنوت الوحيد المقبول عند الله (عبرانيين 7، 11 - 19).

النقطة الجديدة لدى ملاخي هي الكشف عن بشير يمهد الطريق أمام مجيئ المسيح: "ها أنا أرسل رسولي (المبشر بمجيئي) فيهيئ الطريق أمامي، وسرعان ما يأتي إلى هيكله الرب الذي تطلبونه، وملاك العهد (المسيح) الذي ترتضون به" (ملاخي 3، 1).

هذا الرسول البشير للمسيح هو "إيليا": ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن يجيء يوم الرب العظيم..." (ملاخي 3، 23). أوضح يسوع أن المقصود هو يوحنا المعمدان (متى 17، 10 - 13) الذي أتى، لا كتقمص لإيليا، بل بنفس "روح إيليا وقوته" (لوقا 1، 17) كما سبق أن شرحت.

هذه النبوءة عن الملاك (الملاخ) السابق للمسيح تخص ملاخي وحده. فلم يتكلم عنها أي نبي آخر. لهذا السبب هي النقطة الأبرز في هذا الكتاب والتي أعطته اسمه: ملاخي.

هنا تنتهي دراسة كتب العهد القديم، العهد المنقوض، كما اكتشفت، والذي يستوجب إصلاحاً. هذا الإصلاح تممه يسوع الذي افتتح أزمنة التجديد الروحي والشامل التي ما زلنا نعيشها. لأن الأحكام المادية للعهد القديم، كما يشير بولس، هي "أحكام تخص الجسد وتقتصر على المأكل والمشرب ومختلف أساليب الغسل، وكانت مفروضة إلى الوقت الذي يصلح الله فيه كل شيء" (عبرانيين 9، 10). سندرس الآن الكتب التي تقدم لنا هذا العهد الجديد المذهل والمحيي بيسوع، المسيح.

12. الدرس الثاني عشر - كتب العهد الجديد

كتب العهد الجديد عددها 27، بعضها لا يتجاوز بضعة أسطر (رسالة يوحنا الثانية، يوحنا الثالثة ويعقوب). لدراستها، سنقسمها كالآتي:

- الدرس الثاني عشر: الأناجيل الأربعة المتوافقة وأعمال الرسل.
- الدرس الثالث عشر: إنجيل يوحنا ورسائل الرسل.
- الدرس الرابع عشر: كتاب الرؤيا الصغير.

الأناجيل المتوافقة وأعمال الرسل

1.12 تقديم الأناجيل المتوافقة

كلمة إنجيل تعني حرفياً "البشارة" (باليونانية، :"Ev" حلو أو طيب و"Angelos": رسالة أو خبر). الإنجيل هو إذاً الإعلان عن "بشارة" مجيء المسيح المنتظر بظمأ شديد.

يوجد أربعة أناجيل: متى، مرقس، لوقا، ويوحنا. الثلاثة الأول يتشابهون بصورة أو بأخرى ويشكلون سيرة حياة يسوع. همّهم الكبير المشترك: إثبات أن يسوع هو فعلاً المسيح الذي ينتظره اليهود، مع أنه لم "يحرر إسرائيل" سياسياً (لوقا 24، 21) ولم "يعيد الملك (السياسي) في إسرائيل" (أعمال 1، 6). تشكل هذه النقطة وجهة النظر المشتركة بين هذه الأناجيل، ولهذا السبب ندعوها الأناجيل "المتوافقة"، في اليونانية "syn" تعني "نفس"، و"optikos" تعني "وجهة نظر". هذه الأناجيل الثلاثة تقدم سيرة حياة يسوع البشرية. تلك هي وجهة نظرهم المشتركة. زيادة على ذلك، يشدد يوحنا في إنجيله على ألوهية يسوع.

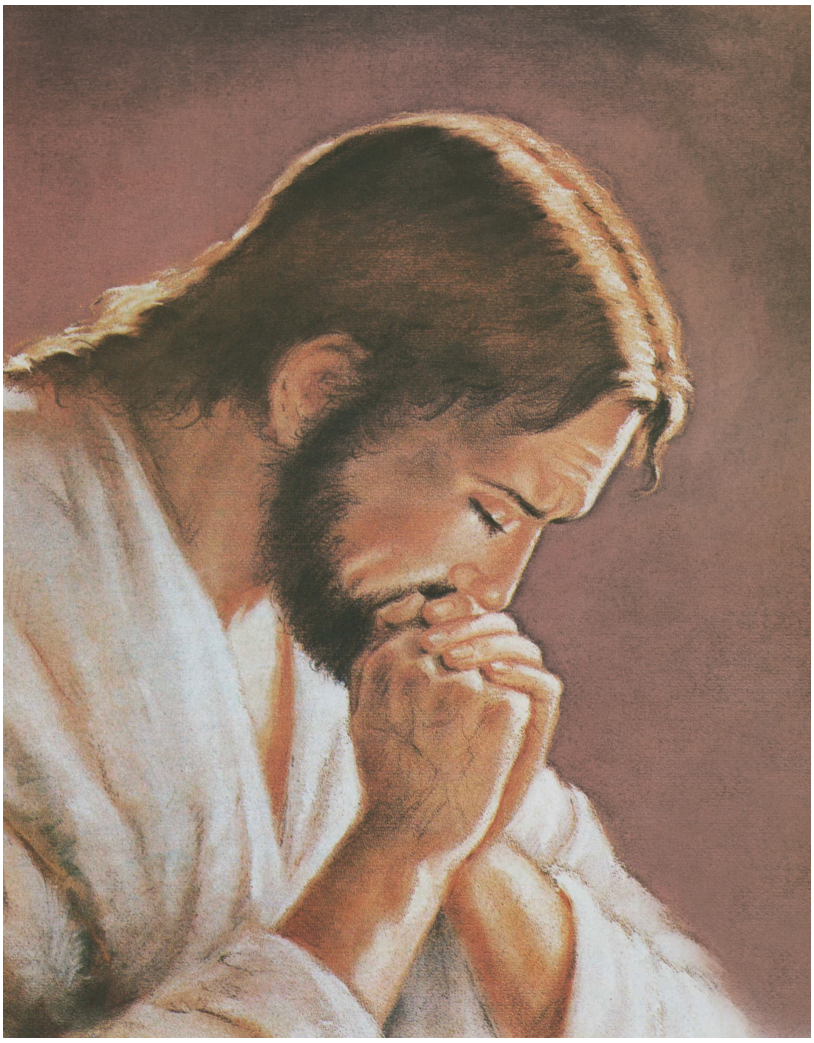

يسوع يصلّي

سأتناول الأناجيل المتوافقة مع بعضها البعض، متخذاً إنجيل متى كقاعدة. إنطلاقاً من هذا الأخير، سأبين النقاط المشتركة بينه وبين مرقس ولوقا. لكن أولاً، سأقدم لك كل واحد من هؤلاء الإنجيليين الثلاثة على حدة. بعد الأناجيل المتوافقة، تأتي دراسة إنجيل يوحنا.

1-1.12 متى

إنه واحد من رسل المسيح الإثني عشر. يشير إلى نفسه في متى 9، 9 و 10، 3. إنه يهودي مكروه من اليهود لأنه "جابي ضرائب"، أي أنه كان يجبي الضرائب المالية المفروضة من الرومان. يأخذ من اليهود ليعطي الرومان. لكن عندما دعاه يسوع ليتبعه (متى9، 9)، لبى النداء على الفور، متخلياً عن كل شيء. كان مرقس ولوقا يناديانه باسمه اليهودي "ليفي" (مرقس 2، 13 - 14 / لوقا 5، 26 - 28).

متى هو أول من كتب سيرة يسوع. خصصها لليهود الذين اعتنقوا المسيحية؛ لهذا السبب كتب باللغة العبرية (الآرامية)، وغالباً ما كان يستند إلى نبوءات العهد القديم ليبرهن أن يسوع قد تمم كل ما جاء فيه (متى 1، 22 / 2، 5 - 6 / 2، 15 - 18 / 3، 3 / 4، 14 - 16 إلخ...). إنجيل متى هو الوحيد في العهد الجديد الذي كتب باللغة الآرامية، كل الباقين كتبوا باليونانية القديمة، اللغة العالمية في ذلك الوقت، والتي تعلمها الرسل ليبشروا.

2-1.12 مرقس

ليس من الرسل، لكنه انضم إليهم بعد قيامة يسوع (أعمال 12، 12). رافق بولس وكان له خير مساعد (أعمال 12، 25)، ثم تعلق ببطرس الذي اعتبره "كابن له" (بطرس الأولى 5، 13). كان كاتبه نوعاً ما. فبوحي من بطرس، كتب مرقس إنجيله الذي يعتبره البعض، بطريقة غير مباشرة، إنجيل بطرس. كثير من المعلقين الكتابيين يعتقدون أن "الشاب" الذي ذكره مرقس في (مرقس 14، 51 - 52) دون أن يسميه، ما هو إلا مرقس نفسه، لأن هذا التفصيل لا يستحق الذكر لو لم يكن الكاتب قد عاشه بنفسه.

3-1.12 لوقا

لوقا كان طبيباً وثنياً. تعرف على المسيح عن طريق بولس وأصبح رفيق سفره (كولوسي 4، 14) ومساعده الوفي، فيما تخلى عنه آخرون (تيموثاوس الثانية 4، 9 - 11). متأثراً ببولس، كتب لوقا إنجيله باليونانية إلى وجيه يدعى "ثاوفيلس" (لوقا 1، 3). إنجيله هو بطريقة غير مباشرة إنجيل بولس، بمقدار ما يعكس إنجيل مرقس تعاليم بطرس.

ستلاحظ أن لوقا كتب وهمّه أن يكون دقيقاً في الحقائق التي ينقلها إلى ثاوفيلس، "بعد أن يكون قد تتبع كل شيء من أصوله بتدقيق، كما نقلها إليه الذين كانوا من البدء شهود عيان وخداماً للكلمة" (العذراء مريم، بطرس، إلخ... لوقا 1، 2 - 3). لذلك هو الوحيد الذي أعطانا تفاصيل عن ولادة يوحنا المعمدان، عن بشارة مريم وطفولة يسوع (لوقا 1 و 2). هذا كله بسبب تربيته العلمية الطبية التي لا تترك شيئاً للصدفة.

كتب لوقا أيضاً كتاب أعمال الرسل الذي وجهه إلى النبيل "ثاوفيلس" (أعمال 1، 1) ليخبره قصة يسوع وتلاميذه بعد صعود يسوع إلى السماء (أعمال 1، 1 - 11). هكذا إذاً يمكننا أن نعتبر كتاب أعمال الرسل تكملة لإنجيل لوقا. أنصح بدراسته مع باقي الأناجيل المتوافقة، قبل إنجيل يوحنا.

الآن، وانطلاقاً من إنجيل متى، سنتآلف مع هذه الأناجيل الثلاثة الأول: المتوافقة.

اليهود، كما تعلم، كانوا يعرفون أن المسيح سيكون من سلالة داود. كذلك، يبادر متى إلى طمأنتهم محدداً أن يسوع هو من سلالة الملك داود. فيستهل إنجيله "بنسب يسوع، المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم، إلخ..." (متى 1، 1). معظم الأسماء التي يذكرها متى موجودة في العهد القديم، خصوصاً أسماء ملوك اليهودية، من داود إلى السبي، حتى العودة من المنفى مع زربابل (متى 1، 12).

لوقا أيضاً يتكلّم عن سلالة نسب يسوع (لوقا 3، 23 - 38). لكن بدلاً من أن يعطي لائحة من إبراهيم إلى يسوع، كما فعل متى، بدأ بالعكس، من يسوع إلى إبراهيم ليصل إلى"آدم، ابن الله" (لوقا 3، 38). الإختلاف في أسماء الأسلاف يعود إلى أن يسوع هو ابن داود من "ناثان، ابن داود"، كما يقول لوقا (لوقا 3، 31)، لكن متى يقدمه كابن داود من سليمان، ابن داود (متى 1، 6 - 7). ستجد اسم ناتان في سفر الملوك الثاني 5، 14 وسفر أخبار الأيام الأول 3، 5، إنه أحد أبناء داود الذين ولدوا في أورشليم، وأكبر سناً من سليمان. أن يكون يسوع من سلالة هذا أو ذاك، لا يهم، المهم هو أنه من "سلالة وابن داود". لاحظ، من جهة أخرى، أن لوقا، في سبيل توخي الدقة في معلوماته، يقول إن يسوع "هو على ما يظن ابن يوسف بن عالي..." (لوقا 3، 23). عبارة "على ما يظن" هذه تشكل فارقاً مهماً وتدعونا إلى تخطي سلالة النسب البشرية الدقيقة للأسماء. يسوع هو، قبل كل شيء، ابن الله!

هذا الفارق يدعونا فوق كل ذلك إلى عدم التوقف على نسب الدم، بل إلى أن نعلو، كما فعل يوحنا في إنجيله، إلى النسب الإلهي ليسوع بقوله: "في البدء كان الكلمة (يسوع) والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله (يوحنا 1، 1)... والكلمة صار جسداً وحل بيننا..." (يوحنا 1، 14). أهمية هذا النسب الأخير تحجب كلياً النسب الأول، فيدعونا يسوع بنفسه إلى النظر إليها ملياً بقوله إلى اليهود: "كيف المسيح هو ابن داود حيث أن داود يدعوه رباً ؟" (متى 22، 41 - 46 / المزامير 110، 1).

يتمسك بعض اليهود بهذا النص ليدّعوا بأن يسوع "يعترف" بأنه ليس ابن داود. هذا خطأ! لأن يسوع لا يقول إنه ليس كذلك أيضاً، بل أنه أكثر من ذلك كونه "ابن الله الوحيد"، الوحيد الذي ولده الله عجائبياً في هذا العالم، بأحشاء امرأة وهي بعد عذراء، من دون تدخل أي رجل. وخاصة أن يسوع كان كائناً حتى قبل أن يتجسد.

لقد أطلت الكلام قليلاً حول موضوع نسب يسوع، لأن بعض الضعفاء والغير ناضجين في الإيمان، والكثيرين من أعداء الإنجيل، يتذرعون "بالتباين" بين سلسلة نسب متى وسلسلة نسب لوقا ليزعموا زيف الأناجيل، ببرهان "التضارب" بين هذين الأنجيلين حول هذه النقطة. هذا نقد سطحي يلجاء إليه أناس غير قادرين على الغوص في العمق. عليك بأي حال أن تكون على علم ومنتبهاً.

في هذه المرحلة، يمكنك قراءة النصوص حول سلسلة نسب يسوع في متى ولوقا بالإضافة إلى باقي النصوص المذكورة. لكن لا تباشر بقراءة الأناجيل كاملة قبل دراسة توضيحاتي.

سأبين في إنجيل متّى النقاط التي تستوجب توضيحاً أكثر من غيرها.

2.12 تحضير يسوع

قبل بدء رسالته، ابتعد يسوع وحيداً إلى الصحراء. هذه الخلوة هي مرحلة انتقالية بين حياته كنجار - حياة اندماج اجتماعي وعام مشترك لجميع الناس - وحياته كمسيح عليه أن يظهر شخصية جديدة غير معروفة وغير مشكوك فيها من محيطه. لينهض بهذا الحمل الكبير والثقيل - وليهيء المجتمع ليدرك ذلك - كان عليه أن يتحرر من الحياة اليومية، المهنية والروتينية. لهذا السبب كتب متّى والإنجيليون الآخرون يقولون إن "الروح (روح الله) قاد يسوع إلى الصحراء" (متى 4، 1 / مرقس 1، 12 / لوقا 4، 1).

على كل رسول أن يعرف، بطريقة أو بأخرى، هذا الانقطاع المؤقت عن المجتمع والاختلاء الروحي ليكتشف ويفهم دعوة الله قبل تولي رسالته.

يتدخل الشيطان دائماً ليعكر صفو هذه الخلوة ويمنع النفس من التوصل إلى إدراك الله. يصم الأذان بضجيجه المصطنع ويعمي البصيرة. كذلك، قبل أن نخدم الله، علينا أن نتغلب على عدوه، الشيطان، الذي هو أيضاً عدو أحباء الله.

"الشيطان يجرب" يسوع في ثلاث نقاط:

1-2.12 التصرف بناءً على طلب الشيطان، لا الله

"مر أن تصير هذه الحجارة خبزاً"، طلب منه إبليس (متى 4، 3 - 4). يقدر يسوع أن يصنع هذه المعجزة، لكنه لا يريد أن يتصرف بناءً على طلب الشيطان، بل وفقاً للمخطط الإلهي، وعندما تحين ساعة الله. في تلك اللحظة سيكثّر أرغفة الخبز والسمك ليطعم الناس في الصحراء (متى 14، 13 - 21). علينا أن نرفض القيام بأي عمل، حتى ولو بدا جيداً في الظاهر، إن لم يكن بوحي من الروح الإلهي. إنه تعليم للذين يمعنون بممارسة السحر "الأسود" أو "الأبيض" كما يزعمون.

2-2.12 عدم تجربة الله

"إن كنت ابن الله فألقِ بنفسك إلى الأسفل..."، يقول له الشيطان من جديد (متى 4، 5 - 6). "لا تجرّب الرب إلهك"، أجاب يسوع. إن كانت عندنا ثقة بالله، فلا يجب، بالمقابل، إستغلال هذه الثقة. امتحان الله سيكون بمثابة تحدّ له. الله لا يتأثر بالإبتزاز. كثيرون يعتقدون أنهم مختارون من الله ويسمحون لأنفسهم بتجاوزات يدينها الله. مثلاً: الله يرفض مملكة إسرائيلية، لكن الإسرائيليون يصرون على إقامتها مستمرين بإعلان أنفسهم "شعب الله المختار". إنهم يعيشون في الوهم المطلق. بإنشائهم هذه المملكة السياسية - بعكس إرادة الله- لن ينالوا بركته. لا نستطيع أن نرغم يد الله ولا أن نضعه أمام أمر واقع. لو سمع يسوع كلام إبليس ورمى بنفسه، لكان الله تركه يقع، حتى لو أنه: "يأمر ملائكته فيحملونه على أيديهم..."، لأن هذا السقوط كان بوحي من الشيطان، لا من الله. من ناحية أخرى، تدعونا هذه الآية لوضع كامل ثقتنا بالله في المحن - التي يسمح هو بها- التي ترهقنا. لكن الله لا يساعدنا في طيشنا الذي يدفعنا لنثبت للآخرين، بغرور، أن الله سيحمينا وأنه في خدمتنا. في هذه الحالة يتخلى الله عنا. شخص يقود بجنون بسرعة 200 كلم/س بذريعة أن الله يحميه، سيخيب ظنه. لأنه لا يجب أن نجرب الله، بل أن نتحلى بفضائل الفطنة والحكمة إلخ. في هذه الحال الرب يحمينا.

3-2.12 ملكوت الله هو داخلي

"إن سجدت لي وعبدتني أعطيك كل هذه الممالك"، قال إبليس ليسوع (متى 4، 8 - 11). إنها الأمبراطورية الصهيونية التي يعرضها الشيطان على يسوع، السلطان السياسي، الذي يطمح إليه الإسرائيليون. يسوع ليس مغفلاً؛ إنه يرفضها. مملكته ليست من هذا العالم، إنها داخلية، في القلوب (يوحنا 18، 36 / لوقا 17، 20). يذهب الشيطان منهزماً دون أن يستطيع مقاومة أمر المسيح له: "إبتعد عني يا شيطان!" (متى 4، 10). هذا يعني أن يسوع سمح للشيطان أن يجربه من أجل حكمة عميقة، وهي أن يعلمنا كيف نتعامل مع هذا الشرير.

يذهب الشيطان، لكن، كما يحدد لوقا، "ليعود بعد حين" (لوقا 4، 13). هذه العودة للشيطان حصلت من خلال اليهود الذين أرادوا أن يتوجوه ملكاً صهيونياً عليهم، بالقوة، كما يخبرنا يوحنا: "عرف يسوع أنهم يستعدون لإختطافه (بالقوة) وجعله ملكاً، فابتعد عنهم ورجع وحده إلى الجبل" (يوحنا 6، 14 - 15). من جديد رفض يسوع أن يكون ملكاً على الإمبراطورية الإسرائيلية التي سبق أن عرضها عليه الشيطان.

Sidon
Sarepta
Tyre
PHOENICIA
ABILENE
MT. HERMON
Caesarea Philippi
PANEAS
ITURAEA
TRACHONITIS
Lake Semechonitis
ULATHA
BATANAEA
GAULANITIS
GALILEE
Capernaum
Bethsaida Julias
Sea of Galilee
Magdala
Cana
Nazareth
MT. CARMEL
MT. TABOR
Gadara
AURANITIS
Mediterranean Sea
Caesarea
Nain
DECAPOLIS
MT.GERIZIM
Sychar
SAMARIA
PEREA
Joppa
Jericho
Arimathea
JERUSALEM
Bethlehem
Bethany
Emmaus
JUDEA
Gaza
Lake Asphaltitis (Dead Sea)
IDUMEA
PALESTINE AT THE TIME OF JESUS
SCALE OF MILES
0 5 10 15 20 25 30
N
W
E
S

عندما نختار ملكوت الله، علينا دائماً أن نستعد للتجارب التي سيفرضها علينا الشيطان وعشاق مملكة الأرض. "إن أردت خدمة الرب فاستعد يا ابني للتجربة كن حازماً مستقيم القلب ولا تتسرع وقت الصعاب" (يشوع بن سيراخ 2، 1 - 2). هذا ما يعلّمنا إياه يسوع عملياً من خلال التجربة التي شاء أن يخضع نفسه لها، لأجلنا. "وبعدما جربه إبليس بكل تجربة... رجع يسوع إلى الجليل (منتصراً) وهو ممتلىء بقوة من الروح القدس" (لوقا 4، 13 - 14). بهذه القوة الروحية الإلهية يبدأ يسوع رسالته. علينا أن نتجنب نحن أيضاً أن نتصرف أو نتورط من دون أن نتأكد من عون الله الضروري. كما يجب علينا أن نعرف أن نتبين روح الله فينا، هذه نعمة يجب أن نطلبها. يجب أن يكون الروح القدس فينا، فهو الكنز الروحي الأول الذي يوصينا يسوع أن نطلبه من أبينا السماوي (لوقا 11، 13 / متى 7، 11).

3.12 يسوع يبدأ رسالته: خطاب بداية العهد: (متى 5، 1 / 7، 29)

لم يبدأ يسوع رسالته في الناصرة، مدينته الأم، بل أبعد قليلاً، في كفرناحوم، حيث استقر (متى 4، 12). إنها مدينة بطرس والرسل الأوائل، كلهم صيادون من جوار بحيرة طبريا التي تقع على ضفافها الشمالية مدينة كفرناحوم (راجع الخريطة). أصبحت هذه المدينة مركز إشعاعه. عجائب يسوع جعلته معروفاً في كل تلك المنطقة (متى 4، 23 - 25). كان ذلك إتمام نبوءات إشعيا الذي أشار إلى أرض زبولون ونفتالي (الجليل) كمركز منه سيتدفق النور اللإلهي العظيم (إشعيا 8، 23 / 9، 1).

كانت الجموع تلحق بيسوع الذي انتهز الفرصة ليلقي خطابه الافتتاحي الكبير المعروف بخطاب "عظة الجبل" الذي يحتوي على تعاليم ثورية بالنسبة للمجتمع اليهودي في ذلك العصر. خطاب ثوري لأنه ضد الصهيونية والعرقية، كونه لخلاص جميع البشر، لا اليهود وحدهم.

يحدد لوقا أن يسوع يتوجه لليهود الذين أتوا لسماعه: "ولكني أقول لكم أيها السامعون (اليهود): أحبوا أعداءكم..." (لوقا 6، 27). يسوع كان يعرف أن الذين كانوا يسمعونه هم كلهم من اليهود الصهاينة الذين يعتقدون بأن كل غير يهودي هو عدو عليهم أن يكرهوه. فأراد أن يكسر هذا الغيتو النفسي الذي كان مستمعوه منحبسين فيه منذ قرون طويلة، لذلك قال لهم: "لقد تعلمتم إنه قد قيل: أحب قريبك (اليهودي مثلك) واحقد على أعدائك (الغير يهود: لاويين 19، 17 - 18 / التثنية 15، 3). أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعدائكم (الذين أنتم تعتبرونهم كذلك)، صلوا لأجل المسيئين إليكم" (إنهم لا يسيئوا إليكم، بل يدافعون عن أنفسهم ضد شروركم. فكر بالفلسطينيين الذين يضطهدهم الإسرائيليون ويعتبرونهم "إرهابيين"). كان يسوع سيقول لليهود المعاصرين: "صلوا لأعدائكم الفلسطينيين، كونوا طيبين معهم، أعطوهم خدكم الآخر إن صفعوكم، لأنهم هم الذين على حق. أعطوهم الأرض التي يطلبون لأنها ملكهم". إحفظ جيداً أن يسوع كان يخاطب الصهاينة الظالمين: " أقول لكم أيها السامعون..."

"إن كانت تقواكم (عدالتكم) لا تفوق تقوى (عدالة) معلمي الشريعة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت الله"، يقول لهم أيضاً يسوع، لأن هذه "التقوى" المزعومة هي عرقية وتفضل اليهودي، مع كل أخطائه، على الغير يهودي البريء (متى 5، 20). يمكننا اليوم أن نعيد صياغة الجملة بالطريقة التالية: "أيها الناس، إن كانت تقواكم (عدالتكم) لا تفوق تقوى (عدالة) علماء ورجال الدين، لن تستطيعوا الاقتراب من الله، مهما كان إيمانكم"... "إذا ما أحببتم العادل أكان يهودياً، مسيحياً أو مسلماً، شرقياً أو غربياً، من الشمال أو من الجنوب، فباطل هو إيمانكم".

كان اليهود يكرهون السامريين. لهذا السبب أعطى يسوع مثل "السامري الصالح" (لوقا 10، 29). أعطى هذا المثل لأحد علماء الشريعة الذي، وهنا تجدر الملاحظة، "أراد أن يبرر نفسه" لأنه لم يكن مستعداً لمساعدة إنسان غير يهودي، لأنه ليس قريبه. عالم الشريعة اليهودي هذا، لا يعمل الخير إلا وفق الشريعة اليهودية العنصرية: يجب تخطي هذه الشريعة اللاإنسانية إن أردنا الدخول عند الله.

بتعاليمه هذه، "لا يبطل يسوع الشريعة (التوراة)، بل يكملها، بالعكس، بشريعة المحبة" التي أساء اليهود فهمها. "ما جئت لأبطل بل لأكمل" قال يسوع. أتى ليتمم (متى 5، 17 - 20). ليس فقط "لا تقتل"، بل "لا تشتم" أخيك (متى 5، 21 - 26). وأخيك هو كل إنسان عادل. أنت أيضاً، كن عادلاً وقادراً على فهم هذه الحقيقة النبيلة.

بالنسبة لليهود، كما بالنسبة لكثير من المؤمنين اليوم أيضاً، الخطيئة هي بإتمام الفعل عملياً. في حين أن يسوع يأتي ليقلب هذه المعادلة: الشر موجود مسبقاً في النية لإتمام الفعل: "من نظر إلى إمرأة ليشتهيها، زنى بها في قلبه" (متى 5، 27 - 28). ليس من الخطأ بالنسبة للمرء أن ينظر، بل أن ينظر بشهوة ويعمل للوصول إلى غايته. عندئذٍ، حتى لو لم يتمم الفعل، تكون الخطيئة قد تمت فيه. إن خططت لسرقة شيء ما، لكنني لم أتوصل إلى إتمام السرقة لسبب أو لآخر، فذلك يعتبر كعمل سيء قد حصل في ضميري. كما أن ملكوت الله هو فينا، كذلك الشر هو فينا.

تلك هي التعاليم الأكثر حاجة إلى توضيح في "عظة الجبل". أما الباقي فهو سهل الفهم.

إحفظ أيضاً أن "إعطاء الخد الآخر للذي يصفعك"، هي وصية موجهة إلى الظالمين ولا تعني أن على الصادقين والأبرياء أن يكونوا ضعفاء أمام الظلم. يجب أن تعرف كيف تدافع عن نفسك، الدفاع المشروع هو واجب، بالأخص عندما يتوجب عليك حماية عائلتك، أطفالك وحياتك الخاصة أمام مجرم معتدٍ. متكلماً عن المسيح الدجال، يحثنا كتاب الرؤيا على أن "نعامله بمثل ما عاملنا"، لا بل أن "نضاعف له" جزاء أعماله (رؤيا 18، 6 - 7).

أدعوك، بالمناسبة، أن تتأمل بموقف يسوع من أحد الحراس الذي صفعه عند اعتقاله (يوحنا 18، 19 - 23)، يسوع لم يقدّم خده الآخر، بل طلب تفسيراً من الذي صفعه بغير حق. يجب أن نحافظ على كرامتنا وعزة نفسنا أمام الظلم الجائر، هذا أيضاً تواضع وشهامة. أمّا في ما يخص موقف إعطاء الخد

الآخر، فيجب أن يكون خد الذي اقترف الظلم تجاه من ينسب إليه الظلم. يجب على المذنب أن يتواضع ويعترف بذنبه، أن يكفّر عن خطاياه، وأن يكون ممتناً للذين يوبخونه ويصفعونه بكلمة الحق لتقويمه.

4.12 يسوع ويوحنا المعمدان: (متى 11، 1 - 15)

كما سبق أن شرحت، لقد تنبأ النبي ملاخي بمجيء يوحنا المعمدان "ليهيء الطريق أمام المسيح" (ملاخي 3، 1). يسوع نفسه يستند إلى هذه النبوءة (متى 11، 10). هذا البشير للمسيح كان عليه، وفقاً للمفهوم الإسرائيلي، أن يحضّر اليهود لمجيء المسيح الذي سيعيد الملك لإسرائيل، ويقيم مملكة سياسية من سلالة داود. حتى يوحنا المعمدان نفسه لم يكن يفهم أن مملكة المسيح روحية وشاملة. يروي متى أن " يوحنا المعمدان سمع في سجنه بأعمال المسيح" (متى 11، 2). بينما أعماله لم تكن سياسية بأي شكل من الأشكال، لا تجمع مسلح للإطاحة بعرش هيرودس الذي لم يكن من سلالة داود، ولا صرخة مقاومة عنيفة ضد الرومان كما كان يريد الزيلاطيون (حزب يهودي متدين متعصب كان ينتمي إليه الرسول سمعان الوطني: متى 10، 4)، بل لمغفرة الخطايا وشفاء المرضى وعطف على ضباط الرومان الذين أعجب يسوع بإيمانهم الحار حتى أنه قال عنهم: "لم أجد مثل هذا الإيمان عند أحد في إسرائيل" (متى 8، 5 - 13).

كان يوحنا المعمدان، في سجنه، ينتظر أن يطلق يسوع سراحه بعصيان ثوري. والحال أن "أعمال" يسوع، الغير قومية، أذهلته وأثارت إستنكار الكثير من اليهود الآخرين. البشير المسجون يرسل بعضاً من تلاميذه ليطلبوا من يسوع: "هل أنت هو الذي يجيء (المسيح "القومي") أو ننتظر آخر؟" (متى 11، 3). كان على هذا السؤال أن يزعج تلاميذ يوحنا المعمدان، الذين هم بدورهم أزعجوا معلمهم. كانوا يثقون به، فقد قال لهم أن المسيح المنتظر هو يسوع الذي : "ما هو أهل لأن يحمل حذاءه" (متى 3، 11). فتساءلوا لماذا هذا المسيح لا يعمل لتجديد الملك في إسرائيل؟ ماذا ينتظر؟ لماذا هو حنون مع الرومان ويزور الوثنيين ليشفي المرضى، كالجدريين (متى 8، 28 - 34) والصيدونيين (متى 15، 21 - 28) ؟ كل ذلك كان يشكل صدمة لليهود المتعصبين.

إجابة يسوع لرسل يوحنا المعمدان تهدف إلى تحطيم الروح القومي والمتعصب في قلوب اليهود الصالحين الذين ضللتهم الصهيونية: "إرجعوا وأخبروا يوحنا بما تسمعون وترون: العميان يبصرون،...إلخ... (كما تنبأ إشعيا 35، 5 / 29، 18)... والمساكين (وليس الأغنياء الذين يعتقدون أنهم مميزون: إشعيا 61، 1) يتلقون البشارة (مجيء المسيح) وهنيئاً لمن لا يفقد إيمانه بي (بعدم كوني قومي متطرف أنا أيضاً)" (متى 11، 4 - 6). هذه الإجابة أربكت رسل يوحنا.

يسوع، بتأكيده على أن يوحنا المعمدان هو نبي، و "أنه ما ظهر في الناس أعظم من يوحنا المعمدان" (متى 11، 9 - 11)، يدعو سامعيه إلى الإيمان بشهادة هذا النبي الذي يعتبر نفسه "غير جدير بأن يحمل حذاء يسوع" (متى 3، 11). يدعوهم يسوع إلى الإيمان بأنه حقاً المسيح المنتظر، حتى لو وجدوا أعماله اللاسياسية غير مألوفة. بالمقابل، يسرع المسيح إلى التوضيح بأن يوحنا المعمدان، بالرغم من عظمته، "أصغر الذين في ملكوت السماوات هم أعظم منه" (متى 11، 11). السبب؟ هو أن أصغر الذين في ملكوت السماوات (لا مملكة إسرائيل) فهم أن يسوع هو ملك، لا على كيان سياسي، بل على حياة روحية داخلية، غير قومية، كما كان يعتقد، عن حسن نية، يوحنا المعمدان العظيم ورسل يسوع أنفسهم في البداية.

يوحنا المعمدان يدين بعظمته أيضاً إلى كونه يختتم حقبة فكرة المسيح القومي: "لأن جميع الأنبياء تنبأوا إلى يوحنا" (حتى يشهد للمسيح، يسوع، اللاعسكري واللاسياسي بعكس أرييل شارون، إسحق شامير وشمعون بيريز في يومنا). لكن، انطلاقاً من يوحنا المعمدان يبدأ مفهوم جديد للمسيحية: "فمن أيام يوحنا المعمدان إلى اليوم، والناس يبذلون جهدهم لدخول ملكوت السماوات، والمجاهدون يدخلونه" (متى 11، 12 - 13). لماذا؟ لأنه كان يجب على اليهود أن يجاهدوا، أن يبذلوا قصاراهم ليتحرروا من التعصب والأفكار القديمة، ومن ميراث فكري كامل صاغ وشوه مفهومهم للمسيحية. فتركوا أنفسهم ينقادون جماعياً إلى انتظار مسيح صهيوني على الرغم من تحذيرات الأنبياء العديدة والمتكررة، ورفض الله وصموئيل الصريح لملك إسرائيلي.

إنه لمن الصعب التخلص من الذهنية القومية. مع ذلك، إن كنا نريد أن نكون جزءاً من ملكوت الله، كما يريده الله، علينا أن نبذل جهدنا، وأن نتخلى عن كل فكرة سياسية نكونها. اليهود المقيدون بفكرة الدولة الإسرائيلية، المسيحيون الذين يؤمنون بدولة الفاتيكان (التي تزعم أنها مسيحية لكنها أصبحت سياسية) والمسلمون الذين يجاهدون لإقامة ممالك وجمهوريات إسلامية، يجب عليهم جميعاً، اليوم، أن "يبذلوا جهدهم" ليتحرروا من قيود هذه الأفكار الإنحرافية إن كانوا يريدون الدخول إلى ملكوت السماوات الروحي.

على صعيد الحياة اليومية والشخصية، علينا في أغلب الأحيان أن نستدرك أنفسنا وأن "نبذل الجهد" للخروج من التراخي الذي يشلنا وأن نقاوم بالتالي التيار المادي الذي يجر الضعفاء. هؤلاء الأخيرون يتبعون الأغلبية دون تفكير ومن دون أن تكون عندهم القدرة على أن يختاروا بحرية حياة شخصية، مختلفة عن حياة الآخرين، لكنها أكثر فائدة للقلب والروح.

يوحنا المعمدان هو باختصار "إيليا المنتظر"، كما يوضح يسوع (متى 11، 14 / 17، 11 - 13). لقد شرحت أن على السابق ليسوع أن يظهر للعالم "بروح إيليا وقوته" (لوقا 1، 17). يجب إذاً أن نفسر نبوءة ملاخي 3، 23 بحسب الروح، لا بحسب الحرف، كما يفعل الذين ينتظرون عودة إيليا بشخصه، وتجسده ثانية. هذا ما قصده يوحنا بقوله إنه ليس إيليا (يوحنا 1، 21).

نقطة هامة علينا أن نفهمها جيداً: لقد ترك يوحنا المعمدان أثراً عميقاً عند اليهود، إلى حد أنهم اعتقدوا بأنه هو المسيح. لهذا السبب لم يفوّت هذا البشير الفرصة ليشدد على أنه ليس المسيح: "ما أنا المسيح" (يوحنا 1، 20). "كيف تعمد وما أنت المسيح ولا إيليا ولا النبي؟"، سأله الفريسيون (يوحنا 1، 25). فأجابهم: "أنا أعمّد بالماء من أجل التوبة وبينكم من لا تعرفونه، هو الذي يجيء بعدي، ويكون أعظم مني... هو يعمدكم بالروح القدس والنار" (يوحنا 1، 26 / متى 3، 11).

معمودية يوحنا إذاً هي تمهيد، دعوة للتوبة. معمودية يسوع تمنح النعمة والغفران اللذان لا يقدر يوحنا أن يمنحهما. لهذا السبب معمودية يسوع هي أقوى من معمودية بشيره. ليمنحها، عليه أن يكون قد وقع على قلب تائب. يدعو يوحنا إذاً للتوبة من خلال معمودية الماء التي لن يكون لها أي مبرر بعد مجيء المسيح الذي يقيم في العالم معمودية جديدة لجميع البشر التائبين والذين قرروا أن يتغيروا نحو الأفضل.

كثير من الحجاج اليهود كانوا يأتون إلى أورشليم في الأعياد الدينية. عدد منهم، اليهود الذين جاءوا من أفسس، قابلوا يوحنا المعمدان و، متأثرين به، اعترفوا بأهمية معموديته. تعمدوا إذاً على يده ومن ثم عادوا إلى ديارهم. شكلت هذه الفئة من اليهود نواة المسيحيين الأوائل. زارهم الرسل وفسروا لهم عدم كفاية معمودية يوحنا وأهمية معمودية يسوع: "فلما سمعوا هذا الكلام، تعمدوا باسم الرب يسوع... فنزل عليهم الروح القدس" (أعمال 19، 1 - 7). مع كتاب الرؤيا، في زمننا، ينتقل مفهوم المعمودية إلى مستوى أعلى، إلى المستوى الروحي.

5.12 كيف فهم الرسل المسيح (متى 16)

الرسل - مثل كل المجتمع اليهودي في الأمس واليوم- لم يكونوا يتوقعوا على الإطلاق المسيح الذي رأوه في يسوع. لقد استوجب الأمر تربية عميقة وكثير من الفطنة والبراعة من قبل نجار الناصرة لإدخال مفهوم المسيح الوضيع والمتواضع، الروحي والعالمي في الذهنية اليهودية المسيسة إلى حد كبير.

لقد قدم يسوع ملكوته لتلاميذه بأشكال مختلفة. هذا الملكوت الغير دنيوي، المفتوح لجميع البشر، الذي جاء هذا النجار الشاب والمتواضع ليقيمه. يكلمهم يسوع عن هذا الملكوت الذي كانوا يعتقدونه سياسياً فيقول: "ولا يقال: ها هو هنا، أو ها هو هناك، لأن ملكوت الله هو فيكم" (لوقا 17، 21)، لا يجب إذاً أن نبحث عنه خارجاً، في مكان جغرافي، في أورشليم أو في السامرة. وأيضاً: "سيجيء الناس من المشرق والمغرب، ومن الشمال والجنوب، ويجلسون إلى المائدة في ملكوت الله" (لوقا 13، 29). لن يكون اليهود وحدهم في هذا الملكوت لأن "الأولون (اليهود) يصيروا آخرين والآخرون (الوثنيون الذين آمنوا بعد اليهود) يصيروا أولين" (لوقا 13، 30 / متى 19، 30). المسيحية التي فسرها يسوع كانت غير واردة بالنسبة لليهود المشربين بفكرة القومية والوطنية. اليوم أيضاً، إن مجرد التفكير بمثل هكذا مسيحية لا يمكن أن يخطر على بال الإسرائيليين.

بعد سنتين من المعاشرة والتحضير لرسله، وسنة قبل أن يسلم للصلب، يفحص يسوع رسله. لقد شاهدوا أعماله العجائبية، لكن هل فهموا تعاليمه وخفايا تلميحاته؟ كان عليهم أن يفهموا أمرين:

1- أن يسوع، تحت هذا المظهر المتواضع، هو المسيح المنتظر.

2- أن مهمة المسيح ليست إعادة تأسيس دولة إسرائيل، خلافاً لكل توقعاتهم. كان على المسيح أن يثبّت رسله بالإيمان الكامل به حتى لا ينكروه بعد "هزيمته" على الصليب، وليواظبوا على هذا الإيمان بالرغم من عدم إعادته تأسيس مملكة إسرائيل (مراجعة لوقا 24، 21 و أعمال 1، 6).

يطلب يسوع إذاً من تلاميذه، قبل عام من مقتله: "من أنا في رأيكم أنتم؟" فأجابه بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي" (متى 16، 15 - 20). أثنى يسوع على رسوله، إذ أن بطرس، على الرغم من مظاهر الفقر، عرف أن يسوع هو المسيح، الذي كان من المفترض أن يكون من أصل نبيل، لا بل من أصل ملكي وفقاً للمفهوم الدنيوي. والحال هو أن أيّ من مظاهر الترف لم يكن يميز هذا النجار الوضيع والمتواضع من الناصرة، لأن نبله كان داخلياً. رأى بطرس في معلّمه، المسيح "ابن الله" وحسب، على الرغم من بساطة ملابسه. لهذا السبب يقول له يسوع: "ليس لحم ولا دم (من طابع مجد بشري) كشف لك هذه الحقيقة لكن أبي الذي في السماوات". إنه حدس داخلي، نور روحي قوي وعميق دفع بطرس لهذا الكلام.

لكن المسيح، للمفارقة، أسرع إلى توصية تلاميذه "أن لا يخبروا أحدا بأنه المسيح" (متى 16، 20). لماذا؟ لأن الجموع كانت ستأتي لترغمه أن يكون الملك السياسي لإسرائيل كما حصل سابقاً (يوحنا 6، 15). لم يوصيهم فقط بالكتمان الكامل، بل، "بدأ من ذلك الوقت يصرّح لتلاميذه أنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً... ويموت قتلاً، وفي اليوم الثالث يقوم" (متى 16، 21).

عند هذه الكلمات، تفوّق اللحم والدم عند بطرس، فلم يعد يسمع شيئاً مما قد يستطيع الآب السماوي أن يوحي به إليه. لاقتناعه بأن المسيح سيعيد الملك لإسرائيل، لم يكن يقدر أن يتصور أن مخلص "الأمة" هذا سيموت قتلاً. "فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره (يوبخه، يأنبه) قائلاً: حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا" (متى 16، 22). إن كان هذا موقف الرسل بعد عامين من التعليم، تخيل ما كان يمكن لليهود الآخرين أن يفكروا عن يسوع... ولا سيما يهوذا الإسخريوطي الذي لم يكن يتطلع إلا إلى المملكة الإسرائيلية.

بعد أن أثنى عليه لأنه عرف أنه المسيح، أخذ يسوع يوبخ بطرس لأنه "انتهره". كان المفهوم المسيحي عند بطرس لا يزال عديم الروح: "إبتعد عني يا شيطان! أنت عقبة في طريقي، لأن أفكارك هذه أفكار البشر لا أفكار الله" (متى 16، 23). لا زال الإسرائيليون يبحثون، منذ أيام صموئيل، على المملكة الإسرائيلية التي يدينها الله!

من خلال إدانته لدولة إسرائيل، يقيم الله في العالم مبدأ جديداً لمحاسبة الضمائر. هذا القانون يشملنا نحن بشر القرن العشرين، إنه معيار ومقياس الإيمان الحقيقي. الذين عملوا - ولا زالوا يعملون - لإنشاء واستمرار دولة إسرائيل، لا يفكرون مثل الله، بل مثل البشر، كما قال يسوع لبطرس. يقول لنا كتاب الرؤيا إنه في نهاية الأزمنة، سيعهد الله إلى رسله "قياس الهيكل"، أي فحص ضمائر البشر، خاصة المؤمنين المتمثلين "بالهيكل" (رؤيا 11، 1 / 21، 15). هذا الفحص هو في طور الإنجاز حالياً من خلال دولة إسرائيل: الذين يؤيدون هذا الكيان هم ضد الله، والذين يقاومون إسرائيل يخدمون مخطط الله للخلاص الشامل.

فحص الضمير الذي قام به يسوع من خلال السؤال الذي طرحه على تلاميذه: "من أنا في رأيكم أنتم؟"، بيّن أنهم فهموا أنه المسيح... لكن، الذي بالنسبة لهم، كان عليه أن يعيد مملكة إسرائيل. قبل صعوده إلى السماء، طلبوا منه أيضاً: "أفي هذا الزمن تعيد الملك إلى إسرائيل؟" (أعمال 1، 6).

لم يكونوا بعد قد فهموا مقصود المعلم بالرغم من أنه "أظهر لهم نفسه حياً، وتراءى لهم مدة أربعين يوماً بعد آلامه، وكلمهم على ملكوت الله (الروحي)" (أعمال 1، 3).

الفحص الذي قام به يسوع مع تلاميذه كشف إيمانهم الراسخ به: "أنت المسيح!". بعد سنتين من التأهيل، تمكنوا فقط من عبور هذه المرحلة الأولى. أمّا المرحلة الثانية - وهي أن المسيح ليس قومياً - تبقى برسم الإنجاز. في ذلك الوقت كان الرسل غير قادرين على التقدم أكثر من ذلك، كانوا عاجزين بسبب المفهوم القديم - الخاطئ مع أنه صار تقليدياً - الذي يقول إن على المسيح أن يكون ملكاً زمنياً على إسرائيل. بالنسبة لجميع اليهود كان ذلك أمر مسلم به وغير قابل للبحث.

كان ذلك شيئاً عظيماً لبطرس أن يكون عنده اليقين بأن يسوع هو المسيح. فعلى هذا اليقين كان الباقون يستطيعون أن يبنوا إيمانهم: "عندي كلام كثير أقوله لكم بعد"، يقول يسوع إلى الاثني عشر، "ولكنكم لا تقدرون الآن أن تحتملوه (يوحنا 16، 12). حتى تلك اللحظة، لم يكونوا قادرين بعد أن يفهموا أن الذي وضعوا به كل أمالهم لرؤية الإمبراطورية الإسرائيلية، ينتهي به الأمر بطريقة مأساوية مسمّراً على صليب.

كذلك، لم "يبدأ" يسوع بكشف مخطط الله لرسله إلا بعد أن تأكد من قوّة إيمانهم بشخصه: قال لهم إنه "سيتألم كثيراً... ويموت قتلاً..." (متى 16، 21 - 23). كي يشرح لهم أن لهذه المأساة أسباب عميقة، وأنه يقبل بها طوعاً لخيرهم، وأنه قادر بما فيه الكفاية على تجنبها، تجلى يسوع لرسله "ستة أيام بعد" إعلان موته، هذه الخاتمة الرهيبة بالمفهوم الإنساني، لمسيحيته. لكن، كان يجب أن يعرفوا، أنه لو أراد، لكان قادراً أن ينجو من هذا الموت المهين، هو الذي تجلى أمامهم، هو الذي أقام الأموات. كان لخيرهم أن يخضع - طوعاً- للتضحية: "صدّقوني، من الخير لكم أن أذهب" (يوحنا 16، 7)، يقول لهم يسوع. وأيضاً: "...ما من أحد ينتزع مني حياتي، بل أنا أضحي بها راضياً. فلي القدرة أن أضحي بها، ولي القدرة أن أستردها" (يوحنا 10، 17 - 18). "أخبركم بهذا قبل أن يحدث، حتى متى حدث تؤمنون" (يوحنا 14، 29).

إحفظ إذاً أن يسوع، كي يخلّص تلاميذه، قبِل طوعاً أن يسلم نفسه لجلاديه. لكن كان يجب أولاً أن يضمن إيمانهم بمسيحيته. بعد أن تأكد من هذا الإيمان عند رسله، سبر يسوع إيمان أصدقائه الأحماء: "أنا هو القيامة والحياة... أتؤمنين بهذا؟"، سأل يسوع مرتا. "نعم، أنا أؤمن كل الإيمان بأنك المسيح ابن الله الآتي إلى العالم"، أجابته مرتا (يوحنا 11، 25 - 27). ومن ماذا كان يسوع سيخلص أخصاءه؟ من الكذب الصهيوني، من تضليل القومية، من المطالبة بكل مكان تطأه أقدامهم، معتقدين أنهم وحدهم مختارون وأكثر أهمية، بحسب الله، من غير اليهود. باختصار، أراد يسوع أن يحرر كل المؤمنين الحقيقيين به من نار التعصب والمادية.

ليوطد إيمان رسله، أراد المسيح أن يظهر لهم قدرة جسده على إخضاع عناصر الطبيعة. فقد كانوا شهوداً على ذلك برؤيته يمشي على البحر، الأمر الذي لم يقدر بطرس أن يفعله. ساهم ذلك بزيادة إيمانهم (متى 14، 25 - 33).

مرة ثانية ذكّر يسوع بموته القريب، "فحزن الرسل كثيراً" (متى 17، 22 - 23)، خصوصاً أنه قال هذا بعد التجلي.

مرة ثالثة يكرر يسوع: "...سيسلّم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة ومعلمي الشريعة... ويصلبونه" (متى 20، 17 - 19). "لكن"، يضيف لوقا، وعلى الرغم من كل هذه التنبيهات، "ما فهم التلاميذ شيئاً من ذلك، وكان هذا الكلام مغلقاً عليهم، فما أدركوا معناه" (لوقا 18، 31 - 34). لأنهم كانوا مقيدين بفكرة المملكة الإسرائيلية وكانوا يتصورون أن (مع يسوع) المملكة الوهمية ستظهر على الفور (لوقا 9، 11).

بالنسبة لليهود، "ملكوت الله" (أو "ملكوت السماوات") على الأرض، يعني مملكة إسرائيل في فلسطين. بالنسبة ليسوع، ليس الأمر كذلك. كيف تفهم أنت هذا الملكوت؟

كل المجتمع اليهودي كان مبهوراً ومتعطشاً إلى حد كبير للدولة السياسية حتى جاءت والدة الرسولين يعقوب ويوحنا إلى يسوع، تماماً بعد الإعلان الثالث لآلامه، لتطلب معروفاً مادياً لإبنيها: "وجاءت إليه أم يعقوب ويوحنا ابني زبدي ومعها ابناها، وسجدت له تطلب منه حاجة. قالت: مر أن يجلس ابناي هذان، واحد عن يمينك وواحد عن شمالك في مملكتك... ولما سمع التلاميذ العشرة، غضبوا على الأخوين" (متى 20، 20 - 24). لاعتقادهم أن هذه المملكة دنيوية كانت وشيكة، كان التلاميذ يتهافتون على المركز الأول، كل واحد كان يرى نفسه جديراً بأن يكون رئيس الوزراء، أو يريد حقيبة وزارية مهمة...

على السؤال الذي طرحه عليه الرسل: "من هو الأعظم في ملكوت السماوات؟"، لم يجب يسوع: "هو أنت، بطرس، أو أنت فلان"، بل "دعا طفلاً وأقامه في وسطهم وقال: ...من اتضع وصار مثل هذا الطفل، فهو الأعظم في ملكوت السماوات" (متى 18، 1 - 4). وبإجابته على طلب أم يعقوب ويوحنا، يقول يسوع: "إن رؤساء الأمم يسودونها... فلا يكن هذا فيكم... من أراد أن يكون الأول فيكم، فليكن لكم عبداً..." (متى 20، 24 - 28).

لينزع كل وهم من عقول رسله، دعاهم المسيح ليتبعوه في طريق التضحية، لا في طريق المجد وفقاً للعالم: "من أراد أن يتبعني، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني... ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله (كما يتمنى الإسرائيليون) وخسر نفسه؟" (متى 16، 24 - 26). ألم يرفض المسيح ممالك الدنيا التي عرضها عليه إبليس (متى 4، 9 - 10)، واليهود فيما بعد (يوحنا 6، 15)؟ بينما في المقابل، سيقبل المسيح الدجال بامبراطورية "التنين" (إبليس) في الزمن الرؤيوي الذي نعيشه (رؤيا 13، 2).

معظم تعاليم يسوع تسعى إلى تدمير ذهنية الغيتو والطائفية العشائرية أو العائلية التي كان المجتمع اليهودي منغمساً فيها في ذلك الوقت. ليحطم هذه العقلية المتشددة قال يسوع لسامعيه اليهود: "لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام ("الشالوم" الإسرائيلي(إلى العالم، ما جئت لأحمل السلام بل سيفاً. جئت لأفرق بين الابن وأبيه، والبنت وأمها... ويكون أعداء الإنسان أهل بيته" (متى 10، 34 - 36). السيف الذي يتكلم عنه يسوع هو كلمة الحق القاطعة.

ينسب اليهود إلى يسوع هذه الكلمات التي، بالنسبة لهم، تخالف الوصية الإلهية عن احترام الوالدين. هذا خطأ، لأن ما يريد المسيح قوله هو إن بعض الأهل سيثورون ضد أولادهم عندما يرونهم يتبعون تعاليم يسوع اللاسياسية، معتبرينها ضد الأمة اليهودية وغير وطنية. كذلك، إن الذين يستسلمون لتخويف

أهلهم إلى حد ابتعادهم عن المسيح، هم غير جديرون به: "من أحب أباه وأمه أكثر مما يحبني، فلا يستحقني" (متى 10، 37). تعبّدنا لله يعني أن نعمل كل جهدنا لكسر قيود التقاليد البشرية التي تمنعنا من الفوز بملكوته (متى 11، 12).

إن الجزء الأكبر من المجتمعات الحديثة، حتى تلك التي تزعم الإيمان بالله والديمقراطية، ملعونة بسبب تعصبها. ماذا يقول الإسرائيليون اليوم عن يسوع، المسيحيون، المسلمون والعالم بأكمله عندما يسمعون المسيح يتكلم بهذه الطريقة؟ ماذا يقول يهود القرن العشرين اليوم في فلسطين عند سماعهم يسوع ينكر حقهم الإلهي بإقامة دولة إسرائيلية في فلسطين؟ ماذا يقول المسيحيون عند سماعهم يسوع يدين دولة الفاتيكان والديانة المسيحية بشكل عام، التي تحولت للإلحاد؟ من يقدر أن ينفصل عن عائلته ليتبع يسوع بحرية؟ إنهم قليلون في الحقيقة.

6.12 لماذا كان على المسيح أن يموت قتلاً؟

بموته دون أن يعيد إقامة المملكة الدنيوية في إسرائيل، قضى يسوع على مفهوم المسيح الصهيوني. بعد موته، إستمر تلاميذه، فعلاً، بالإيمان بأنه المسيح، على الرغم من أنه لم يعيد ملك سلالة داود.

كان على يسوع أن يموت بهذه الطريقة ليقتل القومية اليهودية بموته على الصليب. فأعاد بذلك الحياة إلى جوهر الديانة اليهودية الحقيقية التي هي روحية وليست سياسية.

بموته حرر يسوع أخصاءه من خلال ظهوره كمسيح روحي وشامل جاء إلى العالم للبشرية جمعاء، لا لليهود وحدهم. إن الغير يهودي يدين بامتلاكه الكتاب المقدس لموت يسوع. هذا الكتاب كان يحتفظ به اليهود بعناية فائقة قبل مجيء يسوع. لكن الكهنة والكتبة اليهود جعلوا كلام الأنبياء مغلقاً ومنيعاً لأنه كان يدينهم. فلم يكن رؤساء اليهود يريدون أن يعرضوا عارهم أمام العالم كله.

من خلال وضع الكهنة يدهم على الكتاب المقدس جعلوه غير قابل للفهم، ليس فقط من غير اليهود، بل أيضاً من الأغلبية الساحقة لليهود أنفسهم. لام النبي هوشع الكهنة لأنهم تركوا الشعب في الجهل (هوشع 4، 4 - 6) وأدانهم ملاخي لأنهم حبسوا معرفة الله وراء قضبان شفاههم (ملاخي 2، 7 - 9). يسوع أيضاً ثار ضدهم واتهمهم قائلاً: "استوليتم على مفتاح المعرفة، فلا أنتم دخلتم، ولا تركتم الداخلين يدخلون" (لوقا 11، 52 / متى 23، 13). بإعطائه "مفاتيح ملكوت السماوات" لبطرس، فتح يسوع باب معرفة الله لشعوب العالم كله (متى 16، 19)، محرراً هذه المفاتيح من أيدي الطبقة الكهنوتية اليهودية العقيمة.

لزم يسوع حباً هائلا، بل حبّاً بلا حدود، وشجاعة لا تقهر لمواجهة الإسرائيليين. لم يتردد من عبور هذه النار الملتهبة ليحصل لنا على النور من خلال الستار الحديدي الإسرائيلي: "هكذا أحب الله العالم (كله) حتى وهب ابنه الأوحد، فلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3، 16).

ماذا سيكون موقف يهود إسرائيل اليوم، الحاخامات بوجه خاص، من يهودي يقول إنه المسيح ويرفض كل أشكال القومية اليهودية لدولة إسرائيلية؟ كل الشر يأتي من واقع أن اليهود يكابرون لإقامة دولة سياسية. أصبحت هذه الدولة الصراع المركزي بين يسوع واليهود، كما كان الصراع بينهم وصموئيل... وبينهم والله (صموئيل الأول 8). لو تمكن الإسرائيليون من الاعتراف بالمسيحية الإلهية، اللاسياسية، لما كان هناك من سبب كي يعاني يسوع الموت الجسدي. لكان استمر بالتعليم سلمياً وبالإعلان عن الطريق الروحي المفتوح لجميع البشر، وذلك بمساعدة الطائفة الإسرائيلية بأكملها.

والحال هو أن تلاميذ يسوع، وهم وحدهم، جعلوا الإيمان متاحاً للوثنيين، وذلك على حساب انذهال بعض اليهود وغضب غالبية البعض الآخر (أعمال 10، 34 - 48 / 11، 1 - 8 / 14، 27 / 15، 7 - 12 / 26، 23 ...). كان يجب عليه الذهاب حتى الصليب ليقتل المسيحية السياسية والمتعصبة، لكن "المفتاح" الذي أعطي إلى بطرس أعطى ثمراً كثيراً (متى 16، 19).

7.12 متى يجب أن نسامح أو متى يجب أن ندين؟

يسيء البعض فهم تعليم يسوع عن المغفرة والدينونة. يعتقدون أنه يجب دائماً أن نغفر كل شيء لكل الناس، دون قيد أو شرط، دون إدانة على الإطلاق. هكذا موقف هو ارتهان للذات، تنازل عن شرف الإنسان وإعطاء الضوء الأخضر للشر في العالم.

هذا هو مقصود المسيح فيما يخص المغفرة والدينونة:

1-7.12 المغفرة

لا تمنح المغفرة إلا بشرط: "إذا خطئ أخوك إليك، فاذهب إليه وعاتبه بينك وبينه، فإذا سمع لك تكون ربحت أخاك. وإن رفض أن يسمع لك... فقل للكنيسة، وإن رفض أن يسمع للكنيسة، فعامله كأنه وثني أو جابي ضرائب" (متى 18، 15 - 17). الوثنيون وجباة الضرائب كانوا منبوذين من قبل جماعة المؤمنين.

ذلك يعني أنه لا يجب على المرء أن يكون حقوداً وأن يتوقف على الغلطة، بل أن يفتح قلبه للآخر ويسامحه إن أصغى للتوبيخ. إن كانت هناك توبة، فيجب إذاً أن نغفر لنحصل نحن أيضاً على المغفرة: "فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم. وإن كنتم لا تغفرون للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم" (متى 6، 14 - 15). لكن إذا لم يندم المذنب على غلطته، عندئذٍ يجب أن يُرفض بما أنه يجب اعتباره كوثني.

أن نغفر لا يعني إذاً أن يكون موقفنا ضعيف بحيث:

1. يجب أن نوبخ الخاطئ، بصراحة وعلانية إن اقتضى الأمر، و

2. إن أصر على أخطائه يجب قطع العلاقة معه إن رفض الإصغاء. "إذا أخطأ أخوك فوبخه"، يقول لوقا، "وإذا أخطأ سبع مرات في اليوم، ورجع إليك في كل مرة فقال: أنا تائب، فاغفر له" (لوقا 17، 3 - 4). على التوبيخ إذاً أن يتبعه صفح حنون إن كانت التوبة صادقة.

مهمة يوحنا المعمدان كانت بالتحديد الدعوة إلى التوبة لاستحقاق المغفرة.

مع ذلك، هناك خطيئة لا تغتفر "لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة"، كما يقول يسوع. إنها الخطيئة ضد "الروح القدس" (متى 12، 31 - 32). ترتكز هذه الخطيئة على معارضة أفكار المرء وآرائه لأفكار وآراء الله. لا يمكن في هذه الحالة أن يكون هناك مغفرة لأنه لا توجد توبة حقيقية. بكلامه هذا، كان يسوع يتوجه إلى الفريسيين الذين كانوا يعارضونه وينسبون قدرته الخارقة للشيطان، لا "لروح الله" (متى 12، 22 - 28). لا يُغفر لأناس يزعمون التديّن عدم تمييزهم روح الله في الأعمال الإلهية. هذا مظهر من مظاهر الخطيئة ضد الروح القدس. التكبر والأنانية هما مثالان آخران على ذلك. كتاب الرؤيا يضع لائحة بهذا النوع من الخطيئة (رؤيا 21، 8).

هذه الخطيئة الخطيرة والتي لا تغتفر ترتكز على رفضنا المتكبر والغير منطقي للحقيقة الواضحة. أن نحوّل نظرنا كي لا نرى أننا أخطأنا، أن نقول عن الجمال إنه قبيح وعن الحقيقة إنها باطل، هو خطيئة ضد الروح الإلهي: "ويل للذين يدعون الشر خيراً والخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً"، يقول إشعيا (إشعيا 5، 20). أن ندعي حق الإدانة دون الرجوع إلى الله هو "أن نأكل من شجرة معرفة الخير والشر التي تميت" (تكوين 2، 17) كي نعطي لأنفسنا حرية الحكم السطحي، وفقاً لذهنيتنا البشرية الخاصة - المشوهة في أكثر الأحيان- دون تفويض الأمر لله كمعيار للحكم.

يطلب منا يوحنا أن نصلي لأخ "ارتكب خطيئة لا تؤدي إلى الموت فنمنحه الحياة (بنعمة التوبة)". لكنه يطلب منا بالمقابل، "أن لا نصلي إلى الذين يرتكبون خطيئة تؤدي إلى الموت" (يوحنا الأولى 5، 16 - 17). المقصود هو الخطيئة ضد الروح السماوي التي من أجلها يكون الله بلا رحمة. لأن الذين يرتكبون هذا النوع من الخطايا الخطيرة هم أعداء الله، حتى لو ظهروا بمظهر المؤمنين. أبناء الله الحقيقيون لا يرتكبون مثل هذه الخطايا: "نعرف أن كل من ولد من الله لا يخطأ، لأن المولود من الله (يسوع المسيح) يصونه فلا يمسه الشرير (إبليس)"، يقول يوحنا أيضاً (يوحنا الأولى 5، 18 - 19). إن الصلاة من أجل أعداء الله هي إهانة فعلية لله: "وأنت يا إرميا فلا تتضرع ولا ترفع دعاء ولا صلاة لأجل هذا الشعب... فانا لا أسمع لك"، يقول الآب السماوي لإرميا (إرميا 7، 16).

كي نميز الخطيئة التي تغتفر من التي لا تغتفر يجب أن يكون روح الله فينا. فإن الله يهب روحه لأبنائه الحقيقيين (لوقا 11، 13). بمساعدة النور الإلهي، وبناءً على وضع الشخص العام، يمكننا أن نتبين أعماق قلبه وأن نعرف إن كانت توبته حقيقية أو مرغوب بها، أو إن كان الشخص متمسكاً بأخطائه دون أمل بنبذها.

2-7.12 الإدانة

كثيرون يعتقدون - على نحو غير صحيح - أن يسوع يمنع المؤمنين من إدانة الآخرين عندما يقول: "لا تدينوا، فلا تدانوا. لا تحكموا على أحد، فلا يحكم عليكم" (لوقا 6، 37).

والحال هو أننا عندما تنبين خطيئة ما، علينا أن نصدر حكمنا عليها. عندما نصح يسوع بعدم الإدانة، كان يتوجه إلى سامعيه المتعودين على إدانة الآخرين بلا ترو، وعلى تقديرهم بحسب ما يتوافق ومصالحهم الخاصة وطرق تفكيرهم. لقد رفضوا يسوع، وحكموا عليه وفق معطيات سطحية وبناءً على مظهره الفقير الذي لم يتناسب مع مفاهيمهم الفخمة للمسيحية. فرؤساء اليهود لم يحكموا على يسوع وفقاً للنبوءات المسيحية ولميازين العدل التي تستوجب موضوعية مطلقة.

لا بمكننا أن نكتسب هكذا موضوعية إلا بعد أن نكون قد تجردنا من التعصب والشهوات العمياء. ما دام هذا التطهير لم يحصل، علينا الامتناع عن إدانة تصرف الآخرين: "لا تحكموا على الظاهر"، يقول يسوع، لكنه يضيف في الحال: "بل احكموا بالعدل" (يوحنا 7، 24).

يجب علينا قبل كل شيء أن نحكم على أنفسنا، أن نعترف بعيوبنا، أن نصححها لنتمكن من الرؤية بوضوح و، بعدئذٍ، يمكننا أن نحكم على الآخرين، إنما "بالعدل"، لا بحسب اعتقادنا. والعدل يأمرنا أن ننزع الشر الذي فينا "حتى نبصر جيداً فنخرج القشة من عين الآخر" كما قال يسوع أيضاً (متى 7، 5).

يطلب منا يسوع أن "لا نعطي الكلاب ما هو مقدس، وأن لا نرمي دررنا إلى الخنازير" (متى 7، 6). لنطبق ذلك، يجب أن نحكم أن فلان هو "كلب" وفلان آخر "خنزير".

نستخلص إذاً أن الحكم هو واجب لا يجب الامتناع عنه، شرط أن تكون أحكامنا صادرة بنور الله، وفقاً لعدله الكامل.

8.12 يسوع والأغنياء (متى19، 16 - 26)

المسيح ليس ضد امتلاك الثروات المادية، لكن ضد التقيد بالمال، مثل البخلاء الذين يفضّلونه على القيم الروحية: "لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (متى 6، 24).

عندما دعا يسوع ذلك الشاب الغني ليتبعه ويكون رسوله، لكن فقط بعد أن يتنازل عن كل ما يملك للفقراء، فبدل أن يبتهج للأمر، "مضى حزيناً لأنه كان يملك أموالاً كثيرة" (متى 19، 22). لم يكن جاهزاً للتخلي عن ثرواته المادية في سبيل الثروات الروحية (متى 19، 22).

"يصعب على الغني أن يدخل ملكوت السماوات"، يقول يسوع (متى 19، 23) لا لأنه غني، بل لأنه يضع كامل ثقته في ثروته المادية، لا بالله: "إنتبهوا وتحفظوا من كل طمع، فما حياة الإنسان بكثرة أمواله" (لوقا 12، 15). وأيضاً، "عليك أن توصي أغنياء هذه الدنيا بأن لا يتكبروا ولا يتكلوا على الغنى الزائل (المال، إلخ)، بل على الله... وأن يعملوا الخير ويكونوا أغنياء بالأعمال الصالحة... ويشاركوا غيرهم... فينالون الحياة الحقيقية (الأبدية)" (تيموثاوس الأولى 6، 17 - 19).

من بين تلاميذ يسوع كان يوجد أغنياء، لكن من الذين يحسنون التصرف بأموالهم: "وجاء عند المساء رجل غني من الرامة اسمه يوسف، وكان من تلاميذ يسوع... فأخذ جسد يسوع ولفه في كفن نظيف، ووضعه في قبر جديد كان حفره لنفسه في الصخر" (متى 27، 57 - 60). كذلك لعازر وأختاه، مريم ومرتا، كانوا أغنياء، وزكا "رجل غني من كبار جباة الضرائب" (لوقا 19، 2) خلص لأنه قرر "أن يعطي نصف أمواله للفقراء، وإذا ظلم أحداً في شيء، يرده عليه أربعة أضعاف" (لوقا 19، 1 - 10). (مراجعة كورنثوس الثانية 8، 13: البحث عن المساواة، لكن دون الوقوع في الإفلاس).

الرسل، مثل جميع اليهود، كانوا يعتقدون أن الغنى المادي هو علامة نعمة ربانية. ذهلوا من كلام المسيح عن الأغنياء وسألوه: "من يمكنه أن يخلص إذاً؟ " بما أن الأغنياء أنفسهم عندهم مثل هذه الصعوبات (متى 19، 25). في حين أن يسوع سبق أن ذكرهم بنبوءة إشعيا: "والمساكين يتلقون البشارة" (متى 11، 5 / إشعيا 61، 1). لذلك "نظر إليهم يسوع (هم المساكين)، وقال لهم: هذا (الخلاص) شيء غير ممكن عند الناس (حتى لو كانوا أغنياء)، أمّا عند الله فكل شيء ممكن" (متى 19، 26). هذا ليقول لهم إن الله فضلهم، هم المساكين الذين تخلوا عن كل شيء (حتى لو لم يكن عندهم إلا القليل)، على الأغنياء الذين رفضوا أن يكونوا تلاميذه.

باختصار، يوجد من بين الأغنياء من هم أغنياء روحياً أيضاً من خلال حسن استعمالهم للمال. هؤلاء يتبعون يسوع. كما يوجد بينهم من هم تعساء روحياً لأنهم متعلقون بمالهم الذي عليه تتوقف طمأنينتهم. بالمقابل، يوجد من بين الفقراء من هم أغنياء روحياً لأنهم يثقون بالله الذي لا يخيب أملهم أبداً (متى 6، 25 – 34). يوجد من بين الفقراء من هم شديدو البؤس، لأنهم متعطشين للمال ومستعدين لأن يفعلوا أي شيء -حتى الباطل- كي يستمروا بالحصول على المزيد، بدلاً من تفويض أمرهم لله.

9.12 لعن شجرة التين (متى 21، 18)

هذه اللعنة هي حقيقية، لكنها فوق كل شيء رمزية. لاحظ أنها تلي طرد الباعة من الهيكل وتسبق عودة يسوع إليه، حيث اعترضه رؤساء الكهنة الذين استجوبوه بمكر (متى 21، 23 - 27). شجرة التين (مثل الكرمة) هي رمز لإسرائيل. عندما لعنها يسوع، شعر رؤساء اليهود بأنهم مستهدفون (مثلما كان سيشعر-مثلاً- اللبنانيون لو لُعنت الأرزة، رمز لبنان). هذه اللعنة للكتبة والفريسيين "المرائين" تظهر بشكل أوضح في الفصل 13 من إنجيل متى المخصص لإدانة هؤلاء "الحيات أولاد الأفاعي" الذين "سينزل بهم العقاب على سفك كل دم بريء على الأرض"، وينتهي بإدانة أورشليم (متى 23، 37 - 39)، التي ترمز إليها شجرة التين الملعونة. "لأن وقت التين ما حان بعد"، يقول مرقس (مرقس 11، 13)؛ كان يسوع يعلم إذاً أنه لن يجد تيناً على شجرة التين في ذلك الوقت. فالعبرة واضحة: مثلما لا تحمل شجرة التين ثمراً وتخدع الناس بأوراقها التي تخبئ عريها، هكذا تتخضب أورشليم لتخفي شرها وجرائمها التي لا تحصى (مراجعة إرميا 4، 30 و متى 23، 37). إقرأ مثل التينة التي لا تثمر (لوقا 13، 6 - 9).

لاحِظ أخيراً أن هذه القصة تخفي عبرة: "...لو كنتم تؤمنون ولا تشكّون، لفعلتم بهذه التينة مثلما فعلت، لا بل كنتم إذا قلتم لهذا الجبل: قم وانطرح في البحر، يكون لكم ذلك" (متى 21، 21). "التينة" و "الجبل" هما رمزان لإسرائيل. كان يسوع يتكلم "وهو راجع إلى المدينة" (أورشليم : متى 21، 18)، وكان ينظر إليها وهو يتكلم. إنها هي هذا "الجبل" الذي يتكلم عنه أيضاً كتاب الرؤيا، الذي "وقع في البحر" (رؤيا 8، 8). إنها وحش الرؤيا الذي يجب مقاومته والتغلب عليه بالإيمان الذي لا يشك أبداً، و "رميه في البحر" من حيث خرج (رؤيا 13، 1). هذه هي العبرة من هذه القصة، عبرة يجب تطبيقها اليوم، بعد عودة هذا الجبل الملعون الذي استطاع أن يخدع الضعفاء في الإيمان. (جبل صهيون غالباً ما يُذكر في الكتاب المقدس كرمز لإسرائيل: ميخا 3، 12 / يوئيل 2، 1 / دانيال 9، 20).

10.12 الضرائب (متى 22، 13 - 17)

كان الرومان يجبون الضرائب من البلدان التي كانوا يحتلونها. في فلسطين، كان اليهود يدفعون هذه الضرائب بالعملة المتداولة التي، إبّان العهد الروماني، كان تحمل صورة القيصر. لم يكن يوجد عملة إسرائيلية، بالرغم من أنه كان يوجد شبه مملكة إسرائيلية مع الملك هيرودوس.

كان اليهود يعتبرون فريضة دفع مثل هذه الضرائب استعباداً لا يحتمل. كان الرومان يكلفون موظفين يهود، يدعون العشارين، بجباية هذه الضرائب من مواطنيهم الذين كانوا يكرهونهم. من خلال اختياره متى (عشار وجابي ضرائب)، تحدى يسوع وأغضب عدداً كبيراً من اليهود (متى 9، 9 - 11).

"ذهب الفريسيون وتشاوروا كيف يمسكون يسوع بكلمة. فأرسلوا إليه بعض تلاميذهم وبعض الهيرودوسيين (وهم ملة تدافع عن مصالح الملك هيرودوس، الذي كان يعلم أن الشعب لا يحبه، فكان هؤلاء رجاله الذين يتجسسوا على الناس في الهيكل والمدن) يقولون له: ...أيحل لنا أن ندفع الجزية إلى القيصر أم لا ؟ " (متى 22، 15). لو أجاب يسوع بـ "نعم"، لكان اتهم بخيانة الأمة اليهودية وجلب على نفسه عداوة الشعب الذي كان معجباً به، مقوضاً نفسه، "ممسوكا بكلمته" كما كان الفريسيون يريدون. إن أجاب بـ "لا"، لكان الرومان اتهموه بأنه ثوري يمنع الشعب من دفع الضرائب. الخطة كانت مدبرة بشكل جيد.

كان اليهود يودون أن يكون يسوع هذا الثائر القومي. كانوا سيدعمونه. ألم يحاولوا أن يقيموه ملكاً على إسرائيل؟ (يوحنا 6، 15). لم يقرروا أن يتخلوا عنه إلا بعد أن أدركوا نواياه اللاسياسية. حتى أنهم إتهموه بما كانوا يريدونه في الحقيقة أن يفعل: أن يقود العصيان ضد رومة. المرائين! تجدر الملاحظة أن هذه الحادثة حصلت في أواخر رسالة يسوع، بعد أن أدرك اليهود، الخائبي الظن، أن رسالته لم تكن قومية، فقرروا إذاً أن يتخلوا عنه.

أحبط يسوع حيلتهم: "عرف يسوع مكرهم، فقال لهم: ...أروني نقد الجزية...: لمن هذه الصورة وهذا الإسم؟ قالوا: للقيصر". هكذا إذاً، العملة التي كانت متداولة في إسرائيل كان منقوش عليها صورة القيصر، لا صورة هيرودوس، أو أي ملك يهودي من الماضي. جواب يسوع الجوهري صعق هؤلاء النمامين: "إدفعوا إذاً إلى القيصر ما للقيصر، وإلى الله ما لله!" . نقل الهيرودوسيون هذا الكلام إلى ملكهم وهم في غاية الإحراج.

بقبولهم أن يبيعوا ويشتروا بالعملة الرومانية، كان على اليهود قبول دفع الجزية بنفس العملة.

11.12 الحقيقة عن يهوذا

لماذا خان يهوذا يسوع؟

قليل من الناس يستطيعون أن يجيبوا بوضوح على هذا السؤال. حاول أن تجيب قبل متابعة القراءة.

لماذا تبع يهوذا يسوع؟

إن الإجابة على هذا السؤال هي التي تسمح لنا أن نجيب بذكاء على السؤال الأول.

كل ما كان يهوذا يريده من يسوع هو تجديد المملكة الداودية. كان يأمل أن يضع يسوع كامل قدرته الروحية في خدمة هذا الهدف السياسي، آملاً باحتلال أفضل المراكز. عجائب المسيح ومعانيها الروحية لم تكن تهمه قط، لم تثير عنده لا إعجاباً ولا حماسة قادرة على إعلاء حكمه روحياً. فبقي عديم الروح.

بعد أعجوبة تكثير الخبز، تبعت الجموع يسوع بإعجاب لتعلنه ملكاً. فتوارى عنهم. بحثوا عنه، فوجدوه، إنما ليسمعوا منه توبيخاً: "أنتم تطلبوني لا لأنكم رأيتم الآيات، بل لأنكم أكلتم الخبز وشبعتم... بل اعملوا للقوت الباقي للحياة الأبدية" (يوحنا 6، 26 - 27).

مثل يهوذا، لم يكون هؤلاء الناس مهتمين سوى بالعائدات المادية. والدليل هو أنه عندما تكلم عن الخبز الحقيقي الذي يعطي الحياة الأبدية للروح، لم يعودوا يسمعوه، ليستنتج قائلاً: "لكن فيكم من لا يؤمنون". يوضح يوحنا أيضاً: "كان يسوع يعرف من البدء من الذين لا يؤمنون به ومن الذي سيسلمه" (يوحنا 6، 64 - 71).

كان يهوذا إذاً من الذين لم يؤمنوا بالمعنى العميق لعجائب يسوع، بالرغم من وجوده بنفس المكان عند حصولها. استمراره بمرافقة يسوع، دون أن يؤمن به، كان أكثر خطورة من لامبالاته. كان الأجدر به أن يذهب مع الجموع التي انصرفت عندما طلب يسوع من الإثني عشر: "وأنتم أما تريدون أن تتركوني مثلهم؟ " (يوحنا 6، 67). لماذا بقي؟ لأنه كان متعلقاً بالعائدات التي كانت ستؤمنها له المملكة المرتقبة التي كان يأمل أن يرى يسوع يقيمها. لم يكن يهمه أي شيء آخر.

كان يسوع يعرف نوايا هذا التلميذ المزيف الحقيقية فيقول: "أما اخترتكم، أنتم الاثني عشر؟ لكن واحداً منكم شيطان!" لا يترك لنا يوحنا المجال لنحزر من هو "الشيطان" فيضيف: "وعنى بذلك يهوذا بن سمعان أسخريوط، وهو الذي سيسلمه، مع أنه أحد الاثني عشر" (يوحنا 6، 70 - 71).

عندما غضب بطرس على يسوع بسبب إعلانه عن موته القريب، أجابه يسوع: "إبتعد عني يا شيطان!" (متى 16، 23). لكن بطرس انتهى به الأمر إلى قبول مملكة يسوع الروحية. واحد من الاثني عشر كان عليه أن يتمسك بشيطانه: "واحد منكم شيطان"، أوضح يسوع، واحد فقط: يهوذا الإسخريوطي.

فرق آخر بين بطرس ويهوذا هو أن بطرس، أنكر أنه يعرف يسوع (متى 26، 69 - 75)، لأنه كان تحت تأثير المفاجأة. لكن يهوذا فعل ذلك عن سابق تصور وتصميم. خطيئة بطرس هي من النوع الذي يغتفر. أما خطيئة الخائن، يهوذا، هي ضد الروح القدس، خطيئة لا تغتفر (مرقس 3، 28 - 30 / يوحنا 15، 22 - 24 / يوحنا الأولى 5، 16).

لقد قرر يهوذا خيانة يسوع عندما فقد كل أمل برؤيته يحقق أغلى أمنياته: مملكة إسرائيل. نبت القرار تدريجاً في قلب يهوذا وأثيرت الرغبة في نفسه بالإنتقال إلى الفعل وقت العشاء في بيت لعازر، "قبل الفصح بستة أيام" (يوحنا 12، 1 - 11)، قبل الصلب بخمسة أيام وقبل الخيانة في جبل الزيتون بأربعة أيام. خلال العشاء عند لعازر، "تناولت مريم قارورة طيب غالي الثمن من الناردين النقي، وسكبتها على قدمي يسوع... فقال يهوذا الإسخريوطي: أما كان خيراً أن يباع هذا الطيب بثلاثمئة دينار لتوزع على الفقراء؟ قال هذا لا لعطفه على الفقراء، بل لأنه كان لصاً وكان أمين الصندوق، فيختلس ما يودع فيه" (يوحنا 12، 5 - 6). ذاك هو الجانب الغامض ليهوذا، وجهه الحقيقي كـ "لص" كما كشف يوحنا الرسول الذي كان يعرفه حق المعرفة.

أجاب يسوع على ملاحظة يهوذا الفظة: "أتركوها! هذا الطيب حفظته ليوم دفني. فالفقراء عندكم في كل حين، وأما أنا فلا أكون في كل حين عندكم" (يوحنا 12، 7 - 8). بنظرة قوية وثاقبة وجّه يسوع هذا الكلام للذي سيخونه وأثقله ضميره. لم يتحمل يهوذا هذا التحجيم لشخصه ولا مديح يسوع لمريم، الذي كان بالمقابل يريده لنفسه: "في العالم كله يحدّث أيضاً بعملها هذا، إحياءً لذكرها" (متى 26، 13). "في ذلك الوقت" يقول متى، "ذهب يهوذا إلى رؤساء الكهنة" ليسلّم المسيح (متى 26، 14 - 15). فتكبره لم يقدر على تحمّل الإهانة علناً.

إنكشف خداع يهوذا أيضاً عندما أعلن يسوع للرسل: "واحد منكم سيسلمني". فحزن التلاميذ كثيراً وأخذوا يسألونه، كل واحد بدوره: هل أنا هو، يا سيد؟ كذلك، سأله يهوذا (وكان يعرف جيداً أنه المستهدف): هل أنا هو، يا معلم؟، "- أنت قلت"، أجاب يسوع (متى 26، 20 - 25).

بتسليمه يسوع، كان يهوذا يأمل باستعادة ثقة الكهنة اليهود. بعد أن أدرك أنه خسر احترام الرسل واليهود، قام بشنق نفسه، يتآكله اليأس، مدركاً أنه قد أسلم دماً بريئاً (متى 27، 3 - 4).

يهوذا لم يكن يتوقع مثل هذه الخاتمة المأساوية. كان يتأمل ربما أن يحرج يسوع بتسليمه، معتقداً أنه بذلك سيجبره على التفاهم مع رؤساء الكهنة لتجديد الملك في إسرائيل. لكن لا يمكننا أن نرغم يد الله ونحمله على تحقيق مشيئتنا الخاصة، كالتهديد بالقتل. "لا تجرّب الرب إلهك!"، يهوذا جرّب الله. وذلك لمصلحته الخاصة كونه كان شديد التعلق بحلمه بأن يكون بين أصحاب النفوذ في هذا العالم.

بالإضافة إلى ذلك، يهوذا "لم يندم" ولم يأسف لأنه تبع يسوع، إلا "لما رأى أنهم حكموا عليه" (متى 27، 3). وضع ذلك حداً نهائياً لحلمه. ذلك هو السبب الحقيقي لندمه. لم تكن توبته لتساوي له الغفران الإلهي والخلاص. لم يبقى لديه سوى أن يختار الموت ليهرب من الواقع. فانتحر!

هذا الإنتحار هو رمز للمصير النهائي للصهيونية القديمة والحديثة. بموته، وضع يسوع حداً للأمال الصهيونية الكاذبة التي تؤدي إلى الإنتحار الروحي: "بموته، انتصر يسوع على الموت"، كما يقول طقس الفصح. اليهود المتمسكون بيسوع نالوا الخلاص من موت روحي أكيد. "أين شوكتك يا موت؟"، يقول بولس بعد اهتدائه إلى يسوع (كورنثوس الأولى 15، 55). لهذا السبب "كان يجب على المسيح أن يعاني هذه الآلام"، ويعرف الموت (لوقا 24، 26). بقضائه على الوهم الصهيوني بصليبه، قام يسوع من بين الأموات ليعيد للديانة اليهودية وجهها الحقيقي ولأخصائه الأمل الحقيقي.

تأمل

مثل يهوذا، آخرون فكروا أن يتبعوا يسوع لا لأسباب روحية، بل لأسباب قومية. ينقل لنا متّى حالتين عن ذلك (متى 8، 18 - 22) :

1. قال معلم الشريعة ليسوع: "يا معلم، أتبعك أينما تذهب". في تلك اللحظة، كان يسوع قد عمل عدة عجائب وكانت النفوس متأججة لصالحه. "ورأى جمهوراً حوله، فأمر تلاميذه بالعبور إلى الشاطىء المقابل" لبحيرة طبريا، التي كانت منطقة وثنية، يحتقرها اليهود ولا يرتادونها. في جو الحماس العام، يميّز معلم الشريعة نفسه ليقدّم خدماته ويتبع يسوع "أينما يذهب"، حتى إلى بلد وثني نجس، محرّم من التوراة. تجدر الملاحظة إلى أنه معلم شريعة مشرّب إذاً بالتعصب والقومية الإسرائيليين. كان مستعداً ليتبع يسوع كأي وطني مستعد ليتبع قائداً عسكرياً ثورياً يندفع لتحرير الوطن، بقوة السلاح. والحال هو أن وطن المسيح سماوي، لا جغرافي. وهذا ما لم يفكر فيه معلم الشريعة. بالتالي، يتركه يسوع ليفهم أنه لن يحظى بأي مجد دنيوي بانضمامه إليه: "ابن الإنسان لا يجد أين يسند رأسه"، هذا يعني: لماذا تتبعني إذاً؟ يظن البعض أن يسوع رفض اقتراح هذا الكاتب. لا ليس هذا هو الحال، كل ما فعل هو أنه لمّح له، بكلمتين، المتطلبات الحقيقية والتضحيات التي يجب أن يقبل بها ليكون تلميذاً للمسيح. من المفترض أن معلم الشريعة هذا قد تنازل عن اقتراحه، لأنه لو تبع يسوع فلاً، لكان ظهر بين الرسل. إذاً الكاتب هو الذي عدل عن رأيه، وليس يسوع هو الذي رفضه.
2. هذا يفسر أيضاً لماذا "واحد من تلاميذه"، بعد أن سمع إجابة المسيح لمعلم الشريعة، قال له: "دعني أذهب أولاً وأدفن أبي ثم أعود فأتبعك". هذا التلميذ أيضاً أراد أن يتهرب بلباقة: "إتبعني واترك الموتى يدفنون موتاهم"، أجابه عندئذٍ يسوع، ليبطل ذريعته (متى 8، 21 - 22).

كان من الأفضل ليهوذا أن ينسحب، هو أيضاً، في الوقت المناسب ككثيرين غيره (يوحنا 6، 21 - 22). لكنه، منقاداً برغباته المادية، فضّل البقاء على أمل والإنتظار... على مضض... حتى اليأس، الخيانة، والإنتحار.

12.12 نهاية الأزمنة (متى 24)

قبل بضعة أيام - ثلاثة أو أربعة- من نهاية حياته الأرضية، كلّم يسوع تلاميذه عن نهاية أخرى، خراب الهيكل ونهاية دولة إسرائيل، اللذان دُمّرا في سنة 70 م، أي 35 سنة تقريباً بعد هذا الإعلان النبوئي. تلك كانت الـ "نهاية" الثانية لإسرائيل.

في معرض كلامي عن النبي حزقيال، أشرت إلى أنه قد تنبأ هو أيضاً في زمنه بنهاية إسرائيل التي حصلت سنة 586 ق.م . تلك كانت الـ "نهاية" الأولى لإسرائيل.

في عصرنا - منذ سنة 1948 تحديداً- وللمرة الثالثة، قامت في العالم دولة إسرائيلية، بعد حوالي 2000 سنة من خرابها الثاني. ستشهد هذه الدولة نهايتها القريبة كما في المرتين السابقتين. لأنه عندما يتكلم يسوع عن النهاية، يقصد بالقول، مثل حزقيال، نهاية إسرائيل، هذا الكيان الذي يشكل عائقاً أمام مخطط الله.

دُمرت إسرائيل مرة أولى ليظهر الله لليهود أن هدفه ليس قومية عبرية، وإنه لا يجب اعتبار المسيح المنتظر كـ "وطني يهودي" سيشن غزواً عسكرياً لاحتلال العالم وإقامة إمبراطورية إسرائيلية (صهيونية). دُمرت إسرائيل مرة ثانية (سنة 70 م) لدلالة على أن المسيح قد أتى إلى العالم بشخص يسوع. ستدمر مرة ثالثة وأخيرة ولن تعود إلى الوجود أبداً. هذه النهاية الثالثة والأخيرة لدولة إسرائيل تنذر البشر بعودة يسوع الروحية كما أعلنها بنفسه في الإنجيل.

أيام قليلة قبل أن يسلّمه يهوذا، كان يسوع مع تلاميذه في أورشليم. وبينما كانوا يتأملون بناء المعبد الذي زخرفه هيرودس الكبير، فوجئوا بيسوع يقول لهم: "أترون هذا كله؟ الحق أقول لكم: لن يترك هنا (في أورشليم) حجر على حجر! بل يهدم كله!" (فكر باستياء يهوذا الخفي عند سماعه ذلك). فيسألونه: " قل لنا متى يكون هذا، وما علامة مجيئك ونهاية العالم؟ "(متى 24، 2 - 3).

إنتبه إلى السؤال الذي طرحه الرسل: يريدون معرفة "متى يكون هذا (خراب الهيكل)" وأيضاً، "علامة مجيء (السياسي، كما كانوا يعتقدون) المسيح" الذي سيضع "نهاية للعالم" الوثني. فهموا أن يسوع سيتولى الملك، لكن بعد خراب هذا الهيكل الجميل. وفقاً لعقليتهم، سيجدد يسوع، مع ذلك، مملكة إسرائيل كما في زمن داود وسليمان. ويضع حداً بالتالي لنفوذ الأمم الوثنية، وعلى رأسهم رومة. لكن يسوع أراد أن يتكلم عن خراب الهيكل وعن نهاية السياسية لإسرائيل، لهذه المملكة التي، وفقاً الله، تجسّد، للمفارقة، الوثنية. ألم يقل يسوع إن الضابط الروماني، مع أنه وثني، عنده من الإيمان أكثر من كل الإسرائيليين، هؤلاء الذين "كان لهم الملكوت (إسرائيل) سيطرحون خارجاً في الظلمة" بسبب رفضهم ليسوع؟ (متى 8، 5 - 13).

اليوم، خاصة بعد عودة ظهور إسرائيل، يمكننا أن نفهم بشكل أفضل بكثير من السابق، نبوءات يسوع عن نهاية الأزمنة الموجودة في أناجيل متى، مرقس ولوقا. يوحنا لا يتكلم عنها لأنه كتب إنجيله بعد الأناجيل المتوافقة بوقت طويل (45 سنة تقريباً) وكان يعرف بأنها كانت موجودة فيها.

أجاب يسوع على سؤال الرسل ("متى يكون هذا؟") بطريقة أوسع بكثير مما كانوا يتصورون. إجابته لم تشمل فقط خراب الهيكل ونهاية إسرائيل الثانية (التي حصلت بعد ذلك بحوالي 35 سنة)، إنما أيضاً الأحداث المستقبلية. هذه الأحداث التي ستدور بعد عودة ظهور إسرائيل الثالثة التي حصلت سنة 1948 وتسبق سقوطها الثالث والأخير.

عودة ظهور الكيان الصهيوني الثالثة تتمتع بأهمية عالمية وروحية محددة: إنها تسبق بقليل عودة المسيح في الضمائر. بدأت هذه العودة مع إفشاء سر الرؤيا في 13 أيار سنة 1970. إن نهاية إسرائيل الثالثة والأخيرة قريبة جداً.

1-12.12 علامات الأزمنة

الفصلان 13 لمرقس و21 للوقا يتكلمان عن هذه النبوءات لنهاية الأزمنة. العلامات الرئيسية لهذه النبوءات هي:

إضطهاد الرسل قبل سقوط إسرائيل الثاني، تعرض الرسل للاضطهاد كما تنبأ يسوع (لوقا 21، 12). كذلك اليوم، تضطهد إسرائيل أعداءها الذين يقاومونها عن حق. هذه هي بداية نهاية دولة إسرائيل.

أورشليم محاصرة من الوثنيين والمسحاء الدجالين الوثنيون في أورشليم هم علامة لانهيارها القريب. في الأمس، كان الوثنيون هم الرومان الذين حاصروا المدينة ، أحرقوها مع معبدها وشتتوا اليهود في العالم (لوقا 21، 23 - 24). اليوم، بالعكس، الوثنيون هم اليهود المزعومون الذين يحاصرون أورشليم: هؤلاء هم وثنيو العصر (بسبب رفضهم ليسوع). وجودهم الضخم في فلسطين وفي المدينة المقدسة يعني نهاية دولة إسرائيل الأخيرة والقريبة: "ويدوس الوثنيون ("اليهود وما هم بيهود" الذي يتكلم عنهم يوحنا في الرؤيا 2، 9 / 3، 9) أورشليم إلى أن يتم زمانهم" (لوقا 21، 24). إنها إذاً نهاية النفوذ الصهيوني المرئي والمخفي في العالم.

سيظهر مسحاء دجالون يقولون إن "الزمان (زمن المسيح الصهيوني) قريب جداً". إنهم الأنبياء الكذابون (الصهاينة الحاليون) الذين يرون في دولة إسرائيل "آية" تدل على أن زمن مجيء المسيح الإسرائيلي قد حل، أنه على الباب، وأنه سيعلن عن نفسه أمام العالم كله. فقد قال يسوع: "سيجيء كثير من الناس منتحلين اسمي، فيقولون: أنا هو المسيح! ويخدعون كثيراً من الناس (متى 24، 5)... فإذا قال لكم أحد، ها هو المسيح هنا، أو ها هو هناك! فلا تصدقوه" (متى 24، 23 - 24). لقد سمعنا الإسرائيليين يقولون إن الزمن المسيحي قد حل أخيراً، وإن اريل شارون هو المسيح، بينما أخرون قالوا إن مناحيم بغين هو المسيح، أو أيضاً الحاخام مير كاهانا هو المسيح، ملك إسرائيل. نحن نعرف أن يسوع هو مسيح الله الأوحد وأن الزمن المسيحي قد بدأ به قبل 2000 سنة.

توتر دولي وتهديد نووي "ويسقط الناس من الخوف ومن انتظار ما سيحل بالعالم... ويصيب الأمم في الأرض قلق شديد ورعب (حروب نووية : لوقا 21، 25 - 26)... ستقوم أمّة على أمّة...(متى 24، 7)... فيرى الناس ابن الإنسان (يسوع) آتياً...(لوقا 21، 27)". لهذا نقول إن هذه الأحداث هي من "علامات الأزمنة"، لأنها تشير إلى زمن عودة يسوع.

إنتشار عالمي للإنجيل "وتجيء النهاية (الثالثة والأخيرة لإسرائيل) بعدما تعلن بشارة ملكوت الله هذه (بشارة مجيء يسوع المسيح إلى العالم) في العالم كله شهادة لي عند الأمم كلها" (متى 24، 14). الإنجيل منتشر اليوم في كل أرجاء العالم، ومترجم لأكثر من 360 لغة و1500 لهجة. إن نهاية المسيح الدجال الإسرائيلي قريبة جداً وكذلك "السماء الجديدة والأرض الجديدة" التي بشّر بهما كتاب الرؤيا وبطرس (رؤيا 21، 1 / بطرس الثانية 3، 13).

رسل آخر الأزمنة يقول يسوع: "في ذلك الحين... يرى الناس ابن الإنسان آتياً على سحاب... (بعد أن) يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت إلى جهات الرياح الأربع ليجمعوا مختاريه..." (متى 24، 30 - 31).

هؤلاء "الملائكة" هم بشر يرسلهم الله في نهاية الأزمنة "ليوقظوا" الصالحين في العالم، ليذكروهم بنبوءات آخر الأزمنة، وليبرهنوا لهم أنها ستتحقق مع ظهور "علامات الأزمنة" (عودة إسرائيل، إضطهاد عالمي لأعدائها، توتر دولي، خوف من النووي، إنتشار عالمي للإنجيل).

"البوق العظيم الصوت" الذي يوقظ "العذارى العاقلات" في مثل العذارى (متى 25) هو رسالة الرؤيا، التي تكشف هوية المسيح الدجال، "وحش الرؤيا" (رؤيا 13) الذي نجح بتضليلهن وتنويمهن. كشف سر الرؤيا هو هذا "الصياح الذي يعلو عند نصف الليل" (متى 25، 6)، في وقت النوم العميق، ليوقظ النفوس الصالحة، المخدوعة بحيل "الوحش" الصهيوني الشيطانية، من غفلتها (متى 25، 1 - 7).

متى هو الوحيد الذي تكلم عن رسل آخر الأزمنة. فينقل إلينا بالفعل ما قاله يسوع عن نهاية الأزمنة: "في يوم الحصاد (الإختيار الأخير للمختارين في نهاية العالم)، أقول للحصادين (إنه يسوع بنفسه هو الذي سيرسل "الحصادين"، رسل آخر الأزمنة): إجمعوا الزؤان أولاً واحزموه حزماً ليحرق، وأما القمح فاجمعوه إلى مخزني" (متى 13، 30). ويقول أيضاً: "وكما يجمع الزارع الزؤان ويحرقه في النار، فكذلك يكون في نهاية العالم: يرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته كل المفسدين ("الزؤان") والأشرار ويرمونهم في أتون النار" (متى 13، 40 - 42). "وهكذا يكون في نهاية العالم: يجيئ الملائكة (رسل آخر الأزمنة) وينتقون الأشرار من بين الصالحين" (متى 13، 49 - 50). إقرأ الآن الفصل 13 من إنجيل متى.

2-12.12 توضيحات مفيدة حول متى 24

رجاسة الخراب التي حلت في المكان المقدس، في الأرض المقدسة (فلسطين)، تمثل إسرائيل، ذروة الرجاسة، المرفوضة من الله، هذه الدولة التي تقدم نفسها على أنها "شعب الله المختار" وإنجازه في الأرض المقدسة التوراتية.

هذا الكيان، الذي سبب الكثير من الدمار والرعب، يظهر "بثياب الحملان" ويتهم الآخرين بالإرهاب، في حين أنه ليس سوى "ذئب خاطف" نستطيع بكل سهولة "أن نتعرف إليه من خلال أعماله" الإجرامية على الرغم من تنكره بثياب الحمل البريء (متى 7، 15 - 16). الجرائم الإسرائيلية المرتكبة في فلسطين، بعلم ومرأى من العالم بأكمله، تجعل من إسرائيل "رجاسة الخراب" - قمة الرعب - في الأرض المقدسة، التي تنبأ بها النبي دانيال (دانيال 9، 27 / 11، 31 / 12، 11) وذكّر بها يسوع (متى 24، 15).

"الويل للحبالى..." لأن هربهن سيكون أكثر صعوبة من غيرهن نظراً لحالة حبلهن. يسوع لا يهدد النساء الحبالى، بل يتعاطف معهن. لذلك يجب أن تترجم: "سيئات الحظ هن الحبالى والمرضعات في تلك الأيام". لأن تلك الأيام ستكون صعبة خاصة بالنسبة لهن (متى 24، 19).

"صلوا لئلا يكون هربكم في السبت": يسخر يسوع من اليهود، لأنه في يوم السبت، لا يحق لهم المشي أكثر من كيلومتر واحد... بينما سيكون عليهم أن يقطعوا مسافات طويلة ليتمكنوا من الهرب من أعدائهم... (متى 24، 20).

يمكنك الآن أن تباشر بقراءة منظمة للأناجيل المتوافقة دون أن تواجه أية صعوبات تذكر. سيكون بإمكانك بعدئذ الإنتقال إلى كتاب أعمال الرسل الذي ستقرأه بعد أن تكون قد راجعت شروحاتي.

13.12 أعمال الرسل

إنه الكتاب الثاني الذي كتبه لوقا وأرسله إلى "ثاوفيلس" ليطلعه على "جميع ما عمل يسوع وعلّم من بدء رسالته إلى اليوم الذي ارتفع فيه إلى السماء" (أعمال 1، 1 - 2). يمكن اعتباره تكملة لإنجيل لوقا. يخبرنا فيه ماذا فعل الرسل بعد يسوع، حتى حوالي سنة 62 م، قبيل استشهاد بطرس وبولس سنة 64 م في رومة.

لوقا هو مؤرخ الرسل، يعلمنا أنه كتب كرفيق لبولس في سفره. فبعد أن تكلم عن بولس بصيغة الغائب: "وصل إلى دربة ولسترة... إراد أن يأخذ تيموثاوس معه... ومروا بنواحي فريجية..."، يتكلم لوقا بصيغة المتكلم في الجمع ضاماً نفسه بالتالي إلى فريق بولس: "طلبنا السفر في الحال... متيقنين أن الله دعانا إلى التبشير..." (أعمال 16، 1 - 10). لقد انضم لوقا إلى بولس في تروآس التي هي حالياً في تركيا (راجع الخريطة في الإنجيل).

بعد أن أطلع ثاوفيلس على مجيء المسيح في "كتابه الأول"، أي إنجيله، كتب لوقا في كتابه الثاني (أعمال الرسل) إلى ثيوفيل يخبره عن انتشار البشارة "في أورشليم واليهودية كلها والسامرة، حتى أقاصي الأرض" (أعمال 1، 8)، أي حتى رومة. يعلمه عن مقاومة اليهود المتطرفين للبشارة العالمية، بشارة يسوع اللاعرقية. ذهبت هذه المقاومة إلى حد تعرض العديد من الرسل والتلاميذ إلى الاضطهاد والقتل على أيدي هؤلاء اليهود. ستقرأ قصة اهتداء الكثير من اليهود والوثنيين واتحادهم بشخص يسوع.

سأشير إلى النقاط الرئيسية في هذا الكتاب، إلى ما يجب فهمه لاستيعاب الجوهر والروح الذي يريد لوقا أن يوصله إلى قارئه. بعد ذلك إقرأ هذا الكتاب بانتباه. فهو مهم جداً بالنسبة لنا اليوم، لأنه يتمتع بحالية كبيرة لنا اليوم بموازاة عودة ظهور إسرائيل. إن مقاومة الإسرائيليين المعاصرين المستمرة ليسوع واضطادهم الخبيث والواقعي لتلاميذه، تجعل رسالة كتاب أعمال الرسل معاصرة ومؤثرة.

1-13.12 الرسل لم يكونوا قد فهموا بعد (أعمال 1، 6)

عند صعود يسوع إلى السماء، لم يكون الرسل قد فهموا بعد البعد الروحي لملكوت الله، فسألوا يسوع: "أفي هذا الزمن تعيد الملك لإسرائيل؟". بعد ثلاث سنوات من التأهيل و "غسل الدماغ"، بعد صلب وقيامة المسيح ومكوثه العجائبي بينهم 40 يوماً، كان الرسل لا يزالون في حالة جمود. تطلّب الأمر تدخلاً من الروح القدس، ووقتاً، ليفهموا الطبيعة الحقيقية لملكوت الله و "تجديده" الحقيقي (أعمال 3، 21).

2-13.12 العنصرة

الله يهب روحه و "عقليته" إلى الرسل 50 يوماً بعد القيامة (الفصح). كان ذلك يتوافق مع عيد "الحصاد" اليهودي، الذي يرمز إلى الحصاد الروحي، إلى إنتقاء المختارين بنعمة من الروح القدس الممنوح لهم وحدهم (يوحنا 4، 34 - 38 / لوقا 10، 2 / متى 13، 30 / رؤيا 14، 15 - 16). الكفار لا يحظون بهذا الروح الذي يشفي ويهب الحياة الأبدية وسعادة النفس.

جميع الذين لا يتكلمون العبرية فهموا ما كان الرسل يقولون، وليس العبرانيون وحدهم. إنه شكل من أشكال التجديد بعد بلبلة الألسن في بابل حيث لم يعد الناس يفهمون لغة بعضهم البعض (تكوين 11، 1 - 9).

3-13.12 المعارضة اليهودية القوية لرسالة يسوع

تجول هذه المعارضة صفحات كتاب أعمال الرسل، فقد قيل لبطرس: "تحالف في هذه المدينة (أورشليم) هيرودس، وبنطيوس بيلاطس وبنو إسرائيل (اليهود من كل مكان) والغرباء ضد فتاك القدوس يسوع الذي جعلته مسيحاً" (أعمال 4، 27). "ضد يسوع" تعني "المسيح الدجال": هذان الاثنان اللذان يتكلم عنهما يوحنا مشيراً إلى المسيح الدجال (يوحنا الأولى 2، 22 / 4، 1 - 6 / يوحنا الثانية 7). في نهاية هذه الأزمنة، يتشكل نفس التحالف ضد المسيح من قبل إسرائيليي العالم، الرافضين يسوع، الذين حشدوا الأمم التي تدّعي المسيحية (مراجعة نصوص "المسيح الدجال وعودة يسوع" و "المسيحيون وإسرائيل"). المعارضة اليهودية أدّت إلى اضطهاد واستشهاد رسل وتلاميذ ليسوع. وكان استفانوس أول الشهداء (أعمال 7 و 12، 1 - 2).

4-13.12 إهتداء بولس إلى المسيح

يشدد لوقا على اهتداء بولس إلى المسيح. "كان بولس موافقاً على قتل استفانوس" (أعمال 8، 1) و "كان ينفس صدره تهديداً وتقتيلاً لتلاميذ الرب" (أعمال 9، 1). يكرر لوقا ثلاث مرات قصة اهتداء بولس (أعمال 9، 1 - 19 / 22، 5 - 16 / 26، 10 - 18)، بعد إشارته إلى أن هذا الإنقلاب المذهل لبولس حصل بعد أنه "كان يسعى إلى خراب الكنيسة، ويذهب من بيت إلى بيت ويخرج منه الرجال والنساء ويلقيهم في السجن" (أعمال 8، 3). لكن بولس كان يتصرف بنية طيبة، مقتنعاً أنه يخدم قضية الله، فقد كان مدفوعا بحبه لله، لا ببغضه ليسوع كباقي مضطهدي التلاميذ. لهذا السبب استحق أن ينوره المسيح بنفسه، بشكل مباشر، وليس عن طريق إنسان، لأن الله هو وحده كان قادراً على إقناعه بخطأه (غلاطية 1، 11 - 17 / ثيموتاوس الأولى 1، 12 - 16).

12.13-5 إنتقال البشارة إلى الوثنيين (أعمال 10، 1 - 11 و 10، 18)

لقد تطلب الأمر تدخلاً إلهياً، في الوقت نفسه، لدى الوثنيين (أعمال 10، 1 - 8) ولدى بطرس (أعمال 10، 9 - 24) لتنتقل رسالة الكتاب المقدس - معرفة الله الوحيد - المحفوظة بطريقة محكمة من قبل طبقة رجال الدين اليهود، إلى الوثنيين (غير اليهود)، ومن ثم إلى العالم.

اليهود الأوائل تلاميذ يسوع هم أنفسهم مندهشون من أن هذه المعرفة قد طالت غير اليهود: "أنعم الله، إذاً، على غير اليهود أيضاً بالتوبة سبيلاً إلى الحياة" (أعمال 11، 18). لأن اليهود كانوا يعتقدون - وما زالوا حتى اليوم - بأن غير اليهود، لا يملكون روحاً مثلهم، يعيشون فقط لهذه الأرض وليس لهم وصول إلى الحياة الأبدية والقيامة، ومصيرهم مشابه لمصير الحيوانات التي لا تملك روحاً أبدية.

هذا الإحتقار للوثنيين - الناجم من تعصب رجال الدين العبرانيين - صعّب مهمة الرسل، خاصة في المجتمع اليهودي. فكان على البشارة أن تمر عبر عائق سميك من التطرف اليهودي، هذا السد النفسي المنيع، الذي أقامه رجال الدين الإسرائيليون والذي وحده الله يستطيع تحطيمه؛ لقد فعل ذلك من خلال تدخله، في الوقت نفسه، لدى وثني، الضابط كورنيليوس، ولدى رسول، بطرس. لكن ذلك لم يمر من دون انذهال اليهود الصالحين ومن دون مقاومة المتعصبين من نفس الطائفة (أعمال 22، 21 - 22). لولا هذا التدخل الإلهي المباشر، لما كانت البشارة انتقلت إلى الوثنيين أبداً.

هذه المقاومة اليهودية الوحشية لبشارة رسل يسوع الإلهية قد تجلت بأشكال عديدة:

1. إضطهاد الرسل والمؤمنين كما أشرنا سابقاً. علينا أن لا نتعجب لأن الأنبياء هم أيضاً اضطهدوا في إسرائيل.

2. التسلل إلى صفوف المسيحيين لإعادة تلاميذ يسوع إلى ممارسة شريعة موسى (أعمال 15، 1 - 5 / 20، 28 - 30). هذا الأسلوب الماكر نجح لدى بعض الرسل الذين انتهى بهم الأمر إلى التشجيع على ممارسة شعائر موسى الغير مفيدة للخلاص، كما يقول بولس (غلاطية 3، 11). فخضعوا بذلك إلى ضغوط "الدخلاء الكذابين الذين دسّوا أنفسهم ليتجسسوا" على المجتمع المسيحي منذ بداياته (غلاطية 2، 4). هكذا، نرى أن الرسول يعقوب، هو نفسه الذي لم يكن أقل من رئيس الطائفة المسيحية في أورشليم، طلب من بولس أن يتبع شعائر موسى كما كان يفعل "آلاف اليهود الذين آمنوا (بيسوع) وكلهم متعصبون لشريعة موسى" (أعمال 21، 17 - 26). كان على بولس أن يمتثل إلى مطالب يعقوب، لكن ذلك لم يمنع اليهود من مطاردته، "محاولين قتله" (أعمال 21، 31).

3. التسلل اليهودي إلى المجتمع المسيحي أدانه بولس (غلاطية 1، 7 / 2، 4 / تيطس 1، 10 - 14 / كورنثوس الثانية 11، 13 - 15 / كولوسي 4، 11)، بطرس (بطرس الثانية 2، 1) ويهوذا (يهوذا 1، 4 و 12، للمقارنة مع كورنثوس الأولى 11، 17 - 33).

4. تحريض اليهود للوثنيين ضد الرسل (أعمال 14، 2 / 17، 5 - 9).

5. إتهم بولس بأنه "مفسد يثير الفتن... وزعيم على شيعة النصارى" (أعمال 24، 5) لإعطاء الإنطباع للرومان أن الأمر يتعلق بحزب سياسي يعارض القيصر ليقيم ملكاً آخر، يسوع، مكان الإمبراطور (أعمال 24، 14 / 17، 7 / 25، 8). إنها نفس الحيلة التي استخدمها اليهود ضد يسوع (يوحنا 19، 15)، ونفس السلاح المستعمل في أيامنا من قبل بعض المسيحيين ضد رسل نهاية الأزمنة الذين مهمتهم فضح هوية المسيح الدجال، إسرائيل. إنهم متهمون "بممارسة السياسة"، في حين أنهم من يفضح تسييس الروحانيات من قبل الصهاينة وحلفائهم الذين يزعمون أنهم مسيحيون.

12.13-6 "الإستعانة بالكتب المقدسة" (أعمال 17، 2 - 3)

"مستعينا بالكتب المقدسة، كان بولس يشرح ويبيّن كيف كان يجب على المسيح أن يتألم ويقوم من بين الأموات" (أعمال 17، 2 - 3)، "وأخذ المؤمنون يفحصون الكتب المقدسة كل يوم ليعرفوا صحة تعاليم بولس" (أعمال 17، 11). يجب على كل مسيحي حقيقي أن يتمكن من "أن يبين من خلال الكتب المقدسة أن يسوع هو المسيح" (أعمال 18، 28) وأن إسرائيل (التي تنكر أن يسوع هو المسيح) هي المسيح الدجال الذي أعلن عنه يوحنا (يوحنا الأولى 2، 22).

فيوصينا بطرس قائلاً: "كونوا في كل حين مستعدين للرد على كل من يطلب منكم دليلاً على الرجاء الذي فيكم" (بطرس الأولى 3، 15).

لا نستطيع أن ندافع عن إيماننا إن كنا نجهل الكتب المقدسة. فمن خلال المعرفة الكتابية (التوراة والإنجيل) نستطيع أن نكون رسل يسوع، المسيح الحقيقي والوحيد.

الرحلة التبشيرية الأولى لبولس (46 - 48 م)

الرحلة التبشيرية الثانية لبولس (49 - 52 م)

الرحلة التبشيرية الثالثة لبولس (53 - 57 م)

رحلة بولس إلى رومة (59 - 62 م)

هدف دراسة الكتاب المقدس هذه هو منح هذه المعرفة للمدعوين لأن يكونوا تلاميذ يسوع الذين يريدون الإستجابة لهذا النداء الإلهي.

13. الدرس الثالث عشر- إنجيل يوحنا ورسائل الرسل

1.13 تقدمة لإنجيل يوحنا ورسائله

لا يتناول إنجيل يوحنا سيرة حياة يسوع كما هو حال الأناجيل المتوافقة. فما كان يهم الإنجيلي هنا، ليس سلسلة نسب المسيح المنتظر، بل حقيقة أخرى مؤثرة وأكثر عمقاً متعلقة بشخصيته: سلالة نسبه الإلهية. كذلك، يستهل مؤلفه بدخول بارع ليكشف لنا ما قد اكتشفه بنفسه، ألا وهو نسب يسوع الإلهي، قائلاً: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله (يوحنا 1، 1)... والكلمة صار بشراً وعاش بيننا" (يوحنا 1، 14).

يوحنا ليس إذاً مؤرخاً لحياة المسيح الأرضية، مثل الإنجيليين الباقين، بل لاهوتي يكشف عن طبيعته الإلهية. الأناجيل المتوافقة تعلمنا أن يسوع هو المسيح المنتظر. يوحنا أيضاً يؤكد هذه الحقيقة، لكنه يذهب أبعد من ذلك – أو بالأحرى أعلى من ذلك - ليعلمنا ما لم يكشفه الآخرون، أن هذا المسيح هو الله المتجسد، الخالق الذي يأخذ شكلاً بشرياً ليكون موجوداً بجسده مع الناس على الأرض وبطريقة ملموسة. إنه أمر فظيع وصاعق عندما نفكر به. إنه فوق كل ذلك حقيقي.

يوحنا هو الإنجيلي الوحيد الذي ينقل لنا هذه المعلومة الثمينة، ولهذا السبب لقب بـ "اللاهوتي". يرمز إليه بطائر النسر لأنه حلق عالياً بفكره.

ليس إلا بعد أن بلغ التسعين من العمر حتى قرر يوحنا أن يكتب إنجيله. كان حينئذ الوحيد الباقي على قيد الحياة من بين الرسل. لم يرى أنه من الملائم أن يكتب قبل ذلك لأنه كان يوجد أناجيل أخرى بالإضافة إلى رسائل الرسل المتعددة لإعلام المؤمنين عن يسوع. ما الذي دفعه إلى الكتابة؟ من المهم أن تعرف.

لقد رأينا في الدرس السابق أن اليهود المناهضين للمسيح كانوا يتسللون إلى الطائفة الناشئة من أجل تدميرها من الداخل. كانوا يربكون المسيحيين ليس فقط من خلال إرغامهم على ممارسة الشعائر اليهودية، بل بزعمهم أن المسيح ليس يسوع بل يوحنا المعمدان، أو يهاجمونهم لإيمانهم بألوهية المسيح. المؤمنون القلقون لجأوا إلى يوحنا ملتمسين عنده العلم والمعرفة التي هم بحاجة إليها. عالمين بأنه كان التلميذ الحبيب ليسوع، كانوا يعرفون أن بامكانهم الوثوق بأقواله.

بدأ يوحنا إنجيله إذاً بتوضيح نقطتي الخلاف التاليتين:

1. يسوع هو المسيح يوحنا المعمدان ليس هو المسيح (النور): "جاء يشهد للنور حتى يؤمن الناس (بالمسيح) على يده. ما كان هو النور، بل شاهداً للنور. الكلمة هو النور الحق..." (يوحنا 1، 6 - 9). يسوع، كلمة الله، هو إذاً المسيح.

2. يسوع هو الله المتجسد يسوع هو الكلمة، الكلمة هي الله (يوحنا 1، 1) والكلمة صار جسداً، اتخذ جسداً بشرياً ليسكن مع البشر (يوحنا 1، 14). إذاً يسوع هو حقاً الله المتجسد.

بما أنه كان في نفس الوقت تلميذاً ليوحنا المعمدان ورسولاً ليسوع (مثل أندراوس: يوحنا 1، 35 - 40)، كان يوحنا في مركز يمكّنه من تهدئة المؤمنين الذين لجأوا إليه، ومن إسقاط الخدع التي نشرها الأنبياء الكذابون الذين أدانهم في رسائله (يوحنا الأولى 4، 1 - 6 / يوحنا الثانية 1، 7)، وفي كتاب الرؤيا (حيث يصفهم باليهود المزعومين وبمجمع الشيطان: رؤيا 2، 9 و 3، 9. "النقولاويون": رؤيا 2، 6 هم شيعة مؤلفة من اليهود الذين كانوا يزعمون الإهتداء إلى المسيحية وينكرون ألوهية يسوع).

الطريقة المناسبة لدراسة إنجيل يوحنا هي بقراءته بانتباه لتكتشف فيه:

1. الآيات التي تبرهن أن المسيح هو يسوع، لا يوحنا المعمدان

2. التلميحات، الخفية غالباً، في أحاديث يسوع، على أنه الله المتجسد.

ستقرأ هذا الكتاب الرائع بعد التوضيحات المعطاة لكل من هاتين النقطتين لمساعدة بحثك.

13.1-1 يسوع هو المسيح

في البدء، كثير من اليهود اعتقدوا أن يوحنا المعمدان هو المسيح. تعلمنا الأناجيل أن يوحنا المعمدان أصر على قوله لهم: "أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة، وأما الذي يجيء بعدي (يسوع) فهو أقوى مني، وما أنا أهل لأن أحمل حذائه. هو يعمدكم بالروح القدس والنار" (متى 3، 11). مع ذلك، يطلعنا لوقا، فيما بعد، أنه كان يوجد في أفسس بعض اليهود الذين كانوا يكتفون بمعمودية يوحنا المعمدان (أعمال 19، 1 - 7). والحال أن يوحنا كان موجوداً هو أيضاً في أفسس بالتحديد. ويهود هذه المدينة كانوا "المسحاء الدجالين" الأكثر عنفاً: "... رأى بعض اليهود الآسيويين بولس في الهيكل، فحرّضوا جمهور الشعب، وقبضوا عليه" (أعمال 21، 27).

في إنجيله، شدد يوحنا وكرر أكثر من مرة شهادة يوحنا المعمدان: "ظهر رسول من الله اسمه يوحنا. جاء يشهد للنور حتى يؤمن الناس على يده. ما كان هو النور، بل شاهداً للنور. الكلمة هو النور الحق" (يوحنا 1، 6 - 9)... شهد له يوحنا فنادى: "هذا هو الذي قلت فيه: يجيء بعدي ويكون أعظم مني، لأنه كان قبلي" (يوحنا 1، 15)... هذه شهادة يوحنا... : "ما أنا المسيح"... (يوحنا 1، 19 - 27)... وفي الغد، رأى يوحنا يسوع مقبلاً إليه، فقال: "ها هو حمل الله... هذا هو الذي قلت فيه: يجيء بعدي رجل... وأنا رأيت وشهدت أنه هو (المسيح) ابن الله..." (يوحنا 1، 29 - 36). "أنتم أنفسكم تشهدون بأني قلت: ما أنا المسيح، بل رسول قدامه..." (يوحنا 3، 26 - 36).

لذلك، منذ البداية، يطمئن يوحنا تلاميذه: يسوع هو حقاً المسيح ابن الله. يختم إنجيله بتثبيتهم في هذا الإيمان قائلاً: "أمّا الآيات المدونة هنا، فهي لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله. فإذا آمنتم نلتم باسمه الحياة" (يوحنا 20، 30 - 31).

13.1-2 ألوهية يسوع

يستهل يوحنا إنجيله بكلمة مفتاحية ذات أثر كبير على الذهنية اليهودية: "في البدء"، بالعبرية "بيريشيت" ("بي": في، "ريشيت": البدء). هذه الكلمة تأخذ أهميتها من كونها تفتتح كتاب العهد القديم، التوراة. فكتاب التكوين يبدأ هكذا: "في البدء (بيريشيت) خلق الله السماوات والأرض".

عن عمد ومدفوعاً بروح الله، يستعمل يوحنا هذه الكلمة التي تصيب القلب اليهودي وتصدمه لينفتح على كتب العهد الجديد. فبنفس الروح يبدأ يوحنا رسالته الأولى: "الذي كان من البدء...".

من خلال إجابته للمؤمنين الذين جاءوا يلتمسونه، أراد يوحنا أن يكتب كتاب تكوين جديد، "بيريشيت" جديد: "في البدء كان الكلمة... به كان كل شيء، وبغيره ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة، وحياته كانت نور الناس... ظهر رسول من الله اسمه يوحنا (المعمدان)... ما كان هو النور، الكلمة هو النور الحق" (يوحنا 1، 1 - 9).

بهذه الكلمات الشجاعة، يشرح يوحنا بعمق ما يقوله كتاب التكوين عن الله، خالق السماء، والأرض والنور. هذا الخالق ليس إلا الكلمة: "به كان كل شيء" (يوحنا 1، 3)، لأنه "في البدء كان عند الله" (يوحنا 1، 2) و "كان الكلمة الله" بنفسه (يوحنا 1، 1). "والكلمة صار بشراً (بيسوع)" (يوحنا 1، 14). الذين التجأوا إلى يوحنا لم يكونوا يتمنون جواباً أفضل. تفهم الآن لماذا دُعي يوحنا "اللاهوتي".

على طول صفحات إنجيله، يضع يوحنا كل طاقته لينقل بأمانة أحاديث يسوع التي يعتمد عليها ليقول "إنه في البدء كان عند الله وكان هو الله". ألم يسمعه يقول لليهود: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" ؟ (يوحنا 8 ، 58). ألم يسمع يوحنا المعمدان يقول أيضاً أمامه هو، تلميذه: "يجيئ بعدي رجل صار أعظم مني، لأنه كان قبلي"؟ (يوحنا 1، 30). والحال أن يوحنا كان يعرف أن إبراهيم سبق يسوع على الأرض بألفي سنة وأن يوحنا المعمدان سبقه بستة أشهر. لم يكن يقدر أن يسكت في إنجيله عن النتائج المنطقية التي استخلصها مما كان قد سمعه. لقد نقل إلينا شهادته بمحبة ودقة حتى يخلّص الذين يؤمنون بها.

الإيمان بألوهية يسوع كان موجوداً قبل إنجيل يوحنا. فقد رجع إليه بولس في رسائله: "هو في صورة الله ما اعتبر مساواته لله غنيمة له"، قال عن يسوع (فيلبي 2، 6). وأيضاً: "فاسلكوا في الرب يسوع المسيح... ففي المسيح يحل ملء الألوهية كله حلولاً جسدياً" (كولوسي 2، 6 - 9). رسائل بولس تسبق إنجيل يوحنا بحوالي 40 سنة.

بما أن المسيحيين كانوا يؤمنون بالتجسد الإلهي، بـ "ملء" كماله، في شخص يسوع، لماذا كتب يوحنا ليقنع تلاميذه بما كانوا يعرفونه أصلاً؟ لأنه، كما قلت، كان قلقاً من المضللين الذين كانوا يحاولون زرع الشك والفتنة في صفوف المسيحيين. إنهم المتحدرون من الأغلبية اليهودية التي كانت تنكر يسوع، والذين وصفهم يوحنا "بالمسحاء الدجالين"، فيقول عنهم: "سمعتم أن مسيحاً دجالاً سيجيء، وهنا الآن كثير من المسحاء الدجالين... خرجوا من بيننا (من اليهود) وما كانوا منا... فمن هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو المسيح الدجال" (يوحنا الأولى 2، 18 - 22). بولس أيضاً يشير إليهم قائلاً: "فسر المعصية يعمل الآن عمله" ضد اليهود الأولين المؤمنين بيسوع (تسالونيكي الثانية 2، 7).

13.1-3 الفريقان اليهوديان

بكلامنا عن المسحاء الدجالين، أغتنم الفرصة لأتكلم عن الفريقين اليهوديين الناجمين عن مجيء يسوع: الذين كانوا معه، مع المسيح، والآخرون الذين اصطفوا ضده، المسحاء الدجالين.

يسوع، المسيح الروحي، الذي لم يكن قومياً يهودياً، قسّم المجتمع العبري إلى فريقين: "ووقع خلاف آخر بين اليهود على هذا الكلام، فقال كثير منهم: هذا الرجل فيه شيطان، فهو يهذي. لماذا تصغون إليه؟ وقال آخرون: ما هذا كلام رجل فيه شيطان..." (يوحنا 10، 19 - 21).

كذلك، "أثار بولس الفتن بين اليهود في العالم كله" (أعمال 24، 5) مفرقاً "الزؤان عن القمح الجيد"، الغير مؤمنين عن المؤمنين. في هذا الاتجاه قال يسوع: "لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى العالم، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً. جئت لأفرق بين الإبن (الذي لا يؤمن بي) وأبيه (الذي يؤمن بي)... إلخ" (متى 10، 34 - 35). اليهود الغير مؤمنين ينتقدون يسوع لقوله هذا ويتهمونه بهدم الوحدة بين الناس وفي العائلة...

فريق المؤمنين آمن - من خلال النبوءات- أنه كان على المسيح أن يعاني الموت، حتى تنتقل الرسالة التوحيدية من اليهود - الذين أحكموا إغلاقها- إلى الوثنيين (أعمال 17، 1 - 4) و "يعظّم اليهود واليونانيون (الوثنيون المتعددو الآلهة) اسم الرب يسوع" (أعمال 19، 17). كل الذين آمنوا إذاً بيسوع، بالرغم من مقاومة اليهود الإسرائيليين الذين لم يروا فيه هذا المسيح القومي الذي كانوا يتخيلونه موهمين. هكذا إذاً "آلاف اليهود اعتنقوا الإيمان" المسيحي (أعمال 21، 20).

بالمقابل، أنشأ اليهود المتشددون فريقاً متطرفاً من اليهود فقط، "غيتو" قومي عنيف لا يطمح إلاّ إلى "تجديد" مملكة داود في فلسطين. هذا الفريق يعارض الفريق الأول من دون رحمة. هذه المعارضة أصبحت عنيفة إلى حد اضطهاد تلاميذ يسوع الذين كان عليهم أن يجتمعوا "والأبواب مقفلة خوفاً من اليهود" الغير مؤمنين (يوحنا 20، 19).

كان الإنشقاق كاملاً إذاً بين الفريقين وكلمة يسوع أثبتت صوابها: "ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً". فبـ "السيف" هلك عدد كبير من الرسل، رُجموا مثل استفانوس (أعمال 7، 59) أو حرفياً "بالسيف" مثل "يعقوب، أخ يوحنا" (أعمال 12، 2).

بالنسبة لله، أيّ من هذين الفريقين يمثّل الوجه الحقيقي للديانة اليهودية؟ هل هو فريق المتطرفين الذين بقوا متعلقين بالمثل الأعلى القومي، أو فريق اليهود تلاميذ يسوع الذين تحولوا إلى "عالميين" بعد تحررهم من الأحكام المسبقة التي كانت تفرضها الرؤية الضيقة والمتطرفة ليهودية أسيء فهمها؟

يجيب يسوع على هذا السؤال عندما يقول: "لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء (يعني كتب العهد القديم): ما جئت لأبطل بل لأكمل... إن كانت تقواكم لا تفوق تقوى معلمي الشريعة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات" (متى 5، 17 - 20).

يسوع هو إذاً كمال الديانة اليهودية، واليهودي الحقيقي هو الذي جعل نفسه تلميذاً له: "إذا أردت أن تكون كاملاً... تعال إتبعني"، يقول يسوع للرجل الغني الذي يطبق فرائض الشريعة الموسوية بدقة حرفية (متى 19، 21). بعد أن فهم ذلك، هو الذي كان فريسياً ممارساً، أعلن بولس لليهود: "فإذا كنتم للمسيح فأنتم، إذاً، نسل ابراهيم ولكم الميراث حسب الوعد" (غلاطية 3، 29).

كذلك، بحسب الإنجيل، اليهودي الحقيقي هو كل من يجعل نفسه تلميذاً ليسوع. الذين ينكرونه ليسوا يهوداً حقيقيين، بل أنهم "الذين يزعمون أنهم يهود"، "الأخوة المزعومين"، هؤلاء "المثيرين للبلبلة" الذي يتكلم عنهم بولس، "الذين يحاولون تغيير بشارة المسيح" بين المسيحيين (غلاطية 1، 7). إنهم اليهود المزعومون الذين يشير إليهم يوحنا بـ "المسحاء الدجالين" و "المضللين" (يوحنا الأولى 2، 18 - 22 / يوحنا الأولى 4، 2 - 3 / يوحنا الثانية 1، 7)، الذين "لا يعترفون بمجيء يسوع المسيح في الجسد" (يوحنا الثانية 1، 7). "إذا جاءكم أحد بغير هذا التعليم"، يتابع يوحنا، "فلا تقبلوه عندكم ولا تقولوا له: السلام عليك. من سلم عليه شاركه في أعماله السيئة (يوحنا الثانية 1، 10). يحذرنا كتاب الرؤيا من عودة ظهورهم في آخر الأزمنة ويصفهم بـ "اليهود المزعومين"، و "الغاصبين اسم اليهود"، لا بل ينعتهم بـ "مجمع الشيطان" (رؤيا 2، 9 / 3، 9)، واتهمهم يسوع "أنهم أولاد أبيهم إبليس"، لا أبيهم الله (يوحنا 8، 44). هؤلاء اليهود المزعومون العصريون هم القوميون الإسرائيليون.

2.13 تعاليم إنجيل يوحنا

ما يهم يوحنا ليست أعمال يسوع بقدر تعاليمه. فينقلها إلينا مشاركاً إيانا بالأحاديث المختلفة التي حصلت بين معلمه والآخرين، تاركاً إيانا نفهم بأنفسنا التعاليم التي يريد يسوع أن يعطيها لبني البشر.

لا يشكل يوحنا إذاً لائحة عقائد، بل يناشد الحس السليم للذين يعرفون القراءة بين السطور وفهم تعاليم المسيح من كلامه الخاص في محادثاته أو مجادلاته المختلفة.

غالباً ما كان يسوع ينتهز الفرصة من خلال حادثة ما، ولو كانت تبدو تافهة أحياناً (مثل حواره مع المرأة السامرية: يوحنا 4) ليكشف عن حقيقة معينة. حتى أنه في بعض الأحيان كان يخلق المناسبة لإقامة حديث مفيد. هكذا، كان لعجائبه هدف غير مباشر وأكثر عمقاً، وهو إثارة المناقشات التي يعرض خلالها وجهات نظره - عن التوراة، مثلاً- ليقوّم الإنحرافية التي غرق فيها المجتمع العبري.

لقد عمل يسوع المعجزات في السبت، ليقول إنه في هذا اليوم لا يجب الإنتقاص إلى جمودية شبه تامة، كما كان اليهود يعتقدون. فقد شفى كسيحاً في السبت، ما أثار استنكار اليهود ومنحه الفرصة ليرد عليهم قائلاً: "أبي يعمل في كل حين، وأنا أعمل مثله. فازداد سعي اليهود إلى قتله، لأنه مع مخالفته الشريعة في السبت، قال إن الله أبوه، فساوى نفسه بالله" (يوحنا 5، 17 - 18).

ما يريد يوحنا أن يعطينا فوق كل ذلك، هو هذا الكلام ليسوع: "ما تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني" (يوحنا 7، 16). هذه العقيدة نقلها إلينا يوحنا من خلال الأحاديث التالية التي أقامها يسوع:

1-2.13 بناء الهيكل الحقيقي (يوحنا 2، 13 - 22)

جدال مع اليهود في الهيكل ليتكلم عن خرابه وبناء الهيكل الحقيقي، "هيكل جسده"، أي هيكل شخصه هو (راجع رؤيا 21، 22).

2-2.13 الحوار مع نيقوديموس (يوحنا 3، 1 - 21)

يكشف يسوع فيه ضرورة "الولادة الثانية بالروح"، التغيير والتحرر من الأحكام المسبقة والتعصب للتوصل إلى رؤية الحقيقة واختيارها بموضوعية بعد تحطيم القيود الجسدية، "لأن مولود الجسد يكون (يبقى) جسداً ومولود الروح يكون روحاً" ويحيا إلى الأبد.

3-2.13 الحوار مع المرأة السامرية (يوحنا 4، 1 - 42)

يسوع يثير حديثاً مع امرأة سامرية لثلاثة أسباب:

1. القضاء على الكراهية بين اليهود والسامريين، كراهية أقيمت على النبذ: "لأن اليهود لا يخالطون السامريين"، كما يضيف يوحنا (يوحنا 4، 9). مثل السامري الصالح صدم اليهود (لوقا 10، 29 - 37). هذه المقاربة الحميمة ليسوع، وهو يهودي، أدهشت المرأة إذاً: "أنت يهودي وأنا سامرية، فكيف تطلب مني أن أسقيك؟" (يوحنا 4، 9). لقد قام يسوع بخطوة مناهضة للعنصرية.
2. القضاء على الأحكام المسبقة الاجتماعية لذلك العصر، خاصة في ذهنية تلاميذه الذين ذهلوا لرؤيته يتكلم مع امرأة (يوحنا 4، 27) سامريةعلاوة على ذلك (يوحنا 4، 9).
3. السبب الرئيس هو أن يكشف للسامريين أنه المسيح (يوحنا 4، 25 - 26 / 4، 41 - 42).

لاحظ أن السامريين - كأطفال ودعاء وأبرار- آمنوا بيسوع، لا لأنهم شاهدوه يعمل المعجزات، بل ببساطة من ما "سمعوه" من المرأة السامرية (يوحنا 4، 39 - 42). أما اليهود فبدوا بالعكس متحفظين. لقد أعلن يسوع بنفسه، عند عودته إلى الجليل بعد يومين: "لا كرامة لنبي في وطنه" (يوحنا 4، 44). فيقول في قانا أيضاً بمرارة: "أنتم لا تؤمنون إلا إذا رأيتم الآيات والعجائب!" (يوحنا 4، 48)... كما آمن به السامريون من دون أن يشاهدوا العجائب.

4-2.13 القيامة الروحية (يوحنا 5، 1 - 47)

إنها قيامة الروح من خلال قبول الحقيقة التي أعلنها يسوع. إنها تدعى "القيامة الأولى" (رؤيا 20، 5 - 6). بشفائه كسيحاً، يغتنم يسوع الفرصة ليكشف عن نسبه الإلهي، عن "مساواته لله" و "الله نفسه" كما قال اليهود المصدومين (يوحنا 5، 17 - 18 / 10، 33). بهذه المناسبة، يعلن يسوع أيضاً أن "الأموات سيسمعون صوت ابن الله، وكل من يصغي إليه يحيا" (يوحنا 5، 25). هذا يعني أن الوثنيين، الذي يعتبرهم اليهود كأموات، سيقومون إلى الحياة الروحية بفضل إيمانهم بيسوع. النبي باروك يقول لليهود المسبيين في بابل، الذين اعتبروا "أمواتاً": "لماذا يا بني إسرائيل، لماذا أنتم في أرض الأعداء؟ شختم في الغربة، وفي مثوى الأموات (البابليين) تحسبون مع الذين هم في الجحيم" (باروك 3، 10 - 11).

عودة الروح هذه إلى الحياة هي قيامة روحية، قيامة الروح في الجسد الذي يحيا في هذه الدنيا. فيقول يسوع: "ستجيئ ساعة، بل جاءت الآن، يسمع فيها الأموات (الخاطئون) صوت ابن الله وكل من يصغي (التائبون) إليه يحيا" (يوحنا 5، 25). كتاب الرؤيا يدعوها "القيامة الأولى" (رؤيا 20، 5 - 6).

ليس المقصود إذاً "القيامة الثانية"، تلك التي ستحصل في نهاية العالم. يفسرها يسوع قائلاً: "ستجيء ساعة يسمع فيها صوته جميع الذين في القبور، فيخرج منها الذين عملوا الصالحات ويقومون إلى الحياة، والذين عملوا السيئات يقومون إلى الدينونة" (أي العذاب الأبدي: يوحنا 5، 28 - 29). هذا الموت النهائي للروح يدعوه كتاب الرؤيا (رؤيا 20، 6) "الموت الثاني" (الأول هو الموت الجسدي، والثاني هو موت الروح).

لاحظ شجاعة الكسيح الذي شفي: "من ثمان وثلاثين سنة" كان يمثل إلى البركة ليحصل على الشفاء، "لكن كلما حاول النزول إلى الماء يسبقه أحد آخر". لقد شفاه يسوع لأنه "عرف أن له مدة طويلة على هذه الحال" دون أن يفقد الأمل بالشفاء.

5-2.13 "خبز" الحياة الأبدية (يوحنا 6، 1 - 67)

يسوع يكثّر أرغفة الخبز ليتكلم عن "خبز" آخر قادر على إعطاء الحياة للروح، الحياة الأبدية، كما كلّم المرأة السامرية عن "ماء" الحياة الأبدية انطلاقاً من ماء بئر يعقوب (يوحنا 4، 13 - 14).

لكن قبل قيامه بالأعجوبة، هو الذي "كان يعرف جيداً ما سيعمل"، أراد يسوع أن "يجرب فيلبس"، والرسل الآخرين أيضاً. فقال لفيلبس: "من أين نشتري الخبز لنطعمهم ؟". لاحِظ أنه قال ذلك "ليجرب فيلبس" (يوحنا 6، 5 - 6). إذ أن فيلبس كان أحد الرسل الموجودين في قانا عندما حول يسوع الماء إلى خمر (يوحنا 1، 43 و 2، 1 - 3). كان عليه إذاً أن يعلم أن يسوع كان قادراً على إطعام هذه الألاف من الناس بدون أي مشكلة. بينما لا فيلبس، ولا اندراوس -الذي كان أيضا موجوداً في قانا- لم يفهما ما كان ينوي ويقدر يسوع أن يعمل (يوحنا 6، 8). كان يجب عليهما أن يجيباه: "لكنك قادر على كل شيء، يا سيد! ليس عليك إلا أن تقول كلمة واحدة، كما في قانا، وسيكون هناك خبز للجميع!"

يجب أن نقرّب الأعجوبتين: أعجوبة الخمر وأعجوبة الخبز، هاتين المادتين اللتين من خلالهما قدّم لنا يسوع نفسه بعشائه الروحي. لم أفسر أعجوبة قانا بعد (يوحنا 2، 1 - 11) كي أتكلم عنها الآن.

قارن موقف مريم العذراء في قانا مع موقف الرسل هنا. في قانا، مريم هي التي طلبت من يسوع أن يكثّر الخمر. "كانت أم يسوع هناك. فدعي يسوع وتلاميذه إلى العرس - فيلبس واندراوس بصورة ملحوظة، بالإضافة إلى آخرين" (يوحنا 2، 2). بالرغم من أنهما كانا يعلمان ذلك، كان فيلبس واندراوس بعيدين في تفكيرهما عن ما كان يسوع سيفعل وعن ما كان قادراً على فعله فيما يخص تكثير الخبز. أمّه، في قانا، هي التي أخذت المبادرة وطلبت منه أن يكثر الخمر. حصلت على طلبها لتفرح المدعوين. مريم التي لا يرفض الله لها طلباً، جعلت يسوع يستبق الوقت الذي سيعمل فيه عجائبه (يوحنا 2، 4). كان على ذلك أن يلهم فيلبس واندراوس في إجابتهما ليسوع بخصوص الخبز.

أشير إلى خطأ في الترجمة، في قانا لا يقول يسوع لأمه: "ماذا تريدين مني يا امرأة؟...إلخ" كما يترجمها البعض، بل يقول: "ما لي ولك يا امرأة؟ ما جاءت ساعتي بعد" (يوحنا 2، 4). بتعبير آخر، يجيب يسوع أمّه مريم التي أشارت إليه بأن الخمر قد نفذ: "ما علاقتنا بالموضوع أنتِ وأنا، هذا لا يعنينا؛ ليس من شأننا. ليس هذا عرسي، ولا وقتي! في عرسي لن ينفذ الخمر. لم يكلفني أحد أن أهتم بالخمر". بهذا الروح يجب أن نترجم وأن نفهم كلام يسوع حسب النص الأصلي اليوناني (راجع الترجمة في إنجيل اندريه شوراقي). لا يجب إذاً أن نفكر كما يفعل البعض، بأن إجابة يسوع لأمه كانت تدل عن عدم احترام لها. لكان هذا غير جدير بالمسيح... علينا أن لا ننسى أيضاً أن يسوع في النهاية قد استجاب لرغبة أمّه.

في جداله مع اليهود، قال لهم يسوع: "ما من أحد يجيئ إلي إلا إذا اجتذبه الآب الذي أرسلني" (يوحنا 6، 44). يقول هذا، لأن كثيرين أتوا إليه معتقدين بأنه المسيح، إذاً الملك السياسي لإسرائيل. لم يجذبهم إذاً روح والد يسوع. هؤلاء الناس لم يكونوا يتبعون يسوع لأسباب روحية، بل كانوا منجذبين إليه، مثل يهوذا، لمصالح سياسية، إقتصادية ودنيوية. لهذا السبب يقول لهم يسوع: "لا تعملوا للقوت الفاني، بل اعملوا للقوت الباقي للحياة الأبدية" (يوحنا 6، 27). كان يتكلم عن جسده ودمه، خبز وخمر الحياة الأبدية (يوحنا 6، 51 - 58). وحدهم الذين اجتذبهم الآب هم قادرون على فهم المعنى العميق لكلام يسوع الروحي. أما الذين جذبتهم إليه خيرات الدنيا لم يفهموا معنى أقواله وانتهى بهم الأمر إلى التخلي عنه، كما فعل يهوذا لاحقاً (يوحنا 6، 60 - 71).

6-2.13 ماء الحياة (يوحنا 7، 37 - 39)

عندما تكلم يسوع إلى المرأة السامرية عن الماء الذي يعطيه، "عنى بكلامه الروح الذي سيناله المؤمنون به" (يوحنا 7، 39). كي نرتوي من هذا الروح الذي يعطي الحياة للنفس، يجب أن نعطش. الفاترون هم مستبعدون. يسوع يعطي هذا الروح بالذات في القربان المقدس "لكل من كان عطشاناً" (متى 26، 27 - 28 / رؤيا 22، 17).

7-2.13 خطبة يسوع في الهيكل (يوحنا 7، 1 - 53)

عيد المظال، الذي يسمى أيضاً عيد الحصاد (خروج 23، 16)، يحيي ذكرى الإقامة 40 سنة في صحراء سيناء تحت المظال (لاويين 23، 42 - 43). في مناسبة هذا العيد يحج اليهود في كل عام إلى أورشليم ليقدموا الأضاحي إلى الهيكل. ما زال يحتفل بهذا العيد حتى اليوم في إسرائيل.

"قال له إخوته"، أي سكان الناصرة: "أترك هذا المكان واذهب إلى بلاد اليهودية حتى يرى التلاميذ أعمالك، فلا أحد يعمل في الخفية إذا أراد أن يعرفه الناس. وما دمت تعمل هذه الأعمال، فأظهر نفسك للعالم" (يوحنا 7، 3 - 4). مباشرة بعد هذه الآية يوضح يوحنا أن: "أخوته أنفسهم لم يكونوا يؤمنون به" (يوحنا 7، 5).

لماذا مواطنو يسوع دفعوه للذهاب إلى أورشليم كي يظهر أمام العالم مع أنهم لم يكونوا يؤمنون به؟ وكانوا يعرفون مع ذلك أن "اليهود كانوا يريدون قتله؟" (يوحنا 7، 1 / 7، 13).

يجب أن نفهم أن هؤلاء الناس كانوا يكلمون يسوع بلهجة وقحة وساخرة ويتحدونه أن يقف أمام الشعب ويقول إنه المسيح المنتظر. لم يعتقدوه قادراً أن يكون هذا القائد السياسي المنتظر الذي سيتمكن من إرضاء الإسرائيليين المتعطشين للاستقلال الوطني. علينا أن لا ننسى أن يوحنا المعمدان والرسل كانت عندهم بالفعل صعوبة في فهم رسالة يسوع الروحية الصرفة ومملكته الروحية التي "ليست من هذا العالم". كما أعلن أمام بيلاطس (يوحنا 18، 35 - 37).

هؤلاء الناصريون كانوا يخاطبون يسوع بنفس روح التحدي مثل الشيطان الذي قال له: "إن كنت ابن الله (المسيح)، فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً... إن كنت ابن الله، فالق بنفسك إلى الأسفل" (متى 4، 3 - 5). بهذا الروح السيء أيضاً، عندما كان يسوع على الصليب، "كان المارة يهزون رؤوسهم ويشتمونه ويقولون: إن كنت ابن الله، فخلص نفسك وانزل عن الصليب. وكان رؤساء الكهنة ومعلموا الشريعة والشيوخ يستهزئون به، فيقولون: خلّص غيره،

ولا يقدر أن يخلص نفسه! هو ملك إسرائيل، فلينزل عن الصليب (ليعيد ملك داود) لنؤمن به!... قال: أنا ابن الله !" (متى 27، 39 - 44). "لا تجربوا الرب إلهكم!" (التثنية 6، 16).

يمكننا أن نفهم لماذا أجاب يسوع مواطنيه قائلاً: "ما جاء وقتي (لأن أكون ملكاً روحياً وعالمياً). وأمّا أنتم، فالوقت (لإنتظار المسيح القومي) في كل حين وقتكم. أنتم لا يبغضكم العالم (لأنه ينتظر نفس المسيح الذي تنتظرون وعنده نفس الروح الذي عندكم)، ولكنه يبغضني لأني أشهد (من خلال مسيحيتي الروحية) على فساد أعماله. إصعدوا أنتم إلى العيد، فأنا لا أصعد إلى هذا العيد، لأن وقتي (لأكون ملكاً) ما جاء بعد" (يوحنا 7، 6 - 8).

رفض يسوع الذهاب مع "أخوته" من الجليل إلى أورشليم لأنه لم يكن يريد أن يرافقتهم بروحهم الدنيوي والإنتهازي. فهم لم يطلبوا منه الذهاب إلى أورشليم بروح حج وتأمل، بل بروح حملة إنتخابية، جاعلين من عيد ديني أداة لهدف سياسي. لهذا السبب أجابهم يسوع: "أنا لا أصعد إلى هذا العيد"، يعني لا أذهب معكم وأنتم بهذا الروح. ويضيف يوحنا: "ولما صعد أخوته إلى العيد، صعد بعدهم في الخفية لا في العلانية" (يوحنا 7، 10). ذهب يسوع إذاً إلى أورشليم لكن بروح مختلف كثيراً عن الآخرين، بما أنه صعد "بالخفية"، دون السعي إلى التألق والشهرة كما كانوا يعتقدون (يوحنا 7، 4).

يرفض يسوع دائماً الظهور بروح علني صاخب، إلى درجة أن اليهود أنفسهم "كانوا يبحثون عنه في العيد" (يوحنا 7، 11) وليس هو، يسوع، من كان يسعى إلى الظهور، كما طلب منه "أخوته". ألم يوصي رسله أن لا يقولوا لأحد بأنه المسيح؟ (متى 16، 20).

عن هذا المسيح المتكتم كلم الله إشعيا واصفاً إياه على هذا النحو: "ها عبدي الذي أسانده، والذي أخترته ورضيت به!... لا يصيح ولا يرفع صوته، ولا يسمع في الشارع صراخه" ليلقي الخطابات الإنتخابية ويعلن عن اسمه للعالم (إشعيا 42، 1 - 2). الذين عندهم عيون روحية لترى، هم وحدهم يستطيعون أن يفهموا أن يسوع هو المسيح، مختار الله: "من كان له أذنان فليسمع!"، كما كان يسوع يقول غالباً (لوقا 14، 35 / متى 13، 9).

مع ذلك، كان يسوع يرفع صوته في بعض الأحيان، لكن دائماً ليعلن عن حقائق روحية ويكون مسموعاً من الجميع. فيقول يوحنا: "وقف يسوع في آخر يوم من العيد وهو أعظم أيامه، فقال بأعلى صوته: إن عطش أحد، فليجيء إلي ليشرب. ومن آمن بي، كما قال الكتاب، تفيض من صدره أنهار ماء حي" (حزقيال 47، 1 - 13 / رؤيا 22، 2). وعنى بكلامه الروح الذي سيناله المؤمنون به" (يوحنا 4، 13 - 14).

لم يعد المسيح تلاميذه لا بامبراطورية على العالم، ولا بمجد دنيوي، بل بروح الله الذي يعيد الإنسان على صورة الله. العطاش إلى هذا الروح الذين يلجأون إليه لن يخيبوا أبداً.

ليس هذا هو الروح الإلهي الذي كان مواطنو يسوع يطلبونه؛ فهم لم يكونوا عطاشاً لهذا الماء بالذات. أمّا تلاميذه، بالمقابل، لم يريدوا أن يشربوا إلا من نبع الماء الحي الذي جاء المسيح ليجعله فيهم. القديس بولس، مثلاً، اعتبر شريعة موسى بلا قيمة نسبة إلى الإيمان بيسوع ويقول: "أنا من بني إسرائيل، من عشيرة بنيامين، عبراني من العبرانيين مختون في اليوم الثامن. أمّا في الشريعة (التوراة) فأنا فريسي، وفي الغيرة فأنا مضطهد من الكنيسة، وفي التقوى حسب الشريعة فأنا بلا لوم. ولكن ما كان لي من ربح، حسبته خسارة من أجل المسيح، بل أحسب كل شيء خسارة من أجل الربح الأعظم، وهو معرفة المسيح يسوع ربي. من أجله خسرت كل شيء وحسبت كل شيء نفاية لأربح المسيح..." (فيلبي 3، 5 - 8). بولس، الذي كان عطشاناً لروح يسوع، لم يخيب أمله. فقد كان شديد الوعي بالحصول عليه إذ أنه يقول: "وأظن أن روح الله في أنا أيضاً (كورنثوس الأولى 7، 40)... فنحن أهل الختان الحقيقي لأننا نعبد الله بالروح ونفتخر بالمسيح يسوع" (فيلبي3، 3). لو أن بولس كان مكتفياً بالشريعة، ولو لم يروي ظمأه من ماء يسوع لما قال هذا الكلام الذي عاشه.

بالنسبة لنا نحن الذين ندرس هذا الدرس الكتابي، هذا الكلام عن ماء الحياة الأبدية هو الأهم على الإطلاق؛ لأن هدف دراستنا هو أن يكون فينا نبع هذا الماء الذي وعد به يسوع. نحن إذاً معنيون ومهتمون بشكل مباشر وشخصي. لهذا يجب علينا أن نقوم بـ "امتحان روحي"، كما سبق أن نصحنا في بداية هذا المسار الروحي. فلنعلم إن كنا عطشى لماء يسوع، إن كنا قد شربنا منه، إن كانت قد "فاضت من صدرنا أنهار ماء حي" (يوحنا 7، 38). هل يمكننا أن نقول نحن أيضاً كما قال بولس: "أظن أن روح الله في أنا أيضاً". أنفكر مثل الله؟ هل أنا كما يريدني أن أكون؟ إذا كان هذا هو الحال، إذاً طوبى لنا! طوبى لك! فدراستك لن تكون بلا جدوى .

فلنشكر المسيح الذي وهبنا حياته ليمنحنا هذا النعيم. علينا أن لا نسمح لأحد بأن ينتزع منا "هذا الكنز الذي نحمله في آنية من خزف (هشة، قابلة للكسر) لتكون تلك القدرة الفائقة لله لا من عندنا"، كما يقول بولس (كورنثوس الثانية 4، 7). فلنبقى مع الله وهو سيحمينا.

8-2.13 جدال بين يسوع واليهود (يوحنا 8، 12 - 59)

في هذه الجدال العنيف بين يسوع واليهود، يكشف يسوع أنه يتصرف دائماً "بما رأى عند الآب" و، في المقابل، اليهود الذين يرفضونه يتصرفون "بما سمعوا من أبيهم... الشيطان" (يوحنا 8، 38 - 44).

المغذى من كلام يسوع هو أن نتصرف كلنا - بوعي أو بدون وعي - وفقاً لما نراه في سر أنفسنا، أن نولد أفعالاً مستوحاة من الروح الذي نصغي إليه. إن كان قلبنا يميل نحو الله، نولد تصرفاً حسناً؛ لكن إن كان روح الشيطان هو الذي يجذبنا، فسنولد تصرفات شيطانية. إن أراد اليهود قتل يسوع، فذلك لأن "الشيطان أبيهم" قد ضللهم بروحه المهيمن وهم يرونه، بوعي أو لا، دون انقطاع.

والحال هو أن الإنسان يقتدي دائماً بما يرى ويعجب به. هذا الأب المجرم، الشيطان، "هو من البدء قاتلاً"، كما يعلن يسوع. ألم يغوي أبوي البشرية، ساعياً إلى قتل روحهما من خلال إبعادهما عن الله؟ الرسل تبعوا يسوع لأن الله هو ما يبحثون عنه لا شعورياً، إنه هو ما يرونه دون أن يعرفوا. هذا ما أرادهم

المسيح أن يفهموه عندما قال لهم عشية آلامه: "لا يجيء أحد إلى الآب إلا بي... ومن الآن أنتم تعرفونه، ورأيتموه" (يوحنا 14، 7). في نفس هذه المناسبة أفشى لهم أيضاً أنهم من دون علمهم "كانوا يعرفون الروح المعزي لأنه يقيم معهم وكائن فيهم" (يوحنا 14، 17).

9-2.13 اليهود يريدون مسيحاً قومياً (يوحنا 10، 24)

تجمع اليهود حول يسوع وقالوا له: "إلى متى تبقينا حائرين؟ قل لنا بصراحة: هل أنت المسيح؟". فأجابهم يسوع: "قلته لكم، لكنكم لا تصدقون".

اليهود يطلبون إجابة، لا كي ينصاعوا للمتطلبات الإلهية الروحية، بل كي يحملوا يسوع للخضوع لمتطلباتهم السياسية، ليقود حركة عصيان مسلح ضد الإحتلال الروماني. كانوا يريدونه أن يفهم أنهم مستعدون للمعركة إن كان هو المسيح القومي. لم يكن عليه سوى أن يقول كلمة واحدة وسيحملون السلاح ويتبعونه.

نسي العالم اليهودي ما قاله النبي إشعيا عن المسيح: "روح الرب ينزل عليه... وينصف الظالمين بكلام (لا سيف) كالعصا، ويميت الأشرار بنفخة من شفتيه" (إشعيا 11، 2 - 4). لم يفوت يسوع أبداً أن يضرب بالكلمة العنف الإسرائيلي ليقتل خطيئة القومية. لكن المتعصبون رفضوا سماعه، مفضلين "أن يموتوا في خطيئتهم" (يوحنا 8، 21 - 24) بدلاً من أن يتخلوا عن طموحات الهيمنة السياسية، كما هو حال إسرائيليي القرن العشرين والواحد والعشرين الذين يفضلون الموت على أن يتخلوا عن حلمهم بـ "إسرائيل الكبرى".

10-2.13 المعزي، الثالوث (يوحنا 14، 16 - 31)

يوحنا هو الوحيد الذي كلمنا بهذا القدر عن الروح القدس (يوحنا 15، 26 / 16، 7 - 15). إنه "المعزي" (باليونانية: "باراكليتوس"، وبالعبرية: "مناحيم"، يوحنا 14، 16 و 14، 26). هذا الروح سيسند الرسل وسيعزيهم بعد الرحيل المأساوي ليسوع: "سأطلب من الآب أن يعطيكم معزيا آخر (غيري أنا) يبقى معكم إلى الأبد... لن أترككم يتامى (من دوني) بل أرجع إليكم (بهذا المعزي)" (يوحنا 14، 16 - 18). لاحِظ أيضاً أن يسوع هو الذي "سيرجع إليهم" في هيأة الروح المعزي. يسوع وهذا الروح هما واحد إذاً، كما يسوع والآب هما واحد أيضاً. الآب، يسوع والروح هم واحد. هذا النص يكشف عن الثالوث الأقدس.

التعزية تأتي من واقع أن المسيح، بعد موته، يظهر - حصراً- "للذين يحبونه" (يوحنا 14، 21) ليعزيهم. لكن الرسل لم يفهموا هذا الكلام. كانوا لا زالوا يتخيلون أن يسوع هو الملك القومي لإسرائيل الذي سيظهر قريباً لليهود. لذلك سألوه: "كيف تظهر ذاتك لنا ولا تظهرها للعالم؟" وكان يسوع يبذل جهده، حتى اللحظة الأخيرة، ليشرح لهم أن الملكوت الذي ينتظرونه ليس كما يتصورون بل هو داخلي: "من أحبني سمع كلامي فأحبه أبي، ونجيء إليه ونقيم عنده" (يوحنا 14، 23). لم يكونوا بعد قادرين على فهم هذا البعد الداخلي. لم يكتب يوحنا كل ذلك إلا بعد وقت طويل، بعد أن فهم بنفسه المعنى العميق لهذا الكلام. كتب عندئذ لينير اليهومسيحيين الآخرين ليتمكنوا من تجاوز حدود اليهودية المزيفة التي تبعتها المميتة هي قومية لا يرغب بها الله. هذا الكلام يصح لبشر كل العصور... وخاصة الماديين.

11-2.13 تقديس اسم الله (يوحنا 17، 1 - 26)

يصلي يسوع بصوت مرتفع ليعطي إرشاداته الأخيرة قبل أن يترك الأرض:

1) الحياة الأبدية ترتكز على "معرفة الله ومسيحه"، أي أن نمتلك في داخلنا المفهوم الحقيقي لله، أن لا نتصوره بخلاف ما هو عليه. وحدهم المختارون يتعرفون على "صورة" الله هذه بيسوع، ويكون لهم نصيب في الحياة الأبدية من على هذه الأرض (يوحنا 17، 3). فيقول القديس بولس: "إذا كانت بشارتنا محجوبة، فهي محجوبة عن الهالكين، عن غير المؤمنين الذين أعمى إله هذا العالم بصائرهم حتى لا يشاهدوا النور الذي يضيء لهم، نور البشارة بمجد المسيح الذي هو صورة الله" (كورنثوس الثانية 4، 3 - 4). ذلك ينطبق اليوم على الذين لا يتوصلون إلى التعرف على وحش الرؤيا، على الذين يبقى كتاب رؤيا يوحنا مغلقاً بالنسبة لهم.

المطالبة بمسيح صهيوني تعني امتلاك صورة خادعة عن الله. عندما يطلب منا يسوع أن نصلي قائلين: "ليتقدس إسمك"، فهو يدعونا إلى تطهير مفاهيمنا عن الله ومخططاته للخلاص لصالح بني البشر. قذاراتنا تمنعنا من رؤية الذات الإلهية في طهارتها. عين حسيرة النظر ترى وجهاً مشوهاً، السوء ليس في الوجه، بل في العين التي تنظر إليه. "أيها الآب إشف عيني لأراك كما أنت. ليتقدس إسمك في، لا ليتشوه بضرارتي". طلب يسوع من الأعمى قائلاً: "ماذا تريد أن أعمل لك؟" فأجابه: "أن أبصر، يا سيد". فشفاه يسوع في الحال. يجب علينا، نحن أيضاً، أن نتقدم بهذا الطلب من المسيح بإيمان. لأن يسوع حي، وحي دائماً، ليستجيب لنا. نسمعه يقول لنا، في قلوبنا، ما قاله للأعمى: "أبصر، إيمانك شفاك!" (لوقا 18، 35 - 43). يقول يسوع إنه جاء ليعطي البصر، البصر الداخلي (يوحنا 9، 39 - 41).

"أظهرت اسمك لمن وهبتهم لي من العالم"، يقول يسوع للآب (يوحنا 17، 6). هذا الإسم لم يعد فقط اسم "يهوه"، كما أعلنه الله لموسى، بل حقيقة أكثر عمقاً ومثولية بالنسبة للإنسان، مكتوبة بأحرف من نار في حياته الحميمة: الله هو في قلب المؤمنين والجحيم هو قلب خالٍ من الله. الله هو السعادة الكاملة. من يعرف الله كما هو، ينعم بالسعادة الكاملة: "الله محبة"، يقول لنا يوحنا (يوحنا الأولى 4، 16)، و "من لا يحب (يسوع)، لا يعرف الله" (يعني لا يحبه)، يقول أيضاً يوحنا، لأن "الله أظهر محبته لنا بأن أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لنحيا به" (يوحنا الأولى 4، 9). هذا هو "اسم" الله، الذي

نتعرف به عليه : المحبة! والمحبة المتجسدة: المسيح! هذا الإسم المقدس، هو عار بالنسبة لكثيرين. أما للمؤمنين، فهو حياة أبدية. هذا هو الإسم الذي كشفه يسوع والذي هو وحده كان يقدر على كشفه.

لقد أظهر يسوع اسم الله وقال لنا بأنه "سيظهره أيضاً" (يوحنا 17، 26)، أي في المستقبل. هذا الكشف يتحقق فينا، حتى نهاية الزمان، "لتكون فيهم المحبة التي أحببتني بها، وأكون أنا فيهم"، يقول يسوع. على هذه المثولية الإلهية إذاً أن تكون كاملة في قلب المؤمنين ليصبحوا ممتلئين من الله. المسيح الحي أبداً سيستمر بتعليمهم المحبة، المحبة التي توحد وتتحد مع الآب.

الذين يبشرون بـ "تعالي" الله يملكون عنه صورة ضعيفة وخاطئة، غير مطابقة للإسم الذي كشفه يسوع: إسم "فينا"، ماثل للإنسان المؤمن، كونه محبة والمحبة لم تكن يوماً متفوقة. إسم الله هو "ماثل".

2) "لا أطلب إليك أن تخرجهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير" (يوحنا 17، 15). ليس علينا إذاً أن ننعزل عن العالم كما يفعل بعض الرهبان ورجال الدين. فهؤلاء، بغالبيتهم، يخافون من العالم ويخشون من مواجهة حقائق الحياة اليومية ومصاعب الشهادة ليسوع. إنهم يشبهون ذلك الخادم الجبان الذي خبأ وزنته الوحيدة تحت التراب، فاستحق بالتالي أن يطرحه سيده خارجاً في الظلام (متى 25، 24 - 30). نحن مدعوون إلى "التغلب على العالم" عارفين "أن الذي فينا (يسوع) أقوى من الذي في العالم (إبليس)" (يوحنا الأولى 4، 4). الرسل لم ينعزلوا أبداً.

إننا ببقائنا في العالم مستعينين بقوة الله سيكون باستطاعتنا أن نخلّص الناس الصالحين المضللين بخداع هذا العالم. أما الذين يعيشون في العالم، مثل يسوع، لكنهم يملكون عن الله المعرفة الحقيقية و "الإسم" الحقيقي، فلا يخشون "أن يخضعوا للتجربة"، بل سيكبحون أهواء الدنيا بالنضال بشجاعة، ويتغلبون على الشر، "وقوات الجحيم لن تقوى عليهم" (متى 16، 18). يجب أن يكون عندنا هذا الإيمان!

12-2.13 "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا 18، 33 - 36)

بيلاطس، وقد تملكه القلق، يطلب من يسوع إن كان ملك اليهود. أجابه يسوع: "مملكتي ليست من هذا العالم (لم يكن على بيلاطس إذاً أن يقلق ولا أن يعتقله). لو كانت مملكتي من هذا العالم، لدافع عني أتباعي (الرسل وكل التلاميذ) حتى لا أسلم إلى اليهود". هكذا أجاب يسوع بيلاطس الذي كان يغمره القلق بكل وضوح، معتقداً أن يسوع قد أعلن نفسه ملكاً دنيوياً على إسرائيل بدلاً من هيرودوس، صديق الرومان. كان يريد أن يتأكد من أن يسوع لا يحضر ثورة مسلحة ضد رومة. تجدر ملاحظة قلق بيلاطس الذي ازداد عندما سمع أن يسوع ادعى أنه "ابن الله": "لما سمع بيلاطس كلامهم اشتد خوفه..."، يقول يوحنا (يوحنا 19، 8). استفحلت أزمة الضمير هذه عند بيلاطس مع حلم زوجته كلوديا بروكولا النبوئي عن يسوع (متى 27، 19). وفقاً للتقاليد، تركت هذه المرأة زوجها بعد أن سلّم يسوع لليهود. كما أنها اعتنقت الديانة المسيحية فيما بعد.

من خلال إجابته، أراد يسوع أن يقول لبيلاطس إن مهمته ليست مقاومة رومة، وإلا لكان أمر كل أتباعه أن يثوروا على هيرودوس وقيصر وأن يقاتلوا بقوة السلاح "حتى لا يسلّم" إلى أعدائه. كل تلاميذه كانوا ينتظرون منه كلمة واحدة كي يثوروا. هذا ما كان يقلق بيلاطس.

رؤساء اليهود قدّموا يسوع إلى بيلاطس على أنه ثائر على الرومان. يقول لنا لوقا إنهم قادوا يسوع أمام بيلاطس وأخذوا عندئذٍ يتهمونه قائلين: "وجدنا هذا الرجل يثير الفتنة (ضد رومة) في شعبنا، ويمنعه من دفع الجزية إلى القيصر، ويدعي أنه المسيح الملك" (لوقا 23، 1 - 2).

هذا الادعاء بالملك هو ما أقلق بيلاطس. لكنه عندما رأى أن يسوع لا يطمح إلى مملكة سياسية، أراد أن يحرره (لوقا 23، 13 - 16). "لكن اليهود صاحوا: إن أخليت سبيله فما أنت من أصدقاء قيصر، لأن من يدعي الملك يكون عدواً للقيصر!... لا ملك علينا إلا القيصر" (يوحنا 19، 12 - 15). فقط "عندئذ"، أي بعد هذا الإعلان عن سيادة القيصر الوحيدة، حتى قرر بيلاطس "أن يسلمه إليهم ليصلبوه"، كما يحدد يوحنا (يوحنا 19، 16). ممثل القيصر لم يكن يقوى على مقاومة التهديد بأن يكون متهماً بخيانة الإمبراطور وأنه يفضل يسوع، بعد أن قدم إليه كثائر متمرد على الإحتلال الروماني. ليكون تقياً، كان على بيلاطس "أن يجاهد" لدعم قضية يسوع العادلة حتى النهاية، مخاطراً بذلك بتحمل العار بين الناس ليستحق مجد السماء الأبدي.

تجدر في النهاية ملاحظة سوء نية رؤساء اليهود الذين "هيجوا الجمع ليختاروا إطلاق باراباس" ويدينوا يسوع (مرقس 15، 11). "وكان باراباس لصاً" (يوحنا 18، 40)، "سجينا شهيراً" (متى 27، 16)، اعتقل "مع جماعة من المتمردين ارتكبوا جريمة قتل أيام الفتنة (ضد الرومان)" (مرقس 15، 7). سوء نية اليهود تجلت في اختيارهم تحرير باراباس المناضل، وهو قومي إسرئيلي "شهير" في ذلك الوقت، وفي إدانة يسوع على أنه ناشط ثوري، بعد أن ألصقوا به تهمة باراباس.

لاحظ أن الرسل كانوا متسلحين بسيفين (لوقا 22، 38)، كانوا لا زالوا يؤمنون بالثورة على نظام الحكم القائم. عندما كلمهم يسوع عن المعركة الحاسمة التي كان عليهم أن يخوضوها، عنى بذلك المعركة الروحية التي سيواجهونها بعد صلبه: "أمّا الآن، فمن عنده مال فليأخذه، أو كيس فليحمله. ومن لا سيف عنده، فليبع ثوبه ويشتر سيفاً... وما جاء عني يجب أن يتم" (لوقا 22، 36). كان يسوع يتكلم عن سيف الكلمة، عن قوة الروح التي يجب على الرسل أن يتحلوا بها في مواجهة الأوقات الصعبة والمعارك الروحية التي ستحدث عندما "يتم كل ما جاء عنه"، أي موته القريب على الصليب. لكنهم لم يفهموا كلامه، بل اعتقدوا أن ساعة التمرد على هيرودوس والقيصر قد حانت. لذلك أجابوا على الفور: "يا رب! معنا هنا سيفان". اغتاظ يسوع من لافهمهم وأجابهم: "كفى!" (لوقا 22، 35 - 38). لأنه، كما فهم بولس لاحقاً: "سيف الروح هو كلام الله" (أفسس 6، 17). كتاب الرؤيا يشرح بكل وضوح أنه، بالنسبة ليسوع، "السيف" هو الكلمة، وقدرة كلمة الحق: "في فمه سيف طالع مسنون الحدين" (رؤيا 1، 16)، "أقاتلهم بالسيف الذي في فمي" (رؤيا 2، 16).

في بستان الزيتون، عند القاء القبض على يسوع، "لما رأى التلاميذ ما يجري قالوا: أنضرب بالسيف، يا رب؟ وضرب واحد منهم خادم رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى". تدخل يسوع ليمنع أتباعه من إنقاذه بالسيف وقال لرسله: " كفى. لا تزيدوا (سيوفكم) !" (لوقا 22، 49 - 51). عندما لم يتلقوا أي

أمر بالقتال، "عندئذٍ تركه التلاميذ (خائبي الظن) وهربوا" (متى 26، 56)، كما كان يسوع قد حذرهم: "تجيء ساعة، لا بل جاءت الآن، تتفرقون فيها، فيذهب كل واحد في سبيله وتتركوني وحدي" (يوحنا 16، 32).

13-2.13 يوحنا يبقى حتى عودة يسوع (يوحنا 21، 22)

"لو شئت أن يبقى (يوحنا) إلى أن أجيء، فماذا يعنيك؟..."

هذا الكلام كان موجهاً من يسوع إلى بطرس عن يوحنا "التلميذ الذي كان يحبه يسوع"، كما يحب يوحنا أن يعرّف بنفسه (يوحنا 21، 20). هذه الكلمات حملت التلاميذ على الاعتقاد أن عودة المسيح كانت وشيكة، وإنها كانت ستحدث بينما لا يزال يوحنا على قيد الحياة.

يتجلى هذا الإعتقاد في كلام بولس إلى أهل تسالونيكي: "نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب (يسوع)" (تسالونيكي الأولى 4، 15 / 4، 17).

كذلك، عندما رأى يوحنا نفسه عجوزاً وعلى مقربة من ترك هذا العالم (كان في الـ 95 من عمره عندما كتب إنجيله)، وبما أنه كان عارفاً أنه "شاع بين الأخوة أن هذا التلميذ لا يموت (قبل عودة يسوع)"، فسّر كلام المخلص قائلاً: "مع أن يسوع ما قال لبطرس أنه لا يموت، بل قال له: لو شئت أن يبقى إلى أن أجيء، فماذا يعنيك؟" (يوحنا 21، 23).

بولس الذي آمن هو أيضاً بعودة يسوع الوشيكة، تنبه إلى خطئه قبل أن يكتب يوحنا إنجيله. أيضاً في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي، يصحح ما قاله في رسالته الأولى عن مجيء يسوع، فيقول لهم في هذا الخصوص: "لا تتزعزعوا سريعاً في أفكاركم ولا ترتعبوا من نبوءة أو قول أو رسالة كأنها منا تقول إن يوم الرب جاء. لا يخدعكم أحد بشكل من الأشكال، فيوم الرب لا يجيء إلا بعد أن يسود الكفر ويظهر رجل المعصية، والعدو الذي يرفع نفسه فوق كل ما يدعوه الناس إلهاً أو معبوداً، فيجلس في هيكل الله ويحاول أن يثبت أنه إله" (تسالونيكي الثانية 2، 1 - 4). هذا "العدو"، الذي يدعوه يوحنا "المسيح الدجال"، هو عدو يسوع المسيح (يوحنا الأولى 2، 22).

قبل عودة يسوع، في نهاية الأزمنة، أعطيت لنا علامة كبيرة كنقطة استدلال: ظهور المسيح الدجال، "الوحش" الذي يجب أن نتعرف إليه (رؤيا 13).

كتاب رؤيا يوحنا أعطي لنا لهذا الهدف. إنه يحوي الرؤى التي أعطيت ليوحنا لمساعدتنا على التعرف على هوية هذا العدو الرهيب الذي سيظهر قبيل عودة يسوع. بهذا المعنى يكون على يوحنا أن يبقى في العالم إلى أن يجيء يسوع. من خلال كتابه لا يزال يوحنا موجوداً في العالم ليحضر المؤمنين لهذه العودة لأنه، بفضل هذا الكتاب الخلاصي، نعرف أن المسيح الدجال قد ظهر في العالم. فعودة يسوع ليس إذاً ببعيدة.

هنا تنتهي دراسة إنجيل يوحنا ورسائله. ما قلته بخصوص هذه الرسائل الثلاث يكفي ليمكّنك من قراءتها دون أن تواجه أية نقاط غامضة تذكر.

اقرأ الآن إنجيل يوحنا ورسائله قبل أن تنتقل إلى دراسة الرسائل التي كتبها بعض الرسل.

3.13 رسائل بولس

كتب بولس 14 رسالة ليوثق إيمان المسيحيين الأوائل الذين بغالبيتهم كانوا يهومسيحيين. همه الأكبر كان تحذيرهم من خصومهم الذين كانوا يبذلون كل جهدهم كي يبعدوهم عن يسوع، هؤلاء اليهود الذين كانوا يقاومونه في كل مكان والذين كانوا يريدون أن يردّوا حديثي التنصر إلى ممارسة أعمال التوراة بالإستعانة بمختلف أنواع البراهين. لهذا السبب كتب بولس إلى الغلاطيين يقول لهم: "أيها الغلاطيون الأغبياء! من الذي سحر عقولكم... أسألكم سؤالاً واحداً: هل نلتم روح الله لأنكم تعملون بأحكام الشريعة (التوراة)، أم لأنكم تؤمنون بالبشارة (الإنجيل)؟" (غلاطية 3، 1 - 2). "عجيب أمركم! أبمثل هذه السرعة تتركون الذي دعاكم بنعمة المسيح وتتبعون بشارة أخرى؟ وما هناك بشارة أخرى، بل جماعة (اليهود الكافرين) تثير البلبلة بينكم وتحاول تغيير بشارة المسيح" (غلاطية 1، 6 - 7). هكذا يعمل الروح الشيطاني للمسيح الدجال.

علينا أن ندرس رسالتي بولس إلى الرومان وإلى الغلاطيين معاً لأنهما تعالجان نفس المشكلة: منع اليهومسيحيين من العودة إلى شعائر وأعمال الشريعة (التوراة) العديمة الجدوى: "واضح أن ما من أحد يتبرر عند الله بالشريعة (التوراة)، لأن البار بالإيمان (بيسوع لا بالشعائر) يحيا. ولكن الشريعة لا تقوم على الإيمان، لأن كل من عمل بهذه الوصايا يحيا بها. والمسيح حررنا من لعنة الشريعة..."(غلاطية 3، 11 - 13). في رسالته إلى الرومان يقول بولس أيضاً: " نحن نعتقد أن الإنسان يتبرر بالإيمان، لا بالعمل بأحكام (أعمال) الشريعة (التوراة)" (رومة 3، 28). أدين بولس من قبل اليهود لأنه وصف التوراة بأنها لعنة. لكن ذلك بره ومجده أمام الآب ومسيحه.

هكذا إذاً، كل مجهود بولس كان أن يقنع هؤلاء اليهود الذين أصبحوا مسيحيين (المتعودين على ممارسة العبادة المفروضة في كتب الخروج، اللاويين، العدد والتثنية) بأن هذه الممارسات الشعائرية هي عقيمة للروح وبأنه وحده الإيمان بأن بيسوع هو المسيح، وهذا الإيمان فقط، دون ممارسة الشريعة (التوراة)، قادر أن يخلّصهم.

تستطيع في هذه المرحلة أن تقرأ الرسالة إلى الغلاطيين.

قبل قراءة الرسالة إلى الرومان، عليك أن تعرف أن بولس يوجهها إلى المسيحيين في رومة. والحال أن هؤلاء كانوا منقسمين إلى فريقين مختلفين و، للأسف، متخاصمين:

1. فريق اليهومسيحيين المكون من اليهود الذي آمنوا بيسوع.

2. فريق الوثنيين المسيحيين المكون من الوثنيين (أغلبهم من الرومان) الذين انضموا إلى تلاميذ المسيح.

كانت هاتان الطائفتان تحتقران أحداهما الأخرى. الأولى، المؤلفة من اليهود، كانت تعتبر أن الوثنيين غير جديرين بأن يكونوا في عداد شعب المؤمنين. اليهود الذين تبعوا يسوع كانوا يعتقدون أن المسيحية كانت لليهود وحدهم، لم يكونوا قد فهموا بعد البعد العالمي لرسالة يسوع. فيكتب لهم بولس قائلاً: "أفيكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إله سائر الأمم أيضاً؟ بلى، هو إله سائر الأمم. لأن الله واحد يبرر اليهود بالإيمان (بيسوع)، كما يبرر غير اليهود بالإيمان" (رومة 3، 29 - 30).

طائفة الوثنيين المسيحيين كانت تحتقر بدورها طائفة اليهومسيحيين، معتقدين - وهم على خطأ- أن على اليهود أن يستثنوا جملةً من شعب المؤمنين لأنهم رفضوا يسوع. فيناقضهم بولس قائلاً: "أنا نفسي من بني إسرائيل... ما نبذ الله شعبه... وفي الزمن الحاضر أيضاً بقية من الناس اختارهم الله بالنعمة (بالإيمان بيسوع). فإذا كان الإختيار بالنعمة، فما هو إذاً بالأعمال (شعائر التوراة)، وإلا لما بقيت النعمة نعمة" (رومة 11، 1 - 6). لا يجب إذاً إغلاق الباب بوجه هذه "البقية"، هؤلاء اليهود "المختارون"، لأنهم يؤمنون بيسوع. الحالة تكرر اليوم، لأن يهود كثيرون - مثل حركة "يهودي ليسوع"- تؤمن أن يسوع هو المسيح.

من خلال مثل هذه البراهين الصادقة، الحقيقية والسلمية، حاول بولس أن يوفق بين اليهومسيحيين والوثنيين المسيحيين، ويدعوهم "لأن يقبلوا بعضهم بعضاً لمجد الله كما قبلهم المسيح" (رومة 15، 7).

الإسرائيليون (الصهاينة) العصريون يفيدون من مثل هذه الآيات، في الرسالة ذاتها، ليجعلوا المسيحيين يقبلون بهم، وليخدعوهم بترجمة خاطئة لأقوال ونوايا بولس. بتصرفهم هذا، يطمح الصهاينة إلى الحصول على دعم العالم المسيحي لدولة إسرائيل. والحال أن أقوال بولس لا تتعلق لا بدولة اسرائيل ولا بالإسرائيليين في القرن العشرين والواحد والعشرين، بل بـ "هذه البقية المختارة" (رومة 11، 5) من بين اليهود، التي اختارها في الماضي، لإيمانها بيسوع. هذا الكلام الخير ينطبق أيضاً على اليهود في يومنا الذين سيؤمنون بيسوع. العبرانيون القوميون اليوم، من خلال رفضهم الإعتراف بأن يسوع هو المسيح، هم المسيح الدجال (يوحنا الأولى 2، 22) واليهود المزعومين الذين أدانهم يسوع (رؤيا 2، 9 و 3، 9).

لا يجدر بنا أن ننسى أيضاً أن بولس أعطى اليهود شرطاً للخلاص. فيقول بوضوح: "أمّا هم، فإذا توقفوا عن عدم إيمانهم (بيسوع) يطعّمهم الله (على شعبه)" (رومة 11، 23).

الذين يعتقدون أن بولس يدافع عن الإسرائيليين اليوم وعن دولة إسرائيل يجب أن يأخذوا بعين الإعتبار أن:

1. بولس هو عبراني صار رسولاً ليسوع. أنه تخلى عن العبادة اليهودية للتوراة التي اعتبرها بلا قيمة، لا بل لعنة.

2. بولس قاتل بضراوة منكري يسوع، وكان يعتبرهم أعداء الله والبشر، فيقول عنهم: "الذين قتلوا الرب يسوع والأنبياء واضطهدونا، والذين لا يرضون الله ويعادون جميع الناس..." (تسالونيكي الأولى 2، 15 - 16).

3. يقول بولس بوضوح إن نتيجة استدلاله هي سقوط المؤيدين لدولة إسرائيل ونجاح الذين اختارهم يسوع: "فماذا بعد؟ ما كان يطلبه بنو اسرائيل (دولة امبريالية) ولا ينالونه، ناله الذين اختارهم الله (تلاميذ يسوع نالوا الروح القدس وبلغوا ملكوت الله)" (رومة 11، 7).

يختم بولس رسالته إلى الرومان بتحيات يوجهها إلى أعضاء الطائفتين، ليجمعهم، واحداً فواحداً، وليساعد على التقريب بينهما: بريسكلة وأكيلا هما من أصل يهودي (رومة 16، 3) ويأتي لوقا أيضاً على ذكرهما في أعمال 18، 1 - 2. ستقرأ أسماء الوثنيين المسيحيين الذين يذكرهم بولس، طالباً منهم جميعاً، هذه الوصية الأخيرة في المحبة: "ليسلم بعضكم على بعض بقبلة مقدسة" (رومة 16، 16).

إقرأ الآن الرسالة إلى رومة، آخذا بعين الإعتبار أنها وجهت إلى هاتين الطائفتين لتوفق بينهما ولتوحدهما بمحبة المسيح يسوع، فتدعو الفريق الأول إلى الترفع فوق الإعتبارات الفريسية التي يدينها الله (راجع متى 5، 20) وتدعو الفريق الثاني بدوره إلى عدم الغرق في التمييز العنصري بإبعاد اليهود، تحديداً، عن إمكانية الإيمان بيسوع.

لأن بولس علم دوماً أن اليهود والوثنيين يمتزجون بيسوع: "فالمسيح هو سلامنا، جعل اليهود وغير اليهود شعباً واحداً وهدم الحاجز الذي يفصل بينهما، أي العداوة، وألغى بجسده شريعة موسى (التوراة) بأحكامها ووصاياها ليخلق في شخصه من هاتين الجماعتين... إنساناً واحداً جديداً، ويصلح بينهما وبين الله بصليبه، فقضى على العداوة وجعلهما جسداً واحداً" (أفسس 2، 14 - 18).

عارفاً أن مهمته هي أن يحمل اسم الله والمسيح إلى الوثنيين (أعمال 9، 15)، أدرك بولس أن عليه أن يحارب بعنف استبداد اليهود الذين "منعوه من تبشير سائر الأمم بما فيه خلاصهم" (تسالونيكي الأولى 2، 16).

جميع رسائل بولس هي ثمرة كفاحه "ليبشر بابن الله بين الأمم (الوثنيين)" (غلاطية 1، 16). قدّر بولس نعمة تبشير غير اليهود "بما في المسيح من غنى لا حد له" (أفسس 3، 8)، "هذا السر الغني والمجيد عند غير اليهود (الوثنيين)" (كولوسي 1، 27)، فأصبح بولس "رسول غير اليهود" بلا منازع (غلاطية 2، 8)، كما أراده يسوع (أعمال 9، 15).

بما أنك فهمت هذه النقطة الأساسية عن بولس، تستطيع الآن أن تقرأ باقي رسائله.

رسائل بطرس، يعقوب ويهوذا سهلة الفهم. إقرأها.

14. الدرس الرابع عشر - كتاب رؤيا يوحنا

الرؤيا هو كتاب نبوي يتناول أحداث القرن العشرين وأبطالها. هذه الحقبة الصاخبة هي حقبة عودة ظهور ونهاية وحش: المسيح الدجال، قبيل عودة المسيح.
كشف الله هذا الكتاب ليوحنا، رسول يسوع، في سنة 95.
إقرأ نص: "مفتاح سفر الرؤيا"

15. الدرس الخامس عشر - دراسة المواضيع

1.15 مصير الإنسان بعد الموت

إقرأ نص: "مصير الإنسان بعد الموت"
ستكمل تأهيلك الروحي بانفتاحك على الوحي القرآني. أدرس "نظرة إيمان بالقرآن الكريم" ونص "المسيح الدجال في الإسلام".

2.15 علم اللاهوت

إن معرفة اللاهوت ستكمل ثقافتك "العلمية" وستساعدك على أن تعلو روحياً. كل ديانة لها علمها اللاهوتي الخاص بها. علم اللاهوت المسيحي ينقسم إلى جزئين: اللاهوت العقائدي واللاهوت الأدبي (الأخلاقي).
اللاهوت العقائدي
الشعارات التي نحن بحاجة أن نعرفها والتي ترتكز على الكتب المقدسة:

- الله واحد وثالوث
- الله خالق
- الله متجسد (دراسة المسيح)
- الأسرار المقدسة
- مريم العذراء (دراسة مريم)
- مفهوم شعب الله إلخ...

دراسة تفسير الكتاب المقدس هذه تحتوي عدة تعاليم لاهوتية.
أتى كتاب الرؤيا بأنوار جديدة خاصة حول مفهوم شعب الله الذي تمت معالجته في أعمال لاهوتية تقليدية في الفصل الذي يتكلم عن "الكنيسة"، بالإضافة إلى مفهوم "الكاهن".
اللاهوت الأدبي (الأخلاقي)

- الوصايا العشر
- العدالة الاجتماعية والعالمية إلخ...

هذا المبدأ الأخلاقي يختصر بقول يسوع: "أحب الرب إلهك وقريبك مثلما تحب نفسك...".
هنا تنتهي المرحلة الثالثة من هذا المسار الروحي الذي يرتكز - كما سبق أن ذكرنا في بداية الدرس- على اختيار الطريق الروحي المختار والتعمق به.
للمراجعة

- "نظرة إيمان بالقرآن الكريم"

- "المسيحيون وإسرائيل"
- "المسيح الدجال وعودة المسيح"
- "المسيح الدجال في الإسلام"
- المحاضرة: "الكتاب المقدس ينقض إسرائيل"
- المحاضرة: "إسرائيل: تضليل آخر الأزمنة المتنبأ به"

بطرس

1997.05.23

Copyright © 2023 - Pierre2.net - All rights reserved.

المحتويات

1 المسار الروحي - في البحث عن الحقيقة 3
1. مقدمة 3
2. المحطة الأولى – التمهيد 3
   1.2 التحرر من الحالة 4
   2.2 الشروط الضرورية للوصول 4
   3.2 خلاصة 5
3. المحطة الثانية - إدراك الذات 5
   1.3 تقييم الشخصية 6
   2.3 اكتشاف عقدنا النفسية 7
   3.3 الهدوء 7
   4.3 نصائح عملية 8
   5.3 تأمل 8
4. المحطة الثالثة - المسار الروحي 8
   1.4 المرحلة الأولى - الله 9
   2.4 المرحلة الثانية - الديانات 11
   3.4 المرحلة الثالثة – الخيار: الوحي الإلهي 16
   4.4 المرحلة الرابعة - السعادة 19

2 دراسة الكتاب المقدس 21
1. الدرس الأول - أسفار الكتاب المقدس 21
   1.1 المؤلفون ومدة الكتابة 22
   2.1 التقاليد الشفهية 23
   3.1 أصالة النص الكتابي 24
   4.1 لغات الكتاب المقدس 26
2. الدرس الثاني – الفصول الـ 11 الأولى من كتاب التكوين 27
   1.2 الخلق (تكوين 1، 1 إلى 2، 3) 27
   2.2 الرواية الثانية للخلق (تكوين 2، 4 - 25) 30
   3.2 تمرد الإنسان على الله (تكوين 3) 32
   4.2 قايين وهابيل: الإنسان يقتل أخيه الإنسان (تكوين 4) 35
   5.2 تكاثر الشر والعقاب بالطوفان (تكوين 6) 37
   6.2 الطوفان (من تكوين 6، 5 إلى تكوين 7، 24) 38
3. الدرس 3 – من إبراهيم إلى إسحق (تكوين 12 إلى 24) 42

1.3 إبراهيم 42
2.3 وعد الله إبراهيم بنسل وأرض (تكوين 12، 6 - 7) 43
3.3 ملكيصادق (تكوين 14، 17 - 20) 45
4.3 عهد الأنصاف (تكوين 15، 7 - 17) 47
5.3 إسماعيل (تكوين 16) 47
6.3 إسحق (تكوين 17 و18) 48
7.3 الختان (تكوين 17، 9 - 14) 48
8.3 كشف الثالوث الألهي (تكوين 18) 49
9.3 سدوم وعمورة (تكوين 19) 49
10.3 ولادة إسحق وطرد هاجر واسماعيل (تكوين 21) 50
11.3 التضحية بإسحق (تكوين 22) 50
12.3 زواج إسحق (تكوين 24) 50
4. الدرس الرابع – قصة إسحق ويعقوب (تكوين 25 إلى 50) 52
1.4 إبنا إسحق: عيسو ويعقوب (تكوين 25، 19) 52
2.4 زوجتا يعقوب (تكوين 28 و 29) 53
3.4 "صراع" يعقوب مع الله (تكوين 32، 24 - 33) 53
4.4 أبناء يعقوب الاثني عشر: عشائر إسرائيل الاثني عشر (تكوين 35، 22 - 26) 54
5.4 العشائر الاثني عشر في مصر (تكوين 37 إلى 50) 55
6.4 أسئلة ملخصة للنقاط الأساسية 56
5. الدرس الخامس – كتاب الخروج 57
1.5 إقامة الإسرائيليين الطويلة في مصر 57
2.5 دعوة موسى 57
3.5 ضربات مصر العشر 60
4.5 الفصح 60
5.5 الكهنوت اليهودي 60
6.5 نشيد موسى (خروج 15) 62
7.5 المن والسلوى (خروج 16) 62
8.5 شريعة موسى (خروج 20 إلى 31) 62
9.5 تابوت العهد والمنارة (خروج 25) 63
10.5 العجل الذهبي (خروج 32) 64
11.5 أسئلة 64
6. الدرس السادس - اللاويين - العدد - التثنية 64
1.6 اللاويين 64
2.6 كتاب العدد 71
3.6 كتاب التثنية 77
4.6 أسئلة 81
7. الدرس السابع ـ يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول والثاني 81
1.7 كتاب يشوع 81
2.7 كتاب القضاة 82
3.7 كتاب راعوث 85
4.7 كتاب صموئيل الأول 85
5.7 كتاب صموئيل الثاني 87
8. الدرس الثامن - كتب الملوك - أخبار الأيام - عزرا ـ نحميا ـ طوبيا ـ يهوديت ـ أستير ـ المكابيين 90
1.8 كتاب الملوك الأول 90
2.8 كتاب الملوك الثاني 94
3.8 أخبار الأيام الأول والثاني 97
4.8 كتاب عزرا 98

5.8 كتاب نحميا 99
6.8 كتب طوبيا، يهوديت وأستير 99
7.8 كتابا المكابيين الأول والثاني 99
9. الدرس التاسع – كتب الحكمة السبعة 100
1.9 أيوب 100
2.9 كتاب المزامير 102
3.9 كتاب الأمثال 103
4.9 كتاب الجامعة 103
5.9 نشيد الأنشاد 104
6.9 كتاب الحكمة 104
7.9 كتاب يشوع بن سيراخ 104
10. الدرس العاشر - الكتب النبوية الأربعة الكبرى 104
1.10 المقدمة 104
2.10 إشعيا 106
3.10 إرميا - مراثي إرميا - باروك 108
4.10 حزقيال 112
5.10 دانيال 115
11. الدرس الحادي عشر - الكتب النبوية الصغيرة الاثني عشر 119
1.11 هوشع 119
2.11 يوئيل 119
3.11 عاموس 122
4.11 عوبديا 123
5.11 يونان 123
6.11 ميخا 123
7.11 صفنيا، ناحوم، حبقوق 124
8.11 ملاخي 125
12. الدرس الثاني عشر - كتب العهد الجديد 126
1.12 تقديم الأناجيل المتوافقة 127
2.12 تحضير يسوع 128
3.12 يسوع يبدأ رسالته: خطاب بداية العهد: (متى 5، 1 / 7، 29) 130
4.12 يسوع ويوحنا المعمدان: (متى 11، 1 - 15) 131
5.12 كيف فهم الرسل المسيح (متى 16) 132
6.12 لماذا كان على المسيح أن يموت قتلاً؟ 134
7.12 متى يجب أن نسامح أو متى يجب أن ندين؟ 134
8.12 يسوع والأغنياء (متى19، 16 - 26) 136
9.12 لعن شجرة التين (متى 21، 18) 136
10.12 الضرائب (متى 22، 13 - 17) 137
11.12 الحقيقة عن يهوذا 137
12.12 نهاية الأزمنة (متى 24) 139
13.12 أعمال الرسل 141
13. الدرس الثالث عشر- إنجيل يوحنا ورسائل الرسل 143
1.13 تقدمة لإنجيل يوحنا ورسائله 143
2.13 تعاليم إنجيل يوحنا 147
3.13 رسائل بولس 153
14. الدرس الرابع عشر - كتاب رؤيا يوحنا 155
15. الدرس الخامس عشر - دراسة المواضيع 155
1.15 مصير الإنسان بعد الموت 155

2.15 علم اللاهوت 155